

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

تنبيه :

كل تكملة موضوعة بين معقفين في هذا
الجزء خاصة، متروكة بون تعليق وتنبيه، فهي
من النسخة الشنقيطية المرموز لها بالرمز (ش).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم

نبدأ في هذا الجزء، بعون الله وتأييده، بالقول في جملة الذرة والنملة، كما شرطنا به آخر المصحف⁽¹⁾ الثالث. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم⁽²⁾.

(خصائص النملة)

قد علمنا أن ليس عند الذرة غناء الفرس في الحرب، والدفع عن الحريم. ولكننا إذا أردنا موضع العجب والتعجب، والتنبية على التدبير، ذكرنا الخسيس القليل، والسخيف المهيمن؛ فأريتنا ما عنده من الحس اللطيف والتقدير الغريب؛ ومن النظر في العواقب، ومشكلة الإنسان ومزاحمته. والإنسان هو الذي سخر له هذا الفلك بما يشتمل عليه.

وقد علمنا أن الذرة تدخر للشتاء في الصيف، وتتقدم في حال المهلة، ولا تضيع أوقات إمكان الحزم. ثم يبلغ⁽³⁾ تفقدها وحسن خبرها، والنظر في عواقب أمرها، أنها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء في الصيف، أن تعفن وتُسوس⁽⁴⁾، ويقبلها بطن الأرض؛ فتخرجها إلى ظهرها؛ لئيبسها وتعيد إليها جفوفها⁽⁵⁾، وليضربها النسيم وينفي عنها اللحن والفساد. ثم ربما كان - بل يكون⁽⁶⁾ أكثر مكانها ندياً، وإن⁽⁷⁾ خافت أن تنبت نقرت موضع القطمير⁽⁸⁾ من وسط الحبة، وتعلم أنها من ذلك الموضع تبتدئ وتنبت وتنقلب، فهي تفلق الحب كله أنصافاً. فأما إذا كان الحب من حب الكزبرة⁽⁹⁾، فلقته أرباعاً؛ لأن أنصاف حب الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب. فهي على هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوان، حتى ربما كانت في ذلك أحزم من كثير من الناس. ولها مع لطافة شخصها وخفة وزنها، في الشم والاسترواح⁽¹⁰⁾ ما ليس لشيء.

(1) ش، هـ: «الجزء». وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ في تسمية أجزاء هذا الكتاب. انظر تقديم الكتاب ص 17 في صدر الجزء الأول.

(2) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ش. (3) الزيادة من ش، هـ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (3: 199).

(4) يقال: ساس الطعام يساس سوساً، بالفتح؛ وسوس كسمع، وسيس كقيل، وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة.

(5) كذا على الصواب في ش. وفي ط، هـ: «لييسها ويعيد إليها جفوفها».

(6) ش: «لكون». (7) الزيادة من نهاية الأرب (10: 175).

(8) القطمير: شق النواة، وهو يريد هنا شق كل حبة. ط، هـ: «أن ينبت بقرب» وأثبت ما في ش.

(9) الكزبرة والكسبرة، بضم الكاف والباء في كل منهما - وقد تفتح الباء -: ضرب من الأبايزر معروف.

(10) الاسترواح: التشمم.

وربما أكل الإنسان الجراد أو بعض ما يشبه الجراد، فتسقط⁽¹⁾ من يده الواحدة أو صدر الواحدة، وليس يرى بقرية ذرة ولا له بالذرة عهد في ذلك المنزل، فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجراد، فترومها وتحاول قلبها ونقلها، وسحبها وجرها، فإذا أعجزتها بعد أن بلغت عذراً، مضت إلى جحرها راجعة، فلا يلبث ذلك الإنسان أن يراها قد أقبلت، وحلفها صويجباتها كالخيط الأسود الممدود، حتى يتعاون عليها، فيحملنها. فأول ذلك صدق الشئ لما لا يشمه الإنسان الجائع. ثم بعد الهمة، والجراءة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة، وأكثر من مائة مرة. وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل ما يكون ضعف وزنه⁽²⁾ مراراً غيرها. وعلى أنها لا ترضى بأضعاف الأضعاف، إلا بعد انقطاع الأنفاس.

(كلام النمل)

فإن قلت: وما علم الرجل أن التي حاولت نقل الجراد ففجرت، هي التي أخبرت صويجباتها من الذر، وأنها كانت على مقدمتهن؟ قلنا: لطول التجربة، ولأننا لم نر ذرة قط حاولت نقل جراد ففجرت عنها، ثم رأيناها راجعة، إلا رأينا معها مثل ذلك، وإن كنا لا نفصل في العين بينها وبين أخواتها؛ فإنه ليس يقع في القلب غير الذي قلنا. وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئاً أو مضت إلى جحرها فارغة، فتلقاها ذرة، إلا واقفتها ساعة وخبرتها بشيء. فدل ذلك على أنها في رجوعها عن الجراد، إنما كانت لأشباها كالرائد لا يكذب أهله⁽³⁾.

ومن العجب أنك تُنكر أنها توحى إلى أختها بشيء، والقرآن نطق بما هو أكثر من ذلك أضعافاً. وقال رؤبة بن العجاج⁽⁴⁾:

لو كُنتُ عَلِمْتُ كَلَامَ الْحُكْلِ⁽⁵⁾ عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ
وقال الله عز وجل: ﴿حَقَّ إِذَا⁽⁶⁾ أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا

(1) ش: «فيسقط».

(2) ط، هـ: «ضعفه».

(3) الرائد: من يروى الكلاء والمنزل: أي ينظره ويطلبه ويختار أفضله. والعبارة إشارة إلى المثل المعروف: «الرائد لا يكذب أهله»، يضرب للذي لا يكذب إذا حدث. وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم.

(4) كذا جاءت النسبة في الصحاح وثمار القلوب 349، 515 وأمثال الميداني (1: 454، 2: 85) وبلوغ الأرب (3: 220) وستأتي أيضاً في ص 13 لكن قال ابن بري: «الرجز للعجاج»، انظر اللسان (حكلي). ومثل هذه النسبة عند الديميري (حسل).

(5) ابن بري: «صوابه: أو كنت». وقبله:

تسألني من السنين كم لي فقلت: لو عُمِرْتُ عُمَرُ الْحُسَلِ
وقد أتاه زمن الفطخل والصخر مبتل كطين الوحل
أو كنت قد أوتيت علم الحكل كنت رهين هرم أو قتل

والحكل من الحيوان، بالضم: مالا يسمع له صوت، كالذر والنمل. والحسل، بالكسر: ولد الضب، زعم الأصمعي أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه، فعند ذلك يسمى ضباً. انظر ثمار القلوب 332.

(6) في الأصل: «فلما أتوا». وهو تحريف من الناسخين، وستأتي صحيحة في ص 8 - 11 وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة.

يَحِطُّكُمْ⁽¹⁾ سَلِيمُنْ وَجُنُودُهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَسَمَّ صَاحِبُكَ مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴿النمل: 18-19﴾. فقد أخبر القرآن أنها قد عرفت سليمان وأثبتت عينه⁽²⁾، وأن علم منطقها عنده، وأنها أمرت صويحباتها⁽³⁾ بما هو أحزم وأسلم. ثم أخبر أنها تعرف الجنود من غير الجنود، وقد قالت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. ونخالك أيها المنكر تبسمه بحالهن⁽⁴⁾، أنك لم تعرف قبل ذلك الوقت وبَعْدَهُ، شيئاً من هذا الشكل من الكلام، ولا تدبيراً في هذا المقدار. وأمّا ما فوق ذلك فليس لك أن تدعيه. ولكن، ما تنكر من أمثاله وأشباهه وما دون ذلك، والقرآن يدل على أن لها بياناً، وقولاً، ومنطقاً يفصل بين المعاني التي هي بسبيلها؟! فلعلها مكلفة، ومأمورة منهيّة، ومطبعة عاصية. فأول ذلك أن المسألة من⁽⁵⁾ مسائل الجهالات، وإن من دخلت عليه الشبهة من هذا المكان لناقض الرؤية⁽⁶⁾ ردّي الفكرة⁽⁷⁾. وقد علمنا، وهم ناس ولهم [بذلك] فضيلة في الغريزة وفي الجنس والطبيعة. وهم ناس إلى أن ينتهوا إلى وقت البلوغ ونزول الفرض⁽⁸⁾ حتى لو وردت ذرة لشربت من أعلاه.

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهب⁽⁹⁾:

أَبَ هَذَا اللَّيْلِ فَاكْتَنَعَا وَأَمَرَ النَّوْمُ فَامْتَنَعَا⁽¹⁰⁾
فِي قَبَابٍ وَسَطٍ دَسُكْرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونَ قَدْ يَنَعَا⁽¹¹⁾

- (1) تحتمل أن تكون جواباً للأمر، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر. والمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم، على طريقة: لا أرينك هنا.
- (2) أي ذاته. ط، هـ: «فأثبت».
- (3) ش: «صواحباتها» على طريقة جمع الجمع.
- (4) كذا في ش. أي تبسم سليمان عليه السلام بما رأى من حال النمل. ط، هـ: «تشبه بحالهن».
- (5) ط: «عن». وأثبت ما في ش.
- (6) الروية: النظر والتفكير. ط، هـ: «الناقض الرؤية» صوابه في ش.
- (7) في الأصل: «ودني الفكرة»، ولعل صوابه ما أثبت.
- (8) ط، هـ: «الغرض» محرف. وفي العبارة وسابقتها ولاحتقتها اضطراب.
- (9) اسمه وهب بن زمعة الجمحي، وفي الأغاني (6: 150) أنه قال الشعر في آخر خلافة علي، ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير. وقد كان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن. وأنه كان سيداً شريفاً، يحمل الحملات، ويعطي الفقراء، ويقري الضيف. . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبي دهب، والصحيح أنها ليزيد بن معاوية، يتغزل بها في نصرانية كانت قد ترهبت في دير خراب. عند الماطرون. انظر الكامل 217 ليبسك وخزانة البغداد (3: 279 بولاق) ومعجم ياقوت (الماطرون) واللسان (كنع) وفي الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأخص.
- (10) ط: «أرب هذا»، وصوابه في ش، هـ والمعجم واللسان. ورواية الأخفش في حواشي الكامل: «طال هذا لهم» ورواية ياقوت: «أب هذا لهم». واكتنع: حضر ودنا. وأمر: صار مرأ. وضبطه البغدادى بالبناء للمفعول، ولست أذهب مذهبه.
- (11) الدسكرة، بفتح الدال: بناء يشبه قصرأ حوله بيوت، وجمعها دساكر، تكون للملوك. والوجه في ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع، كما ورد في الخزانة والمعجم.

- [ولها بالماطرون إذا
خُرْفَةٌ، حتى إذا ارتَبَعَتْ
عِنْدَ غَيْرِي فَالْتَمَسَ رَجُلًا
ذَاكَ شَيْءٌ لَسْتُ أَكَلُهُ
وقال أبو النَّجْم في مثل ذلك (5):
وَكَانَ نُشَابَ الرِّيحِ سُنْبُلُهُ (6)
وَابْيَضَ الْأَقَاعُ وَجَدُولُهُ (8)
وَاصْفَرَّ مِنْ تَلْعٍ فَلِيحٍ بَقْلُهُ (10)
وَانشَقَّ عَنْ فَصْحٍ سَوَاءٍ عَنطَلُهُ (12)
أَكَلَ النَّمْلَ الَّذِي جَمَعَا (1)
سَكَنْتُ مِنْ جَلْتِ بَيْعَا (2)
يَأْكُلُ التَّنُّومَ وَالسَّلْعَا (3)
وَأَرَاهُ مَأْكَلًا فَظْعَا (4)
وَاخْضَرَ نَبْتًا سِدْرُهُ وَحَرَمْلُهُ (7)
وَأَصْبَحَ الرُّوْضُ لَوِيًّا حَوْصَلُهُ (9)
وَانْحَتَّ مِنْ حَرْشَاءٍ فَلَجَ خَزْدَلُهُ (11)
وَانْتَفَضَ الْبَرُوقُ سُودًا فَلْفُلُهُ (13)

- (1) الماطرون، بكسر الطاء، ويروى بفتحها؛ وفتح النون، ويروى بكسرها. ويروى أيضاً: «بالماطرين» وهي رواية المبرد. الذي جمعاً: أي الذي جمعه. والنمل يأكل في وقت الشتاء ما جمعه في زمن الصيف.
- (2) الخُرْفَةُ، بالضم: ما يجتنى. ورواية العباب والمقاييس والمخصص (9: 11): «خلفة» بكسر الخاء وباللام بعدها. والخلفة: الثمر يظهر بعد الثمر الكثير. وهذا اللفظ لا يزال مستعملاً عند زراع مصر. وارتبعت: دخلت في الربيع. وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة، قال ياقوت: اسم لكورة الغوطة كلها، وقيل بل هي دمشق نفسها، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق.
- (3) التنوم، بفتح التاء وتشديد النون المضمومة: شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية، وكذا النعام، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق. قلت: كأنه ما يسمى اليوم بعباد الشمس. والسلع، بالتحريك: شجر يرتقي جبلاً خضراً لا ورق لها، وقضبانها تلتف على الغصون وتشبك، وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار، فإذا أبيض اسود، فتأكله القروء.
- (4) الفظع، ككتف: الفظيع.
- (5) انظر بعض أشطار هذا الرجز في جمهرة ابن دريد (2: 133) والاشتقاق 182 والمزهر (2: 358).
- (6) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها في كل جهة. ش: «نشات» وهو محرف.
- (7) السدر، بالكسر: شجر النبق. والحرمل، كجعفر: نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف.
- (8) ابيض الروض: صوح نباته. وإنما سلم نبت القاع والجدول من ذلك لما بقي من الماء فيهما. وقد اضطره الشعر فرفع ما بعد إلا. وحقه النصب.
- (9) حوصل الروض: قراره، وهو أبطأ هيجاً. والوى: ما بين الرطب واليابس.
- (10) التلع، بالفتح: جمعة تلة، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي. والفليح، بالجيم: عني به المتسع. ط: «فليح» وقد حرك قاف «بقله» لوزن الشعر.
- (11) ط، ه: «فلح»، صوابه في ش واللسان (حش، قطر). والفليح: النهر الصغير. والحرشاء بفتح الحاء وبالشين: خردل البر. وهي في الأصل، «خرشاء»، صوابها من اللسان في موضعيه.
- (12) كذا في الأصل. ولعل صواب: «عنطلة»: «عنصله»، والعنصل، كقنفذ: البصل البري.
- (13) البروق، بفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة: شجر ضعيف له ثمر حب أسود صغار. وهو الذي يقال فيه المثل: «أشكر من بروقة»؛ لأنها تعيش بأدنى ندى يقع من السماء. ط، ه: «البرودون» صوابه في ش. وانظر لهذا الشطر الاشتقاق والمزهر.

واختلف النمل قطاراً ينقله⁽¹⁾ طارَ عن المهر نَسِيلٌ يُنْسِلُهُ⁽²⁾
(استطراد لغوي)

قال أبو زيد: الحمكة القملة، وجمعه حَمَك. وقد ينقأس ذلك في الذرة. ()
قال أبو عبيدة: قرية النمل من التراب⁽³⁾، وهي أيضاً جرثومة النمل.
وقال غيره: قرية النمل ذلك التراب والجحر⁽⁴⁾ بما فيه من الذرّ والحَبّ والمازن.
والمازن هو البيض، وبه سمّوا مازن. ()

قال أبو عمرو⁽⁵⁾: الزبال ما حملت النملة بفيها، وهو قول ابن مقبل:
كريم النّجار حمى ظهره فلم يُرتزأ برُكوب زبالا⁽⁶⁾
(شعر في التعذيب بالنمل)

وأنشد ابن نُجَيْم⁽⁷⁾:

هَلَكُوا بِالرُّعَافِ وَالنَّمْلِ طَوْرًا ثُمَّ بِالنَّحْسِ وَالضُّبَابِ الذُّكُورِ⁽⁸⁾
وقال الأصمعيّ في تسليط الله الذرّ على بعض الأمم:
لحقوا بالزّهويين فأمسّوا لا ترى عُقرَ دارهم بالمبين⁽⁹⁾

(1) اختلف: أقبل وأدبر. والقطار: أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق. وهذه الكلمة محرفة في الأصل، فهي في ط: «فطار» وفي ش، هـ: «فطاراً»، وصواب روايته من اللسان. ولفظ «ينقله» هي في ط، هـ: «ينقله» بتقديم النون. صوابه في ش. وفي اللسان: «تنقله».

(2) النسيل، بفتح النون: ما يسقط من الصوف والشعر والريش. وأنسل الحيوان الصوف والشعر والريش: أسقطه. وكلمة «طار» أراها جواباً لشرط في أبيات قبل هذه. وفي الأصل: «يسيل سنبله» ولعل الوجه فيه ما أثبت.

(3) ط، هـ: «الزباب» ولا وجه له. وصوابه في ش. وفي اللسان: «وقرية النمل: ما تجمع من التراب». وفي المخصص (8: 120): «أبو عبيد: قرية النمل وجرثومته: ما يجمع من التراب».

(4) في الأصل: «الحجر» ووجهه ما أثبت.

(5) هو أبو عمرو بن العلاء. ش: «أبو عمر».

(6) البيت في صفة فحل من فحول الإبل، والنجار، بالكسر: الزصل. حمى ظهره: أي منع ظهره من الركوب. ويرتزأ، بالبناء للمفعول: ينقص. وفي ط، هـ: «يرنو»، و ش: «يوتوا» تحريف ما أثبت من اللسان (زيل) والمخصص (8: 120)، و«كريم» هي في الأصل «كرم» وصوابها في المرجعين السابقين.

(7) في ط، هـ: «لخيم». وفي ش: «الحيم». وصواب ما أثبت، واسمه يحيى بن نجيم. وأسلفت ترجمته في (2: 203).

(8) الرعاف، بالراء المضمومة: سيلان الدم: وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف في (6: 94)، ش: «بالعرف» تصحيف. والضباب: جمع ضب، ذلك الحيوان.

(9) لعل «الزّهويين» اسم مكان. ش: «بالزّهوتين». هـ: «بالزّهويين» وعقر الدار: أصلها. وقيل: وسطها. ط: «عقد» صوابه في ش، هـ.

سَلَطَ اللَّهَ فَازِرًا وَعُقَيْفًا نَ فَجَازَاهُمْ بَدَارِ شَطُونٍ⁽¹⁾
يَتَّبَعُ الْقَارَّ وَالْمَسَافِرَ مِنْهُمْ تَحْتَ ظِلِّ الْهَدْيِ بَذَاتِ الْغُصُونِ⁽²⁾

فازر، وعُقَيْفَان⁽³⁾ : صنفان من الذَّرِّ، وكذلك ذكروه عن دغفل [بن حنظلة] المناسب⁽⁴⁾،
ويقال: إِنَّ أَهْلَ تِهَامَةَ هَلَكُوا بِالرُّعَافِ مَرَّتَيْنِ. قال: [وكان آخرُ من مات بالرُّعَافِ من سادة
قريش⁽⁵⁾] هِشَامُ بْنُ الْمَغيرة. قال أميَّةُ بن أبي الصَّلْتِ في ذلك:

نُزِعَ الذَّكَرَ فِي الْحَيَاةِ وَغَنَا وَأَرَاهُ الْعَذَابَ وَالتَّدمِيرَا⁽⁶⁾
أَرْسَلَ الذَّرَّ وَالْجَرَادَ عَلَيْهِمْ وَسَنِينًا فَأَهْلَكَتْهُمْ وَمُورَا⁽⁷⁾
ذَكَرُ الذَّرِّ إِنَّهُ يَفْعَلُ الشَّـ رَّ وَإِنْ الْجَرَادُ كَانَ تُبُورَا⁽⁸⁾

(نملة سليمان)

وَقَرَأَ أَبُو إِسْحَاقَ⁽⁹⁾ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودٌ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ *
حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾ [النمل: 17-18]. فقال: كان ذلك الوادي معروفاً بوادي النمل؛ فكأنه كان
جِمي. وكيف تُنَكِّرُ⁽¹⁰⁾ أن يكون حمي؟! [و⁽¹¹⁾ النَّمْلُ رَبِّمَا أَجَلْتُ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ عَنْ بِلَادِهِمْ.
ولقد سألتُ أهل كسكر⁽¹²⁾ فقلت: شَعِيرُكُمْ عَجَبٌ، وَأَرْزُكُمْ عَجَبٌ، وسممكم⁽¹³⁾

(1) يقال عقفان، كعثمان، وعقيفان بهيئة التصغير، وسيأتي شرحه. وفي الأصل: «عقيفان» بقافين، وهو تصحيف
صوابه في اللسان. والرواية فيه:

سُلَطَ الذَّرُّ، فَازَرُ أَوْ عُقَيْفَا نُ فَأَجَلَاهُمْ لَدَارِ شَطُونٍ

ط: «فجازاهم به إشطون» صوابه في ش، هـ.

(2) القار، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن. وهو مقابل المسافر. وفي الأصل: «الفار» بالفاء. و«الهدى» هي في
ط، هـ: «الندى».

(3) عقيفان بقاف تليها ياء ثم فاء، وبهيئة التصغير.

(4) النص في لسان العرب: «قال دغفل النسابة: ينسب النمل إلى عقفان والفازر. فعقفان جد السود، والفازر جد الشقو».

(5) هذه الزيادة الضرورية أثبتها اعتماداً على ما ورد في الحيوان (6: 94) حيث يتحدث الجاحظ عن الرعاف.

(6) أي سلبه الله حسن الذكر في حياته. و«غنا» هي كذلك في ط، هـ. وفي ش: «غنى» وأراهما محرفتين. ورواية
الديوان 34: «سلب الذكر في الحياة جزاء». والضمير عائد إلى فرعون، إذ يقول أمية قبل هذا البيت:

ويفرعون إذ تشاق له الما ء فهلا لله كان شكوراً

قال إني أنا المجير على النا س ولا رب لي على مجيرا

فمحاه الإله من درجات ناميات، ولم يكن مقهوراً

وأما البيت الآتي، فهو من أمية حديث عن العذاب الذي ألحقه الله ببعض الأمم، انظر الديوان.

(7) السنين: جمع السنة، وهي القحط والأزمة. والمور، بالضم: الغبار بالريح. ش: «دموراً» ولهاوجه؛ فالدور بالضم.

أصله أن يهجم الرجل على القوم، أو يدخل عليهم بغير إذن، وأثبت ما في ط، هو الديوان، والحيوان (6: 94).

(8) الثور: الهلاك. (9) هو إبراهيم بن سيار النظام.

(10) ط، هـ: «فكيف ينكر». (11) الزيادة من ثمار القلوب 345.

(12) كسكر، بوزن جعفر: كورة من كور فارس. عن معجم ياقوت.

(13) هذا هو الموافق لما سبق في ج 3 ص 161 س 1، وفي ط، هـ: «سمنكم» وفي ش: «صحتكم» وربما كانت هذه

الأخيرة محرفة عن: «صحنكم» وقد سبق تفسيرها في حواشي (3: 161).

عجب، وجدأؤكم عجب، وبطكم عجب، ودجأجكم عجب، فلو كانت لكم أعناب! فقالوا: كل أرض كثيرة الثمل لا تصلح فيها الأعناب. ثم قرأ: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾، فجعل تلك الجحرة⁽¹⁾ مساكن والعرب تسميها كذلك. ثم قال: ﴿لَا يَحِطُّنَكُمْ سَلِيمُنْ وَجُودُمْ﴾ فجمعت من اسمه وعينه، وعرفت الجند من قائد الجند، ثم قالت: ﴿وَهُرْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فكانوا معذورين وكنتم ملومين، وكان أشد عليكم. فلذلك قال: ﴿فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: 19] لما رأى من [بُعْدِ⁽²⁾] غورها وتسيديدها، ومعرفتها. فعند ذلك قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

(أمثال في النمل)

قال: ويقال: «الطف⁽³⁾ من ذرة»، و: «أضبط من نملة⁽⁴⁾». قال: والنملة أيضاً: قرحة تعرض للساق، وهي معروفة في جزيرة العرب⁽⁵⁾. قال: ويقال: «أنشب من ذرة⁽⁶⁾».

(قول في بيت من الشعر)

فأما قوله⁽⁷⁾:

لَوْ يَدُبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الدَّ رَّ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ⁽⁸⁾
فإنَّ الحوليَّ منها لا يُعْرِفُ مِنْ مَسَانِّهَا⁽⁹⁾، وإنما هو كما قال الشاعر:
تَلْقَطُ حَوْلِي الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ مِنْ الْحَيِّ أُمْسَتْ بِالْحَبِيبِينَ بَلْقَعًا⁽¹⁰⁾
فقال: وحولي الحصى: صغارها. فشبهه بالحوالي من ذوات الأربع.

- (1) الجحرة، بجيم مكسورة تليها حاء مفتوحة: جمع جحر. وفي الأصل: «الجحرة» محرف.
- (2) الزيادة من ش، هـ.
- (3) ألطف، من اللطافة، وهي الدقة. ش: «ألحف» من الإلحاف، وهو الإلحاح؛ لأنها تلح في طلب قوتها.
- (4) أضبط، من الضبط، هو شدة اللزوم. ويقال أيضاً: «أضبط من ذرة، ومن الأعمى، ومن صبي» انظر أمثال الميداني (1: 391).
- (5) فسرهما صاحب القاموس بقوله: «قروح في الجنب... وبثرة تخرج من الجسد بالتهاب واحتراق، ويرم مكانها يسيراً، ويدب إلى موضع آخر كالنملة».
- (6) في الأصل: «أنسب».
- (7) هو حسان، كما في الموشح 63، من قصيدة في ديوانه 376 - 380.
- (8) أندبتها: أثرت فيها. والكلوم: جمع كلم، بالفتح وهو الجرح. قالوا: وأفضل من قول حسان هذا، قول امرئ القيس (انظر الموازنة 136).
- (9) من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الإنب منها لأترا
- (10) ط: «بالجبيين». وفي الموازنة 137: «باللحين».

(أحاديث وآثار في النمل)

ابن جريج، عن ابن شهاب، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مِنَ الدَّوَابِّ أَرْبَعٌ لَا يُقْتَلْنَ: النَّمْلَةُ، والنَّحْلَةُ، والصُّرَدُ، والهُدُودُ».

وحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْعُودِيُّ، قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَعْدٍ، مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ⁽¹⁾ قال: «نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلًا فَاَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَجَاءَ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرِيبَةٍ نَمْلٍ، إِمَّا فِي شَجَرَةٍ وَإِمَّا فِي أَرْضٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا؟! أَطْفَأَهَا أَطْفِئْهَا!».

ويحيى بن أيوب، عن أَبِي زُرْعَةَ بن جرير⁽²⁾، قال: أَنبَأَنَا أَبُو زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَضَّتْهُ نَمْلَةٌ، فَقَامَ إِلَى نَمْلٍ كَثِيرٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَقَتَلَهُنَّ، فَقِيلَ لَهُ: أَفَلَا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ؟!». له:

وعبد الله بن زياد المدني، قال: أَخْبَرَنِي ابْنُ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَقَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ⁽³⁾ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ثُمَّ أَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَفِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ يَسْبَحُونَ اللَّهَ تَعَالَى؟! فَهَلَا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ!». .

يحيى بن كثير، قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ بْنِ الْحَارِثِ الزَّمَانِيُّ⁽⁴⁾، عَنْ هِشَامِ الدُّسْتَوَائِيِّ⁽⁵⁾ قال: إِنَّ النَّمْلَ وَالذَّرَّ إِذَا كَانَا فِي الصَّيْفِ كُلُّهُ يَنْقُلُنَ الْحَبَّ، فَإِذَا كَانَ الشِّتَاءُ وَخِفْنَ أَنْ يَنْبِتَ فَلَقْنَهُ.

هشام بن حسان، أَنَّ أَهْلَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ لَقُوا مِنَ النَّمْلِ أَدَى، فَأَمَرَ الْأَحْنَفُ بِكُرْسِيِّ [فَوَضَعَ عِنْدَ جُحْرِهِنَّ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ تَشَهَّدَ] فقال: لَتَنْتَهُنَّ أَوْ لَتُحَرِّقَنَّ عَلَيْكُنَّ، أَوْ لَتَنْفَعَنَّ أَوْ لَتَنْفَعَنَّ⁽⁶⁾! قال: فَذَهَبَ.

(1) ش: «مولى عبد الرحمن بن عبد الله».

(2) هو أبو زُرْعَةَ بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، اختلف في اسمه، فقيل هرم، وقيل عمرو، وقيل عبد الله، وقيل عبد الرحمن، وقيل جرير. من الرواة الثقات. تقرب التهذيب.

(3) الجهاز، بالفتح: المتاع. والكسر لغة رديئة، وانظر إسناده هذا الحديث والقول فيه عند الدميري.

(4) ط، ه: «الزنانتي». وأثبت ما في ش، وكتب في جانب منها: «خ: الزناتي».

(5) كذا على الصواب في ش. وفي ط، ه: «ابن الدستواي». وانظر ما أسلفت من تحقيق في هذا الراوي (3: 302) وكذا تذييل الجزء الثالث.

(6) ط، ه: «أو لتفعلن» بالتاء، وليس بشيء. والتكرار لتأكيد الوعيد.

وعوف بن أبي جميلة⁽¹⁾ عن قسامة بن زهير⁽²⁾ قال: قال أبو موسى الأشعري: إن لكل شيء سادة، حتى إن للنمل سادة.

عبد الله بن زياد المدني، قال: أنبأنا ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون، فإذا هم بنملة رافعة رأسها إلى السماء، فقال ذلك النبي: ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذا النمل!».

مسعر بن كدام⁽³⁾، قال. حدثنا زيد القمي⁽⁴⁾ عن أبي الصديق الناجي⁽⁵⁾ قال: «خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي فرأى نملة مستلقية على ظهرها، رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن سقيك؛ فإما أن تسقيننا وترزقنا، وإما أن تُميتنا ونهلكنا! فقال: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم!».

(تأويل آية)

وحدثني أبو الجهم قال: سأل أبو عمرو المكي⁽⁶⁾ عن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنْوَا عَلٰى وَادٍ النَّمْلُ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٰنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴿[النمل: 18-19]. فقلت له: إن نذيراً يعجب⁽⁷⁾ منه نبي من الأنبياء ثم يعظم خطره حتى يضحكه لعجيب! قال: فقال: ليس التأويل ما ذهبت إليه. قال: فإنه قد يضحك النبي عليه السلام، من الأنبياء من كلام الصبي، ومن نادرة غريبة. وكل شيء يظهر من غير معدنه، كالنّادرة تسمع من المجنون، فهو يضحك. فتبسّم سليمان عندي على أنه استظرف ذلك المقدار من النملة، فهذا هو التأويل.

- (1) عوف بن أبي جميلة، بفتح الجيم، الأعرابي العبدي البصري، ثم رمي بالقدر والتشيع. مات سنة ست، أو سبع وأربعين بعد المائة، وله ست وثمانون. تقريب التهذيب.
- (2) قسامة، بفتح القاف، ابن زهير المازني البصري، راوٍ من التابعين البصريين، وكان ممن افتتح الأبله مع عتبة بن غزوان. الإصابة 7280.
- (3) مسعر، بكسر أوله وسكون ثانية وفتح المهملة، ابن كدام، ككتاب، ابن ظهير الهلالي، أبو سلمة الكوفي. ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين، أو ثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة. تقريب التهذيب، والمعارف 211، قال ابن قتيبة: «وكان يقول: من أبغضني فجعله الله محدثاً!». لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت. وفي الأصل: «مسعود»، وهو تحريف.
- (4) كذا ورد في الأصل بالقاف، ولعله «العمي» البصري قاضي هراة، الذي ترجم له ابن حجر في التقريب 173، قالوا: إنما قيل له العمي لأنه إذا سئل عن شيء قال: لا حتى أسأل عمي.
- (5) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة: هو بكر بن عمرو - وقيل ابن قيس - الناجي بالنون والجيم المكسورة، وهو لقب له، بصري ثقة مات سنة ثلاث ومائة. وفي الأصل: «الباجي» وصوابه في القاموس والتقريب.
- (6) المعروف: أبو عمر، وهم جماعة في تقريب التهذيب. ش: «المكفولي».
- (7) ش: «إن تدبيراً يتعجب».

(سادة النمل)

وقال أبو الجهم: سألتُه عن قول أبي موسى ^(١): إِنَّ لكلَّ شيءٍ سادةً حتى الذرُّ. قال: يقولون: إِنَّ سادتها اللواتي يخرجنَّ من الجحر، يرتدنَّ بجماعتها، ويستبقنَّ إلى شَمِّ الذي هو من طعامهنَّ.

(تأويل شعر لزهير)

وقال زهير:

وَقَالَ سَاقِظِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَقِي عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ
فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ لَدَيَّ حَيْثُ أَلَقْتَ رَحْلَهَا أَمْ قَشَعَمْ ^(٢)
قال بعض العلماء: قرية النمل.

(استطراد لغوي)

قال: ويقال في لسانه حُبسة: إذا كان في لسانه ثِقْلٌ يَمْنَعُهُ من البيان. فإذا كان الثِقْلُ الذي في لسانه من قِبَلِ الْعُجْمَةِ ^(٣) قيل: في لسانه حُكْلَةٌ. والحُكْلُ من الحيوان كله ما لم يكن له صوتٌ يُسْتَبَانَ باختلاف مخارجه، عند خَرَجِهِ، وضَجَرِهِ، وطلبِهِ ما يغذوه، أو عند هِياجه إذا أراد السفاد، أو عند وعيدٍ لقتالٍ، وغير ذلك من أمره.

(رأى الهند في سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهند أن سببَ ماله كثيرُ كلامِ الناس واختلَفَتْ صُورُ ألفاظهم ^(٤)، ومخارجُ كلامهم، ومقاديرُ أصواتهم في اللَّين والشَّدةِ، وفي المدِّ والقطع - كثرة ^(٥) حاجاتهم. ولكثير ^(٦) حاجاتهم كثرتْ خواطرهم وتصاريِفُ ألفاظهم، واتَّسعت على قدرِ اتِّساعِ معرفتهم. قالوا: فحوائج السَّنانير لا تعدُّو خمسة أوجه: منها صياحُها إذا ضربت، ولذلك صورة. وصياحُها إذا دعت أخواتها وآلافها ^(٧)، ولذلك صورة ^(٨). وصياحُها إذا دَعَتْ أولادها

(١) هو أبو موسى الأشعري، كما سبق في الصفحة التي مضت.

(٢) يقول: شد على عدوه وحده فقتله، ولم تفزع بيوت كثيرة، أراد أنه لم يستعن عليه بأحد. ش: «يفزع». ه: «يقزع»، وهذه الأخيرة محرفة. وأم قشعم: الحرب، أو المنية، أو الضبع، أو العنكبوت، أو الذلة. وبكل فسر قول زهير.

(٣) في الأصل: «العجمة».

(٤) بعد هذه في كل من ط، ه: «واتسعت على قدر اتساع معرفتهم». وهو تكرار لعبارة ستأتي بعد سطرين. وإثباتها هنا يفسد الكلام. فالوجه حذفها كما في ش.

(٥) ط، ه: «كثرت»، ووجهه ما أثبت من ش.

(٦) ط، ه: «ولكثرت»، صوابه ما كتبت من ش.

(٧) الآلاف بمد الهمزة في أوله: جمع إلف بالكسر وهو الأليف. ط: «آلافات» صوابه في ش، ه.

(٨) ط: «وجه». وسياق القول يقتضي ما أثبت من ش، ه.

للطَّعم، ولذلك صورة. وصياحُها إذا جاعَتْ، ولذلك صورة⁽¹⁾. فلما قَلَّتْ وجوهُ المعرفةِ ووجوهُ الحاجاتِ، قَلَّتْ وجوهُ مخارجِ الأصواتِ. وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها. وقالوا: ثمَّ من الأشياء ما يكونُ صوتها خفياً فلا يفهمه عنها إلا ما كان من شكلها. ومنها⁽²⁾ ما يفهم صاحبه بضروبِ الحركاتِ والإشاراتِ والشمائلِ. وحاجاتها ظاهرةٌ جليَّةٌ، وقليلةُ العددِ يسيرة. ومعها من المعرفة ما لا يقصِّر عن ذلك المقدار، ولا يجوزه. [و] رَاضَةٌ الإبلِ، والرَّعاء، ورُؤَاضُ الدَّوَابِّ في المُرُوجِ، والسُّوَّاسُ، وأصحابُ القنصِ بالكلابِ والفهودِ، يعرفون باختلاف الأصواتِ والهيئاتِ والتشوّفِ، واستحالةِ البصرِ، والاضطرابِ، ضروباً من هذه الأصنافِ، ما لا يعرف مثله من هو أعقلُ منهم⁽³⁾، إذا لم يكن له مِنْ مُعَايَنَةِ أصنافِ الحيوان ما لَهُمْ⁽⁴⁾، فالحُكْلُ من الحيوان [من⁽⁵⁾] هذا الشكلِ. وقد ذكرناه مرّةً. قال رُؤَبَةُ⁽⁶⁾:

لَوْ أَنَّنِي عُمِّرْتُ عُمَرَ الْحَسَلِ أَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الْحُكْلِ
عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ
(تأويل بيت للعُماني)

وقال أبو العباس محمد بن ذؤيب الفُقيميُّ وهو الذي يقال له العُمانيُّ⁽⁷⁾ في بعض قصائده في عبد الملك بن صالح. والعُمانيُّ ممن يُعَدُّ ممن جَمَعَ الرَّجَزَ والقصيدَ، كَعُمَرَ بنِ لجِ⁽⁸⁾، وجريز بن الخطفي، وأبي النجم وغيرهم. قال العُمانيُّ:

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تَسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتُهُ سِوَادُهَا⁽⁹⁾

يقول: الذَّرُّ الذي لا يُسَمَعُ⁽¹⁰⁾ لمناجاته صوت، لو كان بينها سِوَادُ⁽¹¹⁾ لفهمه. والسَّوَادُ هو السَّرار⁽¹²⁾. [قال النبي ﷺ لابن مسعود: «أَذْنُكَ حَتَّى أَسَاوِدَكَ» أي تسمع سِوَادِي. وقالت ابنةُ الحُصَيْنِ: «قَرَّبَ الوَسَادِ» وطولُ السَّوَادِ⁽¹³⁾].

(1) ذكر الجاحظ، كما رأيت، أربعة أوجه، لا خمسة، فهو سهو منه.

(2) في الأصل: «ومنتهى».

(3) في الأصل: «منه».

(4) في الأصل: «لغيرهم».

(5) ليست بالأصل.

(6) انظر ما سبق من التنبيه في ص 4.

(7) سبقت ترجمته في (2: 95).

(8) في الأصل: «كعمرو» وصوابه ما أثبت، وقد سبقت ترجمته في (1: 241). و«لجاً» هو والد عمر، وأصل اللجاء المعقل، والملاذ. فهو اسم مصروف، وليس مما أتى على وزن الفعل، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر، وأن والده يسمى الأشعث.

(9) ط: «تساور أخرى» وصوابه في ش، هـ والبيان (1: 40، 325).

(10) ط، هـ: «لم يسمع»، والأوجه ما أثبت من ش.

(11) ط: «سواء» صوابه في ش، هـ.

(12) ط، هـ: «السواد» والماء لا يفسر! صوابه في ش. والسرار، بالكسر: التحادث سرّاً.

(13) قالت هذا حين سئلت: «ما حملك على أن زنيت بعدك؟». انظر البيان (1: 324)، والحيوان (1: 133)، والصناعتين 320.

قال أبو كبير الهذلي:

ساودت عنها الطالبين فلم أنم حتى نظرت إلى السماء الأعزل⁽¹⁾
وقال النمر بن توبل:

ولقد شهدت إذا القداح توحدت وشهدت عند الليل موقد نارها⁽²⁾
عن ذات أولية أساود ربها وكأن لون الملح تحت شفارها⁽³⁾
وقد فسرنا شأن الحكل⁽⁴⁾.

وقال التيمي الشاعر⁽⁵⁾ المتكلم - وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بني تغلب معروفين -:

عجم وحكل لا تبين، ودينها عبادة أعلاج عليها البرانس⁽⁶⁾
ففصل بين الحكل والعجم، فجعل العجم⁽⁷⁾ مثل ذوات الحافر والظلف والخف،
وجعل الحكل كالذرر والنمل والخنافس، والأشكال التي ليست تصيح من أفواهاها. فقال لي
يومئذ حفص الفرزد⁽⁸⁾: [أشهد] أن الذي يقال فيه حق⁽⁹⁾، كان والله نصرانياً، ثم صار يخبر
عن النصرى كما يخبر عن الأعراب!

(بين الأصمعي والمفضل)

[و] قال الأصمعي للمفضل، لما أنشد المفضل جعفر بن سليمان⁽¹⁰⁾ قول أوس بن حجر:

- (1) ط، هـ: «ساورت»، صوابه في ش. والسماء الأعزل: منزلة من منازل القمر، وهو نجم يظهر مع الفجر.
- (2) القداح هنا قداح الميسر. توحدت: أي أخذ كل رجل قدحاً ولم يقدر على غيره؛ لشدة الزمان وغلاء اللحم.
- (3) عن ذات أولية: أي من أجل ناقة ذات أولية، رعت ولياً بعد ولي من المطر فسمنت. أساود ربها: يقول: أساره وأناجيه لأخذه عنها فيسمح بها ليجري عليها الميسر. وكأن لون الملح فوق شفارها: أي أن الشفار التي تذيب بها وتقطع يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكي ذلك لون الملح. ط: «أساور» صوابه في ش، هـ، والميسر والقداح ص 118 والمعاني الكبير 1160.
- (4) انظر ص 13 وكذا ص 12.
- (5) ذكره الصولي في الأوراق 76 باسم «التيمي بن محمد».
- (6) الأعلاج: جمع عالج، بالكسر، وهو الرجل من كفار العجم. والبرانس: جمع برنس، وهو القلنسوة الطويلة. وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام. والبرنس أيضاً: كل ثوب رأسه منه ملتزق به، دراعة كان أو ممطراً أو جبة. وفي حديث عمر: «سقط البرنس عن رأسي» هو من هذا. والرواية في البيان (1: 40): «ولكن حكلاً لا تبين».
- (7) ط، هـ: «ذوات العجم» وكلمة «ذوات» مقحمة.
- (8) من المجبرة، وكان من أهل مصر، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه وناظره، فقطعه أبو الهذيل. وله عدة تصانيف سردها ابن النديم في الفهرست 255 مصر 180 ليسك.
- (9) ط، هـ: «حتى»، وهو على الصواب في ش.
- (10) كذا أيضاً في التنبهات على أغاليط الرواة في نسختنا الخطية. وفي اللسان أنه سليمان بن علي الهاشمي.

وَذَاتُ هَدَمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تَضُمَّتْ بِالماءِ تَوَلِّباً جَدِعا⁽¹⁾

فجعل الذَّال معجمة، وفتحها، وصَحَّفَ، وذهب إلى الأجداع⁽²⁾.

قال الأصمعي: إنما هي: «تَوَلِّباً جَدِعا» الذَّال مكسورة، وفي الجدع يَقُول أبو زيد:

ثُمَّ اسْتَقَامَا فَلَمْ يَقْطَعْ نِظَائِمَهَا عَنْ التَّضْبُّبِ لَا عَبْلٌ وَلَا جَدْعُ⁽³⁾

وإنما ذلك كقول ابن حَبْنَاء الأشجعي⁽⁴⁾:

وَأَرْسَلَ مُهْمَلًا جَدِعاً وَخَفَاً وَلَا جَدْعُ النَّبَاتِ وَلَا جَدِيدُ⁽⁵⁾

فنفخ المفضَّل، ورفع بها صوته، وتكَلَّمَ وهو يصيح. فقال الأصمعي: لو نفخت بالشُّبُور لَمْ ينفَعك! تَكَلَّمَ بكلام النَّمْل وَأَصْبَ⁽⁶⁾! والشُّبُور: شيء مثل البوق، والكلمة بالفارسيَّة⁽⁷⁾، وهو شيء يكون لليهود، إذا أراد رأس الجالوت⁽⁸⁾ أن يحرم كلام رجلٍ منهم نفَّخُوا عليه بالشُّبُور.

(1) الهدم، بالكسر: الشوب الخلق المرقع. هـ، ش: «عدم» والعدم، بالضم الفقر وفقدان المال، ولم أجد هذه الرواية فيما عندي. والنواشر: عصب الذراع من داخل وخارج. وعريت نواشره: فقدت ما يكسوها من لحم، وهو علامة المجاعة. تصمت بالماء تولباً: أي تسكت ولدها الذي يبكي من الجوع بشيء من الماء. وأصل التولب: ولد الحمار؛ لكن أوساً أساء الاستعارة لجعله الطفل تولباً أنظر العمدة (2: 204). وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء الاستعارة هذا يسمى معازلة وقال: لا أعرف المعازلة إلا فاحش الاستعارة. وانظر الرد عليه في كل من الصناعتين 155 وسر الفصاحة 151، والبيت من قصيدة جيدة يرثي بها فضالة بن كعدة مطلعها:

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جِزْعاً إِنَّ الَّذِي تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا

وقبل البيت:

لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ وَالْمَدَامَةُ وَالـ فَتِيَانُ طَرَا وَطَامَعُ طَمَعَا

وانظر ما قبل في مجالس العلماء للزجاجي وحواشيه ص 14 والمقاييس (جدع).

(2) الأجداع: جمع جذع بالتحريك، وهو من الحافر ما كان في الثالثة.

(3) التضبيب: السمن وكثرة اللحم. هـ فقط: «التضبيب». والجدع، ككتف: فعل بمعنى مفعول، ولا يعرف مثله. وهو السيئ الغذاء.

(4) ابن حبناء، يطلق على (خمسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة، وحبناء، اسم أمهم كما في القاموس ومعجم المرزباني 369 والمؤتلف والمختلف 105، أو هو لقب لأبيهم لقب به لحبن أصابه. والحبن: داء في البطن يعظم منه ويرم. الأغاني (11: 156). وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حبناء، وكان بينه وبين أخيه صخر مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج (11: 162 - 163)، وثالث هذين الأخوين هو يزيد بن حبناء وكان من الخوارج، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب بن أبي صفرة. ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران، أحدهما بلعاء بن قيس الكناني وأخوه جثامة. وأمهما الحبناء بنت وائلة. وقد تقدمت ترجمة بلعاء في (3: 33). جاء في ط: «حبناء» صوابه في هـ، س. على أنني أستبعد صحة العبارة هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة «الأشجعي». والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبهاء بالتصغير). وهو شاعر بدوي من مخاليف الحجاز ينتهي نسبه إلى بكر بن أشجع. نشأ وتوفى في أيام بني أمية، وهو من المقلين، وله حديث مع الفرزدق في الأغاني: (16: 141).

(5) المراد بالخف هنا الإبل.

(6) تجد هذه القصة مع بسط وتفصيل، في اللسان (جدع).

(7) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية. انظر الاستدراكات.

(8) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء.

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليس تحريمُ الكلام من الحدود القائمة في كتبهم، ولكن الجائليق^(١) ورأس الجالوت، لا يمكنهما في دار الإسلام حبس ولا ضرب؛ فليس عندهما إلا أن يغرموا المال، ويحرموا الكلام. على أن الجائليق كثيراً ما يتغافل عن الرجل العظيم القدر، الذي له من السلطان ناحية. وكان طيمانو^(٢) رئيس الجائليق، قد همّ بتحريم كلام عَوْن العبادي^(٣)، عندما بلغه من اتّخاذ السّراري^(٤)، فتوعّده وحلف: لئن فعل ليُسَلِّمَن! وكما ترك الأشقي^(٥) وميخايل^(٦) وتوفيل^(٧)، سَمَل عَيْنِ مَنُوِيل^(٨) - وفي حكمهم أن من أعان المسلمين على الرُّوم يقتل؛ وإن كان ذا رأي سَمَلوا عينيه ولم يقتلوه - فتركوا سُنَّتَهُم فيه. وقد ذكرنا شأنهم في غير ذلك، في كتابنا على النَّصاري^(٩). فإن أردته فاطلبه هنالك.

(تأويل بيت لابن أبي بيعة)

وقال عمر بن أبي ربيعة:

لَوَدَّبَ ذُرٌّ فَوْقَ ضَاحِي جِلْدِهَا لَأَبَانَ مِنْ آثَارِ هَنٍّ حُدُورٍ^(١٠)
والحدر: الورم والأثر^(١١) يكون عن الضرب.

- (١) الجائليق، بفتح الثاء: رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران، ثم الأسقف، ثم القسيس، ثم الشماس.
 - (٢) كذا. ولعله: «طيمانوس» كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس.
 - (٣) العبادي: نسبة إلى العباد، بكسر العين، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة.
 - (٤) السّراري: جمع سرية، وهي الأمة المملوكة التي بوئت بيتاً. ونظام التسري، أي اتخاذ السّراري، نظام إسلامي يقصد به تكثير نسل المسلمين. والتسري محظور على النصارى. انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (2: 176).
 - (٥) كذا في ش، هـ. وفي ط: «الأشقي».
 - (٦) ش: «متخايل».
 - (٧) وجه الصواب فيه: «ثيوفيل» أو «توفيل».
 - (٨) سمل عينه: فقأها، وبدل هذه العبارة في ط: «وسموعين ومنويل». وفي هـ: «سمل عين ومنويل»، وصوابه في ش.
 - (٩) في الأصل: «النصري»، وهو تحريف. وكتابة الجاحظ عن النصارى وثيقة تاريخية مهمة، تظهرنا على حقائق غريبة، وتبين لنا مدى اتصال النصارى بالمسلمين في عصره. وقبل عصره. وتجد فقراً منها بهامشة الكامل (2: 148 - 198).
 - (١٠) ضاحي جلدها: أي جلدها الضاحي المشرق. وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر. و«حدور» فاعل أبان، ومنه في الكتاب: ﴿حَمَّ * وَالْكَتَبِ الْتَيْنِ﴾ [الدخان: 1، 2] أي البين الظاهر، في أحد وجهي تأويله. وفي ط، وكذا اللسان (مادة حدر) والمخصص (2: 80) «حدوراً» بالنصب، وهو خطأ صوابه في هـ، ش، إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروى، كما في ديوان عمر ص 12، مطلعها:
- لمن الديار كأنهن سطور تسدي معالمها الصبا وتنير
- وقبل البيت:
- تلك التي سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها مأسور
- (١١) في الأصل: «والحدر والورم الأثر»، وصوابه ما أثبت.

(التسمية بالنمل)

وقد يسمَّى بنملة وُئْمِلَة، ويكتنون بها. وتسمّوا بذَرٍّ، واكتنوا بأبي ذرٍّ. ويقال: سيفٌ في مَتْنِه ذرٌّ، وَهُوَ ذَرِّيُّ السَّيْفِ⁽¹⁾.

(شعر في صفة السيف)

وقال ابن ضَبَّة⁽²⁾:

وقد أغدُو مع الفَتيا نِ بِالْمَنْجَرِ التَّرَّ⁽³⁾
وذي البَرْكة كالتَّابو تِ وَالْمَحْزَمِ كَالْقَرَّ⁽⁴⁾
معي قاضبة كالمِلْ حِ فِي مَتْنَيْهِ كَالذَّرَّ⁽⁵⁾
وقد أغتَسِر الضَّرْب تَةً تَثْنِي شَتْنِ الشُّثْرِ⁽⁶⁾

وقال الآخر:

تَكَادُ الرِّيحُ تَرْمِيهَا صِرَاراً وَتُرْجَفُ إِنْ يُلْتَمَّهَا خِمَارُ⁽⁷⁾
وَتَحَسَّبُ كُلُّ شَيْءٍ قِيْلَ حَقّاً وَيُرْعَبُ قَلْبُهَا الذَّرُّ الصَّغَارُ
وقال أوسُ بْنُ حَجَرٍ، في صفة السَّيْفِ:

(1) في الأصل: «ذر السيف» وأصلحته معتمداً على لسان العرب، وفيه: «وذرى السيف: فرنده وماؤه، يشبهان في الصفاء بمذب النمل والذر. قال عبد الله بن سيرة:

كل ينوء بماضي الحد ذي شطب جلى الصياقل عن ذريه الطبعاء

(2) ذكره الجاحظ في البيان (76:3) مع الشعراء العرجان. وهو القائل:

وكنت أمشي على رجلين معتدلاً فصرت أمشي على أخرى من الشجر

(3) المنجرد من الخيل: القصير الشعر، وذلك من علامات العتق والكرم. ط، هـ: «بالخنجر» ش: «بالمجرد»، وصوابه ما أثبت كما في اللسان (تر). والتر من الخيل: المعتدل الأعضاء، الخفيف، الدري. ط، هـ: «والبتر» وأثبت الصواب من ش واللسان. وقد روى ابن الشجري هذا البيت في أماليه (82:1):

وقد أغدو إلى الهيجا ع بالمحتنك الشر

روى الكلمة الأخيرة بالثاء المثلثة قال: «يقال سحاب ثر، للكثير الماد. واستعاروه للفرس الكثير الجري».

(4) البركة، بالكسر: الصدر. والتابوت: الصندوق يحرز فيه المتاع، وهي كلمة عبرية الأصل. والمحزم، كمجلس: موضع الحزام. والقر، بالفتح: الهودج.

(5) القاضية، أراد به السيف القاضب، فالتاء فيه للمبالغة، كراوية. ولم أر هذا اللفظ لهذا المعنى في كتاب. وجعله كالملاح في بياضه. والعرب يشبهون الشيء الأبيض بالملح كما سبق تشبيه الشحم به في ص 14 س 5، وجاء هذا البيت مخروماً في اللسان (مادة تر). ويمكن تصحيحه وإكماله مما هنا.

(6) أغتسر الضربة، أصله من اعتسر الرجل الكلام: إذا اقتضبه قبل أن يزوره ويهيئه. يقول: يفاجيء عدوه بالضربة السريعة. ط، ش: «أعسر» صوابه في هـ، والشتر، بالفتح: الجرح. وفي الأصل: «الشبر» ولا وجه له وأما «شتن» فهي في ط: «شتن» والكلمتان غير واضحتين.

(7) ش: «تلثمها»، والوجه ما أثبت من ط، هـ.

كَأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرَّبَا وَمَدْرَجَ ذَرَّ خَافَ بَرْدًا فَأَسْهَلَ⁽¹⁾
 عَلَى صَفْحَتِيهِ بَعْدَ حِينَ جَلَّاهُ كَفَى بِالَّذِي أْبْلَى وَأَنْعَتُ مُنْصَلًا⁽²⁾

(انتقام عقيل بن علفه ممضا خطب إحدى بناته)

قال: وخطب إلى عقيل بن علفه بعض بناته رجل من الحرقة⁽³⁾ من جهينة، فأخذه فشده قِمَاطًا، ودهن أسته برُبَّ وقمطه⁽⁴⁾ وقربه من قرية النمل، فأكل النمل حشوة بطنه⁽⁵⁾.

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال ذو الرُّمَّة:

وَقَرْيَةَ لَاجِنٌ وَلَا أَنْسِيَةَ مُدَاخَلَةَ أَبْوَاهَا بُنِيَتْ شَزْرًا⁽⁶⁾
 نَزَلْنَا بِهَا مَا نَبْتَغِي عِنْدَهَا الْقِرَى وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِمَنْزِلِنَا قَدْرًا⁽⁷⁾

وقال أبو العتاهية:

أَخْبِثْ بَدَارِ هُمُّهَا أَشْبُ جَثْلَ الْفُرُوعِ كَثِيرَةً شَعْبُهُ⁽⁸⁾
 إِنَّ اسْتَهَانَتْهَا بِمَنْ صَرَعَتْ لِبِقْدَرٍ مَا تَعْلُو بِهِ رُتْبُهُ⁽⁹⁾
 وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنَحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ⁽¹⁰⁾

وقال البعيث:

وَمَوْلَى كَبَيْتِ النَّمْلِ لَا خَيْرَ عِنْدَهُ لِمَوْلَاهُ إِلَّا سَعْيُهُ بَنَمِيمٍ

(1) الربا: جمع ربوة، وهو المكان المرتفع. وفي الأصل: «الدبا» ولا وجه له وصوابه في ديوان أوس وعيون الأخبار (187:2) ومعاهد التنخيص (48:1) والشعراء 157، وأسهل: صار في السهل من الأرض.

(2) ط: «على صفحة من»، والوجه «صفحتيه» مع حذف «من» كما في ش، هـ والديوان. ورواية الديوان: «على صفحتيه من متون جلّاه».

(3) كذا على الصواب في ط، هـ وهي قبيلة. وفي ش: «الحديقة» محرف. وفي الأغاني (82:11) أنه من بني سلامان بن سعد.

(4) قمطه: جمع بين يديه ورجليه. والرب بضم الراء، هو الدبس، أو هو ثقل السمن والزيت. وفي الأغاني: «ودهن استه بشحم».

(5) القصة في الأغاني برواية تختلف كثيراً عن هذه.

(6) أراد بالقرية قرية النمل. مداخلة: مخالفة في بعضها بعضاً. شزراً: على غير استقامة فهي معوجة.

(7) رواية الديوان 177: «لا نبتغي عندها».

(8) أشب: كثير، من قولهم شجر أشب: ملثف. جثل: كثير الورق. ط، هـ: «جبل» صوابه في ش.

(9) في الأصل: «أزرا سياستها بمن صرعت» وهو تحريف صوابه من ديوان أبي العتاهية ص 35 وثمار القلوب 346 «لبقدر» هي في الأصل: «فبقدر» وأثبت ما في الديوان والثمار ومروج الذهب (392:3). و«تعلو» هي في ط:

«نقلوا»، وتصحيحه من ش، هـ والثمار والمروج. وبديلها في الديوان: «تسمو».

(10) في الديوان: «وإن استوت» وانظر الكلام على البيت عند الدميري.

(بعض ما قيل في النمل)

قال: وقد سمعت بعض الأعراب⁽¹⁾ يقول: إنه لنمائم نملي. على قولهم: «كذب عليّ نملٌ»⁽²⁾ إذا أرادوا أن يخبروا أنه نمام. وقال حميد بن ثور، في تهوين⁽³⁾ قوة الذر: منعمة، لو يُضْبِحُ الذرُّ سارياً على جليدها بضت مدارجُه دماً⁽⁴⁾ وقال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: 7-8].

قال: وقيل لعائشة رضي الله عنها، وقد تصدقت بحبة عنب: - أتصدقين⁽⁵⁾ بحبة عنب؟! قالت: إن فيها لَمَثاقِيلَ ذر⁽⁶⁾.

(لغز في التمل)

ومما قيل في الشعر من اللغز⁽⁷⁾:
فما ذو جناح له حافرٌ وليس يضُرُّ ولا ينفعُ
يعني التمل، فزعم أن للتمل حافراً، وإنما يحفر جُحره، وليس يحفره بفمه⁽⁸⁾.

(التعذيب بالنمل)

وعذّب عمرو بن هُبيرة⁽⁹⁾ سعيد بن عمرو الحرشي⁽¹⁰⁾ بأنواع العذاب فقليل له: إن أردت

(1) ش: «قال: وسمعت أعرابياً».

(2) النمل ككتف والنامل والنمل - كمحسن - والمنمل - كمنبر - والنمال، كل أولئك بمعنى النمام.

(3) ش: «تهوين» والتهوين: التقليل. والتهوين: الإضعاف. وهما متقاربان.

(4) مدارج الذر: موضع دروجه. بضت: خرج منها الدم.

(5) تصديقين بمعنى تصديقين، حذف إحدى التاءين تخفيفاً. ط فقط: «أتصدقين».

(6) مَثاقِيل: جمع مِثْقَال، بمعنى مقدار. ش: «مَثاقِيل ذرة» صوابه في ط، هـ. وعائشة رضي الله عنها، تنظر إلى الآية السابقة.

(7) البيت الآتي في محاضرات الراغب (2: 305). (8) وإنما يحفره بقوائمه الست. انظر الديميري.

(9) في الأصل: «عمرو بن هُبيرة»، وصوابه ما أثبت، وعمر هذا، أمير من الدهاة الشجعان، ولي الجزيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز، ثم ولاة يزيد بن عبد الملك إمارة العراق وخراسان، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة 105 فلم يعرف له خبر بعد ذلك، وكان قائد أسطول المسلمين في غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين. انظر التنبيه والإشراف 141، وكان عمر يكنى أبا المثنى، وفيه يقول الفرزدق لبزيد (المعارف 179):

أوليت العراق ورافديه فزارياً أخذ يد القميص

تفنى بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص

(10) سعيد بن عمرو الحرشي، أحد قواد العرب، وهو الذي قتل شوذباً الخارجي وقتك بمن معه، وولاه ابن هُبيرة خراسان سنة 103، ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بإمارته فعزله وعاقبه. والحرشي، بفتح الحاء والراء، نسبة إلى الحرشي بن كعب بن ربيعة. وفي الأصل: «بن عمرو» وصوابه من البيان (1: 389) وكتاب الوزراء (61). و«الحرشي» هي في الأصل: «الجرشي» بالجيم، وصوابه في البيان والطبري (8: 175)، وقد أورد الطبري القصة.

أَلَّا يُفْلِحَ أَبَدًا فَمُرُّهُمْ أَنْ يَنْفُخُوا فِي دُبُرِهِ التَّمَلِّ . ففعلوا فلم يفلح بعدها .

(ما يدخر قوته من الحيوان)

قالوا: وأجناس من الحيوان تدخر، وتُشَبَّه في ذلك بالإنسان ذي العقل والرؤية^(١) وصاحب النظر في العواقب، والتفكير في الأمور: مثل الذر، والتمل، والفار، والجرذان، والعنكبوت، والتحل. إلا أن النحل لا يدخر من الطعام إلا جنساً واحداً، وهو العسل .

(أكل الذر للتمل)

وزعم اليعقوبي^(٢) أنك لو أدخلت نملة في جحر ذر لأكلتها، حتى تأتي على عامتها . وذكر أنه جرب ذلك .

(أكل الضباع للنمل)

وقال صاحب المنطق: إن الضباع تأكل النمل أكلاً ذريعاً؛ وذلك أن الضباع تأتي قرية النمل في وقت اجتماع النمل، فتلحس ذلك النمل بلسانها، بشهوة شديدة، وإرادة قوية .

(أكل النمل للأرضة)

قالوا: وربما أفسدت الأرضة على أهل القرى منازلهم، وأكلت كل شيء لهم . ولا تزال كذلك حتى ينشوا^(٣) في تلك القرى النمل، فيسلط الله ذلك التمل على تلك الأرضة، حتى تأتي على آخرها . وعلى أن التمل بعد ذلك سيكون له أذى، إلا أنه دون الأرضة تعدياً . وما أكثر ما يذهب النمل أيضاً من تلك القرى، حتى تتم لأهلها السلامة من النوعين جميعاً .

وزعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملاً، وليس فناؤها لأكل التمل لها، ولكن الأرضة نفسها تستحيل نملاً . فعلى قدر ما يستحيل منها يرى النقص^(٤) في عددها ومضرتها على الأيام .

(١) الروية: النظر والتفكير . ط، هـ: «الرؤية» صوابه من ش .

(٢) يروى عنه الجاحظ في البيان، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا في ش . وفي هـ: «ولا يزال» . وفي ط: «ولا يزالوا» وهذه الأخيرة محرفة . و«ينشوا» هي «ينشؤ» سهل

همزها، وهي بمعنى ينشأ، فهذا الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم، كما في القاموس . ط، ش: «شبا» ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت ما في هـ .

(٤) ش: «النقصان» .

(مَثَل فِي النَّمْلِ)

قال: وبالنَّمْل يُضْرَب المَثَل؛ يقال: «جاءوا مِثْلَ النَّمْلِ». والزَّئِج نوعان، أحدهما يَفْخَر بالعدد، وهم يَسْمَوْنَ النَّمْل، والآخر يَفْخَر بالصَّبْر وعِظَم الأبدان، وهم يَسْمَوْنَ الكلاب. وأحدهما يكبو والآخر ينبو. فالكلابُ تَكْبُو، والنَّمْل تنبو⁽¹⁾.

(أَجْنَحَةُ النَّمْلِ)

قال: ومن أسباب هلاك النَّمْل نباتُ الأَجْنَحَة له. وقد قال الشاعر⁽²⁾:
وإذا استَوَتْ للنَّمْلِ أَجْنَحَةٌ حتى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ⁽³⁾
وإذا صارَ النَّمْل كذلك أخَصَبَتِ العَصافير؛ لأنها تصطادها في حال طيرانها.

(وسيلة لقتل النمل)

[قالوا⁽⁴⁾]: وتُقْتَلُ بأنَّ يَصَبَّ في أفواه بيوتها القَطْران والكَبْرِيتُ الأصفر، ويُدَسَّ في أفواهها⁽⁵⁾ الشَّعْر. وقد جَرَّبْنَا ذلك فوجدناه باطلاً. انتهى.

باب جملة القول في القرد والخنزير

وفي تأويل المَسْخ، وكيف كان، وكيف يُمَسَخُ الناس على خلقتهم⁽⁶⁾ دونَ كلِّ شيء، وما فيهما من العبرة والمحنة؛ وفي خصالهما المذمومة، وما فيهما من الأمور المحمودة؛ وما الفضل⁽⁷⁾ الذي بينهما في النقص، وفي الفضل، وفي الذم وفي الحمد.

(ما ذكر في القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ في القرآن العنكبوت، والذَّرَّ والنَّمْل، والكلب، والحِمار، والنَّحْل، والهدهد، والغراب، والذئب⁽⁸⁾، والفيل والخيل، والبغال، والحَمِير، والبَقَر،

(1) انظر البيان (3: 51). وليس «تکبو» و«تنبو» لفظين عربيين، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر، فقول الجاحظ:

«فالكلاب تكبو» لعل معناه تسمى «تکبو» بالزنجية. وتجد اضطراباً في رسم هاتين الكلمتين، فمرة بدتتا بالياء، ومرة بدتتا بالتاء وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين.

(2) هو أبو العتاهية كما سبق ص 18.

(3) ش، هـ: «دنا أجله» وهو خطأ. انظر ص 18.

(4) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام، وينسجم أوله مع آخره.

(5) أي أفواه بيوتها.

(6) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ش.

(7) في الأصل: «الفضل» بالضاد المعجمة، ووجه ما أثبت.

(8) ش: «الدب» صوابه في ط، هـ. وليس في القرآن الكريم ذكر الدب، وإنما هو «الذئب» ورد في قصة يوسف.

والبعوض، والمعز، والضأن، والبقرة، والنعجة، والحوث، والثون⁽¹⁾. فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً في الذلّة، والضعف، وفي الوهن، وفي البذاء، والجهل.

(هَوَانُ شَأْنِ الْقَرْدِ وَالْخَنْزِيرِ)

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: 26]، فقلّلها كما ترى وحقرها، وضرب بها المثل. وهو مع ذلك جلّ وعلا، لم يمسح أحداً من حشّو أعدائه وعظمائهم بعوضة.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّكَ لِلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73]، إنّما قرّع الطالب في هذا الموضع⁽²⁾ بإنكاره وضعفه، إذ عجز ضعفه عن ضعف مطلوب لا شيء أضعف منه، وهو الذباب. ثم مع ذلك لم نجده جلّ وعلا. ذكر أنه مسح أحداً ذباباً.

وقال: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: 41]، فدلّ بوهن بيته على وهن خلقه، فكان هذا القول دليلاً على التّصغير والتّقليل. وإنما لم يقل: إني مسختُ أحداً من أعدائي عنكبوتاً.

وقال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثَ﴾ [الأعراف: 176]، فكان في ذلك دليل على ذمّ طبعه، والإخبار عن تسرّعه وبذائه. وعن جهله في تدبيره، وتركه وأخذه. ولم يقل إني مسختُ أحداً من أعدائي كلباً.

وذكر الذرّة فقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7-8]، فكان ذلك دليلاً على أنّه من الغيات في الصّغر والقِلّة، وفي خِفّة الوزن وقلة الرجحان. ولم يذكر أنّه مسح أحداً من أعدائه ذرّة.

وذكر الحمار فقال: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5]، فجعله مثلاً في الجهل والغفلة، وفي قلة المعرفة وغِلْظ الطّبيعة، ولم يقل إني مسختُ أحداً من أعدائي حماراً.

وكذلك جميع ما خلق وذكر من أصناف الحيوان بالذمّ والحمد. فأما غير ذلك ممّا ذكر من أصناف الحيوان⁽³⁾، فإنّه لم يذكره⁽⁴⁾ بزم ولا نقص، بل قد ذكر أكثرهن⁽⁵⁾ بالأمر

(1) النون: الحوت العظيم، وقد سمي يونس عليه السلام: ذا النون في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَضِبًا﴾ [الأنبياء: 87] لأن النون كان قد التقمه في اليم، انظر مفردات الراغب. والجاحظ لم يستوعب ما ورد في القرآن من الحيوان، وإلا فقد أغفل ذكر الإبل، والثعبان، والجراد، والحية، والسلوى، والضفادع، والغنم، والفراش، والقمل.

(2) ط فقط: «الموضوع». (3) الكلام من مبدأ: «بالذم والحمد» ساقط من ش.

(4) ش: «يذكر». (5) ش: «أكثرها».

المحمودة، حتى صار إلى ذكر القرد فقال: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفَرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: 60] فلم يكن لهما في قلوب الناس حال. و[لو]⁽¹⁾ لم يكن جعل لهما في صدور⁽²⁾ العامة والخاصة من القُبْح والتشويه، ونذالة النفس، ما لم يجعله لشيء غيرهما من الحيوان، لما خصهما الله تعالى بذلك.

وقد علمنا أن العقرب أشدُّ عداوةً وأذىً، وأفسدُ، وأن الأفعى والتَّعْبَانِ وعامة الأحناش⁽³⁾، أبغضُ إليهم وأقْتَلُ لهم، وأن الأسدَّ أشدُّ صولةً، وأنهم عن دفعهم له أعجز، وبغضهم له على حسب قوته عليهم، وعجزهم عنه، وعلى حسب سوء أثره فيهم. ولم نره تعالى مسخَّ أحدًا من أعدائه على صورة شيء من هذه الأصناف. ولو كان الاستئصال والاستئصال والتَّصْغِيرُ أرَادَ، لكان المسخ على صورة بناتِ وَرْدَانٍ أولى وأحقَّ⁽⁴⁾. ولو كان التَّحْقِيرُ والتَّصْغِيرُ أرَادَ، لكانت الصُّوَابَةُ والجِرْجَسَةُ⁽⁵⁾ أولى بذلك. ولو كان إلى الاستصغار ذَهَبَ لكان الذُّرُّ والقُمَّلُ والذُّبَابُ أولى بذلك. والدليل على قولنا قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات: 64-65]، وليس أن النَّاسَ رأوا شيطاناً قط على صورة، ولكن لما كان الله تعالى قد جعل⁽⁶⁾ في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين، واستسماجه وكرهته، وأجرى على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك - رجع بالإيحاش والتنفير، وبالإخافة والتفريع⁽⁷⁾، إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والأخريين وعند جميع الأمم على خلاف طباع جميع الأمم⁽⁸⁾. وهذا التأويل أشبه من قول مَنْ رَعِمَ مِنَ الْمَفْسَرِينَ، أن رءوس الشياطين نبات ينبت باليمن⁽⁹⁾.

وقال الله عز وجل لنبيه: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 145]، فذكر أنه رِجْسٌ، وذكر الخنزير، وهو أحد المسوخ⁽¹⁰⁾، ولم يذكر في هذه الآية التي أحصى فيها أصناف الحرام، وأباح ما وراء ذلك - القرد. وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث. وهو عند كثير منهم يحتمل المعارضة.

(1) ليست بالأصل.

(2) ش: «قلوب».

(3) الأحناش: الحيات، جمع حنش بالتحريك. وفي الأصل: «الأجناس» محرف.

(4) «على صورة» ساقط من ش. و«أراد، لكان»، هي في ش: «إذا كان»، محرف.

(5) الجرجس، بكسر الجيمين: البعوض الصغار، في الأصل: «الخرجة» صوابه ما أثبت.

(6) في الأصل: «جعل لها» وكلمة: «لها» مقحمة.

(7) في الأصل: «والتفريع».

(8) الخلاف بمعنى الاختلاف.

(9) ممن ذكر هذا التأويل، فخر الدين الرازي في تفسير سورة الصفات، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ، وهو الذي مال إليه أكثر المفسرين، ومما أولوا به الآية أيضاً أن تكون «الشياطين» ضرباً من ضروب الحيات.

(10) المسوخ: جمع مسخ، ط: «الممسوخ». والأوجه ما أثبت من ش، هـ.

(مساوي الخنزير)

فلولا أنَّ في الخنزير معنًى متقدِّماً⁽¹⁾ سوى المسخ، وسوى ما فيه من قبح النظر وسماجة التمثيل، وقبح الصوت، وأكل العذرة، مع الخلاف الشديد واللواط المفرط⁽²⁾ والأخلاق السمجة، ما ليس في القرد الذي هو شريكه في المسخ - لَمَّا ذَكَرَهُ دونه.

(علة النص على تحريم الخنزير في القرآن، دون القرد)

وقد زعم ناس أنَّ العربَ لم تَكُنْ تأكلُ القُرود. وكان من تنصَّر⁽³⁾ من كبار القبائل وملوكها يأكلُ الخنزير، فأظهر لذلك تحريمه؛ إذ كان هناك عالمٌ من الناس، وكثير من الأشراف والوضعا، والملوك والسُّوقَة، يأكلونه أشدَّ الأكل، ويرغبون في لحمه أشدَّ الرغبة. قالوا: ولأنَّ لحم القرد يَنْهَى عن نفسه، ويكفي الطبائع في⁽⁴⁾ الرَّجْرَجِ عَنْهُ غَنَّةٌ⁽⁵⁾. ولحم الخنزير ممَّا يُسْتَتَابُ ويُتَوَاصَفُ، وسبيل لحم القرد كسبيل لحم الكلب بل هو شرُّ منه وأخبث. وقد قال الشاعر⁽⁶⁾ للأسدِّي الذي ليم بأكل لحم الكلب⁽⁷⁾:

يا فقعسي لِمَ أَكَلْتَهُ لِمَهْ لو خافك الله عليه حرَّمَه
فما أَكَلْتِ لَحْمَهْ وَلَا دَمَهْ

وليس يريد بقوله: «لو خافك الله عليه» أنَّ الله يخافُه على شيءٍ أو يخافه⁽⁸⁾ من شيءٍ. ولكنَّه لما كان الكلب عنده مما لا يأكله أحد ولا يخافُ على أَكْلِهِ إِلَّا المضطرُّ، جعل بدل قوله: أَمِنَ الكلبُ على أَكلِ لحمه، أنَّ الله هو الذي لم يخفْ ذلك فيحرِّمه. وهذا ممَّا لا تقف الأعرابُ عليه، ولا تتبَّع الوهم مواضعه؛ لأنَّ هذا باب⁽⁹⁾ يدخل في باب الدِّين، فيما يُعرَف بالنَّظَر.

(ما قيل في جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجراء⁽¹⁰⁾ الكلاب ناسٌ، ويستطيبونها فيما يزعمون. ويقولون: إنَّ جرو

(1) ط، هـ: «منقداً ممَّا» تصحيحه من ش.

(2) ط، هـ: «واللواط المفرطة»: وإنما هو «اللواط المفرط» كما في ش.

(3) ط: «تنصَّر»، وتصحيحه من ش، هـ.

(4) هذه الكلمة ساقطة من ش.

(5) الغث بالتحريك: ثقل الطعام على النفس، وفي الأصل: «غثه».

(6) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق في (1: 192، 2: 91).

(7) أي لامة الناس بأكله لحم الكلب، وفي الأصل: «لَمَ يأكل لحم الكلب» وهو عكس المراد.

(8) ط، هـ: «يخاف» في الموضوعين. وأثبت ما في ش.

(9) ط: «في باب»، والوجه حذف «في» كما في ش، هـ.

(10) أجراء، بفتح الهمزة وسكون الجيم: جمع جرو، وهو هنا ولد الكلب.

الكلب أَسْمَنُ شيءٍ صغيراً، فإذا شَبَّ استحال لحمه، كَأَنَّهُ يَشْبَهُ بِفَرْخِ الحمام ما دام فرخاً وناهضاً، إلى أن يستحكم ويشتد.

(ذكر من يأكل السنانير)

وما أكثر من يأكل السنانير. والذين يأكلونها صنفان من الناس: أحدهما الفتى المغرور، الذي يقال له أنت مسحور، ويقال له: من أكل سنوراً أسودَ بهيماً لم يعمل فيه السحر، فيأكله لذلك. فإذا أكله لهذه العلة، وقد غسل ذلك وعصره، أذهب الماء زهُومته، ولم يكن ذلك المخدوعُ بمستقذرٍ ما استطابه. ولعله أيضاً أن يكون عليه ضربٌ من الطعام⁽¹⁾ فوق الذي هو فيه، فإذا أكله على هذا الشرط، ودبر هذا التدبير، ولم ينكره، عاوده. فإذا عاوده صار ذلك ضراوة له. والصنف الآخر أصحاب الحمام، فما أكثر ما ينصبون المصائد⁽²⁾ للسنانير، التي يُلقَّون منها في حمامهم⁽³⁾، وربما صادف غيظُ أحدهم حَقَّهُ وَغَضَبُهُ عليه، أن [يكون] السنور مُفْرِطُ السَّمَنِ، فيدعُ قتله ويدبُّه. فإذا فعل ذلك مرَّةً أو مرتين، صار ضراوةً عليها. وقد يتقزَّز⁽⁴⁾ الرَّجُلُ من أكل الضَّبِّ والورل والأرنب، فما هو إلا أن يأكله مرَّةً لبعض التجربة، أو لبعض الحاجة، حتى⁽⁵⁾ صار ذلك سبباً إلى أكلها، حتى يصير بهم الحال⁽⁶⁾ إلى أن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها.

(طيب لحم الجراد)

وهاهنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابيَّ السمين، ونحن لا نعرف طعاماً أطيبَ منه. والأعراب إنَّما⁽⁷⁾ يأكلون الحياتَ على شبيهِ بهذا الترتيب ولهذه العوارض.

(أكل الأفاعي والحيات)

وزعم بعضُ الأطباء والفلاسفة، أن الحيات والأفاعي تؤكل نيئةً⁽⁸⁾ ومطبوخة، ومشوية، وأنَّها⁽⁹⁾ تغذو غذاءً حسناً.

(رؤية وأكله الجردان)

وزعم أبو زيد، أنَّه دخل على رؤية، وعنده جردانٌ قد شَوَّاهنَّ، فإذا هو يأكلهنَّ، فأنكر ذلك عليه، فقال رؤية: هُنَّ خيرٌ من اليرابيع والضُّباب وأطيب؛ لأنها عندكم تأكلُ الخبزَ

-
- (1) ش: «من حيث الطعام!». (2) كذا بالأصل. الوجه: «المصايد» بلا همزة، مثل معاش. (3) أي يصيبهم الشر من السنانير. (4) ط، هـ: «يتقذر» وهذا الفعل لا يحتاج إلى «من»، فيقال «تقذر الشيء». (5) هذه الكلمة ساقطة من ش. (6) ش: «تصير بهم الحال»، والحال تذكر وتؤنث. (7) ساقطة من ش. (8) ط، هـ: «نية»، وهي صحيحة أيضاً، انظر الاستدراكات. (9) ط، هـ: «فإنها».

والتمر وأشباه ذلك. وكفأك بأكل الجرذان! ولولا هول الحيات⁽¹⁾ في الصُذور من جهة السموم، لكانت من جهة التقدر⁽²⁾ أسهل أمراً من الجرذان.

(أكل الذبان والزناير)

وناس من السفالة⁽³⁾ يأكلون الذبان. وأهل خراسان يُعجبون باتخاذ البزماورد⁽⁴⁾ من فراخ الزناير، ويعافون أذناب الجراد الأعرابي السمين. وليس بين ريح الجراد إذا كانت مشوية وبين ريح العقارب مشوية فرق. والطعم تبع للرائحة⁽⁵⁾: خبيثها لخبيثها، وطيبها لطيبها. وقد زعم ناس، ممن يأكون العقارب مشوية ونيئة، أنها كالجراد⁽⁶⁾ السمان. وكان الفضل بن يحيى يوجه خدمه في طلب فراخ الزناير ليأكلها وفراخها ضرب من الذبان.

(أكل لحوم البراذين)

فأما لحوم البراذين فقد كثر علينا وفينا، حتى أنسنا به. وزعم بعضهم أنه لم يأكل أطيب من رأس بزذون وسرته. فأما السرّة والمعرفة⁽⁷⁾ فإنهم يزاحمون بها الجدء والدجاج. ويقدمون الأسرام المحشوة.

(أكل السراطين ونحوها)

ومن أصحابنا من يأكل السراطين أكلاً ذريعاً. فأما الرق⁽⁸⁾ والكوسج⁽⁹⁾ فهو من أعجب طعام البحرئين. وأهل البحر يأكلون البلبل⁽¹⁰⁾ وهو اللحم الذي في جوف الأصداق. والأعرابي إذا وجد أسود سالخاً⁽¹¹⁾، رأى فيه مالا يرى صاحب الكسمير في كسميره⁽¹²⁾.

(1) ط: «أن الحيات» وتصحيحه من ش، هـ. (2) ش: «التقرز».

(3) السفالة، بالضم: من بلاد الزنج في شرقي إفريقية. وفي الأصل: «الصقالبة». وهو تحريف، صوابه مما سبق في (3: 175 س14).

(4) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة في (2: 139 التنبيه الثالث).

(5) ش: «الرائحة».

(6) في الأصل: «الفراخ»، وصوابه ما أثبت، كما سيأتي واضحاً في (5: 240). حيث يقول الجاحظ «وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد. وما زلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة، حتى حقق ذلك عندي بعض من يأكلها مشوية ونية أنه ليس بينها وبين الجراد الأعرابي السمين فرق».

(7) المعرفة، كمرحلة: موضع العرف من الفرس.

(8) الرق: سلحفاة المياه.

(9) الكوسج: جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره، وهو في الماء شر من الأسد في البر، يقطع الحيوان في الماء بأسنانه، كما يقطع السيف الماضي. ويسمى بالقرش في سواحل البحر الأحمر. وكلب البحر Dogfish نوع صغير منه. وذكر الأب أنستاس في مجلة المشرق أن القرش معرب: Karcharias اليونانية. انظر معجم المعلوم 225 - 226.

(10) ط: «البلبل»، وأثبت ما في ش، هـ.

(11) الأسود السالخ: ضرب من الحيات.

(12) كذا بالأصل، وانظر ما سيأتي في حواشي (6: 52).

(أكل ديدان الجبن)

وَحَبَّرَنِي كَمْ شِئْتُ⁽¹⁾ مِنَ النَّاسِ، أَنَّهُ رَأَى أَصْحَابَ الْجَبْنِ الرَّطْبِ⁽²⁾ بِالْأَهْوَاِ وَقَرَاهَا، يَأْخُذُونَ⁽³⁾ الْقِطْعَةَ الضَّخْمَةَ مِنَ الْجَبْنِ الرَّطْبِ⁽⁴⁾، وَفِيهَا كِكْوَاءُ الزَّنَابِيرِ⁽⁵⁾، وَقَدْ تَوَلَّدَ فِيهَا الدَّيْدَانُ، فَيَنْفُضُهَا وَسْطَ رَاحَتِهِ، ثُمَّ يَقْمَحُهَا⁽⁶⁾ فِي فِيهِ، كَمَا يَقْمَحُ السَّوِيْقَ وَالسُّكَّرَ، أَوْ مَا هُوَ أَطْيَبُ مِنْهُ.

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ النَّقَمِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ، وَمَا أَخَذَ مِنَ الشَّكْلِ وَالْمَقَابِلَاتِ، فَقَالَ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: 40]، وَقَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿[الفيل: 1-4]. وَلَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ شَيْءٌ أَبْلَغُ فِي الْمُثَلَّةِ وَالسَّنْعَةِ، مِمَّنْ⁽⁷⁾ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ.

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فَالْخَنَزِيرُ يَكُونُ أَهْلِيًّا وَوَحْشِيًّا، كَالْحَمِيرِ⁽⁸⁾ وَالسَّنَانِيرِ مِمَّا يَعِيشُ النَّاسُ. وَكُلُّهَا لَا تَقْبَلُ الْآدَابَ. وَإِنَّ الْفُهْودَ وَهِيَ وَحْشِيَّةٌ تَقْبَلُ كُلِّهَا، كَمَا تَقْبَلُ الْبَوَازِي، وَالشَّوَاهِينَ، وَالصَّقُورَ⁽⁹⁾، وَالزُّرُقَ، وَالْيُؤْيُؤَ، وَالْعُقَابَ، وَعَنَاقُ الْأَرْضِ⁽¹⁰⁾، وَجَمِيعُ الْجَوَارِحِ الْوَحْشِيَّاتِ، ثُمَّ يُفَضِّلُهَا

(1) وردت هذه العبارة أيضاً في ص 78 من هذا الجزء. كما ورد مثلها في ص 42: «وقد خبرنا من لا يحصى من الناس». واستعمال «كم» فاعلاً، هو لغة رديئة حكاها ابن عصفور، وخرج عليها هو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [السجدة: 26] انظر مغني اللبيب.

(2) في الأصل: الجبن والرطب، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق في (3: 175 س 16). والمراد به ذلك النوع المعتقد من الجبن، الذي يسميه عامة مصر: «الמש» بكسر الميم، وجاء في القاموس: «والأرنة بالضم: الجبن الرطب». وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويجففونه. انظر تذكرة داود.

(3) ش: «يأخذ أحدهم».

(4) ط، هـ: «والرطب»، والصواب من ش. وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة.

(5) الكواء، بالكسر: جمع كوة بالفتح، وهي الخرق في الحائط، أو الثقب في البيت.

(6) قمح السويق ونحوه، من باب سَمِعَ: استغه.

(7) في الأصل: «من أن».

(8) ويجمع الحمار أيضاً على أحمر، وحمير - بضمين وبضمة - وحمور، وحميرات، ومحموراء. جاء في ط: «كالحمامير» وهو تحريف، صوابه ما أثبت من هـ، ش.

(9) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة، وصقار وصقارة بكسر صديهما، وصقر بالضم. ط، هـ: «والصقور». وأثبت ما في ش. والجاحظ يميل إلى هذا الجمع كما سبق في (3: 102، 303).

(10) عناق الأرض، بفتح العين: دويبة أصغر من الفهد حسن الصورة، لونه أحمر، وفي أعلى كل من أذنيه شعرات سود، يصيد كل شيء حتى الطير، ويسمى أيضاً التفة، وهو بالفارسية سياه كوش، وبالإفرنجية: Caracal، وفي الأصل: «عناق الأرض»، بالتاء. صوابه ما أثبت.

الفهدُ بَخْصَلَةٍ غريبة وذلك أَنَّ كبارَهَا وَمَسَائِهَا أَقْبَلُ لِلآدَابِ، وَإِنْ تَقَادَمَتْ فِي الْوَحْشِ ⁽¹⁾، مِنْ أَوْلَادِهَا الصَّغَارِ، وَإِنْ كَانَتْ تَقْبَلُ الْآدَابِ؛ لِأَنَّ الصَّغِيرَ إِذَا أُدْبِ فَبَلَغَ، خَرَجَ خَبَأً مُوَآكِلاً ⁽²⁾، وَالْمَسْنُ الْوَحْشِيَّ يَخْلُصُ لَكَ كُلُّهُ، حَتَّى يَصِيرَ أَصِيدَ وَأَنْفَعُ. وَصَغَارُ سَبَاعِ الطَّيْرِ وَكِبَارُهَا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُ الْآدَابِ. وَالْخَنْزِيرُ وَإِنْ كَانَ أَهْلِيًّا فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ الْآدَابَ عَلَى حَالٍ، حَتَّى كَأَنَّهُ -وَإِنْ كَانَ بِهِمَّةً- فِي طَبَاعِ ذَنْبٍ.

وذلك أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَخَذَ جُرَّوً ذَنْبًا وَكَانَ التَّقْطَعُ التَّقَاطًا، فَقَالَ: أَخَذْتُهُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَبْوِيَهُ وَلَا عَمَلَهُمَا، وَهُوَ غَرٌّ لَمْ يَصِدْ شَيْئًا، فَهُوَ إِذَا رَبَّيْنَاهُ وَأَلْفَنَاهُ، أَنْفَعُ لَنَا مِنَ الْكَلْبِ. فَلَمَّا شَبَّ عَدَا عَلَى شَاةٍ لَهُ فَقَتَلَهَا وَأَكَلَ لَحْمَهَا، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ:

أَكَلْتَ شَوِيهَتِي وَرَبَيْتَ فِينَا فَمَنْ أَذْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ ⁽³⁾
فَالذَّيْبُ وَجَرُّو الذَّيْبَ إِذَا كَانَا سَبْعِينَ وَخَشِيئِينَ [كَانَا] ⁽⁴⁾ ثُمَّ مِنْ أَشَدِّ الْوَحْشِ تَوْحُشًا،
وَالزَّمِيهَا لِلْقَفَارِ، وَأَبْعِدْهَا مِنَ الْعِمْرَانِ. وَالذَّيْبُ أَغْدَرُ مِنَ الْخَنْزِيرِ وَالْخَنُوصِ ⁽⁵⁾، وَهُمَا بِهِمَتَانِ.

(ضرر الخنزير)

وَأَمَّا ضَرَرُهُ وَإِفْسَادُهُ، فَمَا ظَنُّكَ بِشَيْءٍ يُتَمَنَّى لَهُ الْأَسَدُ! وذلك أَنَّ الْخَنَازِيرَ ⁽⁶⁾ إِذَا كَانَتْ بِقَرَبِ ضِيَاعٍ قَوْمَ هَلَكْتُ تِلْكَ الضِّيَاعِ، وَفَسَدَتْ تِلْكَ الْعَلَاتِ. وَرَبَّمَا طَلَبَ الْخَنْزِيرَ ⁽⁷⁾ بَعْضُ الْعُرُوقِ الْمَدْفُونَةِ فِي الْأَرْضِ فَيُخَرَّبُ مِائَةَ جَرِيْبٍ ⁽⁸⁾، وَنَابَهُ لَيْسَ يَغْلِبُهُ مِعُولٌ. فَإِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ تَمَنَّوْا أَنْ يَصِيرَ فِي جَنْبَتِهِمْ ⁽⁹⁾ أَسَدٌ. وَلَرَبَّمَا صَارَ فِي ضِيَاعِهِمُ الْأَسَدُ فَلَا يَهْجُونَهُ، وَلَا يُؤْذُونَهُ، وَلَوْ ذَهَبَ إِنْسَانٌ لِيَحْفَرَ لَهُ زُبِيَّةً ⁽¹⁰⁾ مَعُوهُ أَشَدُّ الْمَنْعِ؛ إِذَا كَانَ رَبِّمَا حَمَى جَانِبَهُمْ مِنْ الْخَنَازِيرِ فَقَطْ. فَمَا ظَنُّكَ بِإِفْسَادِهَا، وَمَا ظَنُّكَ بِبِهِمَةِ يُتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ بَدْلُهَا ⁽¹¹⁾ أَسَدًا! ثُمَّ مَعَ

(1) فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ، نَسَخْتِي الْخَطِيئَةَ: «التَّوْحُشُ» وَالْعِبَارَةُ تَنْجَهُ بِكُلِّ مَنِهْمَا.

(2) الْخَبُّ، بِالْفَتْحِ وَيَكْسَرُ: الْخِدَاعُ الْخَبِيثُ. ط: «حَبِيبًا»، ه: «جَبِينًا»، صَوَابُهُ فِي ش. وَانْظُرْ مَا سَيَأْتِي فِي (304: 6).

(3) ش: «فَمَنْ أَنْبَاكَ» وَمِثْلُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ فِي (6: 15، 7: 121، 166) حَيْثُ تَعَادَ الْقِصَّةُ. وَانْظُرْ مُحَاضِرَاتِ الرَّاعِبِ (122: 1) وَمِثْلُ هَذِهِ الْقِصَّةِ عَنْ عَجُوزٍ أَعْرَابِيَّةٍ عِنْدَ الدِّمِيرِيِّ. وَالشَّعْرُ فِيهِ:

بَقَرْتُ شَوِيهَتِي وَفَجَعْتُ قَلْبِي وَأَنْتَ لَشَاتِنَا وَلَدَ رَبِيبٍ
غَذَيْتَ بَدْرَهَا وَرَبَيْتَ فِينَا فَمَنْ أَنْبَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ
إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طَبَاعَ سُوءٍ فَلَا أَدَبَ يَفِيدُ وَلَا أَدِيبَ

(4) مِثْلُ هَذِهِ الزِّيَادَةِ ضَرُورِي لِيَسْتَقِيمَ الْكَلَامُ. (5) الْخَنُوصُ، كَسَنُورٍ: وَلَدُ الْخَنْزِيرِ.

(6) ط، ه: «الْخَنْزِيرُ» بِالْإِفْرَادِ، وَالْوَجْهُ الْجَمُّ كَمَا أُثْبِتُ مِنْ ش.

(7) ط، ه: «الْخَنَازِيرُ» بِالْجَمْعِ. وَالْوَجْهُ الْإِفْرَادُ كَمَا أُثْبِتُ مِنْ ش.

(8) الْجَرِيْبُ، يُقَالُ فِي الْأَرْضِ كَمَا هُنَا، وَمَقْدَارُهُ عَشْرَةُ آلَافِ ذِرَاعٍ، أَوْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَسِتْمِائَةِ ذِرَاعٍ، يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْبُلْدَانِ. وَأَمَّا جَرِيْبُ الطَّعَامِ، فَهُوَ أَرْبَعَةُ أَفْقَظَةٍ.

(9) الْجَنْبَةُ، بِالْفَتْحِ: النَّاحِيَةُ. ش، ه: «جَنْتَهُمْ» وَلَيْسَتْ مُرَادَةً فِيمَا أَرَى. وَأُثْبِتُ الْمُرَادَ مِنْ ط.

(10) الزُّبِيَّةُ، بِالضَّمِّ: حَفْرَةٌ يَصَادُ بِهَا الْأَسَدُ. (11) ش: «مَكَانُهَا».

ذلك إذا اجتمعوا للخنازير بالسلاح، وبالألات والأدوات التي تقتل بها، فرمما قتل الرجل منهم، أو عقره العقر الذي لا يندمل؛ لأنه لا يضرب بنابه شيئاً إلا قطعته، كائناً ما كان. فلو قتلوا في كل يوم منها مائة وقتلت في كل يوم إنساناً واحداً، لما كان في ذلك عوض.

والخنازير تطلب العذرة، وليست كالجلالة⁽¹⁾؛ لأنها تطلب أحرها وأرطبها وأنتنها، وأقربها عهداً بالخروج. فهي في القرى تعرف أوقات الصبح والفجر، وقبل⁽²⁾ ذلك وبعده؛ لبروز⁽³⁾ الناس للغائط. فيعرف من كان في بيته نائماً في الأسحار ومع الصبح، أنه قد أسحر⁽⁴⁾ وأصبح، بأصواتها ومرورها، ووقع أرجلها في⁽⁵⁾ تلك الغيطان، وتلك المتبرزات. ولذلك ضربوا المثل بيكور الخنزير، كما ضربوا المثل بحذر الغراب وروغان الثعلب. على أن الثعلب ليس بأزوع من الخنزير، ولا أكذ للفارس، ولا أشد إغتاباً لصاحبه.

(بعض أسباب المسخ)

فأما قُبْح وجهه فلو أن القُبْح والإفلاس، والغدر والكذب، تجسدت ثم تصوّرت⁽⁶⁾ كما زادت على قُبْح الخنزير. وكل ذلك بعض الأسباب التي مُسِخ لها الإنسان خنزيراً. وأن القرد لَسَمِجُ الوجه، قبيح كل شيء⁽⁷⁾، وكفاك به أنه للمثل المضروب - ولكنه في وجه آخر مليح. فملحه⁽⁸⁾ يعترض على قُبْحه فيمازجه ويُصلح منه. والخنزير أقبح منه؛ لأنه ضرب مُصمّت بهيم، فصار أسمع بعيد.

(وثب الذكورة على الذكورة)

وحَدَّثني بعض أهل العلم، ممّن طال ثَوَاؤه في أرض الجزيرة، وكان صاحب أخبار وتجربة، وكان كلفاً بحبّ التبيين⁽⁹⁾، معترضاً للأمور، يحب أن يُفْصِي إلى حقائقها، وتثبّت أعيانها بعلمها، وتمييز⁽¹⁰⁾ أجناسها، وتعرف مقادير قواها، وتصرف أعمالها، وتنقل حالاتها؛ وكان يعرف للعلم قدره، وللبيان فضله.

(1) الجلالة من الحيوان: التي تأكل الجلة والعذرة.

(2) الواو ليست بالأصل، وأثبتها من مباهج الفكر، وفيها أيضاً: «قبيل» مكان: «قبل».

(3) كذا ف ط، هو مباهج الفكر. وفي ش: «لخروج».

(4) أسحر، بالسين: صار في السحر، والسحر: الوقت قبيل الصبح. ط، هـ: «أصحر» بالصاد، ولا تليق هنا، وأثبت الصواب من ش ومباهج الفكر.

(5) في الأصل: «إلى»، وصوابه في مباهج الفكر.

(6) كذا في ثمار القلوب 321 نقلاً عن الجاحظ. ط، هـ: «تجسم وتصور» س: «تحشد ثم تصور»، وصوابهما ما أثبت. وانظر سائر القول.

(7) في ثمار القلوب: «قبيح في كل شيء».

(8) الملح، بالكسر، بمعنى الملاحه، يقال: ملح ملحاً وملاحه.

(9) في الأصل: «التبيين»، وهو تحريف يتكرر كثيراً. وإنما هو «التبين» بمعنى التفهم والاكتناه.

(10) في الأصل: «تمييز».

قال: ربّما رأيت الخنزير الذّكر وقد ألجأه أكثر من عشرين خنزيراً إلى مضيق، وإلى زاوية، فينزون عليه واحداً واحداً⁽¹⁾، حتى يبلغ آخرهم. وخبرني هذا الرّجل وغيره من أهل التّظر وأصحاب الفكر، أنّهم رأوا مثلاً ذلك من⁽²⁾ الحمير. وذكروا أنّ ذلك إما تأنيث في طبعه، وإما أنّ يكون له في أعينها من الاستحسان شبيه بالذي يعتري عيون بعض الرجال في الغلمان، والأحداث السّباب. وقد يكون هذا بين العرائق والكراكي. والتّسافد بين الذّكر والأنثى. والسافد والمسفود إذا كانا من جميع الذكورة، كثير في جميع أصناف الحيوان، إلّا أنّه في جميع الخنازير والحمير أفسى. وأمّا⁽³⁾ تسافد الحمام الذّكر والأنثى للذّكر⁽⁴⁾، فأكثر من أن يكون فيه تنازع.

(معارف في الخنزير)

وباب آخر ممّا ذكر صاحب المنطق، فزعم أنّ من الخنازير ماله ظلف واحد⁽⁵⁾، وليس شيء من ذوات الأنياب في نابه من القوّة والدّرب ما للخنزير الذّكر، وللجمل، والفهد، والكلب.

قال: والإنسان يلقي أسنانه⁽⁶⁾، وكذلك الحافر والخفّ.
قال: والخنزير لا يلقي أسنانه ألبتّة.

(من لم يثغر)

ويقال: إنّ عبد الصّمد بن عليّ⁽⁷⁾ لم يثغر قط⁽⁸⁾، وأنّه دخل قبره بأسنان الصّبا.

(أسنان الذّئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أنّ أسنان الذّئب مخلوقة في الفك، ممطولة⁽⁹⁾ في نفس العظم. وذلك ممّا توصف به أسنان الحية. قال الشّاعر:

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى الرَّأْسِ وَأَشْدَّاقٍ رَحِيبَاتٍ⁽¹⁰⁾

(1) بدله في مباحج الفكر، وكذا نهاية الأرب (9: 300): «ثم ينزو عليه الأمل فالأمل».

(2) ش: «في».

(3) ط، ه: «فأما».

(4) كذا في ش. وفي ط، ه: «الذكر للأنثى والأنثى للذكر».

(5) يعني ظلفاً غير مشقوق كأنه الحافر. وجاء في (7: 157): «وفي الخنازير ما ليس ظلفه بمنشق».

(6) كذا على الصواب في ش. وفي ط، ه: «والإنسان لا يلقي أسنانه».

(7) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ويكنى أبا محمد، ولي الجزيرة لأبي جعفر المنصور، وكان أقعد بني هاشم في عصره. المعارف 163.

(8) يقال ثغر، بالبناء للمجهول، وثغر، بالبناء للفاعل: سقطت أسنانه. وانظر العقد (6: 23).

(9) المطل: أصله السبك والطبع. ط، ه: «ممطولة» وصوابها من ش ومما سبق في (2: 121 س 9).

(10) سبق البيت في (2: 121)، وسيعاد في هذا الجزء ص 101، 164.

والشاعرُ يمدحُ الشيءَ فيشدُّ أمره، ويقوّي شأنه، وربّما زاد فيه، ولعلّ الذي قال في الذئب ما قال، هذا أراد. ولا يشكُّون أنّ الضبع كذلك.

(مرق لحم الحيوان)

قال: وليس يجمد⁽¹⁾ مرق لحم الحيوان السمين، مثل الخنزير والفرس، وأمّا ما كان كثير الثرب⁽²⁾ فمرقته تجمد⁽³⁾، مثل مرق لحم المعزّي.

(طباع الخنزير)

قال: والخنزير الذكور يقاتل في زمن الهيج، فلا يدعُ خنزيراً إلاّ قتله، ويدنو من الشجرة ويدلك جلده، ثمّ يذهب إلى الطين والحماة فيتلطخ به، فإذا تساقط عاد فيه.

قال: وذكرورة الخنازير تطرد الذكور عن الإناث، وربّما قتل أحدهما صاحبه وربّما هلكا جميعاً، وكذلك الثيران والكباش والثيوس في أفاطيعها، وهي قبل ذلك الزمان⁽⁴⁾ متسالمة.

(ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل في تلك الحالة⁽⁵⁾ لا يدعُ جملاً ولا إنساناً يدنو من هجمته⁽⁶⁾. والجمل خاصّة يكره قرب الفرس، ويقاتله أبداً. ومثل هذا يعرض للذئبة والذئب. والأسد ليس ذلك من صفاتها؛ لأنّ بعضها لا يأوى إلى بعض، بل ينفرد كلّ واحد بلبؤته. وإذا كان للذئبة الأنثى جراً⁽⁷⁾ ساءت أخلاقها وصعبت، وكذلك إناث الخيل والفيل: يسوء خلقها في ذلك الزمان، والفيالون يحمونها التزو؛ لأنها إذا نزت جهلت جهلاً شديداً، واعتراها هيّج لا يقام له. وإذا كان ذلك الزمان أجادوا عقله، وأرسلوه في الفيلة الوحشية. فأما الخنزير والكلب فإنهما لا يجهلان على الناس؛ لمكان الألفة.

قال: وزعم بعض الناس أنّ إناث الخيل تمتلئ ريحاً في زمان هيّجها، فلا يباعدون الذكور عنها، وإذا اعتراها ذلك ركضت ركضاً شديداً، ثمّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً، بل تأخذ

(1) يجمد، بالجيم: أي يصير جامداً، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة، أي الدسم. وسيأتي مثل هذا المعنى بصورة أخرى في ص 54، وهذه الكلمة محرفة في الأصل، فهي في ط، ش «يجمل» وفي هـ: «يجمد». وكتب في هامشة س: «خ يحمد خ تحمد»، وكل أولئك محرف.

(2) الثرب: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء.

(3) في الأصل: «تحمّل». وانظر التنبيه الأول من هذه الصفحة.

(4) أي زمان الهيج.

(5) ط، هـ: «الحالات».

(6) الهجمة، بالفتح: جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة.

(7) جراء: جمع جرو، وهو ولدها. ش: «جري»، مصغر جرو.

في الشمال والجنوب. ويعرض مثل هذا العرض لإناث الخنازير، فإذا⁽¹⁾ كان زمن هياج الخنازير، تطأى رءوسها، وتحرك أذناها تحريكاً متتابعاً، وتتغير أصواتها إذا طلبت السفاد، وإذا طلبت الخنزيرة السفاد بالت بولاً متتابعاً.

(تناسل الخنازير)

قال: وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر. وأكثر ما تحمل عشرون خنوصاً⁽²⁾. وإذا وضعت أجراً كثيرة لم تقو على رضاعها وتربيتها.

قال: وإناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة، وربما كان من أكثر. وإذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح، وترخي أذناها. فإذا فعلت ذلك⁽³⁾ تكتفي بنزوة واحدة. ويعلف الذكر الشعير في أوان التزو، ويصلح للأثني.

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع في أربعة أشهر، والشاة في خمسة، والمرأة والبقرة في تسعة أشهر، والحافر كله في سنة.

(خصائص الخنزير)

قال: ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك. وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاماً. والخنزير ينزو إذا تم له ثمانية أشهر، والأنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر. وفي بعض البلدان ينزو إذا تم له أربعة أشهر، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر، ولكن أولادهما لا تجيء كما يريدون. وأجود التزو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين. وإذا كانت الخنزيرة⁽⁴⁾ بكرةً ولدت جراً ضعافاً، وكذلك [البكر] من كل شيء.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]، ثم ذكر [غير⁽⁵⁾] الطيبات فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ﴾⁽⁶⁾ [المائدة: 3]. ثم قال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ

(1) ش: «وإذا». (2) الخنوص، كسنور: ولد الخنزير.

(3) ش: «فعند ذلك». (4) ط: «الخنزيرة» بالتصغير.

(5) ليست بالأصل: وبها يصح الكلام.

(6) الدم: أي الدم المسفوح، وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها، وانظر ص 55، وما أهل به لغير الله: أي ما رفع الصوت لغير الله به، كقولهم: باسم اللات والعزى عند ذبحه. والموقوذة: المضروبة بنحو خشب، أو حجر. حتى تموت. والمتردية: التي تردت من علو أو في بئر فماتت. والنطيحة: التي نطحتها غيرها فماتت. وما أكل السبع: أي ما أكل منه سباع الحيوان الصائد. والنصب: واحد الأنصاب، وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك، والاستقسام بالأزلام: ما كانوا يفعلونه من التياسر بالأقداح على الجزور.

عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ⁽¹⁾ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ [المائدة: 60]، وقال: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: 87].

(استطراد لغوي)

وقوله تعالى: ﴿طَيِّبَاتٍ﴾ تحتمل وجوهاً كثيرة، يقولون: هذا ماءً طيب، يريدون الغذوبة، وإذا قالوا للبُرِّ والشَّعِيرِ والأرز طيب، فإنما يريدون أنه وسط، وأنه فوق الدُّون. ويقولون: فم طيب الرِّيح، وكذلك البُرِّ، يريدون أنه سليم من الثَّن، ليس أن هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة. ويقولون: حلال طيب، وهذا لا يحل [لك⁽²⁾]، ولا يطيب لك، وقد طاب لك: أي حل لك، كقوله: ﴿فَأَنكِحُوا⁽³⁾ مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَتِلْكَ وَرُيْعٌ﴾ [النساء: 3].

قال طُوَيْسُ المَعْنِي لبعض⁽⁴⁾ ولد عثمان بن عفان⁽⁵⁾: لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب. يريد الطهارة. ولو قال: شهدت زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك، لم يحسن ذلك؛ لأن قولك طيب إنما يدل على قدر ما اتصل به من الكلام. وقد قال الشاعر⁽⁶⁾:

وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدِ الْأَزْرِ⁽⁷⁾

وقد يخلو الرَّجُلُ بالمرأة فيقول: وجدها طيبة. يريد طيبة الكُوم⁽⁸⁾ لذينة نفس الوطء. وإذا قالوا: فلان طيب الخلق، فإنما يريدون الظُّرفَ والمِلح⁽⁹⁾.

(1) عطف على: «من لعنه الله» أي «ومن عبد الطاغوت». وقرئ: «عابد الطاغوت»، و«عبد الطاغوت» نعت كفتن ويقظ، و«عبد الطاغوت»، و«عبد الطاغوت» جمع كخدم. والطاغوت منصوبة في قراءة حفص، مجرورة في القراءات الأربع التي سردتها. والمراد به الكهنة، أو من أطاعوه في معصية الله.

(2) الزيادة من هـ، ش.

(3) ش: «أنكحوا»، وهي وجه جائز في الاستشهاد حيث ترك الواو والفاء ونحوهما، في أول الاستشهاد، وقد سبق مثله في (8:3)، وسيأتي نظيره في 160، وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر، أن الشافعي جرى على هذا النحو في ثلاثة مواضع من «الرسالة» وهي: رقم 643 قول الشافعي: «لقول الله: يحل لهم الطيبات» والتلاوة «ويحل». ورقم 974 قول الشافعي: «وقال: قاتلوا المشركين كافة» والتلاوة: «وقاتلوا». ورقم 975 قوله: «وقال: اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» والتلاوة: «فاقتلوا».

(4) طويس هذا، هو الذي يقال فيه: «أشأم من طويس» وذلك أنه - كما يقولون - ولد يوم قبض الرسول ﷺ، وفطم يوم وفاة أبي بكر، وختن يوم مقتل عمر، وزوج يوم مصرع عثمان رضي الله عنه، وولد له ولد يوم قتل علي رضي الله عنه، وهو أول من تغنى بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع. وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك.

(5) هو سعيد بن عثمان بن عفان، وكان سأل طويساً: أينما أسن، أنا أو أنت يا طويس؟ فأجابه طويس بالجواب الآتي. انظر البيان (1: 263). وأول الجواب في البيان: «بأبي أنت وأمي، لقد... إلخ».

(6) هو الخرنق بنت هفان، من مراثية لها ترثي بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبيعي، وابنها علقمة، وأخويه حسان وشرحبيل، ومن قتل معهم من قومهم الخزائن (2: 306 بولاق).

(7) صدر البيت:

الننازليين بكل معترك

والأزر: جمع إزار، وسكن الزاي للشعر، وهو ما ستر النصف الأسفل من الإنسان. والمعنى أنهم أعفاء. ط:

«الأرز»، صوابه في ش، هـ.

(8) الكوم، بالفتح، بمعنى الوطء.

(9) الملح، بالكسر، بمعنى الملاحه.

وقال الله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرْنَ بِيَمٍ رِّيحٍ طَبَئًا ﴾ [يونس: 22]، يريد ريحاً ليست بالضعيفة ولا القوية .

ويقال: لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه . وقال الله عز وجل: ﴿ فَإِنْ طِبَّنَا لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا ﴾ [النساء: 4]، وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدًا طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: 15]، وذلك إذ⁽¹⁾ كانت طيبة الهواء والفواكه، خصيبة .

وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: 23]، ثم قال: ﴿ الْحَيْثُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: 26] . وفي هذا دليل على أنَّ التأويل في امرأة نوح وامرأة لوط عليهم السلام، على غير ما ذهب إليه كثير من أصحاب التفسير: وذلك أنهم حين سمعوا قوله عز وجل: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾ [التحریم: 10] فدل ذلك على أنه لم يعنِ الخيانة في الفرج .

وقد يقع اسمُ الخيانة على ضروب: أولها المال، ثم يشتق من الخيانة في المال الغش في النصيحة والمشاورة . وليس لأحد أن يوجه الخبر إذا نزل في أزواج النبي ﷺ وحرَم الرُّسُل، على أسمع الوجوه، إذا كان للخبر مذهب في السَّلامة، أو في القُصُور على أدنى العيوب⁽²⁾، وقد علمنا أنَّ الخيانة لا تتخطى إلى الفرج حتى⁽³⁾ تبدئ بالمال . وقد يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون نساؤهم زواني، فيلزمهم أسماءٌ قبيحة . وقال الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ [النور: 61]، وقال: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [النحل: 114]، وقال: ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: 97]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: 32]، وقال: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ [إبراهيم: 26]، و: ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [إبراهيم: 24]، وقال: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة: 57]، فقوله: طيب، يقع في مواضع كثيرة، وقد فصلنا بعض ذلك⁽⁴⁾ في هذا الباب .

(1) في الأصل: «إذا» .

(2) القصور، بمعنى الانتهاء . وفي الأصل: «المقصود»، وليس لها وجه .

(3) ط، هـ: «قد» .

(4) ط، هـ: «بعضها» .

(ثم رجع بنا القول إلى موضعنا من ذكر الخنزير)

ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ لَا أَحَدٌ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 145]. ألا تراه قد ذكر أصناف ما حرّم ولم يذكرها بأكثر من التحريم، فلما ذكر الخنزير قال: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾؟! فجعل الخنزير وإن كان غير ميتة أو ذكر الذابح عليه اسم الله، أنه رجس⁽¹⁾. ولا نعلم لهذا الوجه إلا الذي خصّه الله به من ذكر المسخ، فأراد تعظيم شأن العقاب ونزول الغضب، وكان ذلك القول ليس ممّا يضرّ الخنزير، وفيه الرّجر عن محارمه، والتخويف من مواضع عذابه. و[إن قيل⁽²⁾]: ينبغي أن يكون مسخ صورة القرد، فهلاً ذكره في التحريم مع أصناف ما حرّم، ثم خصّه أيضاً أنه من بينها رجس، وهو يريد مذهبه وصفته؟ قلنا: إن العرب لم تكن تأكل القروء، ولا تلتئم صيدها للأكل، وكلّ من تنصّر من ملوك الروم والحبيشة والصّين، وكلّ من تمجّس من ملك أو سوقة، فإنّهم كانوا يرون للحم الخنزير⁽³⁾ فضيلة، وأنّ لحومها ممّا تقوم إليه النفوس، وتنازع إليه الشهوات. وكان في طباع الناس من التكره للحوم القردة، والتقدّر⁽⁴⁾ منها ما يغني عن ذكرها. فذكر الخنزير إذ كان بينهما هذا الفرق، ولو ذكر ذلك والحقّ القرد بالخنزير لموضع التحريم، لكان ذلك إنما كان على وجه التوكيد لما جعله الله تعالى في طبائعهم من التكره والتقدّر، ولا⁽⁵⁾ غير ذلك.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [الأنعام: 146]⁽⁶⁾.

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك⁽⁷⁾ كما ترى عن التحريم أنّه يكون من وجوه: فمنها ما يكون كالكذب والظلم والغش⁽⁸⁾ والغدر؛ وهذه أمور لا تحلّ على وجه من الوجوه. ومنها ما يحرم في العقل من

(1) ط: «رجساً» موضع: «أنه رجس».

(2) زيادة يقتضيها الكلام. وجواب الاعتراض في السطر العاشر.

(3) ط، ه: «لحم الخنزير» وصوابه في ش.

(4) خير منه: «التقزز».

(5) ش: «لا» بحذف الواو.

(6) الذين هادوا: اليهود. والمراد بالظفر المخلب والحافر أيضاً. والمراد بالشحوم شحوم الثروب وشحوم الكلى.

حملت ظهورهما: أي ما علق بظهورهما من الشحم. والحوايا: الأمعاء، واحداها حاوية. والشحم الذي اختلط بالعظم هو شحم الألية. لاتصاله بالعصعص. ط بعد: «... عليهم شحومهما»: كلمة «الآية». وجاءت مسرودة في ش، ه إلى «وإنا لصادقون».

(7) كذا على الصواب في ش، ه. وفي ط: «أنبأناك».

(8) الغشم: الظلم.

ذبح الإنسان الطفل. وجعل في العقول التبيين⁽¹⁾ بأن خالق الحيوان أو المالك له، والقادر على تعويضه، يقبح⁽²⁾ ذلك في السماع على السنة رسله. وهذا مما يحرم بعينه وبذاته، لا أنه⁽³⁾ حرم لعله قد يجوز دفعها. والظلم نفسه هو الحرام، ولم يحرم لعله غير نفسه.

وباب آخر، هو ما جاء من طريق التعبد، وما يعرف بالجملة، ويعرف بالتفسير. ومنه ما يكون عقاباً، ويكون مع أنه عقاب امتحاناً واختباراً، كنعو ما ذكر من قوله: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾ [الأنعام: 146] وكنحو أصحاب البقرة الذين قيل لهم: اذبحوا بقرة؛ فإنني أريد أن أضرب بها القتل ثم أحييهما جميعاً. ولو اعترضوا من جميع البقر بقرة فذبحوها، كانوا غير مخالفين؛ فلما ذهبوا مذهب التلکؤ والتعلل⁽⁴⁾، ثم التعرض، والتعنت⁽⁵⁾ في طريق التعنت، صار ذلك سبب تغليظ الفرض⁽⁶⁾.

وقد قال الله عز وجل: ﴿مَنْ آجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْعُونَ الرُّسُولَ الَّتِي الْأُمُجَاتُ الَّذِينَ يُجِدُونَهُمْ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 157]، ومثله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا﴾ [البقرة: 286]، يجوز أن يكون إنما يريدون صرف العذاب، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض، وقد يجوز أن يكون⁽⁷⁾ على قول من قال: لا أستطيع النظر إلى فلان، على معنى الاستئصال⁽⁸⁾. وباب آخر من التحريم، وهو قوله: ﴿كُلِّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لَبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فُلْ قَانُوا بِالْتَّوْرَةِ﴾ [آل عمران: 93]⁽⁹⁾.

(شعر في الخنزير)

وقال مروان بن محمد⁽¹⁰⁾:

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ خَلْكَكُمْ⁽¹¹⁾ كَمْشِي خَنْزِيرَةً إِلَى عَذْرَةٍ⁽¹²⁾

- (1) في الأصل: «التبيين» وانظر التنبيه 9 ص 29.
- (2) في الأصل: «وأنه»، والوجه ما أثبت.
- (3) التلکؤ: الإبطاء والاعتلال. ط، ش: «التلکي» ه: «التلطي». صوابه ما أثبت. والتعلل: بمعنى التماس العلل.
- (4) ط: «التعليل»؛ صوابه ما أثبت من ش، ه.
- (5) كذا. ولعلها: «التعلل».
- (6) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة، فكلما سألوا سألوا زاد عليهم التكليف انظر الآيات 67 - 71 من سورة البقرة. ولو أنهم أطاعوا الأمر بادئ بدء لما عرض لهم هذا التشديد.
- (7) في الأصل: «يجوز إذا» وانظر ما سبق.
- (8) في الأصل: «الاستقبال».
- (9) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، وكان حرم على نفسه بعض الطعام، كالحوم الإبل والبانها.
- (10) هو أبو الشمقمق الذي سبقت ترجمته في (1: 164).
- (11) كذا في ط. وفي ش، ه: «خلعكم»، وصوابه «خلقتكم» كما سبق في (1: 173).
- (12) ط: «غذرة»، وتصحيحه من ش، ه.

وقال آخر⁽¹⁾ :

نِعْمَ جَارُ الْخَنزِيرَةِ الْمَرِضِ الْغَرُ ثَى إِذَا مَا غَدَا، أَبُو كَلْثُومِ⁽²⁾
طَاوِبًا قَدْ أَصَابَ عِنْدَ صَدِيقِ مِنْ ثَرِيدٍ مُلَبَّدٍ مَأْدُومِ⁽³⁾
ثُمَّ أَنْحَى بِجَعْرِهَ حَاجِبَ الشَّمِّ سَ فَأَلْقَى كَالْمِغْلَفِ الْمَهْدُومِ

(جرير والحضرمي)

وقال أبو الحسن⁽⁴⁾ : وفد جريرٌ على هشام، فقال الحضرمي : أَيُّكُمْ يَشْتُمُهُ؟ فقالوا : ما أَحَدٌ يَقْدِمُ عَلَيْهِ! قال : فَأَنَا أَشْتُمُهُ وَيَرْضَى وَيَضْحَكُ! قال : فقام إليه فقال : أنت جرير؟ قال : نعم . قال : فلا قَرَبَ اللَّهِ دَارَكَ وَلَا حَيًّا مَزَارَكَ! يا كَلْبُ! فجعل جريرٌ يَنْتَفَخُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: رَضِيتَ فِي شَرَفِكَ وَفَضْلِكَ وَعَفَافِكَ أَنْ تَهَاجِيَ الْقَرَدَ الْعَاجِزَ⁽⁵⁾؟! يعني الفرزدق . فضحك .

فحدّثَ صديقٌ لي أبا الصَّلَعِ السَّنَدِيِّ⁽⁶⁾ بهذا الحديث، قال : فشِعْري أعجبٌ من هذا؛ لأنني شتمت البُخْلَاءَ، فشتمت نفسي بأشدَّ ممَّا شتمتهم . فقال : وما هو؟ قال قولِي :

لَا تَرَى بَيْتَ هَجَاءٍ أَبْدَأُ يُسْمَعُ مِنِّي
الْهَجَا أَرْفَعُ مِمَّنْ قَدْرُهُ يَصْغُرُ عَنِّي⁽⁷⁾

(طريقة)

قال أبو الحسن : كان واحدٌ يَسْخَرُ بِالنَّاسِ ، ويدَّعي أَنَّهُ يَرْقي من الضُّرسِ إذا ضَرَبَ على صاحبه . فكان إذا أتاه مَنْ يَشْتَكِي ضِرْسَهُ قال له إذا رَقَاه : إِيَّاكَ أَنْ تَذْكَرَ إِذَا صِرْتَ إِلَى فِرَاشِكَ الْقَرَدُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ ذَكَرْتَهُ بَطَلَتْ الرُّقِيَّةُ! فكان - إذا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ - أَوَّلَ شَيْءٍ يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ ذِكْرُ الْقَرَدِ، وَيَبِيتُ عَلَى حَالِهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجَعِ، فيغدو إلى الذي رَقَاه فيقول له : كيف كنت البارحة؟ فيقول : بَيْتٌ وَجَعًا! فيقول : لَعَلَّكَ ذَكَرْتَ الْقَرَدَ! فيقول : نعم! فيقول : مِنْ ثَمَّ لَمْ تَنْتَفِعَ بِالرُّقِيَّةِ! .

(1) هو الحكم بن عبدل، كما سبق في (1: 171) .

(2) الغرثي، بالغين : جمع غرثان، وهو الجائع . هـ : «الفرثي» صوابه في ط، ش والبيان (3: 311) .

(3) في الجزء الأول : «من ثريد ملبق» . والمأدوم : المخلوط بالأدم بالضم، وهو ما يخلط به الخبز .

(4) هو أبو الحسن المدائني الأخباري الرواية .

(5) ط : «الفاجر العاجز» وأثبت ما في ش، هـ .

(6) ذكره ابن النديم في الشعراء المقلين 164 ليبسك 233 مصر، وذكره المرزباني في المعجم 311 باسم «أبو الضلع»

في حرف الضاد المعجمة . هـ : «الهندي» .

(7) ش : «ينقص غني» .

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعض ظرفاء الكوفيين :

فإن يشرب أبو فروخ أشرب وإن كانت معتقة عقاراً⁽¹⁾
وإن يأكُل أبو فروخ أكُل وإن كانت خنائصاً صغاراً⁽²⁾

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية⁽³⁾ :

فمن مبلغ القرد الذي سبقت به جياد أمير المؤمنين أتان
تعلق أبا قيس بها إن أطعني فليس عليها إن هلكت ضماناً⁽⁴⁾

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجرداني أن بشاراً الأعمي ، لم يجزع من هجاء قط كجزع من بيت حماد
عجرد ، حيث يقول :

ويا أقبح من قرد إذا ما عمي القرد

(1) انظر للكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثاني برواية أخرى . والعقار ، بالضم : الخمر ؛ لمعاقرتها ، أي ملازمتها الدن ، أو لعقرها شاربها عن المشي .

(2) الخنائص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان في عيون الأخبار (3: 16) . والثاني منهما في اللسان (فرخ) .

(3) ش : «أبو يزيد بن معاوية» ، وصوابه ما أثبت من ط ، هو وأمالى الزجاجي 46 والمخصص (13: 177) ، ونهاية الأرب (9: 337) وفي مروج الذهب (3: 77) أن القائل بعض شعراء الشام ، وكذا في مباهج الفكر 122 ، وللبيتين قصة طريفة فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به ، فلامه الناس على اتخاذها ، فأمر به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت الفرسان في طلبه فنجوا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتين (برواية أخرى) :

تمسك أبا قيس علي أرحبية فليس علينا إن هلكت ضمان
فقلت من الشخص الذي سبقت به جياد أمير المؤمنين أتان

قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السياق به . ويتضح ذلك من النص الآتي عن نهاية الأرب : «وفي القرد من قبول التأديب والتعليم ما لا خفاء به عن أحد ؛ حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمير والمسابقة عليها» .

(4) أبو قيس : كنية القرد ، كما في المخصص . بها : أي بالأتان .

(شعر في الهجاء)

وقال بُشير بن أبي جَذِيمة العَبْسي (١):
 أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ حَذِيمَ كَبْرَةٍ وهل يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ لِلْخَطَرَانِ (٢)
 أَبِي قَصْرَ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا وَلَوْمْ قُرُودٍ وَسَطَ كُلِّ مَكَانٍ
 لَقَدْ سَمَنْتُ قِرْدَانُكُمْ أَلَّ حَذِيمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانٍ (٣)
 الْأَصْمَعِيُّ (٤) عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ (٥) عَنْ أَبِي السَّلِيلِ قَالَ: مَا أَبَالِي أَخْنَزِيرًا رَأَيْتُ يَجْرُ
 بِرَجْلِهِ (٦)، أَوْ مِثْلُ (٧) عَبِيدٍ يَنَادِي: يَا لَ فُلَانٍ!

(استطراد لغوي)

الأصمعيُّ عن أبي ظبيان (٨) قال الخُوز (٩) هم البُناة (١٠) الذين بنوا الصَّرح (١١) واسمُهم
 مشتقٌّ من الخنزير. ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك] (١٢)، فجعلت العرب خُوك (١٣)
 خُوزاً (١٤)، إلى هذا ذهب.

- (١) هو بشير، بهيئة التصغير، ابن أبي جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة العبسي، ذكره الأمدي في المؤلف والمختلف 61، وروى له أبو تمام الأبيات الآتية في حماسته (2: 182)، وفي الأصل: «بشر بن الهندي»، وهو تحريف غير صالح.
- (٢) تخطر: من خطر البعير: ضرب بذنبه يميناً وشمالاً، والكبرة: بالكسر: العظمة، أو التجبر. يقول لقييل حذيم: أتحدثون أنفسكم بمباراة الأشراف؟! وجعلهم قروداً لخستهم. والقرد لا ذنب له يخطر به. ورواية الحماسة: «أتخطر للأشراف يا قرد حذيم».
- (٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال: كنى بالقردان هنا عن القمل. أي سمت أجسامكم وعظمت، ودقت أحسابكم ولؤمت. وأصل القردان، بالكسر: جمع قرد بالضم، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها. ورواه أبو تمام: «قعدانكم» جمع قعود، وهو الذكر الشاب من الإبل. جعل قعدانهم سميّة لأنهم يؤثرونها باللبن على الضيف والجار، فأحسابهم غير سمان. وقد رد أبو محمد الأعرابي رواية أبي تمام. التبريزي (4: 9).
- (٤) ط: «وقال الأصمعي»، صوابه ما أثبت من ش، هـ.
- (٥) ش: «ابن الأشهب».
- (٦) ش: «برجليه».
- (٧) ش: «قتيل».
- (٨) لم أعثر له على تعريف.
- (٩) هذه الكلمة ساقطة من ش. وبدلها في ط: «الخزر» صوابه ما أثبت من هـ ومن معجم البلدان. والخوز بالضم: أهل خوزستان.
- (١٠) البناة، بالضم: جمع بان وبدله في المعجم: «الفلة». ط، هـ: «البنات» محرفة.
- (١١) الصرح، بالفتح: بناء عظيم قرب بابل، يقال إنه قصر بختنصر. عن المعجم.
- (١٢) في الأصل، وهو هنا س: «هزر» وتصحيحه من معجمي استينجاس وريتشاردسن، والمعارف لابن قتيبة ص 270، وانظر معجم البلدان (خوز).
- (١٣) في الأصل: «خزر» وصوابه ما أثبت. انظر التنبيه السابق.
- (١٤) في الأصل: «خنزيراً»، والوجه ما كتبت.

(تناسل المسخ)

و[قد] قال النَّاسُ في المَسْخِ بأقوالٍ مختلفة: فمنهم من زعم أنَّ المَسْخَ لا يتناسل ولا يبقى إلا بقدر ما يكون موعظةً وعبرة، فقطعوا على ذلك ⁽¹⁾ الشهادة. ومنهم من زعم أنَّه يبقى ويتناسل، حتى جعل الضَّبَّ والجُرِّيَّ ⁽²⁾، والأرانب، والكلاب وغير ذلك، من أولاد تلك الأمم التي مُسِخت في هذه الصور، وكذلك قولهم في الحَيَّات.

وقالوا في الوزغ: إن أباه ⁽³⁾، لَمَّا صنع في نار إبراهيمَ وبيت المقدس ما صنع ⁽⁴⁾، أسَمَّه الله وأبرصه، فقيل: «سام أبرص»، فهذا الذي نرى ⁽⁵⁾ هو من ولده؛ حتَّى صار في قتله الأجر العظيم، ليس على أنَّ الذي يقتله كالذي يقتل الأسدَ والدُّنَّابَ، إذا خافها على المسلمين. وقالوا في سهيل ⁽⁶⁾، وفي الزُّهرة ⁽⁷⁾، وفي هاروت وماروت ⁽⁸⁾، وفي قيري وعيرى أبوي ذي القرنين ⁽⁹⁾، وجُرهم ⁽¹⁰⁾، ما قالوا.

(1) ط، هـ: «تلك». والهاده معمول قطعوا.

(2) الجري: ضرب من السمك. زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأمم مسخها الله انظر الحيوان (1: 210 س 22).

(3) ش، هـ: «أباهم» وقد يستعمل ضمير العاقلين لغيرهم. وقد عقد الثعالبي في سر العربية فصلاً لذلك، عنوانه: (فصل في إجراء غير بني آدم مجراهم في الإخبار عنه).

(4) في سنن ابن ماجه، عن عائشة رضي الله عنها، أنه كان في بيتها رمح موضوع، فقبل لها: ما تصنعين بهذا؟ فقالت: أقتل به الوزغ فإن النبي ﷺ أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار، فأمر ﷺ بقتله. وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده. وكذا روي أنه لم أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه. الدميري.

(5) ش: «يري».

(6) سهيل، ذاك النجم. زعموا أنه كان عشاراً باليمن. الحيوان (1: 210) وتأويل مختلف الحديث 10 ومما يشبه هذه الخرافة ما زعموا أن ذنباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً.

(7) الزهرة: ذاك الكوكب. زعموا أنها كانت بغياً عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فمسخها الله شهاباً. تأويل مختلف الحديث 10.

(8) زعم العوام، متبعين حكاية اليهود، أنهما ملكان مثلاً بشرين، وركب فيهما الشهوة، فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة، فحملتهما على المعاصي والشرك، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر - انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوي - وقال الجاحظ في شأنهما: «وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه في السماء، أهبطه إلى الأرض في صورة رجل وفي طبيعته، كما صنع بهاروت وماروت، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة - وهي أناهيد - ما كان». انظر الحيوان (1: 143 س 6). والمذهب القرآني فيهما أنهما ملكان أنزلا لتعليم السحر، ابتلاء من الله للناس، وتمييزاً بين السحر والمعجزة، وكانا يقولان لمن يعلمانه: «إنما نحن فتنة فلا تكفر»، أي نحن نعلم للعلم لا لعمل؛ فعلم السحر لا بأس به، وأما العمل به فمحظور ممنوع.

(9) وكذا جاء بالبلاء الموحدة في فقه اللغة بدون اختلاف في النسخ، وثمار القلوب 226 وكذا في الجزء الأول من نسخة كوبريلي. راجع هذه الطبعة (1: 143) وفي رسائل الجاحظ 97 ساسي: «قيري وعيرى» بالمشنة التحتية. وفي ط: «فزي وعبري» وهـ: «فزي وعزي» وش (فبري - مهملة وعبري) أما أولهما فزعموا أنها أم ذي القرنين، وأنها كانت آدمية، وأما الآخر فهو أبو ذي القرنين، وكان من الملائكة فيما زعموا. انظر الحيوان (1: 143) وثمار القلوب. جاء في الأصل بعده: «وفي أبوي». وكلمة: «في» مقحمة كما ظهر لك. وجاء في ط، هـ: «ذوي القرنين» تحريف صوابه في ش.

(10) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام، فيما يرى نساب العرب، قالوا: ولما ترك =

(القول في المسخ)

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي نَفْسِ الْمَسْخِ فَإِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ: فَأَمَّا الدُّهْرِيَّةُ فَهَمُ فِي ذَلِكَ صِنْفَانِ فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ الْمَسْخَ وَأَقَرَّ بِالْخُسْفِ (1) وَالرَّيْحَ وَالطُّوفَانَ، وَجَعَلَ الْخُسْفَ كَالزَّلَازِلِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ يَقَرُّ مِنَ الْقَذْفِ بِمَا كَانَ مِنَ الْبَرْدِ الْكِبَارِ (2)؛ فَأَمَّا الْحَجَارَةُ فَإِنَّهَا لَا تَجِيءُ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ. وَقَالَ: لَسْتُ أَجُوزُ إِلَّا مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ فِي الْعَالَمِ. فَأَنْكَرَ الْمَسْخَ الْبَتَّةَ.

(أثر البيئة)

وَقَالَ الصَّنْفُ الْآخَرُ لَا نَنْكَرُ أَنْ يَفْسُدَ الْهَوَاءُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ النُّوَاحِي فَيَفْسُدَ مَاؤُهُمْ (3) وَتَفْسُدَ تُرْبَتُهُمْ، فَيَعْمَلُ ذَلِكَ فِي طَبَاعِهِمْ (4) عَلَى الْأَيَّامِ، كَمَا عَمِلَ ذَلِكَ فِي طَبَاعِ الزُّنْجِ، وَطَبَاعِ الصَّقَالِبَةِ (5)، وَطَبَاعِ بِلَادِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (6)، وَقَدْ رَأَيْنَا الْعَرَبَ وَكَانُوا أَعْرَابًا حِينَ نَزَلُوا خِرَاسَانَ، كَيْفَ انْسَلَخُوا مِنْ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَعَانِي، وَتَرَى طَبَاعَ بِلَادِ التُّرْكِ كَيْفَ تَطْبَعُ الْإِبِلَ وَالذَّوَابَّ وَجَمِيعَ مَا شِئْتَهُمْ: مِنْ سَبْعٍ وَبَهِيمَةٍ، عَلَى طَبَائِعِهِمْ. وَتَرَى جَرَادَ الْبَقُولِ وَالرِّيَاحِينَ وَدِيدَانَهَا خُضْرًا، وَتَرَاهَا (7) فِي غَيْرِ الْخُضْرَةِ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَتَرَى الْقُمَّلَةَ فِي رَأْسِ الشَّابِّ الْأَسْوَدِ الشَّعْرَ سَوْدَاءَ، وَتَرَاهَا فِي رَأْسِ الشَّيْخِ الْأَبْيَضِ الشَّعْرَ بَيَاضًا، وَتَرَاهَا فِي رَأْسِ الْأَشْمَطِ شَمْطَاءً (8)، وَفِي لَوْنِ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ. فَإِذَا كَانَتْ فِي رَأْسِ الْخَضِيبِ بِالْحُمْرَةِ تَرَاهَا حُمْرَاءَ.

= إبراهيم ولده إسماعيل عليهما السلام وأمه بمكة، جاءت رفقة من جرهم فنزلوا شعاب مكة، فنشأ إسماعيل عليه السلام مع أولادهم وتعلم الرمي ونطق بلسانهم ثم خطب إليهم فزوجوه امرأة منهم، قال ابن إسحاق: هي بنت مضاض بن عمرو الجرهمي. والزعم الذي أشار إليه الجاحظ هو قولهم: إن بعض الملائكة عصي الله فأهبط إلى الأرض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهمًا. انظر الحيوان (1: 143س7)، والعرب يسمون ما تولد بين الملك والأدمي - في زعمهم - : «العلبان» بالعين. فقه اللغة 82 الحلبي.

(1) يقال خسف الله به الأرض: جعلها تسوخ به. قال تعالى في شأن قارون: «فخسفنا به وبداره الأرض».

(2) أي أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس بردًا كبيرًا. فأما سقوط الحجارة من السماء للتعذيب فهو ينكره. والانتقام بمطر الحجارة جاء في القرآن الكريم على أنه عقاب لقوم لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ نَفْسِهِمَا سَافِلَةً وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّضُودٍ﴾ [لوط: 82]، ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَةً وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: 74]، ﴿لِئَرْسِلَ عَلَيْهِمَا حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: 33]، في الأصل: «أنه يقرب من القذف»، وصوابه ما أثبت.

(3) ط، هـ: «مائهم»، صوابه في ش. (4) ش: «طباعهم».

(5) الصقالبة: جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية. معجم البلدان. وقد بين خصائصهم المسعودي في التنبيه والإشراف 22.

(6) جنس من الآسيويين، بني من أجلهم سد الصين الذي بناه الإسكندر، وبين المسعودي طباعهم بأنهم في عداد البهائم.

(7) ط، هـ: «أو تراها» ش: «ونراها».

(8) الشمط محركة: بياض الرأس يخالط سواده، ويستعمل أيضاً في غير الرأس. وكلمة «شمطاء» والواو بعدها ليست في ش، هـ. وفي التنبيه والإشراف ص 27 حيث تجد مثل هذا الكلام: «شبهاء». والشبهة نحو الشمط. والأورق من الإبل: ما في لونه بياض إلى سواد. وانظر رسائل الجاحظ (2: 219-220).

فإنَّ نَصَلَ خضابه صار فيها شُكْلَةٌ⁽¹⁾ من بين بيضٍ وحُمْرٍ. وقد نرى حَرَّةَ بني سُلَيْمٍ⁽²⁾، وما اشتملت عليه من إنسانٍ وسبعٍ، وبهيمةٍ وطائرٍ، وحشرةٍ فتراها كُلُّها سوداء. وقد خَبَرْنَا من لا يُحْصَى من النَّاسِ أَنَّهُمْ قد أدركوا رجالاً من نَبَطِ بَيْسَانَ⁽³⁾، ولهم أذَنَابٌ إِلَّا تَكُنْ كأَذَنَابِ التَّماسيحِ والأسدِ والبقرِ والخيَلِ وإِلَّا كأَذَنَابِ السَّلَاحِفِ والجِرَذَانِ، فقد كان لهم عُجُوبٌ⁽⁴⁾ طَوَالٌ كالأَذَنَابِ. (

وربَّما رأينا المَلَّاحَ النَّبْطِيَّ في بعض الجعفرِيَّاتِ⁽⁵⁾ على وجهه شبهُ القِرْدِ. وربَّما رأينا الرَّجُلَ من المَغْرِبِ فلا نجد بينه وبين المِسخِ، إِلَّا القليل. وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواءُ الفاسدُ، والماءُ الخبيثُ، والتربةُ الرديئةُ، ناساً في صفةِ هؤلاء المَغْرِبِيِّينَ⁽⁶⁾ والأنباطِ، ويكونون جُهَالاً، فلا⁽⁷⁾ يرتحلون؛ ضَنَانَةً⁽⁸⁾ بمساكنهم وأوطانهم، ولا ينتقلون. فإذا طال ذلك عليهم زادَ في تلك الشعور، وفي تلك الأذَنَابِ، وفي تلك الألوانِ الشُّفْرِ، وفي تلك الصُّورِ المناسبةِ للقُرودِ.

قالوا: ولم نعرف، ولم يثبت عندنا بالخبر الذي لا يعارض، أنَّ الموضع الذي قلب صُور قوم إلى صور الخنازير، هو الموضع الذي نقل صُور قوم إلى صُور القُرودِ. وقد يجوز أن تكون هذه الصُّورُ انقلبت في مهبِّ الريح الشمالي، والأخرى في مهبِّ الجنوب⁽⁹⁾. ويجوز أن يكون ذلك كان في دهرٍ واحدٍ؛ ويجوز أن يكون بينهما دهرٌ ودهور.

قالوا: فلسنا ننكر المِسخَ إن كان على هذا الترتيب؛ لأنَّه إن كان على مجرى الطَّبَائِعِ، وما تدور به الأدوار، فليس ذلك بناقضٍ لقولنا، ولا مثبتٍ لقولكم.

قال أبو إسحاق⁽¹⁰⁾: الذي قلتم ليس بمُحالٍ، ولا يُنْكَرُ أن يحدث في العالمِ برهاناتٌ، وذلك المِسخُ كان على مجرى ما أعطوا من سائرِ الأعاجيب، والدلائل والآيات. ونحن إنَّما عرفنا ذلك من قِبَلِهِمْ. ولولا ذلك لكان الذي قلتم غيرَ ممتنعٍ. ولو كان ذلك المِسخُ في هذا الموضع على ما ذكرتم، ثمَّ خبر بذلك نبيٌّ، أو دعا به نبيٌّ، لكان ذلك أعظمَ الحُجَّةِ.

(1) الشكلة، بالضم: اختلاط البياض بالحمرة. وفي الأصل: «شكلة» محرف.

(2) الحرة، بالفتح: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار. وسليم، هو بهيئة التصغير - ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وهذه الحرة في عالية نجد. وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرة، في رسائل الجاحظ 78 ساسي وثمار القلوب 96.

(3) بيسان، هذه قرية من قرى الموصل. وانظر الخبر في معجم ما استعجم 1283 في رسم (ميسان) بالميم.

(4) العجوب: جمع عجب، بالفتح، وهو أصل الذنب.

(5) كذا. والمعروف «الجعفر» وهو النهر الصغير، أو الكبير، أو المَلآن، أو فوق الجدول.

(6) ط، هـ: «المشوهين»، وأثبت ما في ش.

(7) ش: «ولا».

(8) الضنائة بالفتح: مصدر ضن يضمن، بالفتح والكسر: بخل.

(9) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في (3: 97)، وانظر أيضاً الإمتاع والمؤانسة (1: 169).

(10) هو النظام.

فأما أبو بكر الأصم⁽¹⁾، وهشام بن الحكم⁽²⁾، فإنَّهُما [كانا]⁽³⁾ يقولان بالقلب، ويقولان: إنَّه إذا جاز أن يقلب الله خُرْدَلَةً من غير أن يزيد فيها جسماً وطولاً⁽⁴⁾ [أو عرضاً]⁽⁵⁾ جاز أن يقلب ابن آدم قِرداً من غير أن ينقص من جسمه طولاً أو عرضاً⁽⁶⁾. وأما أبو إسحاق فقد كان - لولا ما صحَّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنه⁽⁷⁾ قد كان، وأنه قد كان حُجَّةً وبرهاناً في وقته - لكان لا ينكر مذهبهم في هذا الموضع. وقوله هذا قول جميع من قال بالطَّبائع ولم يذهب مذهب جهم⁽⁸⁾، وحفص الفرد⁽⁹⁾. وقال ابن العنسي⁽¹⁰⁾ يذكر القرد:

فَهَلَا غَدَاةَ الرَّمْلِ يَاقِرْدٌ حَدِيمٌ تُوَامِرُهَا فِي نَفْسِهَا تَسْتَشِيرُهَا

(القول في تحريم الخنزير)

قال: وسأل سائلون⁽¹¹⁾ في تحريم الخنزير عن مسألة؛ فمنهم من أراد الطَّعن، ومنهم من أراد الاستفهام، ومنهم من أحب أن يعرف ذلك من جهة الفتيا، إذ⁽¹²⁾ كان قوله خلاف قولنا.

قالوا: إنَّما قال الله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ﴾ [المائدة: 3] فذكر اللحم دون الشَّحم، ودون الرأس، ودون المخ، ودون العصب، ودون سائر أجزائه؛ ولم يذكره كما ذكر المَيْتة بأسرها، وكذلك⁽¹³⁾ الدَّم؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما، فاشتمل على جميع خصالهما بلفظ واحد، وهو العموم. وليس ذلك في الخنزير؛ لأنَّه ذكر اللحم من بين جميع أجزائه وليس بين ذكر اللحم والعظم فرق، ولا بين اللحم والشَّحم فرق. وقد كان ينبغي في قياسكم هذا لو قال: حرِّمتم عليكم المَيْتة والدَّم وشَّحم الخنزير، أن تحرِّموا الشَّحم، وإنَّما ذكر⁽¹⁴⁾ اللحم، فلم تحرِّمتم الشَّحم؛ وما بالكم تحرِّمون الشَّحم عند ذكر غير الشَّحم! فهلاًَّ حرِّمتم اللحم بالكتاب، وحرِّمتم ما سواه بالخبر الذي لا يُدفع!؟ فإن بقيت خصلة أو خصلتان

(1) اسمه عبد الرحمن بن كيسان، كان من أئمة المعتزلة؛ ذكره عبد الجبار الهمداني في طبقات المعتزلة وقال: كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم، وله تفسير عجيب. قال ابن حجر: وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه. لسان الميزان (3: 427).

(2) سبقت ترجمته في (3: 6).

(3) ه: «فكانا».

(4) ش: «طولاً» بحذف الواو.

(5) الزيادة من ش، ه.

(6) كذا في ط. وفي ش: «منه طول جسماً أو عرضاً» ه: «من جسم طولاً أو عرضاً».

(7) أي القلب والمسوخ.

(8) هو جهم بن صفوان السمرقندي، رأس الجهمية. وكان يتولى القضاء في عسكر الحارث بن شريح، الخارج على أمراء خراسان: فقبض عليه نصر بن سيار فقتله.

(9) الفرد، بفتح الفاء، لقب له. وفي الأصل: «القردى»، وفي لسان الميزان 2: 330 وكذا الفرق بين الفرق 202: «القرد» وصوابه ما أثبت من القاموس وفهرست ابن النديم في غير ما موضع. قال ابن نديم: «من المجبرة ومن أكابرهم... وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة، فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه فناظره، فقطعه أبو الهذيل».

(10) كذا في ش. وفي ط، ه: «ابن العيسى» بالياء بعد العين.

(11) في الأصل: «سائل» والوجه الجمع، كما يتطلب التقريع الآتي.

(12) في الأصل: «إذا».

(13) في الأصل: «فكذلك».

(14) ش: «حرم».

مَّا لَمْ تُصِيبُوا ذِكْرَهُ فِي كِتَابٍ مَّنْزَلٍ، وَفِي أَثَرٍ لَا يُدْفَعُ، رَدَدْتُمُوهُ إِلَى جِهَةِ الْعَقْلِ.
قُلْنَا: إِنَّ لِلنَّاسِ عَادَاتٍ، وَكَلَاماً⁽¹⁾ يَعْرِفُ كُلُّ شَيْءٍ بِمَوْضِعِهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى قَدَرِ
اسْتِعْمَالِهِمْ لَهُ وَانْتِفَاعِهِمْ بِهِ.

وقد يقول الرجل لو كيله: اشتر لي بهذا الدينار لحماً، أو بهذه الدراهم، فيأتيه باللحم
فيه الشحم والعظم، والعرق والعصب والغضروف، والفؤاد والطحال، والرئة، وبعض
أسقاط الشاة وحشو البطن. والرأس لحم، والسّمك أيضاً لحم. وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ
الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَآكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَنَسَخَرِجُوا مِنْهُ حَلِيبَةً تَلْسُونَهَا﴾ [النحل: 14]. فَإِنْ كَانَ
الرَّسُولُ ذَهَبَ إِلَى الْمُسْتَعْمَلِ مِنْ ذَلِكَ، وَتَرَكَ بَعْضَ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ لَحْمٍ فَقَدْ أَخَذَ بِمَا عَلَيْهِ
صاحبه. فإذا قال حرمت عليكم لحماً فكأنه قال: لحم الشاة والبقرة والجوز. ولو أنّ رجلاً
قال: أكلت لحماً - وإنما أكل رأساً أو كبداً أو سمكاً - لم يكن كاذباً. وللناس أن يضعوا
كلامهم حيث أحبوا، إذا كان لهم مجاز؛ إلا في المعاملات.

فإن قلت: فما تقول في الجلد؟ فليس للخنزير جلد، كما أنه ليس للإنسان جلد إلا بقطع
ما ظهر لك منه بما تحته، وإنما الجلد ما يُسلخ ويُدحس⁽²⁾ فيتبرأ ممّا كان به مُلتزقاً⁽³⁾ ولم يكن
مُلتحماً، كفرق ما بين جلد الحوصلة والعرقين⁽⁴⁾. فإن سألت عن الشعر، وعن جلد المنخنة
والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع⁽⁵⁾، فإنّي أزعّم أنّ جلده لا يُدبغ ولا ينعتف به إلا
الأساكفة، والقول في ذلك أنّه كلّهُ محرّم، وإنما ذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْلَهمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ﴾
[الأنفال: 16]، وكقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً﴾ [الكهف: 23].

والعرب تقول للرجل الصانع نجّاراً، وإن كان لا يعمل بالمشقّب والمنشار ونحوه ولا
يضرب بالمضلع ونحو ذلك. وتسميه خبّازاً إذا كان يطبخ ويعجن، وتسمي العير لطيمة⁽⁶⁾،
وإن لم يكن فيها ما يحمل العطر إلا واحد. وتقول: هذه ظعنُ فلان؛ للهوارج إذا كانت فيها
امرأة واحدة. ويقال: هؤلاء بنو فلان؛ وإن كانت نساؤهم أكثر من الرجال. فلما كان اللحم
هو العمود الذي إليه يُقصد، وصار في أعظم الأجزاء قدراً، دخل سائر تلك الأجزاء في
اسمه. ولو كان الشحم معتزلاً من اللحم ومفرداً في جميع الشحام، كشحوم الكلى⁽⁷⁾
والثروب، لم يجز ذلك. وإذا تكلمت على المفردات لم يكن المنخ لحماً، ولا الدماغ، ولا
العظم، ولا الشحم، ولا الغضروف، ولا الكروش، ولا ما أشبه ذلك. فلما قال: ﴿حُرِّمَتْ
عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾ [المائدة: 3]، وكانت هذه الأشياء المشبهة باللحم تدخل في باب

(1) ط: «وكل ما» ه: «وكلاماً ما»، وأثبت الصواب من ش.

(2) دحس الرجل الشاة: أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسلخ.

(3) ه: «ملتصفاً»، وهما سيان. (4) ه: «والعرفين»، محرف.

(5) سبق تفسير هذه الكلمات في ص 32.

(6) العير، بالكسر: القافلة. أو الإبل تحمل الميرة، لا واحد لها من لفظها. واللطيمة: العير تحمل المسك والعطر.

(7) في الأصل: «الكلا» وصواب كتابتها بالياء، وهي جمع كلية، بالضم.

العموم في اسم اللحم، كان القول واقعاً على الجميع. وقال الشاعر:

مَنْ يَأْتِنَا صُبْحاً يُرِيدُ غَدَاءَنَا فإلهام مُنْضَجَةٌ لَدَى الشَّحَامِ⁽¹⁾
لَحْمٌ نَضِيجٌ لَا يُعْنِي طَابِخاً يُؤْتِي بِهِ مِنْ قَبْلِ كُلِّ طَعَامٍ⁽²⁾

(مسألة الهدهد)

وإذ قد ذكرنا بعض الكلام، والمسائل في بعض الكلام، فسنذكر شأن الهدهد والمسألة في ذلك. قال الله عز وجل: ﴿وَقَفَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي رَسُولٌ مِّنِّي﴾⁽³⁾ [النمل: 20-21]، ثم قال: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: 22]، يعني الهدهد. فقال لسليمان المتوعد له بالذبح عقوبة له - والعقوبة لا تكون إلا على المعصية لبشري آدمي لم تكن عقوبته الذبح، فدل ذلك على أن المعصية إنما كانت له، ولا تكون المعصية لله إلا ممن يعرف الله، أو ممن كان يمكنه أن يعرف الله تعالى فترك ما يجب عليه من المعرفة - وفي قوله لسليمان: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَلِّغْ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 22: 23]، ثم قال بعد أن عرف فضل⁽⁴⁾ ما بين الملوك والسوقة، وما بين النساء والرجال، وعرف عظم⁽⁵⁾ عرشها، وكثرة ما أوتيت⁽⁶⁾ في ملكها، قال: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: 24]، فعرف⁽⁷⁾ السجود للشمس وأنكر المعاصي. ثم قال: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 25]⁽⁸⁾، ويتعجب من سجودهم لغير الله، ثم علم أن الله يعلم غيب السموات والأرض، ويعلم السر والعلانية، ثم قال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: 26]، وهذا يدل على أنه أعلم من ناس كثير من المميزين المستدلين الناظرين.

قال سليمان عليه السلام: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: 27] ثم قال: ﴿أَذْهَبَ يَكْتُنِي هَذَا فَاَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُمْ بِسُورِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأُتُوْا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 28-31]، ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ

(1) الغداء، بفتح الغين بعدها دال مهملة: طعام الغدوة، بالضم، وهي أول النهار والهيام: الرؤس، واحداها هامة. والشحام: مطعم الشحم.

(2) لا يعني، بالنون، من العناء. وفي هـ، ش: «لا يعني» بالباء.

(3) في الأصل: «أولا يأتيني».

(4) في الأصل: «فضل» بالصاد المعجمة، وإنما هو بالصاد المهملة، بمعنى الفرق.

(5) في ط: «عظيم». والوجه ما أثبت من هـ، ش. (6) ش: «أعطيت».

(7) أي الهدهد.

(8) قرأ حفص وعلي والكسائي بالتاء الفوقية على الخطاب، والباقون بالتحتية على الغيب غيث النفع 245 وابن القاصح 301.

أَتَمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿١﴾ [النمل: 36] وذلك أنها قالت : ﴿إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَ أَهْلِهَا آذَنًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ لِّمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 34-35] ، [ثم] ﴿٢﴾ قال سليمان للهدهد : ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا يَفْلَحُ مِنْهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: 37] [و] قال : ﴿قَالَ يَتَابِئُ الْمَلُوكُ أَيْبِنِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفَرْتُ مِنْ لِحْنِ أَنَا عَالِيكِ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 38-40] . فطعن في جميع ذلك طاعنون ، فقال بعضهم : قد ثبت أن الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتكليف والثواب ، والولاية (٣) ، ودخول الجنة بالطاعة ، ودخول النار بالمعصية ؛ لأن المعرفة تُوجب الأمر والنهي ، والأمر والنهي يوجبان الطاعة والمعصية ، والطاعة والمعصية يوجبان الولاية والعداوة ، فينبغي للهدهد أن يكون فيها العدو والولي ، والكافر والمسلم ، والزنديق والدّهري (٤) ، وإذا كان حكم الجنس حكماً واحداً لزم (٥) الجميع ذلك . وإن كان الهدهد لا يبلغ عند جميع الناس في المعرفة مبلغ الذرة ، والنملة ، والقملة ، والفيل ، والقرد ، والخنزير ، والحمام - وجميع هذه الأمم ، تُقدّمها عليه في المعرفة - فينبغي أن تكون هذه الأصناف المتقدمة عليه ، في عقول هذه الأمة والأنبياء . وقد رأينا العلماء يتعجبون من خرافات العرب والأعراب في الجاهلية ومن قولهم في الديك والغراب (٦) ، ويتعجبون من الرواية في طوق الحمام ؛ فإن الحمام كان رائد نوح على نبينا وعليه السلام (٧) . وهذا القول الذي تؤمنون به في الهدهد ، من هذا النوع (٨) .

قلنا : إن الله تعالى لم يقل : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هَدَهدًا مِنْ عُرْضِ الهداهد (٩) ، فلم يوقع قوله على الهداهد جملة ، ولا على واحد منها غير مقصود إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامة ، ولكنه قال : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هَدَهدًا﴾ [النمل: 20] فأدخل في الاسم الألف واللام ، فجعله معرفة فدلّ بذلك القصد على أنه ذلك الهدهد بعينه . وكذلك غراب (١٠) نوح ، [وكذلك] حمائر عذير ، وكذلك ذئب أهبان بن أوس (١١) ؛ فقد كان لله

(١) قرأ نافع والبصري بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلاً لا وقفاً ، والمكي وحمزة بإثباتها وصلاً ووقفاً ؛ إلا أن حمزة يدغم النون الأولى في الثانية . والباقون بحذفها وصلاً ووقفاً . غيبت النفع 245 .

(٢) الزيادة من ش ، هـ . (٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الدهري ، بفتح الدال : الذي يقول بقدم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهري بضم الدال ، وهو الرجل المسن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالفوا بينهما ، رفعاً للالتباس . شرح الشافعية 89 ، وفي القاموس : «الدهري ويضم : القائل ببقاء الدهر» .

(٥) ط : «الزم» . (٦) انظر ص 181 من الجزء الثاني ، وص 218 من الجزء الثالث .

(٧) انظر ص 183 من الجزء الثاني . (٨) ش : «الشكل» .

(٩) من عرض الطير : بضم العين ، أي من عامة الطير .

(١٠) ط ، هـ : «وكان كغراب نوح» . وانظر لغراب نوح ص 183 من الجزء الثاني .

(١١) انظر ما أسلفت من الكلام في (3: 285) .

فيه وفيها تدبيرٌ، وليجعل ذلك آيةً لأنبيائه، وبرهاناً لرسله. ولا يستطيع أعقل الناس أن يعمل عمل أجراً الناس، كما لا يستطيع أجراً الناس أن يعمل أعمالاً أعقل الناس. فبأعمال المجانين والعُقلاء عَرَفْنَا مقدارهما من صحّة أذهانهما وفسادها⁽¹⁾، وباختلاف أعمال الأطفال والكهول عَرَفْنَا مقدارهما في الضعف⁽²⁾ والقوّة، وفي الجهل والمعرفة. وبمثل ذلك فصلنا⁽³⁾ بين الجماد والحيوان، والعالم وأعلم منه، والجاهل وأجهل منه⁽⁴⁾، ولو كان عند السباع والبهائم ما عند الحكماء والأدباء، والوزراء والخلفاء والأمم⁽⁵⁾ والأنبياء، لأثمرت تلك العقول، باضطرار، إثمار تلك العقول. وهذا باب لا يخطئ فيه إلا المانيّة⁽⁶⁾ وأصحاب الجهالات فقط. فأما عوام الأمم، فضلاً عن خواصهم، فهم يعلمون من ذلك مثل ما نعلم. وإنّما يُتفاضل بالبيان والحفظ، وينسق المحفوظ⁽⁷⁾، فأما المعرفة فنحن فيها سواء. ولم نعرف العقل وعدمه ونقصانه، وإفادته، وأقدار معارف الحيوان إلا بما يظهر منها⁽⁸⁾، وتلك الأدلة عَرَفْنَا فرق ما بين الحي والميت، وبين الجماد والحيوان.

فإن قال الخصم: ما نعرف كلام الذئب، ولا معرفة الغراب، ولا علم الهدد. قلنا: نحن ناس نؤمن بأن عيسى عليه السلام خلق من غير ذكر وإنّما خلق من أنثى؛ وأن آدم وحواء خلقا من غير ذكر وأنثى، وأن عيسى عليه السلام تكلم في المهد، وأن يحيى بن زكريا نطق بالحكمة في الصبا، وأن عقيماً ألّقح، وأن عاقراً ولدت⁽⁹⁾؛ وبأشياء كثيرة خرجت خارجة من نسق العادة⁽¹⁰⁾،

(1) في الأصل: «وفسادهما». والضمير عائد إلى الأذهان. وفي ش: «عرفنا ما غاب من صحة أذهانهم».

(2) ط، هـ: «في الضعف» ووجه ما أثبت من ش.

(3) فصلنا، بالصاد المهملة، بمعنى ميزنا. وفي الأصل: «فضلنا» بالصاد المعجمة، محرف.

(4) هذه الكلمة ساقطة من ش.

(5) الأمم: جمع أمة بالضم، والأمة: الإمام، ومنه قوله الله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً﴾ [النحل: 120]، في تفسير أبي عبيدة. ش: «والأمة»، وهذه محرفة عن «الأمة».

(6) المانية: أتباع ماني، متبىء زعم أنه الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية، وكان يقول: إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة، وأنهما في صراع مستمر لا ينتهي إلا بانتهاه الدنيا. وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوماً رسمه لهم. وقتل ماني في مملكة بهرام بن سابور، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنات النور. وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه، فلما انتشر أمر الفرس وقوي أمر العرب، وجدوا لديهم سعة صدر، فنزحوا إليهم في أيام بني أمية؛ فإن خالد بن عبد الله القسري كان يعنى بهم، وكان يرمي بالزندقة. حتى كانت أيام المقتدر فإنهم جئوا إلى خراسان، انظر ابن النديم 456-474، وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (مناوي) وهي نسبة شاذة، و(مانوي) وهي نسبة جائزة. ومثل الأولى في الشذوذ: «حرناني» نسبة إلى مدينة حران. و«عناني» نسبة إلى عاني من اليهود. وانظر مفاتيح العلوم 25.

(7) كذا في هـ. وفي ط، ش: «المحفوظة».

(8) أي من المعرفة. وفي الأصل: «وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها».

(9) إشارة إلى زكريا عليه السلام وزوجه، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى، وكانت امرأته عاقراً: ﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: 40]. وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً: ﴿قَالَتْ يَوْنَيْتُكَ أَلِدْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: 72].

(10) كذا في ش. وفي ط: «وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة» وهـ: «وبأشياء كثيرة خارجة من... إلخ».

فالسَّبب الذي به عَرَفْنَا أَنَّهُ قد كان لذلك الهدهد مقدارٌ من المعرفة، دونَ ما توَهَّمتم فوق ما مع الهدهد. ومتى سألتمونا عن الحِجَّةِ فالسبيل واحدة. ونحن نقرُّ بأنَّ مَنْ دخل الجنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاءً كاملين، من غير تجاربٍ وتمارينٍ وترتيب. فمسألتكم عما ألهم الهدهد، هي المسألة عما ألهم الطفل في الجنة.

فإن قال قائل: فإنَّ [كان⁽¹⁾] ذلك القولُ كُلُّه، الذي كان من الهدهد، إنما كان على الإلهام والتسخير، ولم يكن ذلك عن معرفةٍ منه، فلم قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذِيعَنَّكَ﴾ [النمل: 21]؟ قلنا: فإنه قد يتوعَّد الرَّجُلُ ابنه - وهو بعدُ لم يَجِرْ عَلَيْهِ الأحكامُ - بالضرب الوجيع، إن هو لم يأتِ السُّوقَ أو يحفظ سورةَ كَذَا وَكَذَا؛ فلا يَعْتَفُّه أحدٌ على ذلك الوعيد. ويكذبُ فيضربه على الكذب. ويضرب صبيًّا فيضربه لأنَّه ضربه. وهو في ذلك قد حَسُنَ خطُّه، وجاد حسابه، وشَدَّ من النَّحوِ [والعروض⁽²⁾] والفرائض⁽³⁾ شَدْوًا حسنًا، ونفع أهله، وتعلَّم أعمالًا، وتكلَّم بكلام، [و⁽⁴⁾] أجاب في الفتيا بكلام فوقَ معاني الهدهد في اللطافة والغموض، وهو في ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض⁽⁵⁾ والولاية والعداوة.

فإن قال: فهل يجوز لأحدٍ أن يقول لابنه: إنَّ أنت لم تأتِ السُّوقَ ذبحتك؛ وهو جاد؟ قلنا: لا يجوز ذلك. وإنَّما جاز ذلك في الهدهد لأنَّ سليمان - وَمَنْ هو دونَ سليمان من جميع العالم - له أن يذبح الهدهدَ والحمامَ والدِّيكَ، والعناق⁽⁶⁾ والجدي. والذَّبْحُ سبيلٌ من سُبُل منايهم. فلو ذبحه سليمانُ عليه السلام لم يكن في ذلك إلاَّ بقدر التَّقْدِيم والتأخير، وإلاَّ بقدر صرف⁽⁷⁾ ما بين أين يموت حتْفُ أنْفِهِ، أو يموت بالذَّبْح، ولعلَّ صَرَفَ ما بينهما لا يكون إلاَّ بمقدار أَلَم عشرين دَرَّةً⁽⁸⁾. ولعلَّ نَتْفَ جناحه يَفِي بذلك الضرب. وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهدهد بعينه حقَّ ما دلَّت عليه الآية، ولم نَجِرْ ذلك في جميع الهداهد، ولم نَكُنْ⁽⁹⁾ كَمَنْ ينكر قدرة الله على أن يُرَكَّبَ⁽¹⁰⁾ عصفوراً من العصافير ضرباً من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير⁽¹¹⁾، ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل.

(1) ليست بالأصل، وبها يستقيم الكلام.

(2) الزيادة من ش، هـ.

(3) هذه الكلمة ساقطة من هـ وفي ط: «العرائض»، صوابه في ش.

(4) ليست بالأصل، وهي ضرورية.

(5) ط: «الغرض»، صوابه في ش، هـ.

(6) العناق، كسحاب: الأنثى من ولد المعز.

(7) الصرف: الزيادة من ط، هـ: «ضرب»، صوابه في ش.

(8) أي عشرين ضربة بالدرة. والدرة، بالكسر: السوط. ويغلب استعمالها في سياط السلاطين. وكلمة «إلا» ساقطة من ش.

(9) في الأصل: «ولم يجز ذلك في جميع الهداهد ولم يكن».

(10) ط، هـ: «تركب»، ولا تصح إلا بتقديم «على» على كلمة: «قدرة» وصوابها من ش.

(11) الدهاء: جودة الرأي وكمال العقل. وقيس بن زهير هو سيد عبس، وكان له ضلع كبيرة في حرب داحس والغبراء، وهو صاحب داحس. ذكروا من دهائه أنه مر ببلاد غطفان، فرأى ثروة وعديداً، فكره ذلك، فقال له الربيع بن زياد

العبسي: إنه يسوءك ما يسر الناس! فقال: يا ابن أخي، إنك لا تدري. إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض

والتخاذل، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر. وكان يقول: أربعة لا يطاقون: عبد ملك، ونذل شيع، وأمة ورثت، وقبيحة تزوجت! انظر أمثال الميداني (1: 250). ولحرب داحس والغبراء، الأغاني (7: 143، 16: 23)

والعقد (3: 313) والكامل لابن الأثير (1: 343) والميداني (1: 359، 2: 51). هـ: «أدمى» وهو تحريف.

على أَنَّا لو تأوَّلنا الذَّبِيحَ على مثالِ تأويلِ قولنا في ذَبْحِ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام (1) - وإنما كان ذلك ذَبْحاً في المعنى لغيره (2) - أو على معنى قول القائل: أَمَا أَنَا فقد ذَبَحْتَهُ وضربت عنقه، ولكن السيف خانني. أو على قولهم: المسك الذَّبِيح (3)، أو على قولهم: فَبَحْتُ وقد ذَبَحَنِي العطش - لكان ذلك مجازاً. ولو أَنَّ صَبِيّاً من صبياننا سُئِلَ، قبل أن يبلِّغَ فرضَ البلوغِ بساعة، [وكان (4)] رأيَ مَلِكَةٍ سَباً (5) في جميع حالاتها، لما كان بعيداً ولا ممتنعاً أن يقول: رأيتُ امرأةَ مَلِكَةٍ، ورأيتها تسجُدُ للشَّمْسِ من دون الله، ورأيتها تُطِيعُ الشَّيْطَانَ وتُعْصِي الرَّحْمَنَ. ولا سيما إِنْ كَانَ من صبيان الخلفاء والوزراء، أو مِنْ صبيان الأعراب. والدَّلِيلُ على أَنَّ ذلك الهدهد كان مسخراً وميسراً، مُضِيَّه إلى اليمن، ورجوعه من ساعته. ولم يكن من الطَّيْرِ القواطع فرجع إلى وكره، والدَّلِيلُ على ذلك أَنَّ سليمان عليه السلام لم يقل: نعم قد رأيت كلَّ ما ذكرت، وأنت لم تعلم حين مضيت بطَّالاً هارباً من العمل، أَتُكْذِبُ أم تنجح، أو ترى أعجوبة أو لا تراها. ولكِنَّه تَوَعَّدُه على ظاهر الرَّاْي، ونافِره القول؛ لِيُظْهَرَ الآيَةُ والأعجوبة.

(طعن الدهرية في ملك سليمان)

ثُمَّ طَعَنَ فِي مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَلِكَةِ سَبَأَ، نَاسٌ مِنَ الدَّهْرِيَّةِ، وَقَالُوا (6): زَعَمْتُمْ أَنَّ سُلَيْمَانَ سَأَلَ رَبَّهُ [فقال]: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: 35] وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ ذَلِكَ، فَمُلْكُهُ عَلَى الْجِنِّ فَضْلاً عَنِ الْإِنْسِ، وَعَلَّمَهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ، فَكَانَتِ الْجِنُّ لَهُ خَوَلاً، وَالرِّيحُ لَهُ مَسْخَرَةٌ ثُمَّ زَعَمْتُمْ - وَهُوَ إِمَّا بِالشَّامِ وَإِمَّا بِسَوَادِ الْعِرَاقِ - أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بِالْيَمَنِ مَلِكَةً هَذِهِ صِفَتُهَا، وَمَلُوكُنَا الْيَوْمَ دُونَ سُلَيْمَانَ فِي الْقُدْرَةِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ صَاحِبُ الْخَزَرِّ، وَلَا صَاحِبُ الرُّومِ، وَلَا صَاحِبُ التُّرْكِ، وَلَا صَاحِبُ الثُّوبَةِ، وَكَيْفَ يَجْهَلُ سُلَيْمَانَ مَوْضِعَ هَذِهِ الْمَلِكَةِ، مَعَ قُرْبِ دَارِهَا وَاتِّصَالِ بِلَادِهَا! وَلَيْسَ دُونَهَا بَحَارٌ وَلَا أَوْعَارٌ؛ وَالطَّرِيقُ نَهْجٌ لِلْخَفِّ وَالْحَافِرِ وَالْقَدَمِ (7)، فَكَيْفَ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ طَوْعُ يَمِينِهِ، وَلَوْ كَانَ، حِينَ خَبَّرَهُ الْهَدَهُدُ بِمَكَانِهَا، أَضْرَبَ عَنْهَا صَفْحاً، لَكَانَ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: مَا أَتَاهُ الْهَدَهُدُ إِلَّا بِأَمْرِ يَعْرِفُهُ. فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ دَلِيلٌ عَلَى فساد أخباركم.

- (1) ش: «إسحاق». وقد اختلف المؤرخون المسلمون، وكذلك أصحاب التفاسير في الذَّبِيحِ مِنْهُمَا، والأَعْرَفُ عَنْدهُمْ أَنَّهُ «إِسْمَاعِيلُ» بِأَدَلَّةِ سَرْدِهَا الْبِيضَاوِي فِي تَفْسِيرِهِ. انظر سورة الصافات، وليس في القرآن الكريم نص على أحد مِنْهُمَا، وفي سفر التكوين، الأصحاح الثاني والعشرين، ما ينص صراحة على أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْحَاقُ. وإلى هَذَا الرَّأْيِ مَالُ مَعْظَمِ الصَّحَابَةِ. انظر المعارف 17 وآكام المرجان 209 وابن سلام 158.
- (2) وَهُوَ الْكَبِشُ، فَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ، أَوْ إِسْحَاقَ، لَمْ يَذْبَحْ، وَإِنَّمَا هَمَّ أَبُوهُ بِذَبْحِهِ، وَوَقَعَ الذَّبِيحُ فَعَلَاً عَلَى الْكَبِشِ. ش: «ذَبَحاً فِي الْعَيْنِ»، صَوَابُهُ فِي ط، هـ.
- (3) أَيِ الذِّي شَقَّتْ فَأَرَتْهُ. وَفَأَرَةُ الْمَسْكِ: نَافِجَتُهُ، أَيِ وَعَاؤُهُ.
- (4) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ، وَبِهَا يَصْلَحُ الْكَلَامُ. (5) لَيْسَتْ فِي ش. وَبَدَلَهَا فِي هـ: «سَبِيّاً»، مُحَرَفَةٌ عَمَّا أَثْبَتَ مِنْ ط.
- (6) فِي الْأَصْلِ: «وَقَالَ».
- (7) طَرِيقُ نَهْجٍ: وَاضِحٌ، وَالْخَفُّ: أَيِ الْإِبِلِ. ط، هـ: «الْخَفُّ» صَوَابُهُ فِي ش.

قُلْنَا: إِنَّ الدُّنْيَا إِذَا خَلَاها اللَّهُ وَتَدَبَّرَ أَهْلُها، وَمَجَارِيَ أُمُورِها وَعَادَاتِها كانَ لِعَمري كما تقولون. ونحن نزعُم أَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحاقَ بْنَ إِبْراهِيمَ كانَ أَنبىَ أَهْلِ زَمَانِهِ؛ لأنَّه نبيُّ ابنِ نبيٍّ. وكان يوسُفُ وزيرَ ملكِ مصرَ مِنَ النَّبَاةِ بِالْمَواضِعِ الَّذِي لا يُدْفَعُ^(١)، وَلَهُ الْبُرْدُ^(٢)، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ جَوَابُ الْأَخْبَارِ، ثُمَّ لَمْ يَعْرِفْ يَعْقُوبُ مَكَانَ يوسُفَ، وَلَا يوسُفُ مَكَانَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - دَهْرًا مِنَ الدُّهُورِ، مَعَ النَّبَاةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَاتِّصَالَ الدَّارِ.

وكذلك القولُ في موسىَ بْنِ عِمْرَانَ وَمَنْ كانَ مَعَهُ فِي التَّيِّهِ^(٣)، فَقَدْ كانُوا أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ يَتَكَسَّبُونَ^(٤) أَرْبَعِينَ عَامًا، فِي مَقْدَارِ فِرَاسَخٍ يَسِيرَةٍ وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْمَخْرَجِ. وما كانتِ بِلادُ التَّيِّهِ إِلَّا مِنْ مَلْعَبِهِمْ وَمُنْتَزَهاَتِهِمْ^(٥). ولا يَعدَمُ مِثْلُ [ذلك]^(٦) الْعَسْكَرِ^(٧) الْأَدْلَاءِ وَالْجَمَّالِينَ^(٨)، وَالْمُكَارِينَ^(٩)، وَالْفَيُوجَ^(١٠)، وَالرُّسُلَ، وَالتَّجَارَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ صَرَفَ أَوْهاَمَهُمْ، وَرَفَعَ ذَلِكَ الْفَضْلَ^(١١) مِنْ صُدُورِهِمْ.

وكذلك القولُ فِي الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، فَتَقُولُ^(١٢): إِنَّهُمْ لو كانَ كُلُّما أَرادَ مَرِيدٌ^(١٣) مِنْهُمْ أَنْ يَصْعَدَ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ رُجِمَ صَاحِبُهُ^(١٤)، وَأَنَّهُ كَذَلِكَ مِنْذُ كانَ لَمْ يَصِلْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَى اسْتِراقِ السَّمْعِ^(١٥)، كانَ مُحالًا أَنْ يرومَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ الذِّكْرِ وَالْعِيَانِ.

ومِثْلُ ذَلِكَ [أَنَا] قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ إِبْلِيسَ لا يَزَالُ عَاصِيًا إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ. ولو كانَ إِبْلِيسُ فِي حَالِ الْمُعْصِيَةِ ذَاكِرًا لِإِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى^(١٦) أَنَّهُ لا يَزَالُ عَاصِيًا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ خَبَرَهُ صِدْقٌ، كانَ مُحالًا أَنْ تَدْعُوهُ نَفْسُهُ إِلَى الْإِيْمَانِ، وَيَطْمَعُ فِي ذَلِكَ، مَعَ تَصَدِيقِهِ بِأَنَّهُ لا يَخْتارُ الْإِيْمَانَ أَبَدًا. وَمِنْ الْمُحالِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ وَجُودِ^(١٧) الْإِسْطِطَاعَةِ وَعَدَمِ الدَّوَاعِي وَجِوازِ الْفِعْلِ. وَلَوْ أَنَّ رِجالًا

(١) النَّبَاةُ: الشَّهْرَةُ. ط، هـ: «ومن» والوجه حذف الواو، والنص في ش: «وللملك النباهة في الموضع الذي لا يدفع». وليس بشيء.

(٢) البرد: جمع بريد.

(٣) التَّيِّهِ، هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي ضَلَّ فِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمُهُ. قال ياقوت: «وهي أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم وجبال السراة من أرض الشام».

(٤) تَكْسَعُ: ذَهَبَ فِي ضلالِهِ. ومثله تَسْكَعُ بِتَقْدِيمِ السَّيْنِ. ط، هـ: «يكسعون» والوجه ما أثبت من ش.

(٥) كَذَا بِتَقْدِيمِ النُّونِ فِي الْأَصْلِ. (٦) الزيادة من ش، هـ.

(٧) كانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدْ خَرَجُوا لِيَمْلِكُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ بِالْقِتالِ. انظر تفسير سورة المائدة للآيات 20 - 26 وسفر العدد، الأصحاح 32، 33.

(٨) الْجَمَّالِينَ، بِالْجِيمِ. وفي (6: 171): «الحمارين».

(٩) الْمُكَارِينَ: جَمْعُ مُكَارٍ. والمُكَارِيُّ: مَنْ يَكْتَرِي النَّاسَ مِنْهُ دَابَّتَهُ، أَيْ يَسْتَأْجِرُونَهَا.

(١٠) الْفَيُوجُ، بِالضَّمِّ وَفِي آخِرِهِ جِيمٌ: جَمْعُ فَيْجٍ بِالْفَتْحِ، وَهُوَ رَسُولُ السُّلْطَانِ الْمُسْرِعُ فِي مَشْيِهِ، يَحْمِلُ الْأَخْبَارَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، مُعَرَّبٌ مِنْ «بَيْكٍ» بِالْفَارْسِيَّةِ. ط، ش: «الفيوخ»، صوابه في هـ.

(١١) الْفَضْلُ هُنَا بِمَعْنَى التَّمْيِيزِ. ط، هـ: «القصد» وأثبت ما في ش.

(١٢) ط، هـ: «فتقول» بالثاء، صوابه في ش.

(١٣) إِنْ قُرِئَتْ بِالضَّمِّ، كَانَتْ مِنْ أَرادَ بِمَعْنَى شَاءَ. وَإِنْ قُرِئَتْ بِالْفَتْحِ كَانَتْ مِنَ التَّمَرُّدِ.

(١٤) ط، هـ: «قد رجم أو رجم صاحبه»، والوجه ما أثبت من ش. (١٥) ش: «سمع».

(١٦) كَذَا فِي ش. وفي ط: «ذكر إخبار الله تعالى»، وفي هـ: «ذاكرا لأخبار الله تعالى»، وما في هـ محرف.

(١٧) فِي الْأَصْلِ: «وجوب» بالباء.

عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُ لَا يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ يَوْمَهُ ذَلِكَ، كَانَ مُحَالًا أَنْ تَدْعُوهُ نَفْسُهُ إِلَى الْخُرُوجِ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ. وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا كَانَ مُصْرُوفَ الْقَلْبِ عَنْ ذِكْرِ ذَلِكَ الْخَبَرِ^(١)، دَخَلَ فِي حَدِّ الْمُسْتَطِيعِينَ.

ومثل ذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بَشَّرَهُ اللَّهُ بِالظَّفَرِ وَتَمَامِ الْأَمْرِ^(٢) بَشَّرَ أَصْحَابَهُ بِالنَّصْرِ، وَنَزُولِ الْمَلَائِكَةِ، وَلَوْ كَانُوا لِذَلِكَ ذَاكِرِينَ فِي كُلِّ حَالٍ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَحَارَبَةِ مَوْوَنَةٌ، وَإِذَا لَمْ يَتَكَلَّفُوا الْمَوْوَنَةَ^(٣) لَمْ يُؤْجَرُوا. وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَنَظَرَهُ إِلَيْهِمْ رَفَعَ^(٤) ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَالَاتِ عَنْ أَوْهَامِهِمْ؛ لِيَحْتَمِلُوا^(٥) مَشَقَّةَ الْقِتَالِ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ: أَيْغَلِبُونَ أَمْ يُغَلَّبُونَ أَوْ يَقْتُلُونَ أَمْ يُقْتَلُونَ. ومثل ذلك مَا رَفَعَ مِنْ أَوْهَامِ الْعَرَبِ، وَصَرَفَ نَفُوسَهُمْ عَنِ الْمَعَارِضَةِ لِلْقُرْآنِ، بَعْدَ أَنْ تَحَدَّاهُمُ الرُّسُولُ بِنَظْمِهِ. وَلِذَلِكَ لَمْ نَجِدْ أَحَدًا طَمِعَ فِيهِ. وَلَوْ طَمِعَ فِيهِ لَتَكَلَّفَهُ، وَلَوْ تَكَلَّفَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ فَجَاءَ بِأَمْرِ^(٦) فِيهِ أَدْنَى شُبْهَةٍ لِعَظَمَتِ الْقَضِيَّةِ^(٧) عَلَى الْأَعْرَابِ وَأَشْبَاهِ الْأَعْرَابِ، وَالنِّسَاءِ وَأَشْبَاهِ النِّسَاءِ، وَلَأَلْقَى ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ عَمَلًا، وَلَطَلَّبُوا الْمَحَاكِمَةَ وَالتَّرَاضِيَّ بِبَعْضِ الْعَرَبِ، وَلَكَثُرَ الْقِيلُ وَالْقَالَ.

فَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُسَيْلِمَةَ^(٨)، وَأَصْحَابَ ابْنِ النَّوَاحَةِ^(٩) إِنَّمَا تَعَلَّقُوا بِمَا أَلَّفَ لَهُمْ مُسَيْلِمَةُ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ، الَّذِي يَعْلَمُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ أَنَّهُ إِنَّمَا عَدَا عَلَى الْقُرْآنِ فَسَلَبَهُ، وَأَخَذَ بَعْضُهُ، وَتَعَاطَى أَنْ يُقَارِنَهُ، فَكَانَ لِلَّهِ ذَلِكَ التَّدْبِيرُ، الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ الْعِبَادُ وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. فَإِنْ كَانَ الدُّهْرِيُّ يَرِيدُ مِنْ أَصْحَابِ الْعِبَادَاتِ وَالرُّسُلِ، مَا يَرِيدُ مِنَ الدُّهْرِيِّ الصَّرْفِ، الَّذِي لَا يُقَرُّ إِلَّا بِمَا أَوْجَدَهُ الْعِيَانُ، وَمَا يَجْرِي مَجْرَى الْعِيَانِ - فَقَدْ ظَلَمَ.

وَقَدْ عَلِمَ الدُّهْرِيُّ [أَنَّا نَعْتَقِدُ^(١٠)] أَنَّ لَنَا رَبًّا يَخْتَرِعُ الْأَجْسَامَ اخْتِرَاعًا وَأَنَّهُ حَيٌّ لَا بِحَيَاةٍ، وَعَالَمٌ لَا بِعِلْمٍ^(١١)، وَأَنَّهُ شَيْءٌ لَا يَنْقَسِمُ، وَلَيْسَ بِذِي طُولٍ وَلَا عَرْضٍ وَلَا غُمُقٍ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ تَحْيِي^(١٢) الْمَوْتَى، وَهَذَا كُلُّهُ عِنْدَ الدُّهْرِيِّ مُسْتَنْكَرٌ، وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ لَهُ عَلَيْنَا سَبِيلٌ^(١٣) لَوْ لَمْ

(١) أَي عَنْ تَذَكُّرِ ذَلِكَ الْخَبَرِ.

(٢) الْكَلَامُ مِنْ أَوَّلِ الْفَقْرَةِ إِلَى هُنَا سَاقِطٌ مِنْ ش. وَالْجَاحِظُ يُشِيرُ بِكَلَامِهِ هَذَا إِلَى مَا كَانَ فِي وَقْعَةِ أَحَدٍ، مِمَّا تُشِيرُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ ١٢٢ - ١٢٦ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

(٣) ش، هـ: «الْمَوْوَنَةُ».

(٤) ش: «لِيَحْتَمِلُوا».

(٥) فِي الْأَصْلِ: «الْقِصَّة».

(٦) هُوَ أَبُو ثَمَامَةَ، مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبِ الْحَنْفِيِّ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، ادَّعَى النَّبُوَّةَ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، وَصَنَعَ أَسْجَاعًا، عَارِضَ فِيهَا بِزَعْمِهِ الْقُرْآنَ، مِنْهَا قَوْلُهُ: «وَالشَّمْسُ وَضَحَاها. فِي ضَوْئِهَا وَمَجَلَاها. وَاللَّيْلُ إِذَا عَادَها. يَطْلُبُهَا لِيَغْشَاها. فَأَدْرَكْها حَتَّى أَتَاها. وَأَطْفَأَ نُورَها وَمَحَاها»، وَقَوْلُهُ: «يَا ضَفْدَعُ نَقِي نَقِي. كَمْ تَنْقِينَ. لَا الْمَاءُ تَكْدِرِينَ. وَلَا الشَّرْبُ تَمْنَعِينَ». وَكَانَ قَدْ قَوِيَ أَمْرُهُ فِي الْيَمَامَةِ، وَظَهَرَ جَدًّا بَعْدَ وَفَاةِ الرُّسُولِ ﷺ، فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي جَيْشٍ لِمُقَارَعَتِهِ، فَكَانَ لَهُ النِّصْرَ عَلَى بَنِي حَنْفِيَّةَ فِي يَوْمِ الْيَمَامَةِ، وَقَتْلَ مُسَيْلِمَةَ وَكَثِيرٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْفَ وَمِائَتًا رَجُلًا.

(٧) فِي الْأَصْلِ: «بَنِي النَّوَاحَةِ»، وَانْظُرِ الْاسْتِدْرَاكَاتِ. (١٠) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ. وَالْكَلَامُ فِي حَاجَةٍ إِلَى مِثْلِهَا. (١١) هَذَا مَذْهَبُ الْمُعْتَزَلَةِ؛ إِذْ يَنْفُونَ عَنِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ صِفَاتِهِ الْأَزَلِيَّةَ، فَيَقُولُونَ: لَيْسَ لِلَّهِ عِلْمٌ وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا حَيَاةٌ وَلَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا أَيُّ صِفَةٍ أَزَلِيَّةٍ.

(١٢) ط، هـ: «تَحْيِي» صَوَابُهُ فِي ش. (١٣) بَدَلُهُ فِي ش: «وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ لَهُ عِلَّةٌ».

يكن الذي ذكرنا جائزاً في القياس، واحتجنا إلى تثبيت الرُّبُوبِيَّةِ وتصديق الرِّسَالَةِ، فإذا كان ذلك جائزاً، وكان كونه غير مُسْتَكْرَرٍ، ولا محالٍ، ولا ظلم، ولا عيب، فلم يبق له إلا أن يسألنا عن الأصل الذي دعا إلى التَّوَجِيدِ، وإلى تثبيت الرسل. وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق، نَظَّمَهُ البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، مَعَ ما سَوَى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به.

وفيه مسطور أن سليمان بن داود غيّر حيناً - وهو ميّت - معتمداً على عصاه، في الموضع الذي لا يُحْجَب عنه إنسي ولا جنّي، والشياطين منهم المَكْدُودُ بالعمل الشديد⁽¹⁾، ومنهم المحبوس والمستعبد، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمْنِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَةً﴾⁽²⁾ [سبأ: 13]، وقال: ﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ * وَآخِرِينَ مُفْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: 37-38]، وأنه غيّر كذلك حيناً وهو تجاه أعينهم⁽³⁾، فلا هم عرفوا سجيّة وجوه الموتى، ولا هو إذ كان ميّتا سقط سقوط الموتى. وثبت قائماً معتمداً⁽⁴⁾ على عصاه، وعصاه ثابتة قائمة في يده، وهو قابض عليها. وليست هذه الصفة صفة موتانا.

وقال: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: 14]. ونحن دون الشياطين والجن في صدق الحس، ونفوذ البصر، ولو كُنّا من بعض الموتى بهذا المكان، لما خفي علينا أمره وكان أدنى ذلك أن نظن ونرتاب. ومتى ارتاب قوم وظنوا وماجوا⁽⁵⁾ وتكلموا وشاوروا، لقنوا وثبّوا⁽⁶⁾. ولاسيما إذا كانوا في العذاب ورأوا تَبَاشِيرَ الْفَرَجِ.

ولولا الصّرفة⁽⁷⁾ التي يلقيها الله تعالى على قلب من أحب، و[لولا⁽⁸⁾] أن الله يقدر على أن يشغل الأوهام كيف شاء، ويذكر بما يشاء، ويُسي ما يشاء، لما اجتمع أهل داره وقصره، وسوره وربضه⁽⁹⁾، وخاصته، ومن يخدمه من الجن والإنس والشياطين، على الإطباق بأنّه حيّ. كذلك كان عندهم. فحدث ما حدث من موته، فلمّا لم يشعروا به كانوا على ما لم يزالوا عليه. فعلمنا أن الجن والشياطين كانت تُوهِم الأغبياء والعوام، والحشوة⁽¹⁰⁾ والسفلة، أن

(1) المكدود: المرهق المتعب. ط، هـ: «بالغل الشديد»، والأوجه ما أثبت من ش.

(2) الجوابي: جمع جابية، وهو الحوض الجامع. وإثبات الياء في آخر الكلمة وصلاً ووقفاً قراءة ابن كثير ومجاهد، وإثباتها وصلاً فقط قراءة ورش وعاصم. وحذفها وصلاً ووقفاً قراءة الباقيين. وهذه القراءة الأخيرة هي ما في ش، هـ. وما أثبت من ط هو القراءة الأولى.

(3) تجاه، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح، عن القاموس.

(4) ط: «معتمد»، وهو خطأ ظاهر. (5) هـ: «وناجوا»، أي ناجى بعضهم بعضاً.

(6) لقنوا: عرفوا وفهموا، في الأصل: «ولقنوا» وإنما هو جواب الشرط و«ثبّوا» أي سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة، وفي الكتاب: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120].

(7) الصرفة، بالفتح: أن يصرف الله عبده عن أمره. ط: «المعرفة» ش: «الصدقة» صوابهما في هـ.

(8) الزيادة من ش، هـ. (9) الربض، بالتحريك: سور المدينة.

(10) الحشوة، بالضم والكسر: أصله الدغل في الأرض، أراد به الدون من الناس.

عندهما شيئاً من علم الغيب - والشياطين لا تعلم ذلك - فأراد الله أن يكشف من أمرهم للجُهال ما كان كَشَفَهُ للعلماء . فبهذا وأشباهه من الأمور نحنُ إلى الإقرار به مضطرون⁽¹⁾ بالحجج الاضطرارية فليس لخصومنا حيلة إلا أن يوافقونا⁽²⁾ ، وينظروا في العلة التي اضطرنا إلى هذا القول ؛ فإن كانت صحيحة فالصحيح لا يُوجب إلا الصحيح . وإن كانت سقيمةً عَلِمْنَا أنَّما أُتِينَا من تأويلنا⁽³⁾ . وأما قوله : ﴿لَاَعْدَبَنَّ﴾ [النمل: 21] فَإِنَّ التَّعْذِيبَ يكون بالحبس ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: 14] . وَإِنَّمَا كَانُوا مُحْصِينَ⁽⁴⁾ .

وقد يقول العاشق لمعشوقته : يا معذبتني ! وقد عذبتني⁽⁵⁾ !

ومن العذاب ما يكون طويلاً ، ومنه ما يكون قصيراً الوقت . ولو خسفَ الله تعالى بقوم في أقل من عشر ساعة⁽⁶⁾ لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم أحلَّ الله عذابه ونقمته ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربَّما قتل الأسد ، وما أَكْثَرَ ما يَلْحَقُ بصاحب⁽⁷⁾ السِّيفِ والرُّمَحِ ، فيضربه بِنابه ، فيقطعُ كلَّ ما لقيه من جسده : من عظم وعصب ، حتى يقتله . وربَّما احتال أن ينبطح⁽⁸⁾ على وجهه على الأرض ، فلا يغني ذلك عنه شيئاً . وليس لشيء من الحيوان كاحتمال بدنه لوقع السهام ، ونفوذها فيه .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أَرَوُّع من ثعلب ، إذا أَرَادَهُ الفارس . وإذا عدا أطمع في نفسه كلَّ شيء ، وإذا طولب أعياء الخيل العِتاق . والخنزيرُ مع ذلك أنسل الخلق ؛ لأنَّ الخنزيرة تَصْعُ عشرين خنوصاً ، وهو مع كثرة إنساله - من أقوى الفحول على السِّفاد ، ومع القوَّة على السِّفاد هو أطولها مُكثاً في سِفاده ، فهو بذلك أجمع للفحولة⁽¹⁰⁾ . وإذا كَانَ الكلب والذئب موصوفين بشدة القلب ؛ لطول الخطم⁽¹¹⁾ ، فالخنزيرُ أولى بذلك . وللفيل نابٌ عجيب ، ولكِنَّه لقصر

(1) ش : « مضطرين » .

(2) يوافقونا ، بتقديم القاف ، من الموافقة ، وهي أن يقف المرء مع غيره في خصومة ومجادلة . وفي الأصل : « يوافقونا » بتقديم الفاء ، وليس بشيء .

(3) أتينا : أي قهرنا وغلبنا . وفي الأصل : « أوتينا » ولا يصح بها الكلام . ط ، هـ : « أن ما » والوجه ما أثبت من ش . وفي ش أيضاً : « علم » مكان « علمنا » ، و « أقاويلنا » موضع « تأويلنا » .

(4) المخيس ، هو من قولهم : إبل مخيسة : لا تسرح . ط : « محبوسين » وهي صحيحة بمعنى « محبوسين » ، ش ، هـ : « محبسين » ، تحريف ما أثبت .

(5) ط ، هـ : « عذبتيني » . وانظر الاستدراكات . (6) ط ، ش : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(7) ش : « صاحب » . (8) كذا على الصواب في ش . وفي ط ، هـ : « ينططح » .

(9) ش : « فإذا » .

(10) في الأصل : « أجمع الفحولة » ولا تصح . وفي ط ، هـ زيادة : « بهذا » في آخر الجملة ولا وجه لها كما في ش .

(11) سبق مثل هذا الكلام في (2 : 120 س 16) .

عنقه لا يبلغ الثَّابُّ مبلغاً^(١)، وإنَّما يستعينُ بخرطومِهِ، وخرطومُهُ هو أنفه، والخطْمُ غير الخرطوم.

(ما قيل في طيب لحمه وإهالته)

قال أبو ناصرة: وله طيب، وهو طيبُ لحمِهِ ولحمُ أولاده^(٢). وإذا أرادوا وصفَ اختلاط^(٣) وذلك الكُرْكِيِّ^(٤) في مَرَقٍ طيبخ، قالوا: كأنَّ إهالته إهالة خنزير^(٥)؛ لأنَّه لا يسرع إليها^(٦) الجمود. وسرعةُ جمود إهالة الماعز في الشتاء عيب. وللضَّأن في ذلك بعض الفضيلة على الماعز؛ ولا يلحق بالخنزير.

(قبول عظم الخنزير للالتحام بعظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عَظْمٌ واحتيجَ إلى صِلَتِهِ في بعض الأمراض لم يلتحمَ بِهِ إِلَّا عَظْمُ الخنزير.

(صوت الخنزير)

وإذا ضُربَ فصاح لم يكن السَّامِعُ يَفْصِلُ بَيْنَ صَوْتِهِ وَبَيْنَ صوت صبيٍّ مضروب^(٧).

(طيب لحمه)

وفي إطباق جميع الأمم على شهوة أكله واستطابة لحمه، دليلٌ على أنَّ له في ذلك ما ليس لغيره.

(زعم المجوس في المنخنقة ونحوها)

والمجوس تزعم أنَّ المُنْخَنَقَةَ والموقوذة والمتردية^(٨)، وكلَّ ما اعتبط ولم يمت حتف أنفه^(٩)، فهو أطيب لحمًا وأحلى؛ لأنَّ دَمَهُ فِيهِ، والدم حُلُوٌ دَسِمٌ. وإنما عاقبه من طريق العادة والدَّيَّانَة، لا من طريق الاستقذار والزُّهْد الذي يَكُونُ في أصل الطبيعة.

(١) ط: «لقصر عنقه لا يبلغ الباب يقصر عنه ولا يبلغ» إلخ. وأثبت صوابه من ش، هـ.

(٢) بدل هذه العبارة في هـ: «وله طيب لحمه» فقط. وجملة «وله طيب» ساقطة من ش.

(٣) كذا على الصواب في هـ. وفي ط، ش: «اختلاف».

(٤) الكركي، بالضم: طائر كبير أغبر اللون أوتر الذنب طويل العنق والرجلين Crane، قال الدميري: «ولملوك مصر وأمرائها في صيده تغال لا يدرك حده، وإنفاق مال لا يستطاع حصره وعده». ط: «الكركي»، صوابه في ش، هـ.

(٥) الإهالة، بالكسر: الشحم. والودك: الدسم. هـ: «أهاله إهال خنزير»، محرف.

(٦) ش: «إليه» محرف.

(٧) وقد تهبأ لابن أوي مثل هذا الصوت كما سيأتي في (١٩٥: ٥).

(٨) ش: «المنخنق والموقوذ والمتردى». وانظر ما سبق ص ٣٢.

(٩) اعتبط، بالبناء للمفعول: مات من غير علة. ويقال مات حتف أنفه: أي بلا ضرب ولا قتل. ط، هـ: «وكلما اعتبط» إلخ، وصواب كتابته ما أثبت وبدلها في ش: «إذا اعتبط» إلخ.

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عاف قومٌ الجريّ والضباب⁽¹⁾ على مثل ذلك، وشُغِفَ به آخرون. وقد كانت العربُ في الجاهليّة⁽²⁾ تأكل دَمَ الفُصْدِ⁽³⁾، وتفضّل طعمه، وتُخبر عَمَّا يورثُ من القوّة. قال: وأيُّ شيءٍ أحسنُ من الدّم، وهل اللّحمُ إلّا دَمٌ استحالَ كما يستحيل اللّحمُ شحمًا؟! ولكنّ الناس إذا ذكروا معناه، ومن أين يخرج وكيف يخرج، كان ذلك كاسراً لهم، ومانعاً من شهوته.

(بعض ما يغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النّار في حسنّها⁽⁴⁾، فإنّه ليس في الأرض جسمٌ لم يصبغ أحسن منه⁽⁵⁾. ولولا معرفتهم بقتلها وإحراقها وإتلافها، والألم والحرقّة المولدين⁽⁶⁾ عنها، لتضاعف ذلك الحُسْنُ⁽⁷⁾ عندهم. وإنّهم ليرونها في الشّتاء بغير العيون التي يرونها بها في الصّيف. ليس ذلك إلّا بقدر ما حدث من الاستغناء عنها. وكذلك جلاء السّيف؛ فإنّ الإنسان يستحسنُ قدّ السّيف وخزطه، وطبعه وبريقه. وإذا ذكر صنيعه والذي هُمّي له، بدا له في أكثر ذلك⁽⁸⁾، وتبدّل في عينه، وشغله ذلك عن تأمل محاسنه. ولولا علم النّاس بعداوة الحيات⁽⁹⁾ لهم، وأنّها وحشيّة لا تأنس ولا تقبل أدباً، ولا ترعى حقّ تربيّة، ثم رأوا شيئاً من هذه الحيات البيض، المنقّشة الظهور - لما بيّتوها ونوّموها إلّا في المهد، مع صبيانهم.

(ردّ على من طعن في تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة⁽¹⁰⁾: تحريم الأغذية إنّما يكون من طريق العبادة والمُحَنّة، وليس أنّ جوهر شيءٍ من المأكول⁽¹¹⁾ يوجب ذلك. وإنّما قلنا: إنّنا وجدنا الله تعالى قد مسح عبداً من عباده في صور الخنزير [دون بقيّة⁽¹²⁾ الأجناس، فعلمنا أنّه لم يفعل ذلك إلّا لأُمُورٍ اجتمعت في الخنزير⁽¹³⁾]. فكان المسخ على صورته أبلغ من التّنكيل. لم نقل إلّا هذا.

(1) الجري، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة: ضرب من السمك سبق الكلام عليه في (1: 170)، والضباب، بالكسر: جمع ضب.

(2) ط: «الجاهليّة»، صوابه في ش، هـ.

(3) وذلك بأن يضعوا الدّم، بعد فصدّه في الأمعاء ويشوونها. انظر ص 32.

(4) ش: «جنسها»، وأراه تحريفاً. (5) كذا في ط، س، وفي هـ: «لم يصنع أحسن منه».

(6) ط: «المولدين» صوابه في ش، هـ. (7) ش: «الحس»، محرف.

(8) بدا له: أي نشأ له رأي آخر. (9) ط: «الحياة»، وإنّما هو جمع حية كما في ش، هـ.

(10) هذا البحث الآتي متعلق بما سبق في ص 43-44 ساسي وليس له ارتباط بما مرقبياً.

(11) إلى هذه الكلمة ينتهي المجلد الأول من النسخة الخطيّة المرموز إليها برمز «س» وتبتدئ المعارضة بعدها من أول المجلد الثاني منها.

(12) هـ: «جميع».

(13) الزيادة من ش، هـ.

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ وَيَطْرَبُ، وَيُقْعِي وَيَحْكِي، ويتناولُ الطَّعامَ بيديه ويضعه في فيه، ولَهُ أَصَابِعُ وَأَظْفَارٌ، وَيَنْقِي^(١) الجوز، ويَأْنَسُ الْأُنْثَى الشَّدِيدَ، وَيَلْقُنُ بِالتَّلْقِينِ الكثير، وإذا سَقَطَ في الماء غَرِقَ ولم يَسْبَحْ؛ كالإنسانِ قبل أنْ يتعلَّم السَّباحة. فلم تجد النَّاسُ للذي اعترى القرد من ذلك - دونَ جميع الحيوان عِلَّةً - إلاَّ هذه المعاني التي ذكرتها^(٢)، من مناسبة الإنسانِ من قِبَلِها. ويُحْكِي عنه من شِدَّةِ الزَّوْاجِ، والغيرة على الأزواج، ما لا يحكى مثله إلاَّ عن الإنسان؛ لأنَّ الخنزيرَ يَغَارُ، وكذلك الجملُ والفرسُ، إلاَّ أنها لا تزواج. والجِمارُ يَغَارُ ويحمي عانته الدهر كُلَّهُ^(٣)، ويضربُ فيها كضربه لو أصاب أثناءً من غيرها. وأجناس الحمام تزواج ولا تغار. واجتمع في القرد الزَّوْاجِ والغيرة، وهما خصلتان كريمتان، واجتماعهما من مفاخر الإنسانِ على سائر الحيوان. ونحن لم نَرَوْجَه شيء غير الإنسان أشبه صورةً وشبهاً، على ما فيه من الاختلاف، ولا أشبه فماً ووجهاً بالإنسان، من القرد. ورُبَّما^(٤) رأينا وجهه بَعْضِ الحمر^(٥) إذا كان ذا خَطْمٍ، لا نَجِدُ بَيْنَهُ وبين القرد إلاَّ اليسير.

(أمثال في القرد)

وتقول^(٦) الناس: «أَكَيْسُ من قِشَّة^(٧)»، و«أَمْلَحُ مِنْ رُبَّاح^(٨)» ولم يقل أحد: أكيس من خنزيرٍ، وأَمْلَحُ من خَنُوص. وهو قول العامة: «القرد قَبِيحٌ ولكنّه مليح».

(كفّ القرد وأصابعه)

وقال النَّاسُ في الضَّبِّ: إنه مِسَخٌ. وقالوا: انْظُرْ إلى كَفِّهِ وَأَصَابِعِهِ. فَكَفَّ القرد وأصابعه^(٩) أَشْبَهُ وَأَصْنَعُ. فَقَدَمَتِ القردَ على الخنزير من هذا الوجه.

(١) أصله من قولهم: نقي العظم نقياً: استخرج نقيه، والنقي بالكسر: مخ العظام وشحمها. فالمعنى يستخرج لب الجوز.

(٢) ش: «ذكرناها».

(٣) العانة: جماعة الحمر الوحشية.

(٤) ط: «وبما»، تصحيحه من ش، هـ.

(٥) لعل المراد بالحمر هنا الروس. وجاء في التنبيه والإشراف 122: «والروم تسميهم روسيا. معنى ذلك: الحمر».

في الأصل: «بعض وجه الحمر».

(٦) ش: «ويقول».

(٧) القشة، بالكسر: القردة، أو ولدها الأنثى.

(٨) الرباح، كرمان: القرد الذكر.

(٩) ط: «فكيف والقرد أصابعه»، وهو - لا جرم - تحريف.

(علة تحريم لحم الخنزير)

وأما القول في لحمه، فإننا لم نزعم أنَّ الخنزيرَ هو ذلك الإنسان الذي مُسَخ، ولا هو من نسله، ولم ندعْ لحمه من جهة الاستقذار لشهوته في العذرة، ونحن نجد الشَّبُوط والجَرَيَّ⁽¹⁾، والدَّجَاج، والجَرَادَ، يشاركنه في ذلك، ولكن للخصال التي عددنا من أسباب العبادات، وكيف صار أحقَّ بأنْ تمسخ الأعداء⁽²⁾ على صورته في خلقه.

(حديث عبيد الكلابي)

قال: وقلت مرّةً لعبيد الكلابي - وأظهرَ من حُبِّ الإبل والشَّعَفِ بها ما دعاني إلى أن قلت له-: أبينها وبينكم قرابة⁽³⁾؟ قال: نعم، لها فينا حُؤولة. إني والله ما أعني البَخَاتِي، ولكنني أعني العَرَاب، التي هي أعرب! قلت له: مَسَخَ اللَّهُ تعالى بغيراً! قال: الله لا يمسخ الإنسانَ على صورة كَريم، وإنما يمسخه على صورة لَئيم، مثل الخنزير ثم القرد⁽⁴⁾. فهذا قول أعرابي جَلَفٍ⁽⁵⁾ تكلم على فطرته.

(قول في آية)

وقد تكلم المخالفون في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾⁽⁶⁾ [الأعراف: 163]. وقد طعنَ ناس في تأويل هذه الآية، بغير علم ولا بيان، فقالوا: وكيف يكون ذلك وليس بين أن تجيء⁽⁷⁾ في كلِّ هلال فرق، ولا بينها إذا جاءت في رأس الهلال فرق، ولا بينها إذا جاءت في رأس السَّنة فرق.

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البَصرة والأُبلة، يأتِيهم ثلاثة أشهر معلومة معروفة [من السنة] السَّمَكُ الأُسبور⁽⁸⁾، فيعرفون وقتَ مجيئه وينتظرونه، ويعرفون وقتَ انقطاعه ومجيء غيره، فلا يمكث بهم الحال إلا قليلاً حتَّى يُقْبَلَ السَّمَكُ من ذلك البحر، في ذلك الأوان، فلا يزالون في

(1) الشبوط والجري: ضربان من ضروب السمك. وانظر مثل هذا الكلام في (1: 170).

(2) أي أعداء الله.

(3) ش: «أبينكم وبينها قرابة».

(4) ط، هـ: «الخنزير والقرد».

(5) الجلف، بالكسر: الرجل الجافي.

(6) هذه القرية هي أيلة، أو مدين، أو طبرية: وكل منها حاضرة البحر، أي قريبة منه. ﴿يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت. ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾: أي يوم تعظيمهم أمر السبت، سبتت اليهود: عظمت سبتها. ﴿شُرَعًا﴾: ظاهرة على وجه الماء.

(7) كذا الصواب في ش. وفي ط، هـ: «يجيء».

(8) سبق الكلام عليه في (3: 143)، وفي الأصل: «الأُسبور» محرف.

صَيْدٍ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ مَعْلُومَةٍ مِنَ السَّنَةِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّتَيْنِ لِكُلِّ جَنْسٍ. وَمَعْلُومٌ عَنْهُمْ أَنَّهُ يَكُونُ فِي أَحَدِ الزَّمَانَيْنِ أَسْمَنَ، وَهُوَ الْجَوَافُ^(١)، ثُمَّ يَأْتِيهِمُ الْأُسْبُورُ^(٢)، عَلَى حِسَابِ مَجِيءِ الْأُسْبُورِ^(٣) وَالْجَوَافِ. فَأَمَّا الْأُسْبُورُ فَهُوَ يَقْطَعُ إِلَيْهِمْ مِنْ بِلَادِ الزَّنْجِ، وَذَلِكَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْبَحْرِيِّينَ. وَأَنَّ الْأُسْبُورَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَقْطَعُ إِلَى دِجْلَةِ الْبَصْرَةِ لَا يُوْجَدُ فِي الزَّنْجِ، وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يُوجَدُ فِي الزَّنْجِ لَا يُوْجَدُ فِي دِجْلَةٍ^(٤). وَرَبَّمَا اصْطَادُوا مِنْهَا شَيْئًا فِي الطَّرِيقِ فِي وَقْتِ قَطْعِهَا الْمَعْرُوفِ^(٥)، وَفِي وَقْتِ رَجُوعِهَا. وَمَعَ ذَلِكَ أَصْنَافٌ مِنَ السَّمَكِ كَالْإِرْبِيَانِ^(٦)، وَالرَّقِّ^(٧)، وَالْكُوسَجِ^(٨)، وَالْبَرْدِ^(٩)، وَالْبَرَسْتُوجِ^(١٠). وَكُلُّ ذَلِكَ مَعْرُوفٌ الزَّمَانِ، مَتَوَقَّعُ الْمَخْرَجِ. وَفِي السَّمَكِ أَوَابِدٌ وَقَوَاطِعُ، وَفِيهَا سَيَّارَةٌ لَا تَقِيمُ، وَذَلِكَ الشَّبَهُ يُصَابُ. وَلِذَلِكَ صَارُوا يَتَكَلَّمُونَ بِخُمْسَةِ السَّنَةِ^(١١)، يَهْذُونَهَا^(١٢)، سِوَى مَا تَعَلَّقُوا بِهِ مِنْ غَيْرِهَا. ثُمَّ الْقَوَاطِعُ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ تَأْتَيْنَا إِلَى الْعِرَاقِ مِنْهُمْ^(١٣) فِي ذَلِكَ الْإِبَّانِ جَمَاعَاتٌ كَثِيرَةٌ، تَقْطَعُ إِلَيْنَا ثُمَّ تَعُودُ فِي وَقْتِهَا.

(رد على المعارض)

قُلْنَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ: لَقَدْ أَصَبْتُمْ فِي بَعْضِ مَا وَصَفْتُمْ، وَأَخْطَأْتُمْ فِي بَعْضٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: 163]، وَيَوْمَ السَّبْتِ يَدُورُ مَعَ الْأَسَابِيعِ، وَالْأَسَابِيعُ تَدُورُ مَعَ شُهُورِ الْقَمَرِ^(١٤)، وَهَذَا لَا يَكُونُ مَعَ اسْتَوَاءٍ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَدْ يَكُونُ السَّبْتُ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ، وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ. وَلَيْسَ

- (١) فِي الْأَصْلِ: «الْجَوَافِ». وَانْظُرْ مَا أَسْلَفْتُ مِنَ التَّحْقِيقِ فِي (3: 143).
- (٢) فِي الْأَصْلِ: «الْأُسْبُولُ». وَهُوَ تَحْرِيفٌ. انْظُرْ لَهُ (3: 143).
- (٣) ط، هـ: «الْأُسْبُولُ»، وَانْظُرِ التَّنْبِيْهَ السَّابِقَ.
- (٤) ش: «الدِّجْلَةُ»، وَإِدْخَالُ «أَلِ» عَلَى «دِجْلَةٍ» خَطَأٌ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ لَا تَعْرِفُ. وَانْظُرْ لِأَشْبَاهِ هَذَا الْوَهْمِ دَرَةَ الْغَوَاصِ 25.
- (٥) يُقَالُ قَطَعَ الطَّائِرَ وَالسَّمَكِ: إِذَا انْتَقَلَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ.
- (٦) الْإِرْبِيَانِ، بِالْكَسْرِ: ضَرْبٌ مِنَ السَّمَكِ، يَعْرِفُ فِي مِصْرَ بِاسْمِ «الْجَنْبَرِيِّ»، كَمَا فِي مَعْجَمِ الْمَعْلُوفِ. وَقَدْ سَبَقَ لِلْجَا حِظِّ كَلَامٍ فِيهِ، انْظُرْ (1: 210 س 22). وَفِي الْأَصْلِ: «الْأُرْسَانُ»، مُحَرَفٌ عَمَّا أُثْبِتَ.
- (٧) الرِّقُّ: السَّلْحَفَةُ الْمَائِيَّةُ.
- (٨) الْكُوسَجُ: سَمَكٌ بَحْرِيٌّ كَبِيرٌ عَظِيمُ الضَّرَرِ تَخَافُهُ دَوَابُّ الْبَحْرِ، وَيَعْرِفُ بِاسْمِ «الْقَرَشِ» أَيْضًا فِي سَوَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ.
- (٩) كَذَا. وَلَعَلَّهُ: «الْبِزُّ» أَوْ «الْبِزُونُ»، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ مَعْرُوفٌ بِالْعِرَاقِ.
- (١٠) الْبَرَسْتُوجُ: سَمَكٌ قَدِمَتْ تَحْقِيقًا فِيهِ بِالْجُزْءِ الثَّالِثِ ص 144، وَهُوَ مِنَ السَّمَكِ الَّذِي يَقْطَعُ إِلَى الْبَصْرَةِ كَمَا فِي (3: 144، 145)، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مُضْطَرِبَةٌ فِي الْأَصْلِ: فَهِيَ فِي ط: «الْكِرْنُوحُ»، وَش: «الْكُونُوحُ»، وَهـ: «الْكِرْمُوحُ» وَهِيَ تَحْرِيفَاتٌ عَجِيبَةٌ لَمَّا أُثْبِتَ.
- (١١) لَعَلَّهُ إِيْشَارَةٌ إِلَى الْأَصْنَافِ الْخَمْسَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ.
- (١٢) هَذَا الْحَدِيثُ يَهْذُو: سَرَدَهُ. وَفِي الْأَصْلِ: «يَهْذُونَهَا» بِالْدَالِ الْمُهْمَلَةِ، وَلَا وَجْهَ لَهُ.
- (١٣) جَعَلَ لَغَيْرِ الْعَاقِلِ ضَمِيرَ الْعَاقِلِ، وَهُوَ جَائِزٌ. فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّهْلُ ادْخُلُوا مِنْكُمْ﴾ [النمل: 18]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ [النور: 45]، ﴿لَا الشَّمْسُ بِنَبِيٍّ لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]، ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ [يوسف: 4].
- (١٤) ط: «الْقَمَرِيَّةُ»، صَوَابُهُ فِي ش، هـ.

هذا من باب أزمان قواطع السمك⁽¹⁾ وهَيَّجَ الْحَيَوَانَ وَطَلَبَ السَّفَادَ، وَأَزْمَانَ الْفَلَاخَةِ، وَأَوْقَاتِ الْجَزْرِ وَالْمَدِّ؛ وَفِي سَبِيلِ الْأَنْوَاءِ، وَالشَّجَرِ كَيْفَ يَنْفَضُّ⁽²⁾ الْوَرَقَ وَالشَّمَارَ؛ وَالْحَيَاتِ كَيْفَ تَسْلُخُ⁽³⁾، وَالْأَيَّامُ كَيْفَ تَلْقَى قُرُونَهَا⁽⁴⁾ وَالطَّيْرِ كَيْفَ تَنْطِقُ وَمَتَى تَسْكُتُ.

ولو قال لَنَا قَائِلٌ: إِنِّي نَبِيٌّ [و⁽⁵⁾] قُلْنَا لَهُ: وَمَا آيَتُكَ؟ وَمَا عَلَامَتُكَ؟ فَقَالَ: إِذَا كَانَ فِي آخِرِ تَشْرِينَ الْآخِرِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأَشْبُورُ⁽⁶⁾، مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ - ضَحَكُوا مِنْهُ وَسَخَرُوا بِهِ. وَلَوْ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمُ الْأَحَدِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأَشْبُورُ، حَتَّى لَا يَزَالَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ - عَلِمْنَا اضْطِرَاراً إِذَا عَابَتَا الَّذِي ذَكَرَ عَلَى نَسَقِهِ أَنَّهُ صَادِقٌ، وَأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ قَبْلِ خَالِقِ ذَلِكَ⁽⁷⁾. تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. وَقَدْ أَفْرَزْنَا بِعَجِيبٍ مَا نَرَى مِنْ مَطَالَعِ النُّجُومِ، وَمِنْ تَنَاهِي الْمَدِّ وَالْجَزْرِ عَلَى قَدَرِ امْتِلَاءِ الْقَمَرِ وَنُقْصَانِهِ، وَزِيَادَتِهِ وَمَحَاقِهِ⁽⁸⁾، وَاسْتِسْرَارِهِ⁽⁹⁾. وَكُلُّ شَيْءٍ يَأْتِي عَلَى هَذَا النَّسَقِ مِنَ الْمَجَارِي، فَإِنَّمَا الْآيَةُ فِيهِ لِلَّهِ وَحْدَهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ لِأَهْلِ شَرِيعَةٍ⁽¹⁰⁾ وَلَأَهْلِ مُرْسَى، مِنْ أَصْحَابِ بَحْرٍ أَوْ نَهْرٍ أَوْ وادٍ، أَوْ عَيْنٍ، أَوْ جَدُولٍ: تَأْتِيكُمْ الْحَيَاتَانِ فِي كُلِّ سَبْتٍ. أَوْ قَالَ: فِي كُلِّ رَمَضَانَ. وَرَمَضَانُ مُتَحَوِّلٌ الْأَزْمَانِ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَالرَّبَّيعِ وَالْخَرِيفِ. وَالسَّبْتُ يَتَحَوَّلُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ تِلْكَ الْأَعْجُوبَةُ⁽¹¹⁾ فِيهِ دَالَّةٌ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى صِدْقِ صَاحِبِ الْخَبَرِ، وَأَنَّهُ رَسُولُ ذَلِكَ الْمَسْخَرِ لِذَلِكَ الصَّنْفِ. وَكَانَ⁽¹²⁾ ذَلِكَ الْمَجِيءُ خَارِجاً مِنَ النَّسَقِ الْقَائِمِ، وَالْعَادَةِ الْمَعْرُوفَةِ. وَهَذَا الْفَرْقُ بِذَلِكَ بَيِّنٌ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

(شِنْعَةُ الْخَنْزِيرِ وَالْقَرْدِ)

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حَسِيَةً﴾ [الأعراف: 166]. وفي الموضع الذي ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَخَ نَاساً خَنَازِيرَ قَدْ ذَكَرَ الْقُرُودَ⁽¹³⁾. وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ مَسَخَ قَوْمًا خَنَازِيرَ،

(1) ش: «وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك».

(2) ينفض، بالفاء: يسقط الورق أو الثمر. ط، هـ: «ينفض»، صوابه في ش. وقد سبق مثله في (3: 129 س8).

(3) يقال سلخت الحية تسلخ من بابي نصر ومنع، وانسلخت تسلخ: إذا انسرت من جلدها. جاء في ش: «تسلخ» وكلمة «الحيات» ساقطة من س وموضعها في ط، هـ بعد كلمة «تسلخ»، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعي الملائم.

(4) الأيل ينصل قرنه في كل سنة كما سبق في (3: 129 س8 - 9).

(5) ليست بالأصل، والكلام في حاجة إليها.

(6) في الأصل: «الأشبور»، وانظر التنبيه الثامن من الصفحة 57.

(7) بدله في ط، هـ: «السمك».

(8) المحاق، مثلثة: آخر الشهر، أو ثلاث ليالٍ من آخره، أو أن يستسر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية.

(9) استسرار القمر: أن يختفي، وذلك ليلة ثمان وعشرين، وإذا كان الشهر ثلاثين فساراه ليلة تسع وعشرين. في ط، هـ: «إساراه» ش: «استراه»، والوجه ما أثبت. انظر اللسان (سرر 21)، وبعد هذه الكلمة في ط: «واستدراته».

(10) الشريعة، هنا مورد الماء. (11) ش: «فإن كان ذلك كانت أعجوبة».

(12) ط، هـ: «فكان».

(13) ش: «قروداً»، وفي ط، هـ زيادة واو قبل «قد»، وهو تحريف.

ولم يمسح منهم قروداً^(١). وإذا كان الأمر كذلك فالمسح على صورة القردة^(٢) أشنع؛ إذ كان المسح على صورتها^(٣) أعظم^(٤)، وكان العقاب به أكبر. وإن الوقت الذي قد ذكر أنه قد مسح ناساً قروداً فقد كان مسح ناساً خنازير. فلم يدع ذكر الخنازير وذكر القروداً^(٥) إلا والقروداً في هذا الباب أوجع وأشنع وأعظم في العقوبة، وأدل على شدة السخطة^(٦). هذا قول بعضهم.

(استطراد لغوي)

قال: ويقال لموضع الأنف من السباع الخطم، والخرطوم- وقد يقال ذلك للخنزير- والفنطيسية^(٧)، والجمع الفناتيس. وقال الأعرابي: «كأن فناتيسها كراكر الإبل^(٨)».

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق: لا يكون خنزير ولا إيل بحرياً. وذكر أن خنازير بعض البلدان يكون لها ظلف واحد، ولا يكون بأرض نهاوند حمار؛ لشدة برد الموضع، ولأن الحمار صرد.

وقال: في أرض كذا وكذا لا يكون بها شيء من الخلد^(٩)، وإن نقله إنسان إليها لم يحفر، ولم يتخذ بها بيتاً. وفي الجزيرة التي تسمى صقلية^(١٠) لا يكون بها صنف من النمل، الذي يسمى أقرشان^(١١).

(١) أي أنه عند ذكره مسح قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسح بالقروداً، وذلك قوله تعالى في الآية الستين من سورة المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾. وفي الأصل: «ولم يذكر أنه مسح قوماً قروداً ولم يمسح منهم خنازير». وأصلحته بما ترى.

(٢) في الأصل: «القرد» بالافراد، ووجه الجمع كما ستري.

(٣) في الأصل: «على صورتها»، وإنما الضمير عائد إلى جماعة القردة.

(٤) في الأصل: «أعم»، ولا وجه له، وانظر ما سيأتي.

(٥) أي وحدها؛ إذا قال في سورة البقرة، الآية الخامسة والستين: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، ولم يذكر الخنزير. وقال في سورة الأعراف 166: ﴿فَلَمَّا عَتَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، ولم يذكر الخنزير.

(٦) السخطة، بالفتح: الكراهة، يقال سخطه سخطاً، بالضم، والتحريك، وبضمين، وسخطة، وفي حديث هرقل: «فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه».

(٧) الفنطيسية، بالكسر: خطم الخنزير. وفي اللسان: «وروى عن الأصمعي: إنه لمنيع الفنطيسية والفرطيسية والأرنبة، أي هو منيع الحوزة حمى الأنف. أبو سعيد: فنطيسته وفرطيسته: أنفه»، فهي قد تستعمل لغير الخنزير.

(٨) كذا على الصواب في ط، وفي هـ: «فناطيسها»، وفي ش: «فناطيسه». والكرار: جمع كركرة، بالكسر، وهي صدر كل ذي خف.

(٩) الخلد، بالضم: ضرب من الفأر.

(١٠) صقلية، بكسرات ولام مشددة: تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية. ش، هـ: «أصقلية» ولعله لغة في تعريبها.

(١١) ش: «أفرشان» بالفاء.

(قول أهل الكتابين في المسخ)

وأهل الكتابين⁽¹⁾ يُنكرون أن يكونَ الله تعالى مسخَّ النَّاسِ قروداً وخنزير، وإنما مسخ امرأة لوط حَجَرًا⁽²⁾، كذلك يقولون.

(القول في الحيات)

اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا التَّكَلُّفَ، وَأَعِزَّنَا مِنَ الْخَطَلِ، وَاحْمِنَا مِنَ الْعُجْبِ بِمَا يَكُونُ مَثًا، وَالثَّقَةِ بِمَا عَدْنَا، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفر المكفوف النحوي العنبري، وأخوه رَوْحُ الكاتب ورجال من بني العنبر، أن عندهم في رمال بلعنبر حَيَّةٌ تصيد العَصَافِيرَ وصِغَارَ الطَّيْرِ بأعجب صيد. زعموا أنها إذا انتصفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ في رمالِ بلعنبر، وامتنعت الأرض على الحافي والمنتعل، ورمض الجندب⁽³⁾، غمست هذه الحَيَّةُ ذَنَبَهَا في الرَّمْلِ، ثم انتصبت كأنها رمحٌ مركوز، أو عودٌ ثابت⁽⁴⁾، فيجيء الطائر الصغير أو الجرادَّةُ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الرَّمْلِ لشدة حره، وقَعَ على رأس الحَيَّةِ، على أنها عود. فإذا وَقَعَ على رأسها قبضت عليه. فإن كان جرادَّةً أو جُعلاً أو بَعْضَ مَا لَا يُشْبِعُهَا مِثْلُهُ، ابتلعت⁽⁵⁾ وبقيت على انتصابها. وإن كان الواقع على رأسها طائراً يُشْبِعُهَا مِثْلُهُ أَكَلَتْهُ وانصرفت. وأنَّ ذلك دأبها ما مَنَعَ الرَّمْلُ جَانِبَهُ⁽⁶⁾ في الصَّيْفِ والقَيْظِ، في انتصاب النهار والهاجرة. وذلك أَنَّ الطَّيْرَ لَا يَشْكُ أَنَّ الحَيَّةَ عودٌ، وأنه سيقوم له مقام الجذَلِّ للحِرْبَاءِ⁽⁷⁾، إلى أن يسكن الحرُّ ووهج الرَّمْلِ. وفي هذا الحديث من العَجَبِ أَنَّ تكون هذه الحَيَّةُ تهتدي لمثل هذه الحيلة. وفيه جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود. وفيه قلة اكتراث الحَيَّةِ بالرَّمْلِ الذي عاد كالجمر⁽⁸⁾، وصلح أن يكون ملءً وموضعاً للخبزة⁽⁹⁾، ثم

(1) التوراة والإنجيل.

(2) الذي في سفر التكوين من التوراة، الأصحاح 19: 24 - 26: «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء، وقلب تلك المدن، وكل الدائرة، وجميع سكان المدن ونبات الأرض، ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح».

(3) الجندب، وزان برقع ودرهم، وبضم الجيم ويفتح الدال: ضرب من الجراد صغير: Grasshopper، ورمض: آلمه الرمض وأحرقه، وهو بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه.

(4) في نهاية الأرب (10: 139): «نابت» بالنون.

(5) ش: «أكلته». (6) ش: «جانها»، محرف.

(7) الجذَل، بالكسر ويفتح: ما عظم من أصول الشجر، وما على مثال شماريخ النخل من العيدان. والحرباء: بالكسر: دويبة من العطاء بطيئة لحركة تتلون ألواناً: Chameleon، وهي إذا احتمت بجذَل شجرة لم يميزها الرائي؛ لأنها تتلون سريعاً بلون الجذَل، فيحسبها نتوءاً فيه لا أنها شيء غريب عنه، فتحفظ نفسها بذلك.

(8) عاد هنا، بمعنى صار.

(9) الملة، بالفتح: الرماد الحار. والخبزة، بالضم: عجينة يوضع في الملة حتى ينضج.

[أن^(١)] يشتمل ذلك الرَّمْل على ثلث الحَيَّة ساعاتٍ من النَّهَار، والرَّمْل على هذه الصفة، فهذه أعجوبةٌ من أعاجيب ما في الحَيَّات.

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لي رَجَالٌ من الصَّقَالِبَةِ، خَصِيَانٌ وفحول، أَنَّ الحَيَّةَ في بلادهم تأتي البقرة^(٢) [المَحْفَلَةُ^(٣)] فتتنطوي على فخذِها^(٤) ورُكْبَتِها إلى عراقيبها، ثم تُشَخِّص صدرها نحو أخلافِ ضَرْعِها، حتى تلتقم الخلف؛ فلا تستطيع البقرة^(٥) [مع قوتها^(٦)] أَنْ تَتَرَمَّرَ^(٧)، فلا تزال تمصُّ اللبن، وكلما مصَّت استرخت. فإذا كادت تتلفُ أرسلتها. وزعموا أن تلك البقرة إما أن تموت^(٧)، وإما أن يصيبها في ضرعها فسادٌ شديدٌ تُعسرُ مداواته^(٨). والحَيَّةُ تُعْجَبُ باللبن. وإذا وجدت الأفاعي^(٩) الإناء غير مَحْمَرٍ^(١٠) كرعت فيه^(١١)، ورُبَّمَا مجَّت فيه ما صار في جوفها، فيصيبُ شاربُ ذلك اللَّبَنِ أذى ومكروهٌ كثير. ويقال إنَّ اللبن محتَضِرٌ^(١٢). وقد ذهب ناسٌ إلى العَمَّار، على قولهم إنَّ الثوبَ المعصفرَ محتَضِرٌ^(١٣)، فظنَّ كثيرٌ من العلماء أنَّ المعنى في اللبن إنَّما رَجَعَ إلى الحَيَّات.

(ما تعجب به الحيات)

والحَيَّةُ تُعْجَبُ باللُّفَّاح^(١٤) والبَطِيخ^(١٥)، وبالحُرْف^(١٦)، والخردل المرخوف^(١٧)؛ وتكره ريحَ السَّدَاب^(١٨) والشَّيخ، كما تكره الوَزْعُ ريحَ الزَّعْفَرَان.

- (١) ليست بالأصل.
- (٢) ط: «البقر»، وأثبت ما في ش، هـ ونهاية الأرب (9: 139).
- (٣) الزيادة من نهاية الأرب. والمحفلة، بفتح الفاء المشددة: الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أياماً حتى يجتمع لبنها في ضرعها، فإذا احتلبها المشتري وجدها غزيرة اللبن فزاد في ثمنها. وفي الحديث: «من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعاً من تمر». وبدلها في ش، هـ: «المحتلفة» تحريف ما أسلفت.
- (٤) ط: «فخذي البقرة».
- (٥) الزيادة من نهاية الأرب.
- (٦) تترمم: تتحرك.
- (٧) بدله في نهاية الأرب: «تلف».
- (٨) ش ونهاية الأرب: «يعسر دواؤه».
- (٩) هذه الكلمة ساقطة من ش.
- (١٠) خمر الإناء: غطاه.
- (١١) كرع في الماء أو في الإناء، كمنع وسمع، كرعاً وكروعاً: تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء.
- (١٢) محتضر، بالضاد المعجمة المفتوحة: تحضره الجن فيما يزعمون؛ قالوا: ولذلك يسرع إليه الفساد. وفي الأصل: «محتضر» بالمهمله. وليس صواباً.
- (١٣) ط: «مختصر» ش: «محتضر». وصوابه ما أثبت من هـ. وانظر التنبيه السابق.
- (١٤) اللفاح بالضم وتشديد الفاء: نبت عريض الورق؛ وله ثمر في حجم التفاح إلا أنه أصفر شديد العفوصة والقبض، فإذا نضج مال إلى حلاوة ما. ويسمى بالشام تفاح الجن. وأصله يتكون كصورة الإنسان بيديه ورجليه، ولذلك يسمى بالسريانية: «بيروحا» أي ينقصه الروح؛ ويسمى بالفارسية: «هزار كشاي» أي يحل ألف عقدة.
- (١٥) لا يزال هذا الزعم باقياً في مصر، والعامة عندنا إذا أرادوا أن يحفظوا البطيخ المشقوق من أذى الحيات والهوام، غيبوا نصل السكين في جوفه، فيعصمه ذلك من شر الهوام فيما يرون.
- (١٦) الحرف، بالضم: هو المعروف بحب الرشاد.
- (١٧) المرخوف، بالخاء المعجمة: الذي وضع عليه الماء فاسترخى. وهذه الكلمة محرفة في أصلها، فهي في ط، هـ: «المزخرف» وفي ش: «المرخوف» بالحاء المهملة.
- (١٨) هـ: «السداد» بالمهمله، تصحيف. وانظر العقد (6: 243).

(قوة بدن الحية)

وليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحية، إلا والحية أقوى بدنًا منه أضعافاً. ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها، أو في صدع إلى صدرها، لم يستطع أقوى الناس وهو قابض على ذنبها بكتلتا⁽¹⁾ يديه أن يخرجها؛ لشدة اعتمادها، وتعاون أجزائها. وليست بذات⁽²⁾ قوائم لها أظفار أو مخالب أو أظلاف⁽³⁾، تُشبَّهها في الأرض، [و⁽⁴⁾] تشبَّه بها⁽⁵⁾، وتعتمد عليها. وربما انقطعت في يدي⁽⁶⁾ الجاذب لها، مع أنها لدنة ملساء علكة⁽⁷⁾ فيحتاج الرفيق⁽⁸⁾ في أمرها عند ذلك، أن يرسلها من يديه بعض الإرسال، ثم ينشطها⁽⁹⁾ كالمختطف والمختلس، وربما انقطع ذنبها في يد الجاذب لها، فأما أذنان الأفاعي فإنها تنبت. ومن عجيب⁽¹⁰⁾ ما فيها من هذا الباب، أن نابها يُقطع بالكاز⁽¹¹⁾، فينبت حتى يتم نباته في أقل من ثلاث ليال.

(نزع عين الخطاف)

والخطاف في هذا الباب خلاف الخنزير، لأن الخطاف⁽¹²⁾ إذا قُلعت إحدى عينيه رجعت. وعين البرذون يركبها البياض، فيذهب في أيام يسيرة.

(الاحتيا لنب الأفعى)

وناب الأفعى يحتال له بأن يدخل في فيها حُمّاض أترج⁽¹³⁾، ويطبق لحيها⁽¹⁴⁾ الأعلى

(1) كذا على الصواب في ش؛ إذ أن كلا وكلتا إذا أُضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف. وفي ط، هـ: «بكتلي»، وهو خطأ.

(2) في الأصل: «بذي»، ووجهه ما أثبت.

(3) ط، هـ: «لها أظلاف»، صوابه في ش.

(4) الزيادة من ش، هـ.

(5) ش: «تثبت فيها».

(6) ط: «يد». وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة.

(7) علكة، كفرحة: من قولهم طعام عالك وعلك، ككتف: متين الممضعة. ط، هـ: «من أنها»، وإذا عكس المراد، إذ المعنى أن ملاستها تقتضي انزلاقها من يد الجاذب، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع.

(8) ش: «فتحتاج إلى الرفق»، وهي عبارة لا تساير باقي الكلام.

(9) نشط الشيء، من باب نصر: اختلسه.

(10) ش: «أعاجيب».

(11) الكاز، بالزاي: هو المقص بالفارسية، ط: «بالكار» صوابه في ش، هـ ومعجم بالمر، واستينجاس، وريشاردسن.

(12) ش: «الخنزير» صوابه في ط، هـ. وسيأتي في ص 80: «فإن نازعاً لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة».

(13) الأترج، سبق الحديث عنه في (3: 244)، وحماضه: شحمه.

(14) اللحى، بالفتح: العظم الذي فيه الأسنان من داخل الفم. ط، هـ: «لحيها» بالثنية، صوابه الأفراد كما في ش.

على الأسفل، فلا تقتل بعصتها أياماً صالحة. والمغناطيس الجاذب⁽¹⁾ للحديد، إذا حُكَّ عليه الثوم⁽²⁾، لم يجذب الحديد.

(خصائص الأفعى)

والأفعى لا تدور عينها في رأسها، وهي تلد وتبيض، وذلك أنها إذا طرقت ببيضها⁽³⁾ تحطم في جوفها، فترمى بفراخها أولاداً، حتى كأنها من الحيوان الذي يلد حيواناً مثله. وفي الأفاعي من العجب أنها تُذبح حتى يُفَرَّى منها كل ودج، فتبقى كذلك أياماً لا تموت. وأمرت⁽⁴⁾ الحايي فقبض على خرزة⁽⁵⁾ عنقها، فقلت له: اقبضها من الخرزة التي تليها قبضاً رقيقاً⁽⁶⁾. فما فتح بينها بقدر سم الإبرة حتى بردت ميتة⁽⁷⁾. وزعم أنه⁽⁸⁾ قد ذبح غيرها من الحيات فعاشت على شبيه بذلك، ثم إنه فصل تلك الخرزة على مثال ما صنع بالأفعى، فماتت بأسرع من الطرف.

(قوة بدن الممسوح)

وكل شيء ممسوح البدن⁽⁹⁾، ليس بذي أيدٍ ولا أرجل⁽¹⁰⁾، فإنه يكون شديد البدن، كالسمكة⁽¹¹⁾، والحية.

(حديث في سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب⁽¹²⁾ قال: باعني حواء ثلاثين أفعى بدينارين، وأهدى إليّ خمساً اصطادها من قبالة القلب⁽¹³⁾، في تلك الصحاري على شاطئ دجلة. قال: وأرذتها للترياق. [قال]: فقال لي حين جاءني بها: قل لي: من يعالجها؟ [قال]: فقلت له: فلان الصيدلاني. فقال: ليس عن هذا سألتك، قل لي: من يذبحها ويسلخها؟ قال: قلت: هذا الصيدلاني بعينه. قال: أخاف أن يكون مغروراً من نفسه؛ إنه والله إن أخطأ موضع المفصل من

(1) المغناطيس والمغناطيس، بكسر الميم من كل منهما، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر النون وفتح الطاء: حجر يجذب الحديد، معرب. وفي الأصل أيضاً: «الجاذبة». صوابه ما أثبت.

(2) الثوم، بالضم، ذاك النبات المعروف. ش: «عليها» وهي على الصواب في ط، هـ. وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها، هو أن بعض المواد إذا اقترنت بمادة أخرى فقدت بعض خواصها.

(3) طرقت ببيضها، بتشديد الراء: حان لها أن يخرج ببيضها. ط: «طرقت ببيضها» صوابه في ش، هـ.

(4) ط، هـ: «فأمرت» بالفاء.

(5) الخرزة، بالتحريك: الفقرة من فقرات الظهر أو العنق.

(6) ش: «من الفقرة»، والفقرة والخرزة سيان. هـ: «فصلاً رقيقاً». محرف.

(7) سم الإبرة: ثقبها. بردت: ماتت.

(8) الضمير المستكن، للحايي الذي سبق ذكره.

(9) هذه الكلمة ساقطة من هـ، و: «ممسوح» بالحاء المهملة، وقد فسره بما سيأتي. وفي الأصل: «ممسوخ» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف.

(10) ط: «رجل» والوجه الجمع كما في ش، هـ. (11) ط، هـ: «كالسمك».

(12) ش: «أحد بني غالب». والصواب ما أثبت من ط، هـ. ويؤيده اتفاق النسخ على إثبات «ابن غالب» في الصفحة 65

(13) موضع أو ماء، لم أهتم بعد إلى ضبطه أو تعيينه.

قفاه^(١)، وحركته أسرع من البرق، فإن كان لا يحسن^(٢) ولا يدري كيف يتغفله، فينقُرُهُ نَقْرَةً^(٣) لَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهَا أَبَدًا. ولكنني سَأَتَطَوَّعُ لَكَ بِأَنْ أَعْمَلَ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ. قال: فبعث إليه. وكان رأسه [إلى^(٤)] الجُونة^(٥)، فَيَغْفِلُ^(٦) الواحدة فيقبض على قفاهها بأسرع من الطُرف^(٧)، ثم يذبحها. فإذا ذبحها سال من أفواهها لعابٌ أبيض، فيقول: هذا هو السم الذي يقتل! قال: فجالت يده جَوْلَةً. وقطرت من ذلك اللعاب قطرةً على طَرفِ قميص الصيدلاني. قال: فَتَفَشَّى^(٨) ذلك القاطرُ حتَّى صار في قدر الدرهم العظيم. ثم إنَّ الحوَّاء امتَحَنَ ذلك الموضعَ فتهافت في يده، وبقيت الأفاعي مُدْبِجَةً^(٩) [تجول] في الطست ويكدم^(١٠) بعضها بعضاً، حتى أمسينا.

قال: وبكرت على أبي رجاء إلى باب الجسر، أحدثه بالحديث، فقال لي: وددت أني رأيت موضع القطرة من^(١١) قميص الصيدلاني! قال: فوالله ما رمتُ^(١٢) حتَّى مرَّ معي إلى الصيدلاني، فأريته موضعه. وأصحابنا يزعمون أنَّ لعاب الأفاعي لا يعملُ في الدَّم. إلاَّ أنَّ أحمَدَ بنَ المثنى زعم أنَّ من الأفاعي جنساً لا يضُرُّ الفراريح من بين الأشياء، ولا أدري أيُّ الخبرين أبعد: أخبر ابن غالب في تفسيخ الثوب، أو خبر ابن المثنى في سلامة الفروج على الأفعى؟

(ما تضيء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أنَّ العيون التي تضيء بالليل كأنها مصابيح، عُيون الأسد والنمور، والسَّنانير والأفاعي، فبينما نحنُ عنده إذ دخل عليه بعضُ من يجلب الأفاعي من سِجِسْتان، ويعملُ التَّرياقات، ويبيعها أحياءً ومَقْتُولَةً^(١٣)، فقال له: حَدَّثْتُمْ بِالَّذِي حَدَّثْتَنِي بِهِ مِنْ عَيْنِ الْأَفْعَى، قال: نَعَمْ، كُنْتُ فِي مَنْزِلِي نَائِمًا فِي ظِلْمَةٍ، وقد كنتُ جمعتُ رءوس أفاعٍ^(١٤) كُنْ

(١) ط: «قفاه» صوابه في ش، هـ. (٢) ش: «يحسن».

(٣) النقر، بالقاف: أصله للطير، واستعماله في الحيات غريب، لم أر مثله إلا فيما ورد في ص 107، وكذا في أثناء قصة رواها الجهشباري (في كتاب الوزراء والكتاب) بشأن حية مر بها رجل فقالت له: أدخلني في كمك حتى أذفا ثم أخرج. فأدخلها فلما دفنت قال لها: اخرجي! فقالت: إني ما دخلت في هذا المدخل قط فخرجت حتى أنقر نقرة. وبعدها: «والله لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة». كل أولئك بالقاف. انظر الجهشباري ص 56 س 14، 15، والمعروف في الأفاعي: نكر ينكر، بالنون ثم الكاف بعدها زاي معجمة، كما سيأتي في ص 145.

(٤) الزيادة من ش، هـ.

(٥) الجونة، بضم الجيم: سلبية (تصغير سلة) مغشا أدمًا (أي جلدًا مدبوغًا) تكون مع العطارين. ذاك أصلها. ط، هـ: «الجونة» بالحاء، صوابه في ش.

(٦) يقال أغفلت الرجل: أصبته ووجدته غافلاً، وعلى ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل: ﴿وَلَا تُطِيعَنَّ أَغْفَلًا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [كهف: 28]: اللسان. ش، هـ: «فيتغفل». يقال تغفلته واستغفلته: تحينت غفلته. والرواية المثبتة من ط.

(٧) الطرف: مصدر طرف بصره: أطبق أحد جفنيه على الآخر. والطرف أيضاً: العين. س: «في أسرع من الطرف».

(٨) تفشى بالفاء: انتشر واتسع. وفي اللسان: «تفشى الحبر: إذا كتب على كاغد رقيق فتمشى فيه». ط، ش: «فتعشى» بالعين بدل الفاء، ووجهه ما أثبت من هـ.

(٩) ط: «مدبوحه» وأثبت ما في ش، هـ. (١٠) يكدم: يعض. ط: «يكدم» بدون واو قبلهما.

(١١) ش، هـ: «في». (١٢) ما رمت، بكسر الراء من «رمت»: أي ما برحت.

(١٣) في الأصل: «معمولة». (١٤) «أفاعي» بإثبات الياء. والوجه حذفها.

عندي، لأرمي بها، وأغفلت تحت السرير رأساً واحداً، ففتحت عيني تجاه السرير في الظلمة فرأيت ضياءً إلا أنه ضئيل ضعيف رقيق، فقلت: عين غول أو بعض أولاد السعالي، وذهبت نفسي في ألوان من المعاني، فقامت فقدحت ناراً، وأخذت المصباح معي، ومضيت نحو السرير فلم أجد تحته إلا رأس أفعى⁽¹⁾، فأطفأت السراج ونمت⁽²⁾ وفتحت عيني، فإذا ذلك الضوء على حاله، فنهضت فصنعت كصنعي الأول، حتى فعلت ذلك مراراً. قال: فقلت آخر مرة: ما أرى⁽³⁾ شيئاً إلا رأس أفعى، فلو نحيت! فنحيت وأطفأت السراج، ثم رجعت إلى منامي، ففتحت عيني فلم أر الضوء، فعلمت أنه من عين الأفعى، ثم سألت عن ذلك، فإذا الأمر حق، وإذا هو مشهور في أهل هذه الصناعة.

(قوة بدن الحية وعلة ذلك)

قال: وربما قبض الرجل الشديد الأسر والقوة القبض على قفا الحية فتلتفت عليه فتصرعه. وفي صعودها وفي سعيها خلف الرجل الشديد الحضر، أو عند هربها حتى تفوت وتسبق، وليست بذات قوائم، وإنما تنساب على بطنها، وفي تدافع أجزائها وتعاونها، وفي حركة الكل⁽⁴⁾ من ذات نفسها، دليل على إفراط قوة بدنها. ومن ذلك أنها لا تمضغ، وإنما تبتلع، فربما كان في البضعة أو في الشيء الذي ابتلعته عظم، فتأتي جذم شجرة، أو حجراً شاخصاً⁽⁵⁾ فتطوي عليه انطواءً شديداً فيحطم⁽⁶⁾ ذلك العظم حتى يصير رفاتاً. ثم يقطع ذنبها فينبت. ثم تعيش في الماء، إن صارت في الماء، بعد أن كانت برية، وتعيش في البر بعد أن طال مكثها في الماء وصارت مائية.

قال: وإنما أتنها هذه القوة، واشتدت فقر ظهرها هذه الشدة؛ لكثرة أضلاعها، وذلك أن لها من الأضلاع عدد أيام الشهر، وهي مع ذلك أطول الحيوان عمراً.

(موت الحية)

ويزعمون أن الحية لا تموت حتف أنفها، وإنما تموت بعرض يعرض لها. ومع ذلك فإنه ليس في الحيوان شيء هو أصبر على جوع من حية، لأنها إن كانت شابة قد خلت في حائط صخر، فتتبعوا موضع مدخلها بوتد أو بحجر⁽⁷⁾، ثم هدموا هذا الحائط، وجدوها هناك

(1) الأفعى مؤنثة، وقد استعمت اسماً ووصفاً، فمن جعلها وصفاً لم يصرف كما لا يصرف أحمر، ومن جعلها اسماً صرف، كما صرف أرنباً وأفكلاً. المخصص (16: 106). هذا قول الفارسي. وقال غيره: «الأفعى تقع على المذكر والمؤنث». المخصص (16: 105).

(2) ش: «ونما»، ونام هنا بمعنى رقد. (3) ط، ه: «لا أرى».

(4) أي كل أجزائها، ط، ه: «حركتها الكل». صوابه في ش. والواو التي قبل «في» ساقطة من ط.

(5) شاخصاً: مرتفعاً. ش: «حجر شاخص» صوابه في ط، ه.

(6) ش: «فيحطم».

(7) ش: «حجر».

منطوية وهي حية. فالشابة تُذكر بالصبر عند هذه العلة⁽¹⁾، فإن هَرَمَتْ صَغَرَتْ في بدنِها، وأقْتَعَهَا النَّسِيم، ولم تشتهِ الطعام. وقد قال الشاعر: -وهو جاهلي⁽²⁾:

فابْعَثْ له من بعض أعراض اللَّمَمِ⁽³⁾ لَمِيْمَةً من حَنَشٍ أَعْمَى أَصَمَّ
قَدْ عاشَ حتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بَدَمَ فِكْلَمًا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجَوْعُ شَمَّ⁽⁴⁾
وهذا⁽⁵⁾ القول لهذا المعنى. وفي هذا الوجه يقول الشاعر⁽⁶⁾:

داهية قَدْ صَغَرَتْ من الْكِبَرِ⁽⁷⁾ صِلَ صَفًا ما يَنْطَوِي من الْقِصَرِ⁽⁸⁾
طويلة الإطراقِ من غير خَفَرٍ⁽⁹⁾ كأنما قد ذهبَتْ بها الْفِكْرُ⁽¹⁰⁾
جاء بها الطوفان أيامَ زَحَرٍ⁽¹¹⁾

(صَبَرُها على فَقْدِ الطَّعْمِ)

ومن أعاجيبها أنها وإن كانت مَوْصُوفَةً بالشَّرِّه والنَّهْم، وسُرْعَةِ الابتلاع، فلها في الصبر في أيام الشتاء ما ليس للزَّهيد⁽¹²⁾، ثم هي بعدُ [مِمَّا]⁽¹³⁾ يصير بها الحال إلى أن تستغني عن الطَّعْمِ⁽¹⁴⁾.

- (1) أي تذكر بالصبر على الجوع. والعبارة ساقطة من هـ. وفي ط، ش: «تذكر الضمر». وصوابه ما أثب.
- (2) مثله في ص 164، وبعض هذا الرجز سيأتي في (6: 81، 258).
- (3) اللمم، بالتحريك: ما يلم بالإنسان من شدة، ومثله «اللمة» بالفتح. وقد صغرها فيما سيأتي.
- (4) أي شم الهواء، يطعمه بدل الطعام، كما سبق. ط، هـ: «سم» بالمهملة، صوابه في ش وفي ص 183، وأقصده: أصابه إصابة محققة.
- (5) ش: «فهذا».
- (6) هو خلف الأحمر كما سيأتي في ص 166، أو هو النابغة كما في ديوان المعاني (2: 145) وأصل نهاية الأرب (10: 145) وحماسة ابن الشجري 273 - 274، وفي مجموعة المعاني، لمؤلف مجهول 195: «وقال النابغة» ونسبت إلى خلف الأحمر.
- (7) ضبطت: «داهية» بالنصب في المخصص (8: 109)، وروى صاحب المخصص أيضاً «حارية» بالنصب كذلك.
- (8) الصفا: الحجر الصلب الضخم لا ينبت شيئاً. ط: «صغا» صوابه في ش، هـ يقول: قد قصر حتى ما يمكن انطواؤه. في نهاية الأرب: «لا تنطوي»، وفي ديوان المعاني: «لا ينطوي»، وفي حماسة ابن الشجري: «ما ينتوي»، وهذه مصحفة.
- (9) الإطراق، بالقاف: إرخاء العينين والنظر بهما إلى الأرض. ط، هـ: «الأطراف» بالفاء. ومثله في ديوان المعاني، ونهاية الأرب. وهو تصحيف لا وجه له، والصواب المثبت من ش وحماسة ابن الشجري. والخفر: شدة الحياء، وهذه الكلمة محرفة في الأصل، فهي في ط: «نفر» وفي ش، هـ: «نفر» وفي أصل نهاية الأرب «حفر»، وصوابها في ديوان المعاني وحماسة ابن الشجري. والرواية في ص 166: «حسر»، وقد أثبت «طويلة» لأن الصل بمعنى الحية، وهي مؤنثة.
- (10) كذا في ط، هـ. ورواية ش: «كمطرق قد ذهب به الفكر».
- (11) زخر، بالزاي المعجمة: كثر ماؤه وعظمت أمواجه. هـ: «ذخر» محرف.
- (12) في التهذيب: «رجل زهيد وامرأة زهيدة، وهما القليل الطعم». والطعم، بالضم: الطعام.
- (13) من ش، هـ. (14) ط: «الطم» صوابه في ش، هـ.

(النمس والثعابين)

ثُمَّ قَدْ يَزْعُمُونَ أَنَّ بِمَصْرِ دَوِيبَةً يُقَالُ لَهَا النَّمْسُ ⁽¹⁾ يَتَخَذُهَا النَّاطُورُ ⁽²⁾ إِذَا اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنَ الثَّعَابِينَ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الدَّابَّةَ تَنْقَبُضُ وَتَنْضُمُ، وَتَتَضَاعَلُ ⁽³⁾ وَتَسْتَدَقُّ، حَتَّى كَأَنَّهَا قَدِيدَةٌ ⁽⁴⁾ أَوْ قِطْعَةٌ حَبْلٍ، فَإِذَا عَضَّهَا الثَّعْبَانِ وَانطَوَى عَلَيْهَا زَفَرَتْ، وَأَخَذَتْ بِنَفْسِهَا وَزَحَرَتْ ⁽⁵⁾ جَوْفَهَا فَانْتَفَخَ. فَتَفْعَلُ ذَلِكَ وَقَدْ انطَوَى عَلَيْهَا، فَتَقْطَعُهُ قِطْعَةً مِنَ شِدَّةِ الرَّخْرِ ⁽⁶⁾. وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْأَحَادِيثِ.

(القوائل من الحيات)

وَالثَّعَابِينَ إِحْدَى الْقَوَائِلِ. وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا ثَلَاثَةُ أَجْناسٍ لَا يَنْجَعُ فِيهَا رُقِيَّةٌ وَلَا حِيلَةٌ، كَالثَّعْبَانِ، وَالْأَفْعَى، وَالْهَنْدِيَّةِ ⁽⁷⁾. وَيُقَالُ: إِنَّ مَا سِوَاهَا فَإِنَّمَا يَقْتُلُ مَعَ مَا يُمِدُّهَا مِنَ الْفَرْعِ؛ فَقَدْ يَفْعَلُ الْفَرْعَ وَحْدَهُ؛ فَكَيْفَ إِذَا قَارَنَ سُمُّهَا ⁽⁸⁾؟! [وَسُمُّهَا] ⁽⁹⁾ إِنْ لَمْ يَقْتُلْ أَمْرَضَ.

(ما يفعل الفرع في المسموم)

وَيَزْعُمُونَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ ⁽¹⁰⁾ تَحَتَّ شَجَرَةٍ، فَتَدَلَّتْ عَلَيْهِ حَيَّةٌ مِنْهَا فَعَضَّتْ رَأْسَهُ، فَانْتَبَهَ مُحَمَّرَ الْوَجْهِ، فَحَكَ رَأْسَهُ، وَتَلَفَّتْ ⁽¹¹⁾، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَوَضَعَ رَأْسَهُ يَنَامُ، وَأَقَامَ مَدَّةً طَوِيلَةً لَا يَرَى بِأَسَاءَ، فَقَالَ لَهُ ⁽¹²⁾ بَعْضُ مَنْ كَانَ رَأَى تَدَلِّيَهَا عَلَيْهِ ثُمَّ تَقْلَصَّهَا عَنْهُ وَهَرَوَبَهَا مِنْهُ ⁽¹³⁾: هَلْ

(1) النمس، بالكسر: حيوان أكدر اللون أحمر العينين قصير القوائم طويل الجسم والذنب، ولا يزال معروفًا في مصر، يراه الفلاحون في بعض المزارع، ويستأنسه بعض التجار في حوانيتهم. والعامية يضربون بعينه المثل، فيقولون: «عينه كعين النمس، وفلان نمس، يعنون بالأول أنه حديد البصر سريع، وبالثاني أنه ألمعي حاذق لا تفوته الفرصة.

(2) الناطور: حافظ النخل والشجر، قيل إنه دخيل، وقال الأصمعي: هو الناطور والنبط يجعلون الظاء طاء، ألا تراهم يقولون «برطلة» وإنما هو ابن الظل. قلت: ذاك معناها التفصيلي الاشتقاقي، وكلمة «بر» بمعنى الابن بالنبطية، فهو يريد أن النبط ألغوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب. ومعنى الكلمة: المظلة الضيقة. انظر المعرب ص 147 ثم ص 29.

(3) تنضال: تنقبض وينضم بعضها إلى بعض. وهذه الكلمة ساقطة من ش، ومحرفة في ط، هـ برسم «تنصال».

(4) قديدة: مصغر القدة بالكسر، وهي واحدة القد، كما في القاموس. والقُد: سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ، فتشد بها الأقتاب والمحامل، كما في اللسان. ط، هـ: «فريدة» صوابه في ش. وانظر أواخر مفاخرة الجوّاري والغلمان من رسائل الجاحظ.

(5) زخر الشيء: ملأه، كما في القاموس. س: «زحرت»، وكتبت النقطة العليا بالمداد الأحمر، والسفلى بالأسود، ولم أستطع توجيه: «زجرت» بالجيم.

(6) هـ: «الزجرة»، وانظر التنبيه السابق. ش: «الزحرة» مصحفة.

(7) في العبارة نقص وتشويه. وانظر ما نقل الدميري عن الجاحظ (1: 411).

(8) ط، هـ: «قارنه».

(9) ليست بالأصل. والكلام في حاجة إليها.

(10) قال، هنا، بمعنى نام في القائلة، وهي نصف النهار.

(11) ط، هـ: «ويلتفت»، وأثبت ما في ش والدميري. (12) بدل هذه العبارة في ش: «فلما كان ذلك قال».

(13) «وهروبها منه» ساقط من ش. وفي ط، هـ: «من كان رأي حاله» إلخ.

علمت من أي شيء كان انتباهك تحت الشجرة؟ قال: لا والله، ما علمت، قالك بلى، فإن الحية الفلانية نزلت عليك حتى عضت رأسك، فلما جلست [فزعا] تقلصت عنك وتراجعت. ففرع فرعة وصرخ صرخة كانت فيها نفسه. وكأنهم توهّموا أنه لما فرع واضطرب، وقد كان ذلك السم مغموراً ممنوعاً فزال ما نعه، وأوغله ذلك الفرع، حين⁽¹⁾ تفتحت منافسه، إلى موضع الصميم والدماغ وعمق البدن، فأنحل موضع العقد الذي انعقدت عليه أجزاءه وأخلطه. وأنشد الأصمعي:

نَكِيثَةٌ تَنْهَشُهُ بِمَنْبَذٍ⁽²⁾

وأنشد لأبي ذؤاد الإيادي:

فَأَتَانِي تَفْخِيمٌ كَغَبٍ لِي الْمَنْدُ طَقَّ إِنِ النَّكِيثَةُ الْإِفْحَامُ⁽³⁾

(أثر الفرع في فعل السم)

قال: فالفرع إما أن يكون يوصل السم إلى المقاتل، وإما أن يكون معيناً له، كتعاون الرجلين على نزع وتد. فهم⁽⁴⁾ لا يجزمون على أن الحية من القوالب البتة⁽⁵⁾، إلا أن تقتل إذا عضت النائم والمغشي عليه، والطفل الغريز، والمجنون الذي لا يعقل، وحتى تجرب عليه الأدوية.

(الترياق وانقلاب الأفعى)

وكنت يوماً عند أبي عبد الله أحمد بن أبي ذؤاد، وكان عنده سلمويه⁽⁶⁾ وابن ما سويه، وبختيشوع بن جبريل، فقال: هل ينفع الترياق من نهشة أفعى؟ فقال بعضهم: إذا عضت الأفعى فأدركت قبل أن تنقلب⁽⁷⁾ نفع الترياق، وإن لم تدرك لم ينفع؛ لأنهم إن قللوا من الترياق قتله السم، وإن كثروا منه قتله الفاضل عن مقدار الحاجة.

قلت: فإن ابن العجوز⁽⁸⁾ خبرني بأنها⁽⁹⁾ ليست تنقلب لمج السم وإفراغه، ولكن الأفعى في نابها عصل⁽¹⁰⁾، وإذا عضت استفرغت إدخال الثأب كله، وهو أحجن أعصل⁽¹¹⁾،

(1) في الأصل: «حتى». (2) ط، ه: «ونكشة».

(3) التفخيم: أن يجعله يقحم أي يدخل في الأمر فجأة بلا روية. في الأصل: «تفخيم» صوابه في الشعراء 189، وكعب، هو كعب بن مامة، الرجل الجواد، وكان قد بلغ أبا ذؤاد شيء عنه. الشعراء 189، وفي الأصل: «إلى المنطق» تصحيحه من الشعراء. والنكيسة: الخطئة الصعبة، ط، ه: «النكيسة» صوابه في ش والشعراء. والإفحام بمعنى التفخيم، ط، ه: «الإفحام» تصحيحه من ش والشعراء، وقد روى ابن قتيبة أربعة عشر بيتاً من هذه القصيدة.

(4) بدل هذه الكلمة والتي قبلها في ط: «وتراهم»، تحريف صوابه في ش، ه.

(5) يقال: حزم على الأمر، بفتح الزاي مخففة، أو مشددة: أي سكت. ش: «لا يجزمون أن الحية» إلخ، ومؤدي العبارتين واحد عند التأمل.

(6) في الأصل: «وكان أخذ داود عنده سلمويه»، والكلمة الثانية والثالثة يفسدان الكلام.

(7) ش: «تقلب». (8) في ص 250: «ابن أبي العجوز». وهو أحد الحواريين.

(9) ش: «بأن الأفعى».

(10) العصل، بالصاد المهملة والتحريك: الأعوجاج. ش، ه: «عصل» مصحف.

(11) ش: «أعصل»، بالصاد المهملة كما في ه، ط.

فيه مشابه من الشَّصِّ (1)، فإذا انقلبت كان أسهل لنزعه وسله. فأما لصب السم وإفراغه فلا. قال: والله لعله ما قلت! [قلت]: ما أسرَعَ ما شككت!!

ثم قلت له: فكأنما (2) وضعوا الترياق واجتلبوا الأفاعي وضئوا (3) وعزموا على أنه لا ينفع إلا بدرك الأفعى قبل أن تنقلب! وكيف صار الترياق بعد الانقلاب لا يكون إلا في إحدى منزلتين: إما أن يقتل بكثرته، وإما ألا ينفع بقلته! فكأن الترياق ليس نفعه إلا [في (4)] المنزلة الوسطى التي لا تكون فاضلة ولا ناقصة! ولكني أقول لك: كيف يكون نفعه إذا كان الترياق جيداً قوياً، وعوجل فسقي المقدار الأوسط، قبل أن يبلغ الصميم، ويغوص في العمق (5)، وعلى هذا وضع، وهم كانوا أحزم وأحذق من أن يتكلفوا شيئاً، ومقداره من النفع لا يوصل إلى معرفته.

ويقول بعض الحذاق: إن سقي الترياق بعد النهش بساعة أو ساعتين مَوْتُ المنهوش.

ثم قلت له: وما علمك؟ وبأي سبب أيقنت (6) أنها تمج من جوف نابها شيئاً؟! ولعله ليس هنالك إلا مخالطة جوهر ذلك الثاب لدم الإنسان! أولسنا قد نجد من الإنسان من يعص صاحب فيقتله، ويكون معروفاً بذلك؟! وقد تقررون أن الهنديّة والثعبان يقتلان، إما بمخالطة (7) الرقيق والدم، وإما بمخالطة السن والدم، من غير أن تدعوا أن أسنانهما مجوفة (8). وقد أجمع جميع أصحاب التجارب أن الحية تضرب بقصبة (9) فتكون أشد عليها من العصا. وقد يضرب الرجل على جسده بقضبان اللوز وقضبان الرمان، وقضبان اللوز أعلك (10) وألدن، ولكنها أسلم (11)، وقضبان الرمان أخف وأسحف ولكنها أعطب. وقد يطاء الإنسان على عظم حية أو إبرة عقرب، وهما ميتين، فيلقى الجهد، وقد يخرج السكين من الكير وهو مُحَمَّى، فيغمس في اللبن فمتى خالط الدم قام مقام السم، من غير أن يكون مَجَّ في الدم رطوبة غليظة أو رقيقة.

وبعض الحجارة يكوى بها - وهو رخو - الأورام حتى يفرقها ويحمصها (12) من غير أن يكون نفذ إليها شيء منه، وليس إلا الملاقة.

قلت (13): ولعل قوى قد انفصلت من أنياب الأفاعي إلى دماء الناس. وقد رَوَوْا أنه قيل

(1) هذه العبارة ليست في هـ، وط، ش: «النقص». ووجه ما أثبت.

(2) في الأصل: «إنما». (3) كذا.

(4) ليست بالأصل.

(5) أي عمق البدن، كما مر في 69 س 5، وفي الأصل: «العميق».

(6) كذا في ش. وفي ط، هـ: «علمت». (7) ط، هـ: «لمخالطة».

(8) ش: «جوف»: جمع جوفاء. (9) ش: «بعضية»: تصغير عصا، صوابه في ط، هـ.

(10) أعلك بمعنى أشد وأمتن. ويقال: طعام عالك وعلك - ككتف: متين الممضغة. وألدن. من اللدونة، وهي اللين. واللدن: اللين.

(11) ط، ش: «اسم» صوابهما في هـ.

(12) ط: «حتى يفرقها» س: «حتى يفرقها» صوابه في هـ. ويحمصها: يجعلها تنحصر أي تنقبض وتتضاءل وتسكن. هـ: «يخمصها» بالخاء المعجمة، وهي صحيحة بمعنى الأولى.

(13) في الأصل: «فإن قلت». وصوابه حذف «فإن»، وقراءة الفعل بضمير المتكلم، وهو الجاحظ. وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض الأشياء، في الجزء الثاني من الحيوان ص 79 - 81.

لجالينوس: إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا يَرْقَى الْعُقَارِبَ فَيَمُوتُ، أَوْ تَنْحَلُّ فَلَا تَعْمَلُ، فَرَأَاهُ يَرْقِيهَا وَيَتَفَلَّعُ عَلَيْهَا، فَدَعَا بِهِ بِحَضْرَةِ جَمَاعَةٍ وَهُوَ عَلَى الرَّيْقِ، وَدَعَا بِغَدَائِهِ فَتَعَدَّى مَعَهُ، ثُمَّ دَعَا لَهُ بِالْعُقَارِبِ فَتَفَلَّعَ عَلَيْهَا، فَلَمْ يَجِدْ لِعَابَهُ يَصْنَعُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَيْقًا. وَهُوَ حَدِيثٌ يَدُورُ بَيْنَ أَهْلِ الطَّبِّ، وَأَنْتَ طَبِيبٌ. فَلَمْ أَرَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ قَالَ شَيْئًا إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْحَزَرِ وَالْحَدَسِ، وَالبَلَاغَاتِ.

(السُّمُومُ)

وسمومُ الحَيَّاتِ ذَوَاتِ الْأَنْبِيَابِ، وَالْعُقَارِبِ ذَوَاتِ الْإِبْرِ، إِنَّمَا تَعْمَلُ فِي الدَّمِّ بِالْإِجْمَادِ وَالْإِذَابَةِ. وَكَذَا سُمُومُ ذَوَاتِ الشَّعْرِ وَالْقُرُونِ وَالْجَمِّ، إِنَّمَا تَعْمَلُ فِي الْعَصَبِ، وَمِنْهَا مَا يَعْمَلُ فِي الدَّمِّ.

(شَرِبَ الْمَسْمُومَ لِلْبَيْنِ)

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ: كُنْتُ إِذَا بَرَمَائِي⁽¹⁾ وَإِذَا بَبَارِي⁽²⁾ وَهُمَا بِلَادُ حَيَّاتٍ وَأَفَاعٍ⁽³⁾، وَنَحْنُ فِي عُزْسٍ، إِذَا دَخَلُوا الْخِذَرَ الْعُرُوسَ⁽⁴⁾ فَأَبْطَلُوا عَلَيْهِ شَيْئًا، فَأَغْفَى وَتَلَوْتُ عَلَى ذِرَاعِهِ أَفْعَى⁽⁵⁾، فَذَهَبَ يَنْفُضُهَا وَحَجَمْتُ عَلَى ذِرَاعِهِ - وَقَدْ يُقَالُ ذَلِكَ إِذَا كَانَتِ الْعَضَّةُ فِي صُورَةِ شَرْطِ الْحَجَّامِ - فَصَرَخَ وَجَاءُوا يَتَعَادَوْنَ⁽⁶⁾ فَوَجَدُوهَا فَقَتَلُوهَا، وَسَقَّوْهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَبَنٍ أَرْبَعِينَ عَنَزًا، كُلَّمَا اسْتَقَرَّ فِي جَوْفِهِ قَعْبٌ مِنْ ذَلِكَ اللَّبَنِ قَاءَ فَيَخْرُجُ مِنْهُ كَأَمْثَالِ طَلْعِ⁽⁷⁾ الْفُحَالِ الْأَبْيَضِ⁽⁸⁾، فِيهِ طَرَائِقُ مِنْ دَسَمٍ تَعْلُوهُ خَضْرَاءُ، حَتَّى اسْتَوْفَى ذَلِكَ اللَّبَنُ كُلَّهُ. قَالَ: فَعِنْدَهَا قَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ: إِنْ كُنْتُمْ أَخْرَجْتُمْ ذَلِكَ السِّمَّ فَقَدْ أَخْرَجْتُمْ نَفْسَهُ مَعَهُ! قَالَ: فَغَبَرَ أَيَّامًا بِأَسْوَأِ حَالٍ ثُمَّ مَاتَ. قَالَ: وَكُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ سُرْعَةِ اسْتِحَالَةِ اللَّبَنِ وَجُمُودِهِ.

(اِكْتِفَاءُ الْحَيَاتِ وَالضُّبَابِ بِالنَّسِيمِ)

قُلْتُ: وَالْحَيَاتُ الْبَرِّيَّةُ إِذَا هَرِمَتْ تَنْسَمِتُ النَّسِيمَ فَاكْتَفَتْ بِهِ⁽⁹⁾، وَكَذَلِكَ الضُّبَابُ إِذَا هَرِمَتْ.

قَالَ: وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ لِلْمَائِيَّةِ مِنْ حَيَّاتِ الْغِيَاضِ⁽¹⁰⁾ وَشُطُوطِ الْأَنْهَارِ، وَمَنَاقِعِ⁽¹¹⁾ الْمِيَاهِ.

(1) هـ: «برمائي». (2) ش: «بباري».

(3) فِي الْأَصْلِ: «أَفَاعِي»، بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ، وَصَوَابِهِ مَا أَثْبَتَ.

(4) الْعُرُوسُ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَالْمَرَادُ هُنَا: الرَّجُلُ.

(5) انْظُرْ مَا كَتَبْتُ عَنْ هَذَا اللَّفْظِ فِي ص 66. (6) يَتَعَادَوْنَ: يَتَبَارَوْنَ فِي الْعَدُوِّ.

(7) هَذِهِ الْكَلِمَةُ لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ، وَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ وَالطَّلْعُ: نُورُ النَّخْلِ مَا دَامَ فِي الْكَافُورِ، أَيْ الْغُلَافِ.

(8) الْفُحَالُ، كَرَمَانُ: الذَّكَرُ مِنَ النَّخْلِ. وَالْأَبْيَضُ صِفَةُ لِلطَّلْعِ لَا لِلْفُحَالِ.

(9) ش: «واكتفت بذلك».

(10) الْغِيَاضُ: جَمْعُ غَيْضَةٍ بِالْفَتْحِ، وَهِيَ مَجْتَمِعُ الصَّخَرِ فِي مَغِيضِ مَاءٍ. هـ: «الغيات» محرف.

(11) مَنَاقِعُ، بِالْقَافِ: جَمْعُ مَنَقَعٍ بِالْفَتْحِ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ يَسْتَنْقِعُ فِيهِ الْمَاءُ. ط: «مَنَاقِعُ»، صَوَابُهُ فِي ش، هـ.

(الحيات المائية)

قال: والحيات المائية، إمّا أن تكون بريّة أو جبليّة، فاكسحتها السيول واحتملتها في كثيرٍ من أصناف الحشرات والدوابّ والسباع، فتوالدت تلك الحيات وتلاقحت هناك. وإمّا أن تكون كانت أمهاتها وأبائها في حيات الماء. وكيف دارت الأمور فإنّ الحيات في أصل الطبع مائيّة. وهي تعيش في الندى، وفي الماء، وفي البرّ وفي البحر، وفي الصخر والرمل. ومن طباعها أن ترقّ وتلطّف على شكلين: أحدها لطول العمر، والآخر للبعد من الرّيف. وعلى حسب ذلك تعظم في المياه والغياض.

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال: وكلّ شيء في الماء ممّا يعايش السمك، ممّا أشبه الحيات كالمارماهي⁽¹⁾ والأنكليس⁽²⁾ فإنها⁽³⁾ كلها على ضربين: فأحدهما من أولاد الحيات، انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء. والآخر من نسل سمك وحيات تلاقحت⁽⁴⁾؛ إذ⁽⁵⁾ كان [طباع⁽⁶⁾] السمك قريباً من طباع تلك الحيات. والحيات في الأصل مائيّة، وكلّها كانت حيات.

(قراءة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهل البصرة أنّ مُشان⁽⁷⁾ الكوفة قريب⁽⁸⁾ من بُرنّي⁽⁹⁾ البصرة، قلبته البلدة.

- (1) المارماهي: ضرب من السمك الشبيه بالحيات، وليس بحيات، واللفظ فارسي وضبطت راؤه بالكسر في معجم Palmer، ط، هـ: «الماء ما هي» صوابه في ش.
- (2) الأنكليس: ضرب من حيات الماء. وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين. وقد وجدت الدميري يقول إنهما نوع واحد. انظر رسمي (الأنكليس، والجري) فيه. وقال داود في التذكرة: «مارماهي هو حيات الماء المعروف عندنا بالأنكليس، سمك شبيه بالحيات». ولفظه يوناني معرف كما في معجم المعلوف وضبطه صاحب القاموس، وكذا الدميري، بفتح الهمزة واللام وبكسرهما، ويقال فيه أيضاً: «أنفليس» بالقاف.
- (3) في الأصل: «وإنها».
- (4) ط، هـ: «وتلاقحت»، والصواب حذف الواو كما في ش.
- (5) ش: «إذا»، صوابه ما أثبت من ط، هـ. (6) ليست بالأصل. وبها يلتئم الكلام.
- (7) المشان كغراب وكتاب: نوع من أطيب الرطب، واللفظ معرب «موشان» الفارسية معناه أم الجرذان، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربي إلى لغتهم. وكلمة «موش» معناها الفأر بالفارسية. والألف والنون علامة الجمع عندهم. وأم جرذان: نوع من التمر كبار، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر، وروى صاحب اللسان عن أبي حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكاً، قال الساجع: «إذا طلعت الخراتان، أكلت أم جرذان». وروى عنه - أي عن أبي حنيفة - صاحب المخصص أنها نخلة تحبها الجرذان فتصعدھا فتأكل منها.
- (8) في الأصل: «قريباً».
- (9) البرني، بالضم وبالفتح: ضرب من التمر، جاء في المخصص (11: 133): «وأم جرذان بالمدينة مثل البرني بالبصرة، تلقط أبداً حتى لا يبقى عليها شيء». وهو معرب من «برنيك» الفارسية، «بر» بمعنى حمل، و«نيك» بمعنى جيد، فمعناه الحمل الجيد. وهذه الكلمة محرفة في الأصل، فهي في ط، هـ: «مسان» وفي ش: «قربناً» والوجه فيه ما ذكرت، انظر التنبيه السابع من هذه الصفحة.

ويزعمُ أهلُ الحجاز أنَّ نخلَ النارجيل^(١) هو نخلُ المُثُل^(٢)، ولكِنَّه انقلبَ لطباعِ البلدة. وأشباه ذلك كثير. ويزعمون أنَّ الفيلةَ مائيةُ الطَّباعِ بالجاموسيةِ والخنزيريةِ التي فيها.

(الذئب والنسيم)

قال: والذئبُ أيضاً، وإن كان عندهم^(٣) ممَّا لا يجتزي بالنَّسيم^(٤)، فإنَّه من الحيوان الذي يفتح فاه للنَّسيم؛ ليبرد جوفه من اللَّهيب^(٥) الذي يعتري السَّباع؛ ولأنَّ ذلك يمدُّ قوته، ويقطع عنه ببرودته^(٦) ولطافته الرِّيق. فإن كان ذا سَعَر^(٧) [إذا عدا^(٨)] احتشى ريحاً.

(اختلاف صبر)

(الذئب والأسد على الطعام)

وربَّما جاعَ الأسدُ ففعلَ فعلَ الذئب، فالأسد والذئب يختلفان في الجوع والصبر؛ لأنَّ الأسدَ شديدُ التَّهم، رغيبٌ حريصٌ شَرٌّ؛ وهو مع ذلك يحتملُ أن يبقى أياماً لا يأكل شيئاً. والذئب وإن كان أفقر^(٩) منزلاً، وأقلَّ خُصباً وأكثرَ كدًا^(١٠) وإخفاقاً، فلا بدَّ له من شيءٍ يُلقِيه في جوفه، فإذا لم يجد شيئاً استعار النسيم.

(حيلة بعض الجائعين)

والنَّاس إذا جاعُوا واشتدَّ جوعُهُم شدُّوا على بطونهم العمامِمْ. فإن استقلوا، وإلَّا شدُّوا الحجرَ^(١١).

(١) النارجيل: الجوز الهندي، تعريب «نارجيل». وضبط بفتح الراء ضبط قلم في القاموس واللسان. ط:

«النارجيلي»، صوابه في ش، هـ.

(٢) المقل، بالضم: حمل شجرة الدوم.

(٣) ط، ش: «عنده» صوابه في هـ.

(٤) في الأصل: «الهرم منها لا يجتزي بالنسيم»، وكلمة «الهرم» مقحمة، وكلمة «منها» محرفة عما أثبت.

(٥) ش: «اللَّهث».

(٦) ش: «برده».

(٧) السعَر، بالضم: الجوع والحر. وفي الأصل: «سحر». ولا وجه له.

(٨) الزيادة من ش، هـ.

(٩) كذا على الصواب في ط، هـ ومباهج الفكر والدميري وثمار القلوب 301 وفي ش: «أفعد» ولا وجه له.

(١٠) كذا في الأصل ومباهج الفكر والدميري. والكد: الشدة في العمل، والإلحاح في محاولة الشيء. وربما كانت

هذه الكلمة: «إكداء»، والإكداء بمعنى الإخفاق.

(١١) روى ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث 318 أن رسول الله ﷺ بعدما دعا على مضر بقوله: «اللهم اشدد وطأتك

على مضر». إلخ - نال الجذب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من

الجوع. ط: «الحجز» صوابه في ش، هـ.

(شعر في الذئب)

وَأَنْشَدُ⁽¹⁾:كَسِيدِ الْغَضَى الْعَادِي أَضْلَ جِرَاءُ⁽²⁾ عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ⁽³⁾كَأَنَّهُ يَجْمَعُ اسْتِدْخَالَ الرِّيحِ وَالنَّسِيمِ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَ جِرَائِهِ. وَقَالَ
الرَّاجِزُ⁽⁴⁾:يَسْتَخْبِرُ⁽⁵⁾ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ⁽⁶⁾

(شَمُّ الظِّلِمِ)

وَالظِّلِمِ يَكُونُ عَلَى بِيضِهِ فَيَشُمُّ رِيحَ الْقَانَصِ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ غُلْوَةٍ، وَيَبْعُدُ عَنْ رِثَالِهِ⁽⁷⁾ فَيَشُمُّ
رِيحَهَا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ. وَأَنْشَدَنِي يَحْيَى بْنُ نُجَيْمٍ⁽⁸⁾ بَنَ زَمْعَةَ قَالَ:أَشُمُّ مِنْ هَيْقٍ وَأَهْدَى مِنْ جَمَلٍ⁽⁹⁾وَأَنْشَدَنِي عَمْرُو بْنُ كِرْكِرَةَ⁽¹⁰⁾:

مَا زَالَ يَشْتُمُّ اشْتِمَامَ الْهَيْقِ

قَالَ وَإِنَّمَا جَعَلَهُ ذَنْبٌ غَضَى لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ذَنْبُ الْخَمْرِ⁽¹¹⁾ أَخْبَثُ. وَيَقُولُونَ: شَيْطَانُ
الْحِمَاطَةِ⁽¹²⁾. يَرِيدُونَ الْحَيَّةَ.

(1) ط: «وَأَنْشَدُوا».

(2) السيد: الذئب، والغضى: الخمر بالتحريك، وهو ما وارك من شجر وغيره، وذئب الغضى أخنث الذئاب. العادي، بالذال: الذي يعدو. أضل جراءة: فقد أولاده، والجراءة، بالكسر: جمع جرو. ط، هـ: «أصل»، ط، هـ، ش: «جرأة»، وذانك تصحيفان.

(3) الشرف: ما علا من الأرض، وإنما يستقبل الريح ليتشمم ريح أولاده. يلحَب: يسرع.

(4) هو أبو الرديني العكلي، كما أسلفت في الجزء الأول ص 55 نقلاً عن البيان.

(5) ط: «يستخبر» صوابه في ش، هـ والبيان (1: 82). وفي اللسان: (مخر، قرع)، «يستمخر» وقال: «استمخرها: قابلهما بأنفه ليكون أروح لنفسه».

(6) المقراع: الفأس يكسر بها الصخر. الموقع: المحدد. وقع الحديدية: حدها.

(7) الرثال: جمع رأل، وهو فرخ النعام.

(8) في الأصل: «لحيم» باللام، وهو تحريف. وقد سبقت ترجمة يحيى بن نجيم في (2: 203).

(9) الهيق، بالفتح: ذكر النعام. وأهدى: من الهداية.

(10) سبقت ترجمته في (3: 293)، ط: «عمر» صوابه في ش، هـ.

(11) الخمر، بالتحريك: ما وارك من شجر وغيره.

(12) الحماطة، بالفتح: واحدة الحماط، وهو شجر التين الجبلي، والحيات تألفه.

(بعض ضروب الحيات)

وكل حية خفيفة الجسم فهي شيطان⁽¹⁾. والثقال لا تنشط من أرض إلى أرض، وتثقل عما تبلّغه المستطيلات الخفاف. وقال طرفة:

تلاعب مثنى حُزَمِي كَأَنَّهُ تَعَمُّجُ شَيْطَانٍ بِذِي خِرُوعٍ قَفَرٍ⁽²⁾

الكرماني عن أنس - ولا أدري من أنس هذا - في صفة ناقة:

شَنَاحِيَّةٌ فِيهَا شَنَاحٌ كَأَنَّهَا حَبَابٌ بِكَفِّ الشَّأْوِ مِنْ أَسْطَعِ حَشِيرٍ⁽³⁾

والحباب: الحية الذكر.

(بعض المضاف)

إلى النبات من الحيوان

وكما يقولون: ذئب الخمر، يقولون: أرنب الخلّة⁽⁴⁾، وتيس الرّبل⁽⁵⁾ وضبّ السّحّا⁽⁶⁾. والسّحّا بقلّة تحسّن حاله⁽⁷⁾ من أكلها.

وكذلك يقولون: «ما هو إلاّ فُنْفُدُ بُرْقَة»⁽⁸⁾ لأنه يكون أخبث له. وذلك كلّ على قدر طبائع البلدان والأغذية العاملة في طبائع الحيوان.

(بعض طبائع البلدان)

ألا ترى أنّهم يزعمون أنّ من دخل أرض ثبّت⁽⁹⁾ لم يزل ضاحكاً مسروراً، من غير

(1) قال الجاحظ في (1: 124): «ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطاناً».

(2) ط: «خضرمي»، صوابه في ش، هـ. تعمج: تلو. ط، هـ: «تقمح» صواب في ش. وقد سبق البيت في (1: 124) وسيعاد في (6: 122).

(3) الشناحية: الطويلة الجسيمة. والشأو: الزمام. ط: «الشاء» صوابه في ش، هـ والجزء الأول ص 124، والأسطع: العنق الطويل. والحشير: المستوى.

(4) الخلّة، بالضم: شجرة شاكة، وفي ثمار القلوب 330: «الحلة» بالحاء المهملة وهي بالكسر: شجرة شاكة أيضاً.

(5) المراد بالتيس هنا: الذكر من الظباء أو الوعول. والربل بالفتح: ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفتتت بورق أخضر من غير مطر. وفي الأصل: «الرمل»، وهو تحريف صوابه في (6: 78)، وجاء في شعر امرئ القيس:

وراح كتييس الربل ينفض رأسه أذاة به من صائك متحلب

(6) السحا، بالفتح: جمع سحاة، وهي شجرة شاكة. ش: «السحاة» وهي بالكسر نبت شائك يرعاه النحل، عسله غاية.

(7) ش: «حالة».

(8) البرقة، بالضم: غلظ من الأرض فيه حجارة رمل وطين مختلطة.

(9) تبت، بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة: ذاك الإقليم الصيني.

عَجَبَ (١) حَتَّى يَخْرَجَ مِنْهَا. وَمَنْ أَقَامَ بِالْمَوْصِلِ حَوْلًا ثُمَّ تَفَقَّدَ قَوَّتَهُ وَجَدَ فِيهَا فَضْلًا. وَمَنْ أَقَامَ بِالْأَهْوَاِ حَوْلًا فَتَفَقَّدَ عَقْلَهُ (٢) ذُو فِرَاسَةٍ وَجَدَ الثَّقْصَانَ فِيهِ بَيْنًا. كَمَا يُقَالُ فِي حُمَى خَيْبَرِ (٣)، وَطِحَالِ الْبَحْرَيْنِ (٤)، وَدِمَامِيلِ الْجَزِيرَةِ (٥)، [وَجَرَبِ الزَّنْجِ (٦)]. وَقَالَ الشَّمَاخُ (٧).

كَأَنَّ نَطَاةَ خَيْبَرَ زَوَّدَتْهُ بِكُورِ الْوَرْدِ رِيثَةَ الْقُلُوعِ (٨)
وَقَالَ أَوْسَ بْنَ حَجَرَ:

كَأَنَّ بِهِ إِذْ جِئْتَهُ خَيْبَرِيَّةٌ يَعُودُ عَلَيْهِ وَرْدُهَا وَقَلَالُهَا (١٠)

وَقَالَ آخَرُ:

كَأَنَّ حُمَى خَيْبَرَ نَمُلُّهُ (١١)

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي وَادِي جَحْفَةِ (١٢)، وَفِي مَهْيَعَةٍ (١٣)، وَفِي أَصُولِ النَخْلِ حَيْثُ

(١) العجب: ما يتعجب منه. وتجد مثل هذا الكلام في معجم البلدان وثمار القلوب 310 وعيون الأخبار 219:1 ومحاضرات الراغب 2: 264، قال ياقوت في نعت أهلها: «والتبسم فيهم عام حتى إنه ليظهر في وجوه بهائمهم»!

(٢) ط، هـ: «قوته»، صوابه في ش وعيون الأخبار ومحاضرات الراغب. قال ياقوت: «ومن أقام بها سنة نقص عقله».

(٣) خيبر، هي الولاية التي كانت عندها الغزوة المشهورة، وكانت ذات سبعة حصون ولذلك تسمى «خيابر» أيضاً، كما ورد في شعر لابن قيس الرقيات. ومعنى «خيبر» الحصن باللغة العبرية كما في معجم البلدان. ويقال لها أيضاً «خيبري» كما ورد في الأمثال: «به الوري». وحمل خيبري. أمثال الميداني (1: 95) وفي العقد (4: 301) ما يفهم منه أن يهود خيبر كانوا يتبعون نظاماً صحيحاً كفّل لهم قلة التعرض لحماها: «سئل يهود خيبر: بم صححتهم على وباء خيبر؟ قالوا: بأكل الثوم، وشرب الخمر، وسكون اليفاع، وتجنب بطون الأودية، والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه».

(٤) قالوا: من سكن بالبحرين عظم طحاله، وقال شاعرهم:

وَمَنْ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طَحَالَهُ وَيَغْبِطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ

(٥) هذه الجزيرة هلي المسماة «جزيرة أقور»، وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار بكر وديار مضر، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقّة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور، وماردين وآمد وميافارقين والموصل. انظر معجم البلدان.

(٦) هذه الزيادة من هـ. وفي ثمار القلوب 435: «طرب الزنج» حيث تحدث في ذلك حديثاً طويلاً. وكل منهما خاصة من خواص الزنج. وسيأتي في 78 في الكلام على بلاد الزنج: «ألا يزال جرباً ما أقام بها».

(٧) ش: «شماخ».

(٨) نطاة، بالنون المفتوحة: عين ماء بقرية من قرى خيبر. وفي الأصل: «قطاة» صوابه في معجم البلدان حيث روى البيت، وديوان شماخ 57، زودته: أعطته زاداً. بكور الورد: يعني حمى تباكر بوردها جسمه. ريثة القلوع: بطيئة الانكشاف والبرد. في الأصل: «رنقه» مكان «ريشه»، صوابه في المعجم والديوان. وقبل البيت:

أَلَا تِلْكَ ابْنَةُ الْأُمَيِّ قَالَتْ أَرَأَيْكَ الْيَوْمَ جَسْمَكَ كَالرَّجِيعِ

والرجيع: الحبل الذي نقض ثم فتل مرة ثانية.

(٩) في الأصل: «كأن به أضحية». وفي ديوان أوس 24: «أرخية» صوابهما ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب 436، وعنى بالخيرية الحمى.

(١٠) الورد، بكسر الواو: اسم من أسماء الحمى، أو هو يوم ورودها. «قلاها»: كذا جاءت بالأصل: وفي المعجم والثمار: «ملالها». والملال، بالضم: حرارة الحمى، أو التقلب من المرض. وما في الأصل هو الموافق ما في الديوان.

(١١) تمله: كأنها تضعه في الملة، وهي بالضم: الرماد الحار.

(١٢) الجحفة بين مكة والمدينة. روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها، وحمل أصحابه فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها إلى الجحفة».

(١٣) مهية: موضع قريب من الجحفة.

كان . وقال عبد الله بن همام السلولي في دماميل الجزيرة :

أُتِيحَ لَهُ مِنْ شُرْطَةِ الْحَيِّ جَانِبٌ غَلِيظُ الْقَصِيرِ لَحْمُهُ مُتَكَوِسٌ ⁽¹⁾
تَرَاهُ إِذَا يَمْضِي يَحْكُ كَأَنَّمَا بِهِ مِنْ دَمَامِيلِ الْجَزِيرَةِ نَاخِسٌ ⁽²⁾

فحدثني أبو زُفَر الضَّراري ⁽³⁾ قال : مات ضرار بن عمرو وهو ابن تسعين سنةً بالدماميل . قلت : والله إن هذا لعجب ! قال : كلاً إنَّما احتملها من الجزيرة . وكذلك القول في طواعين الشام . قال أحد بني المغيرة ⁽⁴⁾ ، فيمن مات منهم بطواعين الشام ، ومن مات منهم بطعن الرِّمَّاح أَيْامَ تلك المغازي :

مَنْ يَنْزِلُ الشَّامَ وَيَعْرِسُ بِهِ ⁽⁵⁾ فَالشَّامُ إِنْ لَمْ يُفْنِهِ كَاذِبٌ
أَفْنَى بَنِي رَيْطَةِ فُرسَانِهِمْ عَشْرِينَ لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبٌ ⁽⁶⁾
وَمِنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ مِثْلُهُمْ لِمِثْلِ هَذَا عَجَبَ الْعَاجِبِ ⁽⁷⁾
طَعْنٌ وَطَاعُونٌ مَنَائِهِمْ ذَلِكَ مَا خَطَّ لَنَا الْكَاتِبُ

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولَمَّا قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بن الحسن بن الحسين عليه السلام ، على عَمَر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حَوَائِجَ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى مَكَانَهُ بِالشَّامِ ، وَعَرَفَ سِنَّتَهُ وَسَمْتَهُ وَعَقْلَهُ ، وَلِسَانَهُ ، وَصَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ طَوَاعِينَ الشَّامِ ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تُغْنِمَ أَهْلَكَ أَكْثَرَ مِنْكَ ⁽⁸⁾ فَالْحَقُّ بِهِمْ ؛ فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْبِقُكَ إِلَيْهِمْ ⁽⁹⁾ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى هِشَامٍ ، فَكَرِهَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَ مَنْزِلًا لَهُ ⁽¹⁰⁾ حَتَّى يَأْتِيَهُ فِي ثِيَابِ سَفَرِهِ ؛ مَخَافَةَ سُوءِ ظَنِّهِ ⁽¹¹⁾ . فَلَمَّا أَعْلَمَهُ الْحَاجِبُ مَكَانَهُ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعَايَنَهُ ، كَرِهَ أَنْ

(1) شرطة كل شيء : خياره ، ومن شرط السلطان ، وهم خيار جنده . في الأصل : «سوطه» وتوجيهه من معجم البلدان . والجانب : القصير . والقصير بضم القاف وفتح الصاد مع القصر : أعلى الأضلاع . ط : «القيصري» ش : «القصير» صوابه في هـ ومعجم البلدان ، والرواية فيه : «عريض القيصري» . متكوس : متراكب متراكم . ط ، هـ : «متقوش» س : «متقاوس» تصحيحه من معجم البلدان .

(2) الحكك : مشية فيها شبه بمشية المرأة القصيرة إذا تحركت وهزت منكبيها . ورواية المعجم : «أبد إذا يمشي يحيك» . الأبد : السمين . يحيك : يتبختر ويختال . ط : «كما نما» صوابه في ش ، هـ والمعجم .

(3) ط : «الضاري» صوابه في ش ، هـ . وبدله في ثمار القلوب 438 : «أبو زرة» فقط .

(4) هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي . الإصابة 8329 .

(5) عرس به ، كفرج : لزمه .

(6) فرسانهم ، بدل من بني ريطه . لم يقصص لهم شارب : أي إنهم في مقتبل الشباب وريطة هي زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . انظر الاستدراكات .

(7) العاجب : المتعجب . وفي ثمار القلوب 435 : «يعجب العاجب» وفي ش : «عجب عاجب» ، وهو مثل من أمثلة المبالغة ، كقولهم يوم أيوم ، وليل أليل ، وروض أريض ، وظل ظليل ، وحرز حريز ، وداء دوي .

(8) في ثمار القلوب : «وإنك لم يغنم أهلك خيراً منك» . وسبق مثل هذه الرواية في (3: 253) .

(9) ثمار القلوب : «فإن حوائجك ستسبقك» ، وفي الحيوان (3: 253) : «فإن حوائجهم ستسبقك» .

(10) ط ، هـ : «منزله» . (11) أي لئلا يظن به العدا . وفي ط ، هـ : «شرطته» ، وما أثبت من ش أوجه .

يقيم بها طرفة عين. قال: اذكر حوائجك. قال: أحط رَحلي وأضع ثياب سفري، وأتذكر حوائجي. قال: إنك لن تجدني في حال خيراً لك مني الساعة! يريد أن القلوب أرق ما تكون إذا تلاقت العيون عن بُعد عهد. وليس ذلك أراد⁽¹⁾.

(طحال البحرين)

والعامّة تنشد:

مَنْ يَسْكُنَ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طَحَالُهُ وَيُغْبَطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ⁽²⁾
ونظر دكين الرّاجز، إلى أبي العباس⁽³⁾ محمد بن ذؤيب الفُقيمي الرّاجز، وهو غليم مصفرّ مطحول⁽⁴⁾، وهو يمتح على بكرة⁽⁵⁾ ويرتجز. فقال: من هذا العُماني⁽⁶⁾؟ فلزمته هذه النسبة.

(جرب الزنج)

وحدّثني يوسف الزنجي أنّه لا بدّ لكلّ مَنْ قَدِمَ من شقّ العراق إلى بلاد الزنج ألا يزال جرباً، ما أقام بها. إن أكثر من شرب نبيذها، أو شراب النَّارجيل، طمس الخمار على عقله، حتّى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا الشّيء اليسير.

(طبيعة المصيصة)

وخبرني كم شئت من الغزاة، أن مَنْ أطال الصّوم بالمصيصة⁽⁷⁾ في أيام الصّيف، هاج به المِرار، وأن كثيراً منهم قد جُئوا عن⁽⁸⁾ ذلك الاحتراق.

(1) انظر لتوضيح هذا ما سبق في (3: 253 س 16، 17).

(2) انظر أمثال الميداني (1: 255)، في قولهم: «الذئب مغبوط بما في بطنه»، الشعر والشعراء 731.

(3) ط، ش: «ابن العباس» صوابه في ش، وقد تقدمت ترجمته في (2: 95)، وفي الأغاني (17: 81): «ويكنى أبا عبد الله»، فهما كنيّتان له. ومثل ذلك في العرب كثير. وفي المعارف 259 فصل خاص بمن له كنيّتان أو ثلاث.

(4) المطحول: الذي يشكو مرض طحاله.

(5) البكرة، بالفتح وتحرك: خشبة مستديرة في وسطها محز يستقى عليها.

(6) العماني نسبة إلى عمان، بضم العين بعدها ميم مفتوحة مخففة، وهي بلاد عربية في جنوب خليج فارس. وضبطت بتشديد الميم في (خريطة) الممالك الإسلامية، خطأ. وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية. قال ياقوت: «فلما ولي بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملاً واحداً». ومما يجدر ذكره أن أصل نسبة أبي العباس إلى البصرة، أي هو بصري، كما في الأغاني. وقد عقد ابن قتيبة فصلاً لمثل هذه النسب في المعارف 257-258.

(7) يقال مصيصة، بالفتح والصاد المشددة المكسورة، ومصيصة بالتخفيف، والأول أصح، وهي بين أنطاكية وبلاد الروم.

(8) ط، هـ: «من».

(طبيعة قصبة الأهواز)

فأما قصبة⁽¹⁾ الأهواز، فإنها قلبت كل من نزلها من بني هاشم إلى كثير من طباعهم وشمائلهم⁽²⁾، ولا بد للهاشمي، قبيح الوجه كان أو حسناً، أو⁽³⁾ دميماً كان أو بارعاً رائعاً، من أن يكون لوجهه وشمائله طبائع يبين بها من جميع قريش وجميع العرب. فلقد كادت البلدة أن تنقل ذلك فتبدله⁽⁴⁾، ولقد تخيفته⁽⁵⁾ وأدخلت الضيم عليه، وبينت أثرها فيه؛ فما ظنك بصنيعها في سائر الأجناس⁽⁶⁾؟! ولفساد عقولهم، ولؤم طبع بلادهم، لا تراهم مع تلك الأموال الكثيرة، والضيايع الفاشية، يخبئون من البنين والبنات ما يحبه أوساط أهل الأمصار على الثروة واليسار، وإن طال ذلك. والمال منبهة كما تعلمون.

وقد يكتسب الرجل، من غيرهم، المويل⁽⁷⁾ اليسير، فلا يرضى لولده حتى يفرض له المؤدبين⁽⁸⁾، ولا يرضى لنسائه مثل الذي كان يرضاه قبل ذلك⁽⁹⁾. وليس في الأرض صناعة مذكورة، ولا أدب شريف، ولا مذهب محمود، لهم في شيء منه نصيب وإن خس⁽¹⁰⁾. ولم أر بها وجنة حمراء لصبي ولا صبيّة، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك. وهي قتالة للغرباء.

وعلى أن حمّاها خاصّة ليست للغريب بأسرع منها إلى القريب. ووبأوها⁽¹¹⁾ وحمّاها، في وقت انكشاف الرباء ونزوع الحمى عن جميع البلدان. وكل محوم في الأرض فإن حمّاها لا تنزع عنه، ولا تفارقه، وفي بدنه منها بقية؛ فإذا نزعته عنه فقد أخذ منها عند نفسه البراءة. إلى أن يعود إلى الخلط، وأن يجمع في جوفه الفساد⁽¹²⁾. وليست كذلك الأهواز لأنها تعاود

(1) ط، هـ: «قضية»، صوابه في ش. وقصبة الأهواز، أي أكبر مدنها، قال صاحب العين: «الأهواز: سبع كور بين البصرة وفارس».

(2) أي طبائع الأهوازيين وشمائلهم. وفي معجم البلدان: «فانقلبو إلى طباع أهلها».

(3) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما في ثمار القلوب 437.

(4) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من ش.

(5) تخيفته وتخوفته: تنقصته. ط: «تخفيه» صوابه في ش، هـ.

(6) في ثمار القلوب 435 نقلاً عن الجاحظ: «ولقد تخفيه وتدخل الضنى عليه وتبين أثرها فيه». إلخ.

(7) مويل: تصغير مال.

(8) المؤدبون، جمع مؤدب، بكسر الدال. والجاحظ ومن نحا نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم. قال في رسالة المعلمين (هامشة الكامل 2: 1): «لو استقصيت عدد النحويين والعروبيين والفرضيين والحساب والخطاطين، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار». ش: «المودين» محرف.

(9) كذا في ش. وفي ط، هـ: «ولا يرضى للسان به مثل الذي كان يرضاه قبل ذاك»، وتصح مع إعادة الضمير إلى ولده، أي هو يختار لولده الممتازين من المؤدبين.

(10) خس: قل. وفي وكذا في معجم البلدان: «حسن». وبعدها في المعجم «أودق أو جل»، وياقوت بدون ريب ينقل كلام بالجاحظ.

(11) ط، هـ: «وبأوها».

(12) بدله في معجم البلدان: «إلا أن تعود لما يجتمع في بطنه من الأخلاط الرديئة».

من نَزَعَتْ عنه من غير حَدَثٍ، كما تعاود أصحابُ الحَدَثِ؛ لأنَّهم ليسوا يُؤْتَوْنَ من قبل النَّهَمِ⁽¹⁾، ومن قَبْلَ الخُلُطِ والإكْثَارِ، وإنَّما يُؤْتَوْنَ من عَيْنِ البلدة.

وكذلك جمعت سوقُ الأهوازِ الأفاعي في جبلها الطَّاعِنِ في منازلها، المِطْلُ عليها؛ والجرَّاراتِ⁽²⁾ في بيوتها ومقابرها ومنابرها. ولو كان في العالمِ شيءٌ هو شرٌّ من الأفعى والجرَّارة، لما قَصَّرت قَصْبَةُ الأهوازِ عن توليده وتلقيحه. وبَلَيْتُهَا⁽³⁾ أنَّها من ورائها سَبَاخٌ⁽⁴⁾ ومناقعُ مياهٍ غليظةٍ وفيها أنهارٌ تشقُّها مَسَايِلُ كُنْفِهِمْ⁽⁵⁾، ومياهُ أمطارهم ومُتَوَضَّاتِهِمْ⁽⁶⁾ فإذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَطَالَ مُقَامُهَا، وطالت مقابلتها لذلك الجبل، قبل بالصَّخْرِيَّةِ التي فيه⁽⁷⁾ تلكَ الجرَّارات. فإذا امتلأت يُسِياً وحرارةً، وعادت جمرَةً واحدةً، قذفت ما قَبِلَتْ من ذلك عليهم. وقد تُحْدِثُ [تلكَ] السَّبَاخُ⁽⁸⁾ وتلكَ الأنهارُ بُخَاراً فاسداً، فإذا التقى عليهم ما تُحْدِثُ السَّبَاخُ وما قذفه ذلك الجبلُ، فَسَدَ الهواءُ. وبفساد الهواءِ يفسدُ⁽¹⁰⁾ كُلُّ شيءٍ يشتملُ عليه ذلك الهواءُ.

وحَدَّثَنِي إبراهيمُ بن عَبَّاسٍ بن محمد بن منصورٍ، عن مَشِيخَةٍ⁽¹¹⁾ من أهل الأهواز، عن القوَابِلِ، أَنَّهُنَّ رَبَّما قَبِلْنَ⁽¹²⁾ الطُّفْلَ المولودَ، فيجذْنُهُ في تلكَ السَّاعَةِ محموماً. يعرفن ذلك ويتحدثن به.

(عيون الحيات والخطاطيف)

[قال⁽¹³⁾]: ويعرض لفراخ الحيات مثل الذي يعرض لفراخ الخطاطيف؛ فإنَّ نازعاً لو نَزَعَ عيونَ فراخ الخطاطيفِ، وفراخ الحياتِ، لعادت بصيرةً⁽¹⁴⁾.

- (1) الأولى: «التخم» جمع تخمة. كما جاء في معجم البلدان.
- (2) الجرَّارات: ضرب من العقارب.
- (3) كذا على الصواب في ش. وفي ط: «تليينه». وفي ه: «تليينها». وفي معجم البلدان زيادة: «من» قبل: «بليتها».
- (4) سَبَاخ، بالكسر: جمع سبخة بالتحريك، وهي الأرض تعلوها ملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. ه: «سباحة» ش: «سباحة» محرفتان عما أثبت من ش.
- (5) كذا في ش ومعجم البلدان. ونحوه في ثمار القلوب 237، وفي ط: «لسقيها مسائل كنفهم» وه: «تسبقيها مسائل كنفهم»، والكلمة الأولى في ط لها وجه وفي ه محرفة. أما الكلمة الثانية: «مسائل» فهمزها خطأ، لأن ياء مفردة مسيل ياء أصلية. ولم يرد الهمز إلا في كلمتين، إحداهما: «مصائب» وهذه لا يعترف بها الأصمعي ويقول: إنها من لغة أهل الأمصار، والمعروف: «مصيبات». والثانية لم ترد إلا في بعض القراءات غير السبع، من قوله الله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا﴾ [الحجر: 20]. انظر المصباح. وقال السفاسقي: «وشذ خارجة فرواه عن نافع، وهو ضعيف جداً، بل جعله بعضهم لحناً». غيث النفع 130.
- (6) كذا في معجم البلدان، وفي الأصل: «ومتوضئهم» بالإنفراد، في ثمار القلوب «ميضأتهم».
- (7) ط، ه: «بالصخرة» صوابه في ش. ط: «فيها» صوابه في ش، ه.
- (8) مضى تفسير هذه الكلمة في التنبيه رقم 4. (9) س فقط: «الأمطار».
- (10) هذه الكلمة ساقطة من ش، ه.
- (11) مشيخة، كمرحلة، وأيضاً بفتح الميم وكسر الشين: جمع شيخ. ط فقط: «شيخة» وهي صحيحة أيضاً، وضبطها كعنية وسدرة.
- (12) قبلت القابلة الولد: تلقتَه عند خروجه.
- (13) الزيادة من ش، ه.
- (14) ذاك زعم.

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم^(١) أَنَّ السُّلْحَفَةَ والرَّقَّ، والضَّفْدَع، ممَّا لا بَدْ لَهُ من التَّنَفُّس، ولا بَدْ لَهَا من مفارقةِ الماء، وأنَّها تبيض وتكتسب الطعم وهي خارجة^(٢) من الماء؛ وذلك لِلنَّسَب الذي بينها وبين الضَّبِّ^(٣)، وإن كان هذا بَرِّيًّا وهذا بحريًّا.

(شبه بعض الحيوان البري بنظيره من البحري)

ويزعمون أَنَّ ما^(٤) كان في البرِّ من الضَّبِّ والوَرَل والجِرْبَاء، والحلِكَاء^(٥)، وشُحْمَة الأرض، والوَزَغ والعَظَاء^(٦) مثلُ الذي في البحر من السُّلْحَفَةِ والرَّقَّ، والتَّمْسَاح، والضَّفْدَع؛ وأنَّ تلك الأجناسَ البرِّيَّة وإن اختلفتْ في أُمُورها، فإنَّها قد تتشابه في أُمُور؛ وأنَّ هذه الأجناسَ البحرية من تلك، ككلب الماء من كلب الأرض.

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أَنَّ الحَيَّة وسامَ أُبْرَص^(٧) من العَظَاء، والتَّمْسَاح، تسكُن في أعشَّتِها^(٨) الأربعة الأشهر الشديدة البرد^(٩)، لا تطعم شيئاً، وأنَّ سائرَ الحَيَّات تسكُن بطنَ الأرض. فأما الأفاعي فإنَّها تسكُن في صُدُوع الصَّخَر. وليس لشيءٍ من الحيوانِ من الصَّبْر عن الطُّعْم ما لهذه الأجناس. وإنَّ الفيل ليناسبُها من وجهين: أحدهما من طول العمر، فإنَّ منها ما قد عاش أربعمائة سنة. والوجه الآخر: أَنَّ الفيلة مائيَّة [وهذه الأجناس مائيَّة^(١٠)] وإن كان بعضها لا يسكن الماء.

(١) نسي الجاحظ أن يذكر صاحب الزعم، أو سقط من الناسخين. وقد يكون الزاعم صاحب المنطق.

(٢) ط: «خراجة»، تحريف ما في ش، هـ.

(٣) ش: «وذاك النسب» إلخ. ط، هـ: «التي» صوابها في ش.

(٤) ط: «أنما» صوابه في ش، هـ.

(٥) الحلكاء، بالضم، وبالفتح، وبالتحريك: ضرب من العظاء. ط فقط: «الحلكي»، وهي صحيحة في ذاتها، وضبطها بضم الحاء واللام، وتشديد الكاف المفتوحة. ولكني لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللغة، وإنما هو تحريف من الناسخ.

(٦) العظاء، بالفتح: جمع عظاءة، وهي دويبة كسام أبرص. ش: «والقطاة»، هـ: «والقطا» صوابه في ط.

(٧) ط: «تلك الحية» والوجه حذف الكلمة الأولى كما في ش، هـ. ط، هـ: «من سام أبرص» صوابه في ش.

(٨) كذا، وأصل العش للطائر. وانظر حواشي ص 127.

(٩) ط: «أربعة أشهر شديدة البرد». ش: «الأربع الأشهر الشديدة البرد». وأثبت ما في هـ لکن فيها «الأربعة أشهر».

(١٠) هذه الزيادة من هـ.

(داهية الغبر)

قال: وَسَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ حَبِيبٍ⁽¹⁾ يَقُولُ: «داهية الغبر⁽²⁾». قال: وقيل ذلك لأنها ربما سَكَنْتْ بِقُرْبِ مَاءٍ، إِمَّا غَدِيرٍ وَإِمَّا عَيْنٍ، فَتَحْمَى⁽³⁾ ذلك الموضع. وربما غبر ذلك الماء في المنقَع حيناً وقد حمته. وقال الكَذَّابُ الجِرْمَازِيُّ⁽⁴⁾:

يَا ابْنَ الْمَعْلِيِّ نَزَلْتُ إِحْدَى الْكُبَرِ⁽⁵⁾ دَاهِيَةَ الدَّهْرِ وَصَمَاءَ الْغَبَرِ⁽⁶⁾

قال: وسأل⁽⁷⁾ الحكم بن مروان بن زنباع، عن بني عبد الله بن غطفان، قال: [أفعى⁽⁸⁾] إِنْ أَيْقَظْتَهَا لَسَعَتْكَ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا لَمْ تَضُرَّكَ.

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر⁽⁹⁾ قال: نُهِشَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَثِيرُ الْمَالِ، فَأَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ، فَأَتَاهُمْ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنَا أَرْقِيهِ، فَمَا تُعْطُونِي⁽¹⁰⁾؟ فشارطوه عَلَى ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا⁽¹¹⁾، فَرَفَّاهُ وَسَقَاهُ أَشْيَاءَ بَعْضُ الْأَخْلَاطِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: الرَّاقِي وَالْمَدَاوِي: حَقِّي! قَالَ الْمَلْدُوغُ: وَمَا حَقُّهُ، قَالُوا: ثَلَاثُونَ دِرْهَمًا. قَالَ أُعْطِيهِ مِنْ مَالِي ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا فِي نَفَثَاتٍ نَفَثَهَا، وَحَمَضِ سَقَاهُ⁽¹²⁾! لَا تُعْطُوهُ شَيْئًا!.

- (1) في الأصل: «حرب»، والصواب ما أثبت. وقد تقدمت ترجمته في (1: 230).
- (2) الغبر بالتحريك وبغين معجمة في أولها: الماء يغبر حيناً في المستنقع، كما يفهم من التعليل الآتي. وفي أمثال الميداني (1: 40): «وسمعت أن الغبر عين ماء بعينه تألفه الحيات». وفي معجم البلدان: «الغبر آخر محال سلمى بجانب جبل طيء»، وبه نخل، ومياه تجري أبداً». ط: «القبر» صوابه في ش، هـ.
- (3) كذا على الصواب في ش. وفي ط: «فتحس» وفي هـ: «فتنحى» محرفان.
- (4) سبقت ترجمته في (3: 262).
- (5) كذا الرواية أيضاً في ثمار القلوب 336، والرواية في اللسان (غبر) وكذا في أمثال الميداني: «أنت لها منذر من بين البشر»، أي يا منذر، وفي اللسان أنه يمدح بهذا الشعر بن المنذر الجارود.
- (6) ط: «العبر» بالعين المهملة، صوابه في ش، هـ.
- (7) كذا. ولعلها: «وسئل».
- (8) الزيادة من ش، هـ. وانظر ما سبق من الكلام على «أفعى» في ص 66.
- (9) سبقت ترجمته في (2: 212).
- (10) ط: «فمان تعطوني» صوابه في ش، هـ. وقد حذف إحدى نوني: «تعطوني» وهو جائز. وفي المغني: «ونحو تأمروني يجوز فيه الفك والإدغام والنطق بنون واحدة».
- (11) ط: «فارقوه عن ثلاثين درهماً»، تصحيحه من ش، هـ.
- (12) الحمض، بالفتح، أصله كل نبت مالح أو حامض، وجعله هنا للدواء الذي فيه حموضة. هـ: «وحرس سقى» والكلمة الأولى في هـ محرفة.

(حديث سكر الشطرنجي)

وحدثني بعض أصحابنا عن سُكَّرِ الشَّطْرَنْجِيِّ، وكان أحمقَ القاصِّين⁽¹⁾، وأحذقهم بلعب الشَّطْرَنْجِ، وسألته عن خرق كان في خَرَمَةِ أَنْفِهِ⁽²⁾ فقلت له: ما كان هذا الخرق؟ فذكر أنه خرج إلى جَبَلٍ⁽³⁾ يتكسَّب بالشَّطْرَنْجِ، فقدم البلدة وليس معه إلا درهم واحد، وليس يدري أينجح أم يخفق، ويجد صاحبه الذي اعتمده أم لا يجده⁽⁴⁾؟ فورد على حَوَاءٍ وبين يديه جَوْثٌ عِظَامٍ⁽⁵⁾ فيها حياتٌ جليلة. والحيَّة إذا عضَّت لم تكن غايثها النَّهْش أو العض⁽⁶⁾، وأن ترضى بالنَّهْش، ولكنها لا تعض إلا للأكل والابتلاع. وربما كانت الحيات عظاماً جذاً ولا سموم لها، ولا تعقر⁽⁷⁾ بالعض؛ كحيات الجولان⁽⁸⁾. وفي البادية حيَّة يقال لها الحَفَاث⁽⁹⁾ والحَفَاث من الحيات تأكل الفأر وأشباهه الفأر، ولها وعيدٌ مُنْكَرٌ، ونفخ وإظهار للصَّولة؛ وليس وراء ذلك شيء⁽¹⁰⁾. والجاهل ربما مات من الفرع منها. وربما جمعت الحية السَّمَّ وشدة الجرح، والعض والابتلاع، وحطَّم⁽¹¹⁾ العظم.

فوقف سُكَّرٌ على الحَوَاءِ وقد أخرج من جُونه أعظم حيات في الأرض، وادعى نُفُودَ الرُّقِيَّةِ وجودة الترياق، فقال له سُكَّرٌ⁽¹²⁾: خذ مني هذا الدرهم وارقي رُقِيَّةً لا تضُرني معها حيَّة أبداً! قال: فإنِّي أفعل. قال: فأرسل قبل ذلك حيَّةً، حتى ترقيني بعد أن تعضني؛ فإن أفقت علمت أن رُقِيَّتَكَ صحيحة. قال: فإنِّي أفعل، فاختر أيتهن شئت. فأشار إلى واحدة ممَّا تعض لأكل دون السَّمِّ، فقال: دُع هذه؛ فإن هذه إن قبضت على لحملك لم تفارقك حتى تقطعك⁽¹³⁾! قال: فإنِّي لا أريد غيرها. وظن أنه إنما زواها عنه لفضيلة فيها. قال: أما إذ أبيت إلا هذه فاختر موضعاً من جسدي حتى أرسلها عليه. فاختر أنفه، فناشده وخوفه، فأبى إلا ذلك أو يرد عليه دِرْهَمُهُ. فأخذها الحَوَاءِ وطواها على يده؛ كل يدعها تنكُر⁽¹⁴⁾ فتقطع أنفه من

(1) جمع قاص للقصاص. ش، ه: «العالمين».

(2) الخرمة، بالتحريك: موضع الخرم من الأنف. وفي الأصل: «الحزامة»، وهي ككتابة: البرة تجعل في الأنف. ولا وجه لها.

(3) جبل، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة: بليدة بشاطئ دجلة. وفي الأصل: «الجبل» ولا تصح؛ فإن الجبل اسم لبلاد كثيرة تمتد ما بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم. القاموس ومعجم البلدان.

(4) ط: «ويجدو صاحبه الذي اعتمده أيجده أم لا»، ش: «ويحده أجبه» إلخ. صوابهما في ه.

(5) جون، بضم الجيم وفتح الواو: جمع جونة، بالضم، وقد سبق تفسيرها في 65.

(6) طك «والعض».

(7) تعقر: تجرح. وفي ط: «تنفر»، تحريف ما في ش، ه.

(8) الجولان، بالفتح: جبل من نواحي دمشق. معجم البلدان.

(9) الحفاث، بحاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة. ط: «الخناث» ش، ه: «الخفاث»، صوابهما ما أثبت.

(10) ط: «سيما»، صوابه في ش، ه.

(11) محرفة في الأصل، فهي في ط، ه: «خطم» وفي ش: «حكم».

(12) ط: «سكن» صوابه في ش، ه. (13) ش: «لم تفارقه» فقط.

(14) تنكز، آخره زاي، كما في ش. وفي ط، ه: «تنكر» محرفة. وانظر 2: 80.

أصله . ثم أرسلها عليه . فلما أنشبت أحد نايبيها في شق أنفه صرخ عليه صرخة جمعت عليه أهل تلك البلدة ، ثم غشي عليه ، فأخذ الحوَّاء فوضع في السجن ، وقتلوا تلك الحيات ، وتركوه حتى أفاق كأنه أجنُّ الخلق ، فتطوَّعوا بحمله فحملوه مع المكارى^(١) ، وردَّوه إلى البصرة ، وبقي أثرنا بها في أنفه إلى أن مات .

(ما يغتصب بيت غيره من الحيوان)

قال : وأشياء من الحشرات لا تتخذ لنفسها ولا لبيضها ولا أولادها^(٢) بيوتاً ، بل تظلم كل ذي جحر جحره ، فتخرجه منه ، أو تأكله إن^(٣) ثبت لها .
والعرب تقول للمسيء : «أظلم من حية» ، لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً . وكل بيت قصدت نحوه هرب أهله منه ، وأخلوه لها .

(عداوة الورل للحيات)

والورل يقوى^(٤) على الحيات ويأكلها أكلاً ذريعاً ، وكل شدة يلقاها ذو جحر منها فهي تلقى مثل ذلك من الورل . والورل ألطف جرماً من الضب .
وزعم أنهم يقولون : «أظلم من ورل» ، كما يقولون : «أظلم من حية» ، وكما يقولون : «أظلم من ذئب» ، ويقولون : «من استرعى الذئب ظلم»^(٥) .

(الورل والضب)

وبرائن الورل أقوى من براثن الضب . والضباب تحفر جحرتها في الكدى^(٦) . والورل لا يحفر لنفسه بل يخرج^(٧) الضب من بيته . فتزعم الأعراب أنه إنما صار^(٨) لا يحفر [لنفسه إبقاءً على برائنه . ويمنع الحية أن تحفر بيتها] أن^(٩) أسنانها أكل من أسنان الفأر [ومن التي تحفر بالأفواه والأيدي ؛ كالنمل والذر وما أشبه ذلك] . والحية^(١٠) لا ترى أن تعاني ذلك ، وحفر غيرها ومعاناته يكفيها .

(١) المكارى : من يكرى الناس دابته . والكراء : الأجرة . ش : «مكارى» صوابه : «مكار» بحذف الياء .

(٢) ش : «ولبيضها ولأولادها» . (٣) ط : «إذ» .

(٤) ط : «يقول» صوابه في ش ، هـ .

(٥) استرعاء : جعله راعياً . وظلم : أي ظلم الغنم ، أو ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس في طبعه . وأصل المثل في الميداني (٢ : 230) .

(٦) جحرة ، كعنية : جمع جحر . وفي الأصل : «أجحرتها» ، وليس قياساً ولا مسموعاً . والصواب ما أثبت . والكدى : جمع كدية ، بالضم : وهي الأرض الصلبة . وكتبت في الأصل بالالف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٧) ط ، هـ : «تخرج» ، صوابه في ش .

(٨) ط : «أنها إنما صارت» ، وتصحيحه من ش ، هـ .

(٩) ط ، هـ : «لأن» صوابه في ش .

(١٠) ط ، هـ : «فهى» .

(شعر في ظلم الحية)

وفي ضَرْبِ المثل بظلم الحية، يقول مضرّس بن لقيط⁽¹⁾:

لَعَمْرُكَ إِنِّي لَوْ أَخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسُ⁽²⁾
إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَعَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لآخر يَقْبِسُ⁽³⁾
فَمَا لَكُمْ طُلَسَاءُ إِلَيَّ كَأَنَّكُمْ ذَنَابُ الغُصَيِّ والذُّبُّ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ⁽⁴⁾

وجعله أطلس؛ لأنه حين تشتدُّ ظلمة اللَّيْلِ فهو أخفى له، ويكونُ حينئذٍ أخبثَ له وأضرُّى. وقال حَرِيزُ بن نُشْبَةَ العَدَوِيِّ⁽⁵⁾، لبني جعفر بن كلاب، وَضَرَبَ جَوْرَ الحَيَّةِ والذُّبِّ في الحُكْمِ مثلاً، فقال:

كَأَنَّنِي حِينَ أَحْبُو جَعْفَرًا مَدَحِي أَسْقِيهِمْ طَرَقَ مَاءٍ غَيْرَ مَشْرُوبِ⁽⁶⁾
وَلَوْ أَخَاصِمُ أَفْعَى نَابِهَا لثِقُ أَوِ الْأَسَاوِدَ مِنْ ضَمِّ الْأَهَاضِبِ⁽⁷⁾
لَكُنْتُمْ مَعَهَا إلباً، وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبِ⁽⁸⁾
وَلَوْ أَخَاصِمُ ذُبَابًا فِي أَكِيلَتِهِ لَجَاءَنِي جَمْعُكُمْ يَسْعَى مَعَ الذِّيبِ⁽⁹⁾

(فم الأفعى)

قال: والحية واسعة الشَّحْوِ والفم، لها خطم⁽¹⁰⁾، ولذلك ينفذ نابها. وكذلك كلُّ [ذي⁽¹¹⁾] فمٍ واسع الشَّحْوِ؛ كفم الأسد. فإذا اجتمع له سعة الشَّحْوِ وطول اللِّحْيَيْنِ، وكان ذا

- (1) سبقَت ترجمته في (3: 245)، وقد نسب البحري الشعر في حماسه 380 إلى عامر بن لقيط الأسدي. وهذه النسبة الأخير أيضاً في محاضرات الراغب (1: 174)، وفي البيان (2: 160): «قال الأسدي».
- (2) قال الجاحظ في البيان: «يقول: بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمنا الذئاب والحيات وبها يضربون المثل في الظلم - لقضوا لهما علينا». وفقعس، هو ابن طريف، أبو حي من قبيلة أسد.
- (3) الحاطب: الذي يجمع الحطب. في البيان: «أتى حاطب».
- (4) طلساً: جمع أطلس، وهو الذي في لونه غبرة إلى سواد. ط: «طلسي» صوابه في ش، هـ والمراجع المتقدمة. وقد روى البحري أبياتاً بعد هذا في حماسه.
- (5) هو حريز، بحاء مهملة وزاي، ابن عبدة، أحد بني زيد بن نسيبة بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب، كما في المؤلف 72، وفي الأصل: «جرير» مصحف، ونسبة، بضم النون بعدها شين معجمة، هو جده لا أبوه. ش: «نسة» محرفة.
- (6) ماء طرق، بالفتح: بالت فيه الإبل وبعرت، وقد طرقته. غير مشروب: غير صالح لذلك.
- (7) أفعى: سبق الكلام في تنوينها ص 66، لثق: مبتل بما ينظف من السم.
- (8) هم ألب عليه، بالفتح والكسر: مجتمعون عليه بالظلم والعداوة. ط، هـ: «إلبا معها» وبذا يختل الوزن. والوجه ما أثبت من ش، و: «ناب» هي بالنون في ش. وفي ط، هـ: «باب»، ولهذه وجه.
- (9) الأكيلة: شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه، كالأكيلي، والأكولة بالضم.
- (10) ط، هـ: «له خطم» صوابه في ش.
- (11) ليست بالأصل.

خَطْمٌ وَخُرطوم فهو أَشَدُّ له كالخنزير ، والدَّئِبُ والكلب . ولو كان لرأس الحَيَّةِ عَظْمٌ كان أَشَدَّ لِعَضَّتْهَا ^(١) ، ولكِنَّه جلدٌ قد أَطْبَقَ ^(٢) على عَظْمَيْنِ رَقِيقَيْنِ مُسْتَطِيلَيْنِ بِفَكِّهَا الأَعْلَى والأَسْفَلِ . وَلِذَلِكَ ^(٣) إِذَا أَهَوَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ أَوْ عَصَا ، رَأَيْتَهَا تَلَوَّى رَأْسَهَا وَتَحْتَالُ فِي ذَلِكَ ، وَتَمْنَعُهُ بِكُلِّ حِيلَةٍ ؛ لِأَنَّهَا تَعْلَمُ وَتَحْسُ بِضَعْفِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مِنْهَا ، وَهُوَ مَقْتُلٌ . وَمَا أَكْثَرَ مَا يَكُونُ فِي أَعْنَاقِهَا تَخْصِيرٌ ^(٤) وَلِصْدُورِهَا أَغْبَابٌ ^(٥) ، وَذَلِكَ فِي الْأَفَاعِي أَعْمٌ . وَذَلِكَ الْمَوْضِعُ الْمُسْتَدَقُّ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ كَهَيْئَةِ الْخَرِيطَةِ ، وَكَهَيْئَةِ فَمِ الْجِرَابِ ، مُنْضَمُّ الْأَثْنَاءِ ^(٦) ، مُتْنَى ^(٧) الْغُضُونِ . فَإِذَا شَتَّ أَنْ تَفْتَحَ انْفَتَحَ لَكَ فَمٌ وَاسِعٌ .

ولذلك قال إبراهيم بن هانئ: كان فُتْحُ فَمِ الْجِرَابِ يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيْدٍ ^(٨) ، وَلَوْ لَا أَنَّ الْحَمَالِينَ قَدْ جَعَلُوا أَفْوَاهَهُمْ بَدَلَ الْيَدِ الثَّالِثَةِ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مَمْتَنَعًا حَتَّى يَسْتَعِينُوا ^(٩) بِيَدِ إِنْسَانٍ . وَهَذَا مِمَّا يَعُدُّ فِي مُجَوِّنِ ابْنِ هَانئٍ . وَكَذَلِكَ حُلُوقُ الْحَيَّاتِ وَأَعْنَاقُهَا وَصُدُورُهَا ، قَدْ تَرَاهَا فَتَرَاهَا فِي الْعَيْنِ دَقِيقَةً ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا أَفْرَطَتْ فِي الطُّولِ .

(شَراة الحية والأسد)

وهي تبتلع فراخ الحمام . والحَيَّةُ أَنَّهُمْ وَأَشْرَهُ مِنَ الْأَسَدِ . وَالْأَسَدُ يَبْلَعُ الْبَضْعَةَ الْعَظِيمَةَ مِنْ غَيْرِ مَضْغٍ ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ فَضْلِ الشَّرِّهِ . وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ . وَهُمَا وَاثِقَانِ بِسَهُولَةٍ وَسَعَةٍ الْمَخْرَجِ .

(تَنْبِيْنُ أَنْطَاكِيَّةِ)

[و]مِمَّا عَظَّمَهَا وَزَادَ فِي فَرَعِ النَّاسِ مِنْهَا ، الَّذِي يَرُويهِ أَهْلُ الشَّامِ ، وَأَهْلُ الْبَحْرَيْنِ ، وَأَهْلُ أَنْطَاكِيَّةِ ^(١٠) ؛ وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ الثَّلَثَ الْأَعْلَى مِنْ مَنَارَةِ مَسْجِدِ أَنْطَاكِيَّةِ أَظْهَرَ جِدَّةً مِنَ الثَّلَاثِينَ الْأَسْفَلِينَ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا بَالُ هَذَا الثَّلَثِ الْأَعْلَى أَجَدُّ وَأَطْرَى ^(١١) ؟ قَالُوا : لِأَنَّ تَنْبِيْنًا ^(١٢) تَرَفَّعَ مِنْ

(١) عَظْمٌ : الْمَرَادُ عَظْمٌ شَدِيدٌ . هـ ، ط : «خَطْمٌ» وَلَا تَصَحُّ . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ قَرِيبًا .

(٢) كَذَا فِي ش ، هـ . وَفِي ط : «أَنْطَبَقَ» . (٣) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ش . وَفِي ط ، هـ : «وَكَذَلِكَ» .

(٤) تَخْصِيرٌ : أَيُّ دَقَّةٍ فِي وَسْطِهَا . (٥) جَمْعُ غَيْبٍ ، وَهُوَ اللَّحْمُ الْمَتَدَلِّيُّ تَحْتَ الْحَنَكِ .

(٦) الْأَثْنَاءُ : التَّغْضُنَاتُ . ط : «ضَمٌّ» ، صَوَابُهُ فِي ش ، هـ . وَفِي ط : «الْأَنْسَاءُ» ، وَفِي ش ، هـ : «الْأَنْثَاءُ» ، صَوَابُهُمَا مَا أَثْبَتَ .

(٧) ش ، هـ : «مُتْنَى» . (٨) ش ، هـ : «أَيْدِي» صَوَابُهُ فِي ط .

(٩) ط : «يَسْتَعِينُ» صَوَابُهُ فِي ش ، هـ .

(١٠) أَنْطَاكِيَّةٌ ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ ، وَالْبَاءُ مَخْفُفَةٌ . قَالَ يَاقُوتُ : وَلَيْسَ فِي قَوْلِ زُهَيْرٍ :

عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ فَوْقَ عَقْمَةٍ وَرَادَ الْحَوَاشِي لَوْنَهَا لَوْنٌ عِنْدَمِ

وَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ فَوْقَ عَقْمَةٍ كَجَرْمَةِ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةٍ يَشْرَبُ

دَلِيلٌ عَلَى تَشْدِيدِ الْبَاءِ ؛ لِأَنَّهَا النَّسَبَةُ . وَكَانَتِ الْعَرَبُ إِذَا أَعْجَبَهَا شَيْءٌ نَسَبَتْهُ إِلَى أَنْطَاكِيَّةٍ .

(١١) أَطْرَى : مِنَ الطَّرَاوَةِ ، وَهِيَ الْغَضَاضَةُ وَالْحَدَاثَةُ . هـ ، ش : «أَطْرَى» صَوَابُهُ فِي ش . وَالكَلَامُ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ إِلَى : «هَذِهِ الْمَنَارَةُ» سَاقِطٌ مِنْ ش .

(١٢) التَّنِينُ ، كَسَجِيلٍ : حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ . ط : «تَسْمِينَتَنَا» صَوَابُهُ فِي هـ .

بَحْرِنَا هَذَا ، فَكَانَ ، لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكَهُ ، فَمَرَّ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي الْهَوَاءِ ، مُحَاذِيًا لِرَأْسِ هَذِهِ الْمَنَارَةِ ، وَكَانَ أَعْلَى مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ ، فَضَرَبَهُ بِذَنْبِهِ ضَرْبَةً ، حَذَفَتْ ^(١) مِنْ الْجَمِيعِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ^(٢) الْمَقْدَارِ ، فَأَعَادُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ فِي الْمَنْظَرِ .

(الخلافا في التنين)

وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ الْبِقَاعِ ^(٣) يَتَدافعُونَ أَمْرَ التَّنِينِ . وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّكَ تَكُونُ فِي مَجْلِسٍ وَفِيهِ عَشْرُونَ رَجُلًا ، فَيَجْرِي ذِكْرُ التَّنِينِ فَيَنْكُرُهُ بَعْضُهُمْ . وَأَصْحَابُ التَّثَبُّتِ ^(٤) يَدْعُونَ الْعِيَانَ . وَالْمَوْضِعَ قَرِيبَ ، وَمَنْ يَعَايْنُهُ كَثِيرٌ . وَهَذَا اخْتِلَافٌ شَدِيدٌ .

(قول الأعراب في الأصل)

وَالْأَعْرَابُ تَقُولُ فِي الْأَصْلَةِ ^(٥) قَوْلًا عَجِيبًا : تَزْعُمُ أَنَّ الْحَيَّةَ الَّتِي يَقَالُ لَهَا الْأَصْلَةُ لَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا احْتَرَقَ . مَعَ تَهَاوِيلَ كَثِيرَةٍ ، وَأَحَادِيثَ شَنِيعَةٍ .

(الأجدهاني)

وَتَزْعُمُ الْفُرْسُ أَنَّ الْأَجْدَهَانِي ^(٦) أَعْظَمُ مِنَ الْبَعِيرِ ، وَأَنَّ لَهَا سَبْعَةَ رِءُوسَ ، وَرَبْمَا لَقِيَتْ نَاسًا فَتَبْتَلِعُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ فَمٍ وَرَأْسَ إِنْسَانٍ . وَهُوَ مِنْ أَحَادِيثِ الْبَاعَةِ وَالْعَجَائِزِ ^(٧) .

(الحية ذات الرأسين)

وَقَدْ زَعَمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ حَيَّةٌ لَهَا رَأْسَانِ . فَسَأَلْتُ ^(٨) أَعْرَابِيًّا عَنْ ذَلِكَ فَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ . فَقُلْتُ لَهُ : فَمِنْ أَيِّ جِهَةِ الرَّأْسَيْنِ تَسْعَى ؟ وَمِنْ أَيِّهِمَا تَأْكُلُ وَتَعَضُّ ؟ فَقَالَ : فَأَمَّا السَّعْيُ فَلَا تَسْعَى ، وَلَكِنَّهَا تَسْعَى إِلَى حَاجَتِهَا بِالتَّقَلُّبِ ، كَمَا يَتَقَلَّبُ الصَّبِيانُ عَلَى الرَّمْلِ . وَأَمَّا الْأَكْلُ فَإِنَّهَا تَتَعَشَّى بِفَمٍ وَتَتَغَذَّى بِفَمٍ . وَأَمَّا الْعَضُّ فَإِنَّهَا تَعَضُّ بِرَأْسَيْهَا مَعًا !! فَإِذَا بِهِ أَكْذَبُ الْبَرِّيَّةِ . وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا ، مِمَّا يَزِيدُ فِي الرَّعْبِ مِنْهَا ، وَفِي تَهْوِيلِ أَمْرِهَا ^(٩) .

(١) ط : « خرقت » صوابه في ش ، هـ .

(٢) ط : « هذه » صوابه في ش ، هـ .

(٣) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهي أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق . ياقوت .

(٤) ط ، هـ : « التثيت » ، ووجه ما في ش .

(٥) الأصل : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم . واللغويون يختلفون في تحليلتها ، أي نعتها .

(٦) انظر الاستدراكات .

(٧) ط : « أو العجائز » وتصحيحه من ش ، هـ .

(٨) ط ، هـ : « فسئلت » صوابه في ش .

(٩) ش : « والاستهالة لمنظرها » . والكلام من بعد هذه الكلمة ، إلى « لمنظرها » الآتية ، ساقط من ش .

(فُرَانِقِ الْأَسَدِ)

وَمِثْلُ شَأْنِ التَّنِينِ مِثْلُ أَمْرِ فُرَانِقِ الْأَسَدِ^(١)؛ فَإِنَّ ذَكَرَهُ يَجْرِي فِي الْمَجْلِسِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: أَنَا رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُهُ!

(فَزَعِ النَّاسِ مِنَ الْحَيَةِ)

وَرَبِمَا زَادَ فِي الرَّعْبِ مِنْهَا وَالْإِسْتِهَالَةَ لِمَنْظَرِهَا قَوْلُ جَمِيعِ الْمُحَدِّثِينَ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْحَيَّةَ وَالسَّرَّطَانَ وَالسَّمَكَ.

(طُولُ عَمْرِ الْحَيَةِ)

وَتَقُولُ الْأَعْرَابُ: إِنَّ الْحَيَّةَ أَطْوَلُ عَمراً مِنَ النَّسْرِ، وَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَجِدُوا حَيَّةً قَطُّ مَاتَتْ حَتْفَ أَنْفِهَا، وَإِنَّمَا تَمُوتُ بِالْأَمْرِ يُعْرَضُ لَهَا^(٢). وَذَلِكَ لِأُمُورٍ: مِنْهَا قَوْلُهُمْ إِنَّ فِيهَا شَيَاطِينَ، وَإِنَّ فِيهَا مِنْ مِسخٍ، وَإِنَّ إِبْلِيسَ إِنَّمَا وَسَّوسَ إِلَى آدَمَ وَإِلَى حَوَّاءَ مِنْ جَوْفِهَا.

(زَعَمِ الْفَضْلُ بْنُ إِسْحَاقَ)

وَزَعَمَ لِي الْفَضْلُ بْنُ إِسْحَاقَ، أَنَّهُ كَانَ لِأَبِيهِ [نُحَّانَ]^(٣)، وَأَنَّ طَوْلَ كُلِّ نَخٍّ تِسْعَةَ عَشَرَ ذِرَاعاً^(٤).

(ضُرُوبُ الْحَيَاتِ)

وَمِنْ الْحَيَّاتِ الْجُرْدُ وَالزَّعَرُ، وَذَلِكَ فِيهَا مِنْ [الْغَالِبِ]^(٥). وَمِنْهَا ذَوَاتُ شَعْرٍ، وَمِنْهَا ذَوَاتُ قُرُونٍ. [وَأَرَسُطُو يُنَكِّرُ ذَلِكَ]^(٦) وَإِنَّمَا يَتَخَلَّقُ لَهَا فِي كُلِّ عَامٍ قَشْرٌ وَغِلَافٌ، فَأَمَّا^(٧) مَقَادِيرُ أَجْسَامِهَا فَقَطْ.

(١) الْفُرَانِقُ، بَضْمُ الْفَاءِ. وَفِي الْأَصْلِ «غُرَانِقُ» صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ. وَلَفْظُهُ مَعْرَبٌ مِنْ «پَرَوَانَكُ» الْفَارْسِيَّةِ. الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، وَمَعْجَمُ اسْتِئْجَاسٍ. وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْوَحْشِ، يَتَقَدَّمُ الْأَسَدُ وَيُرْشِدُهُ إِلَى فَرِيسَتِهِ.

(٢) ط: «بِالْأَمْرِ الَّذِي يُعْرَضُ لَهَا».

(٣) مَوْضِعُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ. وَقَدْ أَثْبَتَهَا اعْتِمَاداً عَلَى سِيَاقِ الْكَلَامِ. وَالنَّخْ، بِالضَّمِّ: بَسَاطُ طَوْلُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَرْضِهِ، فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ. اللَّسَانُ، وَالْأَلْفَاظُ الْفَارْسِيَّةُ. وَضَبَطَهُ صَاحِبُ الْقَامُوسِ بِالْفَتْحِ.

(٤) ط: «وَأَنَّ طَوْلَ كُلِّهِمَا»، وَأَثْبَتَ مَا فِي شِ، هـ، وَفِي شِ: «كُلِّهِمَا» بَدَلَ «ذِرَاعاً» وَهُوَ خَطَأٌ. وَقَدْ أَتَى الْجَا حَظُّ بِهَذَا الْخَبَرِ شَاهِداً عَلَى الْمُبَالَغَةِ وَالتَّهْوِيلِ، فِيمَا يَظْهَرُ. انْظُرْ ص ٨٧.

(٥) مَوْضِعُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ. وَجَاءَ فِي حَيَاةِ الْحَيَّاتِ: «وَمِنْ أَنْوَاعِهَا الْأَزْعَرُ، وَهُوَ الْغَالِبُ فِيهَا».

(٦) هَذِهِ الزِّيَادَةُ عَنِ الدِّمِيرِيِّ. وَمَكَانُهَا بَيَاضٌ بِقَدْرِ نِصْفِ سَطْرِ فِي شِ. وَلَمْ يَبْيُضْ لَهَا فِي ط، هـ.

(٧) بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ بَيَاضٌ نَحْوُ نِصْفِ سَطْرِ فِي شِ فَقَطْ.

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلود فإنَّ الأرمينيَّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقشِر من جلده وينسلخُ في كلِّ شهرٍ مرَّةً. قال: فجمع ذلك فوجد فيه ملءُ جرابٍ أو قال: أكثرُ.

(علة الفزع من الحية)

وأما الذي لا أشك في أنه قد زاد في أقدارها في النفوس، وعظم من أخطارها، وهول من أمرها، ونبه على ما فيه من الآياتِ العجيبة والبرهان النير، والحجّة الظاهرة، [فَمَا⁽¹⁾] في قلب العصا حيّةً، وفي ابتلاعها ما هولَ به القومُ وسَحَرُوا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وجاءوا به من الإلفك قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَقِيقٌ عَلَىَّ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ [قَدْ جُنْتُكُمْ بَيْنِي وَمِنْ رَبِّكُمْ]⁽²⁾ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ * قَالَ إِنْ كُنْتَ جُنْتُ بِنَايَ فَأَتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ * فَأَلْفَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿[الأعراف: 104-107]، إلى قوله: ﴿فَأَلْفَوْا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَهُمْ﴾⁽³⁾.

فإن قلت: إنه إنما حوّل العصا ثُعْبَانًا لأنهم جاءوا بحبالٍ وعَصِيٍّ فحوّلوها في أعين الناس كلها⁽⁴⁾ حيّات، فلذلك قلبَ الله العصا حيةً⁽⁵⁾ على هذه المعارضة، ولو كانوا حين سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ جَعَلُوا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَهُمْ ذُبَابًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَمُورًا، لَجَعَلَ اللَّهُ عَصَا مُوسَىٰ ذُبَابًا أَوْ نَمْرًا، فلم يكن ذلك لخاصّةٍ في بدن الحية.

قلنا: الدليل على باطل ما قلتم، قولُ الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مِثْرَابٌ أُخْرَىٰ * قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَىٰ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿[طه: 17-20]، وقال الله عزَّ وجلَّ⁽⁶⁾: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [النمل: 7]⁽⁷⁾ إلى قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنِّئُ كَانَتْهَا حَاوًى وَلَّىٰ مَدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 10]⁽⁸⁾، فقلبت⁽⁹⁾ العصا جانًا، وليس هناك حبالٌ ولا عَصِيٍّ، وقال

(1) ليست بالأصل، وبها يتم الكلام.

(2) هذه التكملة ليست في ش، هـ. وإساقطها تحريف شنيع. وبدلها في ط كلمة: «إلى». وهذه الآية وسابقتها ولاحقتها، هي الآيات 104 - 107 من سورة الأعراف.

(3) هذا سهو من الجاحظ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هي سورة الشعراء، وهي الآية الرابعة والأربعون.

(4) ط، هـ: «كانها» وأثبت ما في ش.

(5) ش: «قلت إن العصا حية» وهو تحريف ما في ط، هـ.

(6) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من هـ.

(7) هذه هي الآية السابعة من سورة النمل. وتماها: ﴿سَاتِيكُم مِّنْهَا بِحَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

(8) سهوا الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا: ﴿يَمْوَسَىٰ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾، فخلط بين هذه الآية وبين الآية 31 من سورة القصص: ﴿وَأَنَّ أَلْفَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنِّئُ كَانَتْهَا حَاوًى وَلَّىٰ مَدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾. ومن العجب أن يمر على هذا السهو والذي قبله نحو أحد عشر قرناً فلا ينتهياً أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه. والحمد لله.

(9) هـ: «فقلب» ولها وجه.

اللَّهِ^(١): ﴿قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ قَالَ أُولُو حِجَّتِكَ يَشْتَعِي مُبِينٌ * قَالَ فَأَتَتْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: 39-32] فقلَّبُ^(٢) العصا حيَّة كان في حالات شتَّى^(٣)، فكان هذا ممَّا زاد في قُدْر الحية. وقد ورد أنه ﷺ قال في دعائه أن لا يميتة الله لديغاً. وتأويل ذلك: أنه ﷺ ما استَعَاذَ بالله من أن يموت لديغاً^(٤) وأن تكون مِيتته بأكل هذا العدو، إلا وهو من أعداء الله، بل من أشدَّهم عداوة.

وقال النبي ﷺ: «أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبيّاً أو قتل نبيّاً»، كأنه كان في المعلوم^(٥) أن النبي لا يقتل أحداً، ولا يتفق ذلك إلا في أشرار^(٦) الخلق. ويدلُّ على ذلك الذي اتفق من قتل أبي بن خلف بيده^(٧)، والنضر بن الحارث^(٨)، وعقبة بن أبي معيط^(٩)، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاصي^(١٠) - صبراً^(١١).

- (١) سقطت هذه الكلمة من ش. وسقطت الكلمة الأولى في الآية من ط. وهما مثبتتان في ه. والآيات هي 29-32 من سورة الشعراء.
- (٢) ش: «فقلبت»، ولا تصح. (٣) رسمت هذه الكلمة بالألف في ط. وهي بقية من بقايا الرسم الأول.
- (٤) ط: «مستعاذ بالله أن يموت لديغاً»، وتصحيحه وإكماله من ش، ه.
- (٥) كذا في ط. وفي ش، ه: «العلوم» وهي ركيكة.
- (٦) أشرار: جمع شرير، كشريف، وهو ذو الشر. أو هو جمع شر، مثل زند وأزناد. اللسان والقاموس. ط، ه: «شرار» ولم أجدها فيهما في مادة (شرر) ورأيتها في شعر صخر أخى الخنساء (الخنزاة 1: 393 سلفية):

وَاللَّهِ لَا أَمْنَحُهَا شَرَارَهَا

- (٧) هو أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، كان أدرك الرسول ﷺ في الشعب يوم أحد، وهو يقول: أي محمد! لا نجوت إن نجوت! فقال القوم: يا رسول الله أعطف عليه رجل منا؟ فقال: دعوه: فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، وطعنه في عنقه طعنة تداً منها عن فرسه مراراً - أي تقلب فجعل يتدحرج. سيرة ابن هشام (يوم أحد).
- (٨) هو النضر بن الحارث بن كلدة، أحد بني عبد الدار. أسر يوم بدر كافراً فضرب الرسول ﷺ عنقه صبراً. حماسة البحري 434، أو قتله علي وهو قافل مع الرسول ﷺ من غزوة بدر إلى المدينة. السيرة 508 ورثته أخته قتيلة بأبيات. هي من أروع آيات البيان العربي، رواها ابن هشام في السيرة 539 وأبو تمام في الحماسة (1: 401) والبحري في حماسته 434 والجاحظ في البيان (4: 44)، وقيل إن الرسول ﷺ لما بلغه الشعر قال: «لو بلغني هذا قبل قتله لمينت عليه!». فيقال إن قتيلة بنته، كما في حماسة البحري والإصابة 884 من قسم النساء.
- (٩) عقبة بن أبي معيط - بهيئة التصغير - كان ممن أسر يوم بدر من المشركين، قتل في أثناء فقول الرسول من غزوة بدر، قتله عاصم بن أبي الأفلح الأنصاري. وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال: «أأقتل من بين قريش صبراً؟» فقال عمر بن الخطاب: «حن قدح ليس منها!» يعرض بنسبه: الروض الأنف (2: 77).
- (١٠) هو معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس، وهو جد عبد الملك بن مروان، أبو أمه: عائشة بنت معاوية، كان أسره الرسول بعد غزوة حمراء الأسد، عند رجوعه إلى المدينة، فلجأ إلى عثمان بن عفان، فاستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل، فأقام بعد ثلاث وتواري، فبعث الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه، وقال: «إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا». فوجداه فقتلاه. السيرة 591، ط: «معاوية بن أبي المغيرة»، صوابه في ش، ه كما في السيرة.
- (١١) قتله صبراً: حبسه ورماه حتى مات، صبره: نصبه وحبسه ليقول. ومما ينبغي ذكره هنا، أن الجاحظ قد صرح في كتاب العثمانية ص 46، بأن الرسول: «لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً». فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم، ولم يقتلهم بيده.

وحدثت ⁽¹⁾ عن عبد الله بن أبي هند، قال: حدثني صيفي بن أبي أيوب، أنه سمع أبا بشير الأنصاري ⁽²⁾ يقول: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من هؤلاء السبع: كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهدم ⁽³⁾ وأعوذ بك من التردّي ⁽⁴⁾، وأعوذ بك من الغمّ والعرق ⁽⁵⁾، وأعوذ بك من الحرّ والهَرَم ⁽⁶⁾، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت ⁽⁷⁾ وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مُدبراً، وأعوذ بك من أن أموت لديعاً».

وطلحة بن عمرو قال: حدثني عطاء أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الأسد ⁽⁸⁾ والأسود، وأعوذ بك من الهدم».

(استطراد لغوي)

قال: ويقال للحية: صَفَرَتْ تَصْفِرُ صغيراً، والرجل يَصْفِرُ بالطير للتنفير، وبالذواب وبيعض الطير للتعليم. وتتخذ الصَّفَّارة [يُصْفَرُ بِهَا] ⁽⁹⁾ للحمام وللطير في المزارع. قال أعشى هَمْدَان يَهْجُو رَجُلًا:

وَإِذَا جَا لَزْرَعِ يَوْمَ حَصَادِهِ قَطَعَ النَّهَارَ تَأْوُهُاً وَصَفِيرًا

(لسان الحية)

والحية مشقوقة اللسان سوداؤه. وزعم بعضهم أن لبعض الحيات لسانين وهذا عندي غلط، وأظن أنه لما رأى افتراق طرف اللسان ⁽¹⁰⁾ قضى بأن له لسانين.

(1) في الأصل: «حدث». والوجه ما أثبت.

(2) أبو بشير الأنصاري، ذكره ابن حجر في الإصابة 130 (قسم الكنى). وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً، أورده ابن سعد فيمن شهد الخندق. وقيل مات سنة أربعين.

(3) في رواية أخرى: «اللهم إني أعوذ بك من الأهدمين» قيل في تفسيره: هو أن ينهدم على الرجل بناء، أو يقع في بئر، حكاه الهروي في الغريبين. اللسان (هدم).

(4) تردى: سقط في بئر أو نهر أو هوة.

(5) كذا في هـ واللسان (غرق)، والجامع الصغير 1541 رواية عن النسائي والحاكم. وفي ط، ش: «الفرق» بمعنى الخوف.

(6) الحرق، بالتحريك: النار أو لهبها. والهَرَم، بالتحريك: أقصى الكبر. ط، ش: «الهدم» صوابه في هـ.

(7) تخبطه الشيطان: صرعه ولعب به.

(8) هذه الزيادة الضرورية من الدميري (رسم الأسود السالخ). وفيه: روى أبو داود والنسائي والحاكم وصححه، عن عبد الله بن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: يا أرض، ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك، وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك! أعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد!». الأسود: نوع من الأفاعي شديد السواد، يقال له أسود سالخ؛ لأنه يسلك جلده كل عام.

(9) الزيادة من هـ فقط.

(10) ط: «طرفي اللسان». وأثبت ما في ش، هـ.

(عجبية الضب)

ويقال: إن^(١) للضبِّ أَيْرَيْن، ويسمَّى أير الضبِّ نَزْكَاً^(٢). قال الشاعر^(٣):
 كَضْبٌ لَهُ نَزْكَانِ كَانَا فَضِيلَةً عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْأَنَامِ وَنَاعِلٌ^(٤)
 قال أبو خَلْفٍ النمريّ: سئل أبو حَيَّةَ النميري عن أير الضبِّ، فزعم أنَّ أير الضبِّ
 كلسان الحَيَّة: الأصل واحدٌ، والفرع اثنان.

(زعم بعض المفسرين في عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يزعم أنَّ الله عاقبَ الحَيَّة حين أدخلت إبليس في جوفها،
 حتى كَلَّمَ آدَمَ وَحَوَاءَ وخدعهما على لسانها، بعشر خصال: منها شقُّ اللسان^(٥). قالوا:
 لذلك ترى الحَيَّة إذا ضُرِبَتْ للقتل كيف تخرج لسانها لتُري الضَّارِبَ عقوبةَ الله، كأنها
 تسترحم. وصاحب هذا التفسير لم يقل ذلك إلاَّ لحَيَّةٍ كانت عنده تَتَكَلَّمُ، ولولا ذلك
 لأنكر آدمُ كلامها، وإن كان إبليس لا يحتال إلاَّ من جهة الحَيَّة، ولا يحتال بشيءٍ غير
 ممّوه ولا مشبّه.

(استطراد لغوي)

قال: ويقال أرضٌ مَحْوَاةٌ وَمَحْيَاةٌ من الحَيَّاتِ^(٦) كما يقال أرضٌ مَضْبَّةٌ وَضَبِيَّةٌ من
 الضُّبَابِ^(٧)، وَفَتْرَةٌ من الفَأَرِ^(٨).

- (١) ط: «بأن».
- (٢) النزك، بكسر النون وتفتح. ط: «طرك» هـ: «ترك» س: «نرك» صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص 45 حيث صرح الجاحظ بضبطه.
- (٣) هو أبو الحجاج. وقال ابن بري: «هو لحرمان ذي الغصة، وكان قد أهدي ضباباً لخالد بن عبد الله القسري». انظر اللسان (مادة نرك) حيث تجد أبيات الشاهد. وقال ابن السيد في الاقتضاب 355: «كان خالد ولده بعض البوادي فلما جاء المهرجان أهدي كل عامل إليه ما جرت عادة العمال بإهدائه، وأهدى إليه حرمان قفصاً مملوءاً ضباباً وكتب إليه». وأنشد الأبيات التي رواها الجاحظ أيضاً في الجزء السادس.
- (٤) الرواية: «سبحل له نركان» انظر الحيوان (45:6) واللسان (نرك، سبحل) والمخصص (8:97) وعيون الأخبار (2:98) وأدب الكاتب 154 ومعجم الأدباء (9:161) ومحاضرات الراغب (2:303). وفي ط: «طركان» وهـ: «تركان» صوابه في ش والمراجع. والناعل: من يلبس نعلًا. ش: «وفاعل» محرف.
- (٥) انظر ما سيأتي في ص 112.
- (٦) وذلك إذا كانت كثيرة الحيات.
- (٧) أرض مضببة، بفتح الميم والضاد وتشديد الباء. وفي ط، ش: «مضببة» وهـ: «مضببته» صوابهما ما أثبت. وضببة، كفرة، وهو من شواذ المضغف. ط، هـ: «ضبية» صوابه في ش. والضباب، بالكسر: جمع ضب.
- (٨) في الأصل: «فائرة» تحريف. وانظر (6:84)، واللسان (فأر).

(قولهم: هذا أجل من الحرش!)

وقال الأصمعي في تفسير قولهم في المثل: «هذا أجل من الحرش»⁽¹⁾: «إن الضَّبَّ قال لابنه: إذا سمعت صوت الحرش فلا تخرجن! قال: وذلك أنهم يزعمون أن الحرش تحريك»⁽²⁾ اليد عند جحر الضب؛ ليخرج إذا ظن أنه حية - قال: وسمع ابنه صوت الحفر فقال: يا أبة هذا الحرش؟ قال: يا بني، هذا أجل من الحرش! فأرسلها مثلاً.

(أسماء ما يأكل الحيات)

بين الحيات وبين الخنازير عداوة، والخنازير تأكلها أكلاً ذريعاً. وسموم ذوات الأنياب من الحيات، وذوات الإبر⁽³⁾، سريعة في الخنازير، وهي تهلك عند ذلك هلاكاً وشيكاً؛ فلذلك لا ترضى بقتلها حتى تأكلها. وتأكل الحيات العقبان، والأياثل، والأراوي⁽⁴⁾، والأوعال، والسنانير والشاهمرك⁽⁵⁾، والقنفذ. إلا أن القنفذ أكثر ما يقصد إلى الأفاعي، وإنما يظهر بالليل. قال الرازي:

قنفذ ليل دائم التجأ⁽⁶⁾

وهذا الرازي هو أبو محمد الفقعسي.

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يشبه التمام، والمداخل، والدسيس⁽⁷⁾، بالقنفذ؛ لخروجه بالليل دون النهار، ولاحتياله للأفاعي. قال عبدة بن الطبيب:

اغضوا الذي يلقي القنافة بينكم
مُتنصّحاً وهو السّمام الأنقع⁽⁸⁾
يُزجي عقاربهُ ليعث بينكم
حرباً كما بعث العروق الأخدع⁽⁹⁾

(1) انظر هذا المثل وما قيل فيه، عند المرتضى في أماليه (170: 1) والميداني (170: 1) والبغداد في الخزنة (4: 594) - 595 بولاق).

(2) هـ: «تحريد» بالدال. والتحريد: التعويج.

(3) أي وسموم ذوات الإبر. وفي الأصل: «ومن ذوات الإبر».

(4) الأراوي: جمع أروية، وهي أنثى الوعول.

(5) سبق الكلام عليه في (3: 182).

(6) التجأ: تفعال من جاب يجوب، وأصله «التجواب»، ولم أجد من نبه عليه إلا ما يفهم من عبارة صاحب اللسان: «وفلان جواب جأب: أي يجوب البلاد ويكسب المال». ط: «التجأ» هـ: «التجارب» صوابه في ش.

(7) الدسيس؛ بسنين بينهما ياء: من تدسه ليأتيك بالأخبار. ط: «الدبب» صوابه في ش، هـ.

(8) ش، هـ: «أعصى».

(9) يزجي: يسوق ويدفع. ط: «يرخي» ش، هـ: «تزخي» صوابهما ما أثبت، والرواية في حماسة البحتري 240: «يهدي». والأخدع: واحد من الأخدعين. وهما عرقا الرقبة. ش، هـ: «الفروق» صوابه في ط والحماسة.

حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشْعَشَعٌ⁽¹⁾
 لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشْبُ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْشَعُ⁽²⁾
 وهذا البيت الآخر يضم إلى [قول⁽³⁾] مجنون بني عامر:
 أَنَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
 ويضم إليه قول ابن أود⁽⁴⁾: «الطينة تَقْبَلُ⁽⁵⁾ الطبائع ما كانت لَيْثَةً».
 ثم قال عبدة بن الطيب، في صلة الأبيات التي ذكر فيها الْقُنْفَذَ وَالنَّمِيمَةَ:
 إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْهُمْ خُلَانَكُمْ يَشْفِي صَدَاعَ رُءُوسِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا
 قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ جَذَعُوا قَنَافِدَ النَّمِيمَةِ تَمْرَعُ⁽⁶⁾
 وهذا الشعر من غرر الأشعار، وهو مما يحفظ. وقال الأودي⁽⁷⁾:
 كَقَنْفَذِ الْقَنْ لَا تَخْفِي مَدَارِجُهُ خَبٌّ إِذَا نَامَ عَنْهُ النَّاسُ لَمْ يَنْمِ⁽⁸⁾

(عهد آل سجستان على العرب)

وفي عهد آل سجستان على العرب حين افتتحوها⁽⁹⁾: لَا تَقْتُلُوا قُنْفَذًا وَلَا وَرَلًا وَلَا تَصِيدُوا⁽¹⁰⁾؛ لأنها بلاد أفاع⁽¹¹⁾، وأكثر ما يجتلب أصحاب صنعة الترياق والحواءون الأفاعي من سِجِسْتَانَ. وذلك كَسَبَ لَهُمْ وَجْرَفَةٌ وَمَتَجَرٌ. ولولا كثرة قنفاذها لما كان لهم بها قرارٌ.

- (1) شعشع العسل بالماء: مزجه به وخلطه.
- (2) القوائِل: جمع قابلة، وهي التي تتلقى الولد عند ظهوره. ش، هـ: «القرامل» وهي الإبل ذوات السنامين. وليس يتجه بها المعنى. ينشع بالعداوة: كأنه يوجر بها، أي توضع في فمه ليشربها.
- (3) الزيادة من ش، هـ.
- (4) كذا في ط، هـ. وفي ش: «ابن أمر».
- (5) في الأصل: «تقتل»، ووجهه ما أثبت. وفي ش زيادة واو، قبل «الطينة».
- (6) دمَس: اختلطت ظلمته. الحماسة: «فهم إذا دمَس». وجذعوا: هو من جذع بين البعيرين: قرنهما في قرن، أي حبل، ورواية الحماسة، واللسان «مادة مزع» وديوان المعاني (2: 144) والأزمنة والأمكنة (1: 340، 2: 30): «حدجوا». وهو من حدج البعير والناقة: شد عليهما الحدج، بالكسر، وهو نحو الهدوج والمحفة. والمعنى أعدوا تلك القنفاذ. وتمزع، من المزع، وهو شدة السير. وفي اللسان: «ابن الأعرابي: القنفذ يقال لها: المزاع» بتشديد الزاي. ش، هـ: «تمزع» بالراء صوابه في ط، والحماسة، واللسان (مادة مزع).
- (7) اسمه صلاة بن عمرو. والأودي: نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العشيرة. كان من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وله شعر حكيم سائر. انظر الشعراء والأغاني (11: 41-42)، والبيت في ديوان المعاني (2: 144) منسوب إلى أيمن بن خريم.
- (8) القن، بالضم: موضع، وفي ديوان المعاني: «الرمْل». والخب، بالفتح ويكسر: الخداع. «عنه» هي في الأصل: «عند» محرفة. وفي ديوان المعاني: «ليل».
- (9) كان ذلك سنة إحدى وثمانين، حين أرسل الحجاج، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في جيش كثيف حسن العدة، وكان يسمى «جيش الطواويس»، إلى سجستان لغزو رتبيل، ملك زابلستان، ففتح كثيراً من بلادهم.
- (10) أي ولا تصيدوا شيئاً منها. ط: «ولا ورا لا تصيدونه» ش: «ولا ورا لا تصيدوه». وصوابه ما أثبت من هـ. وعند ياقوت: «ألا يقتل في بلادهم قنفذ ولا يصطاد».
- (11) في الأصل: «أفاعي» ووجه ما أثبت. قال ياقوت في سجستان: «فما من بيت إلا وفيه قنفذ».

(أكل القنفذ للحية)

والقنفذ لا يبالي أي موضع قبض من الأفاعي. وذلك أنه إن قبض على رأسها أو على قفاها فهي مأكولة على أسهل الوجوه، وإن قبض على وسطها أو على ذنبها، جذب ما قبض عليه، فاستدار وتجمع، ومنحه سائر بدنه، فمتى فتحت فاهها لتقبض على شيء منه، لم تصل إلى جلده مع شوكة الثابت فيه. والأفعى تهرب منه، وطلبه لها وجراءته عليها، على حسب هربها منه وضعفها عنه.

(أمثال في الحية والورل والضب)

وأما قولهم: «أضل من حية»، و«أضل من ورل»، و«أضل من ضب» - فأما الحية فإنها لا تتخذ لنفسها بيتاً، والذكر لا يقيم في الموضع، وإنما يقيم على بيضها بقدر ما تخرج فراخها وتقوى على الكسب والتماس الطعام، ثم تصير الأنثى سيارة، فمتى وجدت جحراً، دخلت واثقة بأن الساكين فيه بين أمرين: إما أقام فصار طعماً لها، وإما هرب فصار البيت لها ما أقامت فيه ساعة، كان ذلك من ليل أو نهار.

(بيض الحيات)

وقد رأيت بيض الحيات ⁽¹⁾ وكسرتها لأتعرّف ما فيها، فإذا هو بيض مستطيل أكدر اللون أخضر، وفي بعضه نمش ولمع ⁽²⁾. أما ⁽³⁾ داخله فلم أر قبحاً قط، ولا صديداً خرج من جرح فاسد، إلا والذي في بيضها أسمع منه وأقدر. ويزعمون أنها كثيرة البيض جداً، وأن السلامة في بيضها [على ⁽⁴⁾] دون ذلك، وأن بيضها يكون منضداً في جوفها طوياً على غرار ⁽⁵⁾ واحد، وعلى خيط واحد.

(جسم الحية)

وهي طويلة البطن والأرحام، وعدد أضلاعها عدد أيام الشهر وكان ذلك بعض ما زاد في شدة بدنها ⁽⁶⁾.

(1) ط: «الحياة» صوابه في ش، هـ.

(2) النمش، بالتحريك: نقط بيض وسود. وفي الأصل: «هش» وليس بشيء. وأثبت الصواب موافقاً ما في الديميري (1: 410). واللمع: جمع لمعة، بالضم، وهي كل لون خالف لونها.

(3) ط، هـ: «إذا» صوابه في ش. (4) الزيادة من ش، هـ.

(5) على غرار: أي على قالب. ط، هـ: «عرار» ش: «عراد» صوابهما ما أثبت.

(6) بعد هذا في كل من ط، هـ عبارة دخيلة على الكتاب، أثبتها هنا إثباتاً تاريخياً: «كنت بعجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة. حرره أبو بكر السروكي». وقد سلمت ش من إثبات هذا التشويه الدخيل.

(أكثر الحيوان نسلًا)

والخلق الكثير الذرء^(١) الدجاج. والضَّبُّ أكثرُ بيضاً من الدجاجة. والخنزيرة تضع عشرين خنوصاً. ويخرج من أجواف العقارب عقارب صغار، كثيرة العدد جداً. وعامة العقارب إذا حبِلتْ كان حَتْفُها في ولادها^(٢)؛ لأنَّ أولادها إذا استَوَى خَلْقُها أَكَلَتْ بطونَ الأمهاتِ حتَّى تنقبها^(٣)، وتكونُ الولادةُ من ذلك الثقب، فتخرجُ والأمهاتُ ميتة.

وأكثرُ من ذلك كله ذرءُ السمك؛ لأنَّ الإنسان لو رَعِمَ أنَّ بيضة^(٤) واحدة من بعض الأسبور^(٥) عشرة آلاف بيضة، لكان ذلك لعظم ما تحمِلُ، ولدقة حبه^(٦) وصغره، ولكن يعترِيها أمران: أحدهما الفساد، والآخر أنَّ الذكورة في أوان ولادة الإناث تَبْعُ أذنانها، فكلما زَحَرَتْ بشيء التقمته والتهمته. ثمَّ السمك بعد ذلك في الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضها بعضاً.

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أنَّ الكثرة في الأولاد إنما تكون من العفن واللخن، وعلى قدر كثرة المائتة وقيلتها، فذهبوا إلى أنَّ أرحامَ الرُوميَّاتِ والنصرانيَّاتِ أكثرُ لخنًا ورطوبة؛ لأنَّ غَسَلَ الفروج بالماء البارد مراراً في اليوم، ممَّا يطيب الأرحامَ، وينفي اللخن والعفن، ويزعمون أنَّ المرأة إذا كان فرجها نظيفاً. وكانت مُعْطَرَةً قوَّة المئنة قلَّ حملها، فإنَّ أفرطت في السمن عادت عاقراً. وسَمَن الرجال لا يكاد يعترِيهم ذلك. وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقر والغنم والنحل. إذا قويت النخلة وكانت شابةً، وسَمِنَ جُمَارُها، صارت عاقراً لا تحمل، فيحتالون عند ذلك بإدخال الوهن عليها.

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن في ذلك ناسٌ فقالوا: إنَّ في الضَّبِّ على خلاف ما ذكرتم. قد تبيضُ الأنثى سبعين بيضة فيها سبعون جسلاً^(٧)، ولولا أنَّ الضَّبَّ يأكلُ ولدَه لا نتفشت الصحاري ضباباً.

(١) الذرء: النسل. ط، ش: «الذر» صوابه ما أثبت من هـ.

(٢) الولاد، بالكسر: الولادة. ط، هـ: «أولادها» صوابه في ش. وفي نهاية الأرب (١٤٧: ١٠) نقلاً عن الجاحظ: «ولادتها».

(٣) كذا على الصواب في ش. وفي ط: «تنقبها» وهـ: «يتنفها» محرفتان. وفي نهاية الأرب: «تنقبها».

(٤) البيضة هنا: اسم للمرة من باض يبيض.

(٥) الأسبور، سبق الكلام عليه في (١٤٣: ٣)، وفي الأصل: «الأسبور» مصحف.

(٦) أي حب البيض. ط، هـ: «جثته» تحريف ما أثبت من ش.

(٧) الحسل، بالكسر: ولد الضب.

والضَبُّ لا يحفر إلّا في كُذْيَةٍ⁽¹⁾ وفي بلادِ العَرَادِ⁽²⁾ . وإذا هرمت تبلّغت بالتَّسِيمِ . وهذا كله ممّا يستدلُّ به على بُعْدِ طبعها من اللَّخْنِ والعَفْنِ⁽³⁾ .
 قيل لهم: قد يمكنُ أن يكون ذلك كذلك⁽⁴⁾ في جميع صفاتها إلّا في أرحامها فقط .

(سَفَادُ الْحَيَاتِ)

وليس للحَيَّاتِ سِفَادٌ معروفٌ يَنْتَهِي إليه عِلْمٌ ، ويقف عليه عِيَانٌ ، وليس عند الناس في ذلك إلّا الذي يَرَوْنَ من ملاقة الحَيَّةِ [للحَيَّةِ⁽⁵⁾] والتواءِ كُلِّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجُ خيزرانٍ مفتولٍ ، أو خَلَخَالَ مفتولٍ . فأما أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرج يدخل فيه فَلَا .

(ذكر الأيم والجراة الذكر في الشعر)

والعرب تذكُرُ الحَيَّاتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا: أَيْمٌ ، فإنما يريدون الذَّكَرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عِنْدَ جودة الانسياب ، وخِفَةِ البدن ، كما تذكر الشعراء في صفة الخيل الجراة الذَّكَرَ⁽⁶⁾ دونَ الأنثى . فهم وإن ألحِقُوا الهاء فإنما يريدون الذَّكَرَ . قال بَشْرُ ابنِ أَبِي خازم:
 جَرَادَةٌ هَبْوَةٌ فِيهَا اصْفَرَارُ⁽⁷⁾
 لأنَّ الأنثى لا تكون صفراء ، وإنما الموصوفُ بالصُّفْرَةِ الذَّكَرُ⁽⁸⁾ ؛ لأنَّ الأنثى تكون بين

(1) الكدية ، بالضم : الأرض الصلبة الغليظة .

(2) العراد: حشيش طيب الرائحة ، ط ، هـ: «العرار» محرفة ، صوابه بالبدال كما أثبت من ش . وانظر «اللسان» (عرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم على لسان الضب :

أصبح قلبي صردا لا يشتهي أن يردا
 إلا عراداً عرداً أو صلياناً بردا
 أو عنكثاً ملتبدا

(3) أي أن سكنى الضباب في الكدى وهي بعيدة عن الرطوبات ، وفي تلك البلاد التي تنبت الحشيش الطيب الرائحة - من شأنه أن يبعد طباعها من اللخن والعفن . وفي الأصل : «على بعض طبعها» إلخ . وقد ظهر لك صوابه مما بينت .

(4) كذا في ط ، وفي ش : «قد يكون أن كون ذلك» فقط . وفي هـ: «قد يكون أن يكون ذلك كذلك» .

(5) هذه الزيادة الضرورية من ش ، هـ .

(6) ط : «والجراة الذكر» . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يعنون الذكر دون الأنثى ؛ لأن الجراة الذكر أسرع من الأنثى ، وأخف ، كما في الموازنة للأمدي 75 .

(7) الهبوة: الغبرة . وصدر هذا البيت كما في المفضليات 343 والأساس (هرش) :

مهارشة العنان كأن فيها

وانظر الاستدراكات .

(8) أي كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة بن هبيرة الأسدي (الموازنة 75 والمخصص 16: 115) ، أو قد بن مالك . (معجم المرزباني 339) :

كأن جراة صفراء طارت بألباب الغواضر أجمعينا

حالتين^(١): إما أن تكون حُبلى بِيَيْضِهَا^(٢) فهي مُثْقَلَةٌ وإِما أن تكون [قد^(٣)] سرأت وقذفت بيضها^(٤)، فهي أضعفُ ما تكون. قال الشاعر:

أَتَذْهَبُ سَلْمَى فِي اللَّمَامِ وَلَا تُرَى وفي اللَّيْلِ أَيْمٌ حَيْثُ شَاءَ يَسِيبُ^(٥)

(آثار الحيات والعطاء في الرمال)

وإذا انسابت في الكُثْبَانِ والرَّمْلِ، يبينُ مواضعَ مَزَاحِفِهَا، وعُرِفَتْ آثارُهَا. وقال آخر^(٦):

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْحَيَّاتِ فِيهَا قُبَيْلَ الصُّبْحِ آثَارُ السَّيَاطِ^(٧)

وكذلك يعرفون آثار العطاء. وأنشد ابن الأعرابي:

بِهَا ضَرْبُ أَذْنَابِ الْعَطَاءِ كَأَنَّهَا مَلَاعِبُ وَلَدَانٍ تَخْطُ وَتَمْصَعُ^(٨)

وقال الآخر، وهو يصف حَيَاتٍ:

كَأَنَّ مَزَاحِفَهَا أَنْسَعُ جُرْرُنَ فَرَادَى وَمَثْنَاتِهَا^(٩)

وقال ثَمَامَةُ الْكَلْبِيُّ:

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْهَزْلِيِّ^(١٠) صَبَاحاً خُدُودُ رَصَائِعِ جُدِلَتْ تَوَاماً^(١١)

والهزلي من الحيات. قال جرير أو غيره:

وَمِنْ ذَاتِ أَصْفَاءٍ سُهُوبٍ كَأَنَّهَا مَزَاحِفُ هَزْلِيٍّ بَيْنَهَا مَتَبَاعِدُ^(١٢)

(١) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء في كلامهم الجراحة الذكر، دون الأنثى.

(٢) ط: «إن جلى بيضها» ش، هـ: «إن حبلى ببيضها»، وأصلحت الكلام وأكملته بما ترى.

(٣) الزيادة من هـ.

(٤) سرأت الجراحة والسمة، من باب منع: باضت. (٥) اللمام، بالكسر: اللقاء اليسير.

(٦) هو المتنخل الهذلي، ديوان الهذليين 2: 25 وجمهرة أشعار العرب ص 120 وقبلة:

كَأَنَّ وَغَى الْخُمُوشِ أَمِيمٌ فِيهَا وَغَى رَكْبِ أَمِيمٍ أُولَى زِيَاظٍ

(٧) رواية المخصص (16: 101) والمؤتلف 179: كأن مزاحف الحيات فيه، ونهاية الأرب (10: 146): «وهنا» مكان: «فيها».

(٨) تمصع: تسرع.

(٩) ط: «مراحفها». هـ: «مراجفها» صوابه في ش. والأنسع: جمع نسع بالكسر، وهو سير يضفر ويجعل زماماً للبعير وغيره. وانظر رواية البيت في نهاية الأرب (10: 146)، ومثله في أمالي القالي (2: 237).

(١٠) الهزلي، بالزاي: الحيات. ولا يعرف لها واحد. جاءت في الأصل بالذال في هذا السطر والسطرين بعده، وهو تحريف.

(١١) الخدود هنا بمعنى: آثار الجر والسحب. والرصائع، بالصاد المهملة: جمع رصيعة وهي سير مضفور في أسفل حمالة السيف. ط، هـ: «وضائع» ش: «صائع» كذا. وهما تحريف ما أثبت. جدلت: أحكم فتلها. ط: «خذلت» هـ: «خزلت» ش: «خذلت» والوجه ما كتبت. توأم: جمع توأم. والمراد: أزواجاً. وانظر (6: 166).

(١٢) ذات أصفاء: أي أرض ذات صخور ملساء. والأصفاء: جمع صفا. والصفاء: جمع صفاة. ط، هـ: «إصفاء» صوابه في ش. وفي اللسان (صوى): «أصواء» مع تفصيل في الشرح. والسهبوب: المستوية الواسعة. والبيين: البعد، إن جعل «بينها» مبتدأ مرفوعاً. ويصح أن تكون ظرفاً منصوباً، أي مزاحف متباعد بينها. ط، هـ: «بيتها» صوابه في ش.

وقال بعضُ المحدثين، وذكر حال البرامكة كيف كانت، وإلى أي شيء صارت :
وإذا نظرتُ إلى الثرى بعِراضهم قلت: الشجاعُ ثوى بها والأرقمُ⁽¹⁾
وقال البعيث :

لَقِيَ حَمَلْتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فجاءتُ بيثن للضيافة أرشما⁽²⁾
مُدامِنُ جُوعَاتٍ كَأَنَّ عَرَوْقَهُ مَسَارِبُ حَيَاتٍ تَسْرِبُن سَمْسَمًا⁽³⁾

(روعة جلد الحية)

ولا ثوب ولا جناح، ولا ستر عنكبوت⁽⁴⁾، إلا وقشر الحية أحسن منه وأرق، وأخف وأنعَم، وأعجب صنعة وتركيباً، ولذلك وصف كثيرٌ قميص ملك، فشبهه بسلخ الحية، حيث يقول :

إِذَا مَا أَفَادَ الْمَالَ أَوْدَى بِفَضْلِهِ حقوق، فكره العاذلات يوافقه
يَجْرُرُ سِرْبَالاً عَلَيْهِ كَأَنَّهُ سَبِيءٌ لَهْزَلِي لَمْ تَقْطَعْ شَرَانِقُهُ⁽⁵⁾
والسبيء: السلخ والجلد. قال الشاعر :

وقد نصل الأظفار وانسبأ الجلد⁽⁶⁾

(1) الشجاع: الحية الذكر. والأرقم: حية فيها بياض وسواد، وهي أخبث الحيات وأطلبها للناس. ط: «الشجاع بها ثوى».

(2) اللقى، بالفتح: الذي لا يدرى لمن هو، وابن من هو. ط، هـ: «فتى» ش: «لقد»، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص 186 والاقتضاب 346 واللسان (ضيف، رشم، يتن، لقي). ضيفة: أراد أن أمه حملت به وقد دعيت إلى ضيافة، فجاء حريصاً على الدعوات محباً للضيافات. وكنى عن زنى أمه. واليتن: الذي يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأسه، وكان يتشاءمون به، لخروجه مقلوباً. والأرشم: الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه. ط: «أرثما»، ش، هـ: «أرسما» محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة وأدب الكاتب 127.

(3) مدامن جوعات: أي هو يدمن الجوع. وفي الأصل: «مدافع جرعات كأن عروقه»، وصوابه من الاقتضاب 347 واللسان (سمسم)، ومعجم البلدان (سمسم). جعل عروقه كأنها مسارب الحيات، أي آثارها في الرمال، وهي ملتوية دقيقة. و«سمسم» بفتح السينين: اسم موضع. وتسربنه: مشين فيه. وفي الأصل «يسر بن»، وصوابه من المراجع المتقدمة. ويروى: «تسربن سمسماً» بالشين المعجمة، والسمسم، بفتح السينين أيضاً: السم. أي كثر فيهن السم فدقت أجسامهن، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها.

(4) المراد بستر العنكبوت: بيته الذي ينسجه. وقد نقل هذا الكلام في ثمار القلوب 340 وانظر (5: 277).

(5) السبيء: جلد الحية تسليخه. وجاءت هنا مهموزة، يؤيد همزها الشعر بعدها. والهزلي بالزاي: الحيات. وجاءت في الأصل بالذال، وهو تحريف. والشرانق: سلخ الحية إذا ألقته. ط: «سراذقه» ش، هـ: «سرافقه»، صوابه من اللسان (سبي) ومما في (3: 265)، وانظر المخصص (1: 24).

(6) نصلت أظفاره: خرجت. وانسبأ الجلد: انسلخ.

(صمم النعام والأفعى)

وتزعمُ العربُ أنَّ النَّعَامَ والأفعى صُمَّ لا تسمعُ، وكذلك هما من بين جميع الخلقِ. وسنذكرُ من ذلك في هذا الموضع طرفاً، ونؤخر الباقي إلى الموضع الذي نذكر فيه جملة القول في النعام.

(أصحاب الدعاوي الكبيرة)

وقد ابتلينا بضريين من الناس، ودعواهما كبيرة⁽¹⁾، أحدهما يبلغ من حبه للغرائب⁽²⁾ أن يجعل سمعه هدفاً لتوليد⁽³⁾ الكذابين، وقلبه قراراً لغرائب الزور. ولكلفه بالغريب، وشغفه بالطرف، لا يقف على التصحيح والتمييز، فهو يدخل الغث في السمين، والممكن في الممتنع، ويتعلّق بأدنى سبب ثم يدفع عنه كل الدفع. والصنف الآخر، وهو أن بعضهم يرى أن ذلك لا يكون منه عند من يسمعه يتكلم إلا من خاف التقزُّز⁽⁴⁾ من الكذب.

(قول في صمم الأفعى وعماء)

فزعم ناس أن الدليل على أن الأفاعي صُمَّ، قول الشاعر:

أُنَعْتُ نَضْنَاضاً مِنَ الْحَيَاتِ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ لِلرُّقَاةِ⁽⁵⁾

وقد ذكروا بالصمم أجناساً من خبيثات الحيات، وذهبوا إلى امتناعها من الخروج عند رقية الرّاقى عند رأس الجحر، فقال بعضهم:

وَذَاتِ قَرْنَيْنِ مِنَ الْأَفْعَايِ صَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي

ويزعمون أن كل نضناض أفعى. وقال آخر:

وَمِنْ حَنْشٍ لَا يُجِيبُ الرِّقَاةَ أَرْقَشَ ذِي حُمَةٍ كَالرِّشَا⁽⁶⁾

أَصَمٌّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَا تِ مِنْهَرَتِ الشُّدُقِ عَارِي النِّسَا⁽⁷⁾

فزعم أنه أصم سميع، فجاز له أن يجعله أصم بقوله: «وَمِنْ حَنْشٍ لَا يُجِيبُ الرِّقَاةَ».

وقال الآخر:

(1) ش، هـ: «وعودهما كثير»، صوابه في ط.

(2) ط: «للغريب».

(3) هـ: «لتوكيد»، وجهه ما أثبت من ط، ش.

(4) ط، ش: «التقذر»، هـ: «التقزُّز» صوابهما ما أثبت. وفي العبارة قبله اضطراب.

(5) الرقاة: جمع راق. ورسمت في الأصل بالتاء المفتوحة خطأ.

(6) الحمة: إبرة الحية. والرشاء: الحبل. جعل الحمة كالرشاء في الطول؛ وهي مبالغة ظاهرة. وروى البيهقي هو الألف.

(7) منهرة الشدق: واسعه. والنسا، بالفتح: عرق.

أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَنْفَتِرُ عَنْ عُضْلِ حَدِيدَاتٍ ⁽¹⁾
والأفعى ليس بأعمى، وعينه لا تنطبق، وإن قُلِعَتْ عينه عادت. وهو قائم العين كعين
الجرادة، كأنها مسمارٌ مضروب. ولها بالليل شعاع خفي. قال الراعي يصف الأفعى:

وَيُدْنِي ذِرَاعِيهِ إِذَا مَا تَبَادَرَا إِلَى رَأْسِ صِلِّ قَائِمِ الْعَيْنِ أَسْفَعٍ ⁽²⁾
وهذه صفة سليم الأفعى ⁽³⁾ فيجوز أن يكون الشاعر وصفها بالتمنع من الخروج
بالصمم، كما وصفها بالأعمى؛ لمكان السبات وطول الإطراق. قال الشاعر:

أَصَمَّ سَمِيعَ طَوِيلِ السُّبَاتِ مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ عَارِي الْقَرَا ⁽⁴⁾
وقال آخر:

مَنْهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضُّحَى سَارِ طُمُورٍ بِالْدُجْنَاتِ ⁽⁵⁾
وَتَارَةً تَحْسَبُهُ مَيِّتًا مِنْ طُولِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتٍ ⁽⁶⁾
يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطُورًا لَهُ نَفْخٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ ⁽⁷⁾
وَيُعْلَمُ أَنَّهُ وَصَفَ أفعى بقوله:

أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَنْفَتِرُ عَنْ عُضْلِ حَدِيدَاتٍ ⁽⁸⁾
مَنْهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضُّحَى «إِلخ»

ثم ذكر أنيابه، فقال:

قُدِّمْنَ عَنْ ضَرْسِيهِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى صِمَاخَيْنِ وَلَهَوَاتِ
فجعلله أعصل ⁽⁹⁾ الأنياب، منهرت الأشداق، ثم وصفها بالسبات وطول الإطراق،
وبسرعة النشطة ⁽¹⁰⁾، وخفة الحركة، إذا همّت بذلك وكانت تعظم ⁽¹¹⁾.

(1) عصل: جمع أعصل بمعنى الملتوي. ش، هـ: «عضل» صوابه في ط وقبله كما سيأتي في 164:

وَكَمْ طُوتَ مِنْ حَنْشٍ رَاصِدٍ لِّلْسَفْرِ فِي أَعْلَى الثَّنِيَاتِ

(2) الأسفع: الأسود. هـ: «أسقع» صوابه في ط، هـ.

(3) السليم: الملدوغ.

(4) القرا: الظهر. وقد سبق نظير هذا البيت في الصفحة السابقة.

(5) الطمور: الثواب. طمر: وثب. والدجنات: الظلمات.

(6) الإخبات: الاطمئنان والسكون.

(7) يسبته الصبح: ينيمه. ط: «يثبته» صوابه في ش، هـ. والنفث: النفخ وفي الأصل: «نقب». وهو تحريف صوابه

مما سيأتي ص 164، ولا تنقب الحيات بل تنفث. والمغارات: جمع مغارة، وهي الجحر. ش: «المفارات» ولا وجه له.

(8) مضى هذا البيت في أول الصفحة.

(9) أعصل: أعوج. هـ: أعضل مصحف.

(10) نشطت الحية تشط وتشط: عضت بناها.

(11) كذا بالأصل.

(شعر امرأة جمع صفة الحية)

وقد وصفتها امرأة جاهليّة بجميع هذه الصّفة⁽¹⁾، إلا أنها زادت شيئاً. والشّعرُ صحيح. وليس في أيدي أصحابنا من صفة الأفاعي مثلها. وقد رأيت عند داود بن محمد الهاشمي كتاباً في الحيات، أكثر من عشرة أجلاد، ما يصحّ منها مقدار جلد ونصف. ولقد ولّدوا على لسان خليف الأحمر، والأصمعي، أرجازاً كثيرة. فما ظنك بتوليدهم على ألسنة القدماء! ولقد ولّدوا على لسان جحشويّه في الحلاق أشعاراً ما قالها جحشويّه قط. فلو تقدّروا من شيء تقدروا من هذا الباب. والشّعر الذي في الأفعى⁽²⁾:

قَد كَادَ يَقْتَلَنِي أَصْمُ مَرَقَشْ	مِنْ حُبِّكُمْ، وَالْخَطْبُ غَيْرُ كَبِيرِ ⁽³⁾
خُلِقْتُ لَهَا زُمُهُ عَزِيْزٍ وَرَأْسُهُ	كَالْقَرْصِ فُلُطَحٍ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرِ ⁽⁴⁾
وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ كَأَنَّهَا	سَمَرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيْضِ بَرِيرِ ⁽⁵⁾
وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنُوفَةٍ	مَلَقَاكَ كَفَّةً مُنْخَلٍ مَاطُورِ ⁽⁶⁾
وَكَأَنَّ شِدْقِيْهِ إِذَا اسْتَعْرِضْتَهُ	شِدْقًا عَجُوزَ مَضْمَضَتٍ لَطُهورِ ⁽⁷⁾

فقد زعمت⁽⁸⁾ كما ترى أنها تدير عيناً⁽⁹⁾، وزعم الأول⁽¹⁰⁾ أنها قائمة العين. إلا أن تزعم أنها لم تُردّ بالإدارة أن مقلتها تزول عن موضعها، ولكنتها أراحت أنها جوالّة في إدراك الأشخاص، البعيدة والقريبة، والمتيامنة والمتياسرة.

وقد يجوز أن يكون إنما جعلها سمّية⁽¹¹⁾ لدقة الجسّ، وكثرة الاكثراث وجودة الشّم، لا جودة السّمع؛ فإنّ الذين زعموا أنّ النعامة صمّاء زعموا أنها تدرك من جهة الشّم والعين،

- (1) هذا المثلث في ش، هـ أجزل من: «الصفات» المثبتة في ط.
- (2) انظر نسبة الشعر فيما أسلفت في (2: 121).
- (3) رواية المؤتلف والأصمعيات: «من حب كلّم والخطوب كثير».
- (4) ط: «أفطح» ش: «فصلح»، تحريف ما أثبت من هـ. وانظر شرح البيت في (2: 121).
- (5) في الأصل: «للوقاح»، صوابه من (2: 122) والمؤتلف والأصمعيات وعيون الأخبار (2: 102)، وسبق شرح البيت في (2: 122).
- (6) التنوفاة: الأرض الفسيحة المتباعدة الأطراف. كفة المنخل: إطاره المستدير. والمأطور: ذو الإطار. وفي الأصل: «منجل»، والأوفق ما أثبت من المؤتلف ومن الأصل المصور لعيون الأخبار؛ إذ أن إطار المنخل أصدق تصويراً للاستدارة والتحوي، وهما مما توصف به الحيات. انظر لذلك ص 113 س 5-6 ساسي ورواية صدر البيت في المؤتلف:

«وَكَأَنَّ مَرَصْدَهُ بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ تَلَقَاكَ

- (7) انظر ما سبق في (2: 122)، والطهور، بالضم: التطهر.
- (8) أي الشاعرة. وفي ط: «زعم».
- (9) عني الحية هنا. والحية تذكر وتؤنث.
- (10) هو الراعي. انظر 101.
- (11) هـ: «سمياً» وهما وجهان جائزان. وفي القاموس: «وأذن سمعة ويحرك وكفرحة، وشريفة وشريف».

جميع الأمور التي كانت تعرفها [من⁽¹⁾] قَبْلَ السَّمْعِ لو كانت سَمِيعَةً . وقد قال الشاعر⁽²⁾ في صفة الحية :

تهوي إلى الصَّوتِ والظلماء عاكفةً تقوّر السَّيلَ لاقى الحيدَ فاطلعا⁽³⁾

هذا بعد أن قال :

إني وما تبتغي مني كملت مس صيداً وما نال منه الرِّيَّ والشُّبعا

أهوى إلى بابٍ جحر في مقدمه مثلُ العسيب ترى في رأسه نزعاً⁽⁴⁾

اللُّونُ أربدٌ والأنيابُ شابكةٌ عضلُ ترى السَّمَّ يجري بينها قطعاً⁽⁵⁾

أصم ما شمَّ من خضراء أيبسها أو شمَّ من حجر أوهاه فانصدعاً⁽⁶⁾

فقد جعل⁽⁷⁾ لها أنياباً عُصلاً ، ووصفها بغاية الخُبث وزعم أنها لا تسمع . فهؤلاء ثلاثة شعراء .

(الثقة بالعلماء)

فإن قلت : إنَّ المولّد لا يؤمن عليه الخطأ إذ كان دخيلاً في ذلك الأمر ، وليس كالأعرابي الذي إنما يحكي الموجود الظاهر له ، الذي عليه نشأ ، وبمعرفته غدى . فالعلماء الذين اتّسعوا في علم العرب ، حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بخبر كانوا الثقات فيما بيننا وبينهم ، هم الذين نقلوا إلينا . وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً⁽⁸⁾ ، أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً⁽⁹⁾ . ومتى أخبرني بعض هؤلاء بخبر لم أستظهر عليه بمسألة⁽¹⁰⁾ الأعراب . ولكنه إن تكلم وتحدّث ، فأنكرت في كلامه بعض الإعراب ، لم أجعل ذلك قُدوة حتى أوقفه عليه ، لأنه ممّن لا يؤمن عليه اللحن الخفي قبل التفكير . فهذا وما أشبهه حكمه خلاف الأول .

(الرّفيّة)

والرّفيّة تكون على ضروب : فمنها الذي يدّعيه الحوّا والرّقاء ؛ وذلك يُشبهه بالذي

(1) ليست بالأصل . (2) هو الزيايدي كما سيأتي في ص 163 .

(3) التقوّر : التثني . وفي الأصل : « قعود » ، ولم أجده وجهاً ، وصوابه في اللسان (قرر) : والحيد بفتح الحاء : ما شخص من الجبل . وفي الأصل : « الجيد » وصوابه مما سيأتي ص 163 واللسان واطلع : أشرف . جعل انسياب الحية في سرعتها وتلويها كانسياب السيل إذا لاقاه حيد ثثنى وأشرف على طريق آخر .

(4) في مقدمه : في مقدم الجحر . والعسيب : السعف لم ينبت عليه خوص .

(5) ط ، ش : « شائكة » والأوجه ما أثبت من هـ . وشابكة : مشتبكة . وعصل : « معوجات » . هـ : « عضل » مصحف .

(6) سبق الكلام على هذا البيت في (2 : 80) . ط : « ثم » موضع « شم » في الموضعين ، وهو تحريف .

(7) في الأصل : « جعلوا » .

(8) ط : « أو حديثاً منشوراً » .

(9) ط : « أو قصيداً موزوناً » . وانظر الاستدراكات .

(10) كذا في ط ، هـ . والمسألة : مصدر ميمي من سأل . وفي : « بمسألة » .

يَدْعِي (١) نَاسٌ [من (٢)] العزائم على الشياطين والجن؛ وذلك أنهم يزعمون أن في تلك الرُقِيَّة عزيمة لا يمتنع منها الشيطان، فكيف العامر (٣)؟! وأن العامر إذا سُئِلَ بها أَجَابَ، فيكون هو الذي يتولى إخراج الحيات من الصُّخْر، فإن كان الأمر على ما قالوا فما ينبغي أن يكون بين خروج الأفاعي الصم وغيرها فرق، إذا كانت العزائم والرقي والنقث ليس شيئاً (٤) يعمل في نفس الحيَّة، وإنما هو شيء يعمل في الذي يُخْرِجُ الحيَّة. وإذا كان ذلك [كذلك (٥)] فالسَّمِيع والأصم فيه سواء. وكذلك يقولون في التَّحْيِيب والتَّبْغِيز، وفي الشُّرَّة (٦) وحلَّ العُقْدَة وفي التَّعْقِيد والتحليل.

(العزيمة)

وزعمون أن الجن لا تجيب صاحب العزيمة حتى يتوَحَّش ويأتي الخرابات والبراري، ولا يَأْتَسُ بالناس، وَيَشَبَّه (٧) بالجن، ويغسل بالماء القراح (٨)، ويتبخر باللُّبان الذكر، ويراعي المشتري (٩). فإذا دقَّ ولطف، وتوَحَّش وعزم، أجابته الجن، وذلك بعد أن يكون بدنه يصلح هيكلًا لها، [و (١٠)] حتَّى يَلِدَّ دُخُولَهُ وَادِي (١١) منازلها، وألاً يكره ملابسته والكون فيه. فإن هو ألحَّ عليها بالعزائم، ولم يأخذ لذلك أهبتَه خبَلَتَه، وربما قتلته؛ لأنها تظن أنه متى توَحَّش لها، واحتسى، وتَنَظَّف (١٢) فقد فرغ. وهي لا تُجِيب بذلك فَفَقَط (١٣)، حتَّى يكون المعزم مشاكلاً لها في الطُّبَاع. فيزعمون أن الحيات إنما تُخْرِجُ إخراجاً، وأن الذي يخرجها هو الذي يخرج سمومها من أجساد الناس، إذا عَزَمَ عليها (١٤).

(التعويد)

والرُقِيَّة الأخرى بما يُعرَف من التعويد (١٥). قال أبو عبيدة: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُول (١٦): قد

-
- (١) ط فقط: «يدعيه».
- (٢) زيادة يفتقر إليها الكلام.
- (٣) العامر: ما يسكن بيوت الناس من الجن، فيما يزعمون.
- (٤) هـ، ش: «شيء» بالرفع، صوابه في ط.
- (٥) زدها مطاوعة لأسلوب الجاحظ.
- (٦) النشرة، بالضم: رقية يعالج بها المجنون والمريض.
- (٧) في الأصل: «ويشبه».
- (٨) ماء قراح، كسحاب: خالص لا يخالطه شيء.
- (٩) هو ذاك الكوكب: سماه المنجمون السعد الأكبر؛ لأنه فوق الزهرة في السعادة وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة، والسعادة العظيمة. عجائب المخلوقات.
- (١٠) زيادة يفتقر إليها الكلام.
- (١١) كذا على الصواب في ش، هـ. وفي ط: «وأرى».
- (١٢) ط: «وتنطق»، صوابه في ش، هـ.
- (١٣) أي أن الجن لا تجيب بالعزيمة فقط، بل لابد لها مع ذلك من أن يشاركها المعزم في طباعها. وفي الأصل: «وهو لا يجيب»، والوجه ما أثبت.
- (١٤) كذا على الصواب في ط. وفي هـ، ش: «عليه».
- (١٥) ش: «التعويدة».
- (١٦) ط: «وقال سمعت أبا عبيدة يقول»، هـ: «وقال أبو عبيدة: سمعت يقول». وصوابهما ما أثبت من ش.

جاءكم أَحَدُكُمْ يَسْتَرْقِيكُمْ فَارْقُوهُ . قال : فَعَوَّذُوهُ ببعض العوائذ ⁽¹⁾ . والوجه الآخر مشتق من هذا ومحمولٌ عَلَيْهِ ، كَالرَّجُلِ يَقُولُ : مازال فلان يرقى فلاناً حَتَّى لَانَ وَأَجَابَ .

(قول الشعراء والمتكلمين في رقى الحيات)

وقد قالت الشعراء في الجاهليَّة والإسلام في رُقَى الحيات ، وكانوا يؤمنون بذلك ويصدقون به ، وسنخبر بأقاويل المتكلمين في ذلك ، وبالله التوفيق . و[منهم ⁽²⁾] مَنْ زعم أنَّ إخراجَ الحَيَّة من جُحرها إلى الرَّاقِي ، إنما كان للعزيمة والإقسام عليها ، ولأنَّها إذا فهمت ذلك أَجَابَتْ ولم تمتنع . وكان أُمَيَّة بنُ أَبِي الصَّلْت ، لا يعرف قولهم في أنَّ العُمَارَ هم الذين يُجيبون العزائم بإخراج الحَيَّات من بُيوتها ، وفي ذلك يقول :

والحِية الذكر الرَّقْشاءَ أَخْرَجَها	مِنْ جُحْرِها أَمْناتُ اللَّهِ والقَسَمِ ⁽³⁾
إذا دعا باسمها الإنسانُ أَوْ سَمِعَتْ	ذاتَ الإلهِ بدا في مشيها رَزَمٌ ⁽⁴⁾
من خَلْفها حُمَّةٌ لولا الَّذي سَمِعَتْ	قد كانَ ثَبَّتْها في جُحرها الحَمَمِ ⁽⁵⁾
نابٌ حديدٌ وكَفٌّ غيرُ وادِعَةٍ	والخلقُ مختلفٌ في القَوْلِ والشِّيمِ ⁽⁶⁾
إذا دُعِيْنَ بأسماءٍ أَجَبْنَ لها	لِنافِثٍ يَعتديه اللُّهُ والكَلِمِ ⁽⁷⁾
لولا مخافة رَبِّ كانَ عَذْبُها	عرجاء تَظْلَعُ ، في أنيابها عَسَمِ ⁽⁸⁾
وقد بَلَّتْهُ فذاقَتْ بَعْضُ مَصَدَقِهِ	فليسَ في سَمْعِها ، من رَهْبَةٍ صَمَمِ ⁽⁸⁾

(1) كذا جاءت هذه الكلمة ، ولم أرها في غير هذا الموضع ، والمعروف : «التعاوِذ» ، جمع تعويذة ، و«العوذ» : جمع عوذة بالضم . و«المعاذات» بالفتح : جمع معاذة .

(2) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(3) في اللسان : «ووصف أُمَيَّة الحية بالحنفة فقال :

والحِية الحنفة الرقشاءَ أَخْرَجَها من بيتها أَمْناتُ اللَّهِ والكَلِمِ .

وهي رواية الخصائص (1: 154) ، قال : «أنثوا المصدر لما جرى وصفاً على المؤنث» ، يعني الحنفة .

(4) في اللسان : «رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزموماً ورزماً : إذا كان لا يقدر على النهوض رزاحاً وهزاً» . ورواية الديوان 57 : «يرى في سعيها رزم» .

(5) كذا في ط ، هـ والديوان ، وقد استعمل المجاز في «خلفها» كما يقول القائل : «من خلفه الشر والأذى» ، أي هو صاحب شر وأذى . والحنمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة : «السم» ، وتجمع على حمم ، انظر اللسان . وفي ش : «من خلفها حية» ولا توافق ما سيأتي من تعقيب الجاحظ في الصفحة التالية س 4 .

(6) ناب حديد : حاد . وليس للحية كف ، وإنما أراد كثرة ما يصيب الناس من شرها .

(7) تطلع : تعرج وتغمز في سيرها . وفي الأصل : «تطلع» ، صوابه في الديوان والعسم . بالتحريك : أصل معناه يبس في المرفق تعوج منه اليد ، فهو أراد به هنا الاعوجاج والانعقاد ، وهو من صفة ناب الحية . وفي الأصل والديوان أيضاً : «غشم» ، وأراها تحريفاً .

(8) بلا الشيء يبلوه : اختبره . والمراد هنا عرفته بعد الاختبار . والضمير عائد إلى «نافث» في البيت الذي قبل السابق . ش ، هـ : «قد أبلته» ، وفي الديوان : «وقد بكته» ، صوابهما ما أثبت من ط .

فكيف يأمنها أم كيف تألفه وليس بينهما قُربى ولا رَحِم! يقول: لو أنها أخرجت⁽¹⁾ حين استُحِلَّتْ بالله لما خرجت؛ إذ ليس بينهما قُربى ولا رَحِم. ثم ذكر الحمة⁽²⁾ والثَّاب.

وقال آخرون: إنما الحية مثل الضَّبِّ والضَّبُع، إذا سمع بالله والهدم والصَّوت خرج ينظر. والحواء إذا دنا من الجحر رفع صوته وصَفَّقَ بيديه، وأكثر من ذلك، حتى يخرج الحية، كما يُخرج الضَّبِّ والضَّبُع. وقال كثير:

وسوداء مطراق إلي من الصِّفا⁽³⁾ أني⁽⁴⁾ إذا الحاوي دنا فصدًا لها⁽⁵⁾
والتَّصديفة: التَّصْفِيق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: 35] الآية. فالمُكاء: صوت بين النَّفخ والصَّفير، والتَّصْدِيق: تصفيق اليد باليد.

فكان الحواء يحتال بذلك للحية، ويُوهم مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ بالرُّقية أخرجها، وهو في ذلك يتكَلَّم ويعرِّض، إلا أن ذلك صوت رفيع. وهو لو رَفَعَ صوته ببيت شعر أو بخرافة، لكان ذلك والذي يظهر من العزيمة عند الحية سواء. وإنما يُنكر الصَّوت، كما يُنكر الضَّبِّ وغير ذلك من الوحش. ثم قال:

كففت يدا عنها وأرضيت سَمْعها من القول حتى صدقت ما وعى لها
وأشعرتها نفثاً بليغاً، فلو ترى وقد جعلت أن ترعني النفث بالها⁽⁶⁾
تسللتها من حيث أدركها الرقي إلى الكف لما سالمته، وانسلالها
فقال كما ترى:

كففت يدا عنها وأرضيت سَمْعها

((البيت))

ثم قال:

وأشعرتها نفثاً بليغاً فلو ترى

وقال الأعشى⁽⁷⁾:

أبا مسمع إنني امرؤ من قبيلة بنى لي عزاً موتها وحياتها

- (1) ش: «خرجت».
- (2) الحمة، بالضم الحاء وفتح الميم، ويقال الحمة، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة أيضاً، بمعنى السم.
- (3) الصفا: جمع صفاة، وهي الصخرة الملساء الصلبة. ط، ش: «الصفاء». صوابه في هـ.
- (4) أني، من الأناة بمعنى البطء. ط، هـ: «أتى» صوابه في ش.
- (5) ط: «إذا الحانوت» تصحيحه من ش، هـ. ورسمت «فصدا» بالآلف وهي من الصدو، بمعنى التصفيق. وفي ط: «فضدا»، مصحفة.
- (6) هـ: «يالها».
- (7) النسبة في المخصص (15: 125) إلى أبي ذؤيب الهذلي. وفي معجم المرزباني 371 ومجموعة المعاني 158 إلى خالد بن زهير الهذلي - وهو ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي يخاطب معقل بن خويلد الهذلي، في قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلي. وهذا هو الصواب في النسبة.

فلا تُلْمَسِ الْأَفْعَى يَدِيكَ تَرِيدُهَا إِذَا مَا سَعَتْ يَوْمًا إِلَيْهَا سَفَاتُهَا⁽¹⁾
وقال آخر:

يَدْعُوا بِهِ الْحَيَّةَ فِي أَقْطَارِهِ⁽²⁾ فَإِنْ أَبَى شَمَّ سَفَا وَجَارِهِ⁽³⁾
والسَّفا: التراب اليابس بين التربين. يقال سَفَاً وَسَفَاةً.

(تمويه الحواء والراقي)

والحواء [و⁽⁴⁾] الرَّاقِي يُرِي⁽⁵⁾ النَّاسَ أَنَّهُ إِذَا رَأَى جَحْرًا⁽⁶⁾ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ: أَجْحَرُ حَيَّةٌ هُوَ
أَمْ جُحِرَ شَيْءٌ غَيْرُهُ، فَإِنْ كَانَ جُحِرَ حَيَّةٌ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَهْيَ فِيهِ أَمْ لَا. ثُمَّ إِذَا رَقِيَ وَعَزَمَ
فَامْتَنَعَتْ مِنَ الْخُرُوجِ، وَخَافَ أَنْ تَكُونَ⁽⁷⁾ أَفْعَى صَمَاءٍ لَا تَسْمَعُ، وَإِذَا أَرَاغَهَا⁽⁸⁾ لِيَأْخُذَهَا فَأَخْطَأَ
لَمْ يَأْمَنَ مِنْ أَنْ تَنْقَرَهُ نَقْرَةً⁽⁹⁾ لَا يُفْلِحُ بَعْدَهَا أَبَدًا، فَهُوَ عِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَبْرِي⁽¹⁰⁾ بِأَنْ يَشَمَّ مِنْ تَرَابِ
الْجَحْرِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ: أَهْيَ أَفْعَى أَمْ حَيَّةٌ مِنْ سَائِرِ الْحَيَاتِ. فَلِذَلِكَ قَالَ:

يَدْعُو بِهِ الْحَيَّةَ فِي أَقْطَارِهِ

((البيت))

والوجار: الجحر.

(ريح الأفعى)

وَزَعَمَ لِي بَعْضُ الْحَوَائِينَ أَنَّ لِلْحَيَّاتِ نَنًّا وَسَهَكًا، وَأَنْ رِيحَ الْأَفْعَى مَعْرُوفَةٌ. وَلَيْسَ

(1) السفاة، بالفتح، سيفسرها الجاحظ بعد. وفي ط، هـ، ش: «سعى لها» وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام، ولا يستقيم به الشعر، صوابه في المرجعين المتقدمين وكذا المقصور والممدود 53 والمخصص (63: 10) أيضاً. والرواية في الجميع ما عدا معجم المرزباني:

فلا تلمس الأفعى يداك تريدُها ودعها إذا ما غيبتها سفاتها

لكن في مجموعة المعاني: «سفاتها». وانفرد المرزباني بروايته:

ولا تبعث الأفعى تداور رأسها ودعها إذا ما غيبتها سفاتها

(2) ضمير أقطاره عائد إلى الحية، والحية تذكر وتؤنث، وأقطار الحية: النواحي التي يسكن فيها. وضمير يدعو، هو للراقي أو الحاوي.

(3) أي إن أبي الحية أن يخرج، شم الحاوي تراب جحره، ليعلم: أهو فيه أم لا؟.

(4) ليست بالأصل. وبها يلتزم الكلام.

(5) كذا على الصواب في ط. وفي ش، هـ: «يرقى» محرفة.

(6) ط، ش: «جحر حية». والوجه حذف: «حية» للتعميم، كما في هـ.

(7) ط، ش: «يكون» أي ما في داخل الجحر. فله وجه. وأثبت ما في هـ.

(8) أراغها: طلبها. وفي الأصل: «راغها» والوجه ما أثبت.

(9) انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة ص 65.

(10) مخففة من يستبرئ بمعنى يختبر. وبمعناها الدقيق: يطلب براءة الجحر مما قد يكون به من الأفاعي الصم والمؤذية.

شيءٍ أعلق، ولا أعنق⁽¹⁾، ولا أسرع أخذاً لرائحةٍ من طينٍ أو تراب، وأنه⁽²⁾ إذا شم من طينة الجحر لم يخف عليه. وقال: اعتبر ذلك بهذا الطين السداني⁽³⁾ والراهمي⁽⁴⁾ إذا ألقى في الزعفران والكافور، أو غير ذلك من الطيب، فإنه متى وضع إلى جنب روثه أو عذرة، قبل ذلك الجسم. والرفاء يوهم الناس إذا دخل دورهم لاستخراج الحيات أنه يعرف أماكنها برائحتهما، فلذلك يأخذ قصبه ويشعب رأسها، ثم يطعن بها في سقف البيت والزوايا، ثم يشمها ويقول مرة: فيها حيات؛ ويقول مرة: بلى، فيها حيات، على قدر الطمع في القوم، وفي عقولهم.

(تأثير الأصوات)

وأمر الصوت عجب، وتصرفه في الوجوه عجب. فمن ذلك أن منه ما يقتل، كصوت الصاعقة، ومنها ما يسر النفوس حتى يفرط عليها⁽⁵⁾ الشؤر فتلق حتى ترقص، وحتى ربما رمى الرجل بنفسه من حائق⁽⁶⁾. وذلك مثل هذه الأغاني المطرية. ومن ذلك ما يكمد. ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه، كنحو هذه الأصوات الشجية، والقراءات الملحنة⁽⁷⁾. وليس يعترهم ذلك من قبل المعاني؛ لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم. وقد بكى ما سرجويه⁽⁸⁾ من قراءة أبي الخوخ، فقل له: كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به؟ قال: إنما أبكاني الشجا! وبالأصوات ينومون الصبيان والأطفال.

(أثر الأصوات في الحيوان)

والدواب تصر أذانيها⁽⁹⁾ إذا غنى المكارى. والإبل تصر أذانيها إذا حدا في آثارها الحادي، وترداد نشاطاً، وتزيد في مشيتها⁽¹⁰⁾. ويجمع⁽¹¹⁾ بها الصيادون السمك في حظائرهم

(1) أي أسرع. ط: «أعق» ش، ه: «اعتق» ولعل صوابهما ما أثبت.

(2) ط، ه: «فإنه» والصواب في ش.

(3) كذا بالأصل. ولعله: «السيرافي» نسبة إلى سيراف. وقد ذكره صاحب المعتمد في الكلام على (طين قيموليا).

(4) الراهطي: نسبة إلى راهط، وهو موضع في غوطة دمشق، كانت عنده الوقعة المشهورة: «مرج راهط».

(5) ط: «عليه» صوابه في ش، ه. (6) الحائق: الجبل المرتفع. والمراد: مكان مرتفع.

(7) من التلحين. ولابن قتيبة في المعارف 232 بحث جيد في تلحين القرآن، منه: «وكان القراء كلهم: الهيثم، وأبان، وابن أعين، يدخلون في القراءة من ألحان الغناء، والحداء والرهبانية. فمنهم من كان يدس الشيء من ذلك دساً رقيقاً، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه. فمن ذلك قراءة الهيثم: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر. سلخه من صوت الغناء كهية:

أما القطاة فإنني سوف أعتها نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

(8) ما سرجويه: طبيب مصري يهودي، وكان أحد المترجمين من السريانية إلى العربية وهو الذي فسر كناش القمر أهرن بن أعين، وزاد عليه مقالتين. وكلمة: «بكي» هي في ط، ش: «بكاى»، وفي ه: «بكا» وقد صححته.

(9) صرت الدابة أذنيها: نصبتها للاستماع. (10) ش: «مشيتها».

(11) ط، ه: «وتجمع». وتأنيث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز، ولكن جمع التصحيح المذكر كما هنا؛ لا يجوز في فعله إلا التذكير، خلافاً للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾ [يونس: 90]، ورد عليهم احتجاجهم بأن «بنو» ليس جمع تصحيح.

التي يتخذونها له . وذلك أنهم يضربون بعصيٍّ معهم، ويُعططون^(١)، فتقبل أجناسُ السمكِ شاخصةً الأبصار مصغيةً إلى تلك الأصوات، حتَّى تدخلَ في الحظيرة، ويُضرب بالطَّسّاس للطَّير، وتُصاد بها . ويضرب بالطَّسّاس للأُسْد وقد أقبلت، فتروّعها تلك الأصوات .

وقال صاحب المنطق: الأيائل تُصَاد بالصَّفير والغناء، وهي لا تنام مادامت تسمع ذلك من حاذق الصوت . فيشغلونها بذلك ويأتون من خلفها فإن رآوها مسترخية الأذان وثبوا عليها، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سبيل . والصَّفير تُسقى به الدواب الماء، وتنفر به الطير عن البذور . وزعم صاحب المنطق أنَّ الرَّعدَ الشَّدِيدَ إذا وافق سباحة السمك في أعلى الماء رمَتْ ببيضها^(٢) قبل انتهاء الأجل . [وربما تمَّ الأجل^(٣)] فتسمع^(٤) الرَّعدَ الشَّدِيدَ، فيتعضِّل^(٥) عليها أياماً بعد الوقت .

(قول لأبي الوجيه العكلي)

وقال أبو الوجيه العكليُّ: أَحِبُّ السَّحَابَةَ الْخَرَسَاءَ وَلَا أَحِبُّهَا! فقليل له: وكيف ذلك؟ قال: لأنها لا تخرسُ حتى تمتلئ ماءً وتصبَّ صبّاً كثيراً، ويكون غيثاً طَبَقاً^(٦) . وفي ذلك الحيا^(٧) . إلا أنَّ الكمأة لا تكون على قدر الغيث . ذهب إلى أنَّ للرَّعدِ في الكمأة عملاً .

(دعابة لجعفر بن سعيد)

وقال جعفر بن سعيد^(٨): سأل كسرى عن الكمأة فقليل له: لا تكون بالمطر دون الرَّعد، ولا بالرَّعد دون المطر . قال: فقال كسرى: رثوا بالماء واضربوا بالطبول! وكان من جعفر على التلميح^(٩) . وقد علم جعفر أنَّ كسرى لا يجهل هذا المقدار .

(أثر الصوت في الحية)

فالحية واحدة من جميع أجناس الحيوان الذي للصَّوت في طبعه عمل فإذا دنا الهواء وصفق بيديه، وتكلم رافعاً صوته حتى يزيد^(١٠)، خرج إليه كلُّ شيء كان في الجحر، فلا يشكُّ من لا علم له أنَّ الحية خرجت من جهة الطاعة وخوف المعصية، وأنَّ العامرَ أخرجها تعظيماً للعزيمة، ولأنَّ المعتزم مُطاعٌ في العَمَّار . والعامَّة أسرعُ شيءٍ إلى التَّصديق .

(١) العططة: تتابع الأصوات واختلاطها .

(٢) ط، هـ: «بعضها» صوابه، في ش .

(٣) الزيادة من ش، هـ .

(٤) في الأصل: «فيسمع» .

(٥) يتعضل: يعسر خروجه . وفي الأصل «فيتعطل»، تحريف .

(٦) طبقاً: أي مالئاً للأرض مغشياً لها .

(٧) الحيا، بالقصر، ويمد أيضاً: الخصب .

(٨) تقدمت ترجمته في (3: 251) .

(٩) التلميح: أن يأتي بشيء مליح . وأصل ذلك في الشاعر، وقد جعله هنا للمتحدث ط: «التلميح» وهو التزود

بالمليح، أو التجارة به، وليس يليق بهذا الموضع، وصوابه في ش، هـ .

(١٠) يقال زيده، بالتشديد، فزاد وازداد .

(شعر في الروح وهيكلها)

وفي [الروح، وفي⁽¹⁾] أَنَّ البدنَ هيكلٌ لها، يقول سليمانُ الأعمى⁽²⁾ وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصاري. وكانوا لا يشكون بأنَّ سليمانَ هذا الأعمى، كان من مُستجيبِي⁽³⁾ بشارِ الأعمى، وأنَّه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدِّين. وهو الذي يقول:

إِنَّ فِي ذَا الْجِسْمِ ⁽⁴⁾ مُعْتَبَرًا	لِطَلُوبِ الْعِلْمِ مُقْتَبِسَةً
هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ يَنْطِقُهُ	عِرْقُهُ وَالصَّوْتُ مِنْ نَفْسِهِ ⁽⁵⁾
لَا تَعِظُ إِلَّا اللَّيْبَ فَمَا	يُعْدَلُ الضَّلْعُ عَلَى قَوْسِهِ
رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ	فَقَدْنُهُ ⁽⁶⁾ كَفَّ مُعْتَرِسَهُ
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ مَأْتَمُهُ	أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

(قول في شعر لأمية بن أبي الصلت)

وكانت العربُ تقول: كان ذلك إذ كان كلُّ شيء ينطق، وكان ذلك والحجارة رطبة. قال أُمَيَّة:

وَإِذْ صُمِّ السَّلَامُ لَهُمْ رِطَابٌ ⁽⁷⁾	وَإِذْ هَمَّ لَا لَبُوسَ لَهُمْ تَقِيهِمْ
وَحَانَ أَمَانَةُ الدَّيْكَ الْغُرَابُ	بِأَيَّةٍ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ
تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ	وَأُرْسِلَتِ الْحَمَامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ
وَعَايِنَةُ بِهَا الْمَاءُ الْعَبَابُ ⁽⁸⁾	تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا

(1) زيادة تقتضيها صحة الكلام وسياق الحديث. وليست بالأصل. انظر الشعر الآتي.

(2) سليمان الأعمى، أو الضرير، جعله الجاحظ أخاً لمسلم بن الوليد، كما هنا وكما في البيان (3: 202) حيث يقول: «وقال سليمان بن الوليد». أما ياقوت وكذا الصفدي في نكت الهميان 160 فقد جعلاً مسلم بن الوليد أباه. قال ياقوت في ترجمته: «وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني، الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً مجيداً. وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه، ولذا كان متهماً بدينه. مات سنة تسع وسبعين ومائة». وأنشد له الشعر الآتي. انظر معجم الأدباء (11: 255). وفي عيون الأخبار (3: 61): «سليمان الأعجمي صوابه ما هنا.

(3) من مستجيبِي بشار: أي ممن قبلوا دعوته. ط، هـ: «محيي» ش: «مستحي» صوابه ما أثبت.

(4) كلمة «في» ساقطة من ط، هـ. وكلمة: «الجسم» هي في الأصل: «العلم» ولا يتجه بها الشعر، ولا المعنى الذي سيق من أجله الشعر. وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونكت الهميان ص 160، وكلمة «معتبراً» هي في ط.

(5) عرقه: يشير إلى أوتار الصوت. ط، هـ ونكت الهميان: «عرفه» صوابه في ش والمعجم.

(6) في البيان والمعجم ونكت الهميان وعيون الأخبار: «عدمته». ورواية الكامل 773 موافقة لرواية الحيوان.

(7) اللبوس، بالفتح: الثياب والسلاح، مذكر. فإن ذهبت به إلى الدرع أنثت. ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع. والسلام، بالكسر: جمع سلمة بكسر اللام، وهي الحجارة.

(8) كذا في ط، هـ. وفي ش: «وعانية بها أبناء العباب». وانظر ما سبق من التحقيق في (2: 183).

فَجَاءَتْ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقِطْفٍ عَلَيْهَا الثَّأُطُ وَالطَّيْنُ الْكُبَابُ⁽¹⁾
فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْقًا كَمَا عَقَدَ السَّخَابُ⁽²⁾
إِذَا مَاتَتْ تُورِثُهُ بَنِيهَا وَإِنْ تُقْتَلُ فَلَيْسَ لَهُ انْسِلَابُ

فذكر رطوبة الحجارة، وأن كل شيء قد كان ينطق. ثم خبر عن منادمة الديك الغراب، واشترط الحمامة على نوح، وغير ذلك مما يدل على ما قلنا. ثم ذكر الحية، وشأن إبليس وشأنها، فقال:

كَذِي الْأَفْعَى تَرْبَبُهَا لَدَيْهِ وَذِي الْجَنِيِّ أَرْسَلَهَا تَسَابُ⁽³⁾
فَلَا رَبَّ الْبَرِيَّةِ يَأْمُنُنَهَا وَلَا الْجَنِّيَ أَصْبَحَ يُسْتَتَابُ

فإن قلت: إن أمية كان أعرابياً، وكان بدوياً⁽⁴⁾، وهذا من خرافات أعراب الجاهلية، وزعمت أن أمية⁽⁵⁾ لم يأخذ ذلك عن أهل الكتاب - فإني سأشيدك لعدي بن زيد، وكان نصرانياً ديانياً⁽⁶⁾، وتزوجمنا، وصاحب كتب، وكان من ذهاة أهل ذلك الدهر.

قال عدي بن زيد، يذكر شأن آدم ومعصيته، وكيف أغواه، وكيف دخل في الحية، وأن الحية كانت في صورة جمل فمسخها الله عقوبة لها، حين طاولت عدوه على وليه. فقال:

قَضَى لِسِتَّةِ أَيَّامٍ خَلِيقَتَهُ⁽⁷⁾ وَكَانَ آخِرَهَا أَنْ صَوَّرَ الرَّجُلَا
دَعَاهُ آدَمَ صَوْتًا فَاسْتَجَابَ لَهُ بِنَفْخَةِ الرُّوحِ فِي الْجِسْمِ الَّذِي جَبَلَا⁽⁸⁾
ثُمَّتْ أَوْرَثَهُ الْفِرْدَوْسَ يَغْمُرُهَا وَزَوْجَهُ صَنَعَتْ مِنْ ضَلْعِهِ جَمَلَا
لَمْ يَنْهَهُ رَبُّهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدَةٍ مِنْ شَجَرٍ طَيِّبٍ: أَنْ شَمَّ أَوْ أَكَلَا⁽⁹⁾
فَكَانَتِ الْحَيَّةُ الرَّقْشَاءَ إِذْ خُلِقَتْ كَمَا تَرَى نَاقَةً فِي الْخَلْقِ أَوْ جَمَلَا
فَعَمَدًا لِلَّتِي عَنْ أَكْلِهَا نُهِيََا بِأَمْرِ حَوَاءَ لَمْ تَأْخُذْ لَهُ الدَّغَلَا
كَلاهما خاط إذ بُزَا لَبُوسَهُمَا مِنْ وَرَقِ التِّينِ ثَوْبًا لَمْ يَكُنْ غُرْلَا⁽¹⁰⁾

(1) في الأصل: «عليها الناط». وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح في (2: 183). وقد سبقت رواية «عليه الناط» أي على القطف. وأما ضمير «عليها» هنا فعائد إلى الحمامة.

(2) طوق الحمامة، سبق القول فيه في (2: 183).

(3) ترببها: رباها. والتربيب: التربية. وفي الأصل: «ترببها» محرف. وانظر لرواية الشطر الثاني ما سبق في (2: 183).

(4) في الأصل: «مدربا». (5) الكلام من مبدأ كلمة «كان» إلى هنا ساقط من ش.

(6) نسبة إلى الديانة، وفي الأصل: «ديانا». والديان بمعنى الحاكم، ولا وجه له هنا.

(7) ط، ش: «خلقة» صوابه في هـ. (8) ط: «فاسجاب له»، تصحيحه من ش، هـ. وجبل: خلق.

(9) أي عن شمها وأكلها.

(10) بز لبوسهما: أي سلبا ثيابهما. وفي الكتاب الكريم: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ [طه: 121]، و: ﴿لَا يَفْنَىٰ عَنْكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا﴾ [الأعراف: 27]. وفي ط، هـ: «برا» وفي ش: «بر» والوجه ما أثبت.

- فَلَا طَهَا اللَّهُ إِذْ أَغْوَتْ خَلِيفَتَهُ طَوَّلَ اللَّيَالِي وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجْلاً⁽¹⁾
 تَمْشِي عَلَى بطنِهَا فِي الدَّهْرِ مَا عَمِرَتْ وَالتُّرْبُ تَأْكُلُهُ حَزْناً وَإِنْ سَهْلاً⁽²⁾
 فَاتَّعِبَا أَبْوَانَا فِي حَيَاتِهِمَا وَأَوْجَدَا الْجُوعَ وَالْأَوْصَابَ وَالْعِلْلاً⁽³⁾
 وَأَوْتِيَا الْمَلِكَ وَالْإِنْجِيلَ نَقَرُوهُ نَشْفِي بِحِكْمَتِهِ أَحْلَامَنَا عِلْلاً⁽⁴⁾
 مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ إِلَّا لِيَجْعَلَنَا فَوْقَ الْبَرِّيَّةِ أَرْبَاباً كَمَا فَعَلَا⁽⁵⁾

(عقاب حواء وآدم والحية)

فَرَوَوْا أَنَّ كَعَبَ الْأَحْبَارِ قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ حَوَاءَ عِنْدَ ذَلِكَ عُوقِبَتْ بِعَشْرِ خِصَالٍ، وَأَنَّ آدَمَ لَمَّا أَطَاعَ حَوَاءَ وَعَصَى رَبَّهُ عُوقِبَ بِعَشْرِ خِصَالٍ، وَأَنَّ الْحَيَّةَ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا إِبْلِيسُ عُوقِبَتْ أَيْضاً بِعَشْرِ خِصَالٍ⁽⁶⁾. وَأَوَّلُ خِصَالِ حَوَاءَ الَّتِي عُوقِبَتْ بِهَا وَجَعَ الْإِفْتِضَاضِ، ثُمَّ الطَّلَقُ، ثُمَّ النَّزْعُ⁽⁷⁾ ثُمَّ بَقْنَعُ الرَّأْسِ⁽⁸⁾، وَمَا يَصِيبُ الْوَحْمَى⁽⁹⁾ وَالنَّفْسَاءُ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَالْقَصْرُ فِي الْبُيُوتِ⁽¹⁰⁾، وَالْحِيضُ، وَأَنَّ الرِّجَالَ هُمُ الْقَوَّامُونَ عَلَيْهِنَّ، وَأَنَّ تَكُونَ عِنْدَ الْجَمَاعِ هِيَ الْأَسْفَلُ.

وَأَمَّا خِصَالُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَالَّذِي انْتَقَصَ مِنْ ضُلُوعِهِ⁽¹¹⁾، وَبِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ يَخَافُ مِنَ الْهُوَامِ وَالسَّبَاعِ، وَنَكَدَ الْعَيْشِ، وَبَتَوَقُّعِ الْمَوْتِ، وَبَسُكْنَى الْأَرْضِ، وَبِالْعُرَى مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ، وَبِأَوْجَاعِ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَبِمَقَاسَاةِ التَّحْفِظِ مِنْ إِبْلِيسَ، وَبِالْمَحَاسِبَةِ بِالطَّرْفِ⁽¹²⁾، وَبِمَا شَاعَ عَلَيْهِ مِنْ اسْمِ الْعَصَاةِ.

وَأَمَّا الْحَيَّةُ فَإِنَّهَا عُوقِبَتْ بِنَقْصِ جَنَاحِهَا، وَقُطِّعَ أَرْجُلُهَا، وَالْمَشْيُ عَلَى بَطْنِهَا، وَبِإِعْرَاءِ جِلْدِهَا - حَتَّى يَقَالَ: «أَعْرَى مِنْ حَيَّةٍ» وَبَشَقُّ لِسَانِهَا - وَلِذَلِكَ كَلَّمَا خَافَتْ مِنَ الْقَتْلِ أَخْرَجَتْ

(1) لَا طَهَا: أَلْصَقَهَا. وَخَلِيفَةُ اللَّهِ: آدَمُ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]. وَقَوْلُ عَدِي: «لَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجْلاً» إِشَارَةٌ إِلَى مَا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَيَّةَ لَا تَمُوتُ إِلَّا بَعْرَضٍ يَعْرِضُ لَهَا مِنْ قَتْلِ وَنَحْوِهِ.

(2) عَمَرُ، كَفَرَحٍ وَنَصْرٍ وَضَرْبٍ: «بَقِيَ زَمَاناً».

(3) جَرَى الشَّاعِرُ عَلَى نَحْوِ مَذْهَبِ «أَكْلُونِي الْبِرَاقِيثَ» فِي «فَاتَّعِبَا أَبْوَانَا». ط فَقَطُّ: «فَأَبْقِيَا» مُحَرَفَةٌ. وَفِي ش، هـ: «وَوَجَدَ الْجُوعَ».

(4) الْأَحْلَامُ، الْعُقُولُ. وَعِلْلاً، بَدَلَ مِنْ أَحْلَامِنَا، وَالضَّمِيرُ فِيهَا مُقَدَّرٌ، أَي: عِلْلاً فِيهَا.

(5) الْبَرِّيَّةُ: الْخَلْقُ. وَأَرْبَاباً: جَمْعُ رَبٍّ، جَاءَ فِي اللِّسَانِ: «الرَّبُّ يَطْلُقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْمَالِكِ وَالسَّيِّدِ وَالْمُرَبِّي وَالْقَيِّمِ وَالْمَنْعَمِ». قَالَ: وَلَا يَطْلُقُ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ أَضْيَفٌ فَقِيلَ رَبُّ كَذَا. قَالَ: وَقَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ مُطْلَقاً عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بِالكَثِيرِ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي غَيْرِ الشَّعْرِ.

(6) هَذَا الْقَوْلُ غَيْرُ مُطَابِقٍ لِمَا فِي التَّوْرَةِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا فِيهَا تَفَاوُتٌ. انْظُرْ سَفَرُ التَّكْوِينِ، الْأَصْحَاحُ الثَّالِثُ الْآيَاتُ 14 - 19، وَانْظُرْ تَنْبِيهِ الْجَاخِظِ عَلَى مَرْوِيَّاتِ كَعَبٍ فِي ص 114.

(7) أَي نَزَعَ الْوَلَدَ. (8) أَي لَبَسَ غِطَاءَ الرَّأْسِ، وَحَقَّ هَذِهِ الْخِصْلَةُ أَنْ تَكُونَ بَعْدَ تَالِيَتِهَا.

(9) وَحَمَتِ الْمَرْأَةُ: حَبِلَتْ وَاشْتَهَتْ الطَّعَامَ، فَهِيَ وَحْمَى مِنْ وَحَامٍ وَوَحَامَى. ط، ش: «الْوَحْمُ» هـ: «وَمَا يَصِيبُ الرَّحِمَ» صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ.

(10) أَي حَبَسَهُنَّ فِي الْبُيُوتِ. هَذَا. وَمِنْ عَدِّ هَذِهِ الْخِصَالِ وَجَدَهَا تِسْعاً، فَلَعَلَّهُ جَعَلَ الْخَامِسَةَ مِنْهُنَّ اثْنَتَيْنِ.

(11) فِي الْأَصْلِ: «مِنْ طَوْلِهِ».

(12) لَعَلَّ الْمُرَادَ الْمَحَاسِبَةَ عَلَى مَا تَجَنَّبَهُ الْعَيْنُ مِنْ جُنَايَاتِ النَّظَرِ. وَفِي ش: «وَبِالْمَحَاسِبَةِ الطَّرْفِ».

لسانها لتريةهم العقوبة - وبما ألقى عليها من عداوة الناس، وبمخافة الناس، ويجعله لها أول ملعون من اللحم والدم، وبالذي يُنسب إليها من الكذب والظلم.

(ظلم الحية وكذبها)

فأما الظلم فقولهم: «أظلم من حية». وأما الكذب فأنها تنطوي في الرمل على الطريق وتدخل بعض جسدها في الرمل، فتظهر كأنها طبق خبز ران، ومنها حيات بيض قصار تجمع بين أطرافها على طرق الناس، وتستدير كأنها طوق [أو⁽¹⁾] خلخال، أو سوار ذهب أو فضة - ولما تلقى على نفسها من السبات⁽²⁾، ولما تظهر من الهرب من الناس. وكل ذلك إنما تغرهم وتصطادهم بتلك الحيلة، فذلك هو كذبها.

(عقاب الأرض)

قال: وعوقبت الأرض حين شربت دم ابن آدم⁽³⁾ بعشر خصال: أنبتت فيها الشوك، وصير فيها الفيافي، وخرق فيها البحار، وملح أكثر مائها، وخلق فيها الهوام والسباع، وجعلها قراراً لإبليس والعاصين، وجعل جهنم فيها، وجعلها لا تربى ثمرتها إلا في الحر، وهي تعدب بهم إلى يوم القيامة، وجعلها توطأ بالأخفاف، والحوافر، والأظلاف والأقدام⁽⁴⁾، وجعلها مالحة الطعم.

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دم ابن آدم دم أحد من ولده، ولا من غير ولده. قال: ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي مريم الحنفى⁽⁵⁾: «لأنا أشد لك بغضاً من الأرض للدم!». وزعم صاحب المنطق أن الأرض لا تشرب الدم، إلا يسيراً من دماء الإبل خاصة.

(اختبار العسل)

وإذا أرادوا أن يمتحنوا جودة العسل من رداءته، فطروا على الأرض منه قطرة. فإذا استدارت⁽⁶⁾ كأنها قطعة زبيب، ولم تأخذ من الأرض ولم تُعطها⁽⁷⁾ فهو الماذي الخالص.

(1) ليست بالأصل.

(2) السبات، بالضم: النوم.

(3) هو الذي تسميه التوراة: «هابيل». الأصحاح الرابع من سفر التكوين، وقصته في سورة المائدة 27-31.

(4) في الأصل: «القوادم».

(5) سبقت ترجمته في (3: 78)، حيث تجد كلمة عمر الآتية. وتجدها كذلك في عيون الأخبار (3: 13) والبيان

(2: 89) وبقية الحديث فيه: «قال: أفتمنعني لذلك حقاً؟ قال لا! قال: لا ضير؛ إنما يأسف على الحب النساء!».

(6) ط، هـ: «فإن استدارت».

(7) ش، هـ: «يعطه» ط: «تعطه» وصوابه ما أثبت.

الذهبي. فإن كان فيه غشوشة⁽¹⁾ نفشت القطرة على [قدر] ما فيها، وأخذت من الأرض وأعطتها. وإن لم يقدروا على اللحم الغريض⁽²⁾ دَفَنُوهُ وَغَرَّقُوهُ فِي الْعَسَلِ، فَإِنَّهُمْ مَتَى رَجَعُوا فَعَسَلُوهُ عَنْهُ وَجَدُوهُ غَضًّا طَرِيًّا؛ لِأَنَّهُ ذَهَبِي الطَّبَاعِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ الْأَجْرَامِ شَيْءٌ. فَهُوَ لَا يَعْطِيهِ شَيْئًا وَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ. وَكَذَلِكَ الذَّهَبُ إِذَا كَانَ مَدْفُونًا.

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديث، وهذه الأشعار، تدلُّ على أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ رَطْبَةً لَيِّنَةً، وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَانَ يَعْرِفُ وَيَنْطِقُ، وَإِنَّ الْأَشْجَارَ وَالنَّخْلَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا شَوْكٌ، وَقَدْ قَالَ الْعَجَّاجُ، أَوْ رُؤْبَةُ⁽³⁾:

أَوْ عُمَرُ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطْحَلِ وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ

(مرويات كعب الأخبار)

وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا يُحْكَى عَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَنَّهُ إِئْمَا قَالَ: نَجِدُ فِي الْكُتُبِ، وَهُوَ إِئْمَا يَعْنِي كُتُبَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالَّذِي يَتَوَارَثُونَهُ مِنْ كُتُبِ سُلَيْمَانَ؛ وَمَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ [مِثْلِ⁽⁴⁾] كُتُبِ إِشْعِيَاءَ⁽⁵⁾ [وغيره⁽⁶⁾]. وَالَّذِينَ يَرَوُونَ عَنْهُ فِي صِفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانُوا صَدَّقُوا عَلَيْهِ، وَكَانَ الشَّيْخُ لَا يَضَعُ الْأَخْبَارَ⁽⁷⁾ فَمَا كَانَ وَجْهُ كَلَامِهِ عِنْدَنَا إِلَّا عَلَى مَا قُلْتُ لَكَ.

(نطق الحية)

وَفِي أَنَّ الْحَيَّةَ قَدْ كَانَتْ تَسْمَعُ وَتَنْطِقُ، يَقُولُ النَّابِغَةُ⁽⁸⁾ فِي الْمِثْلِ الَّذِي ضَرَبَهُ⁽⁹⁾، وَهُوَ قَوْلُهُ:

أَلَيْسَ لَنَا مَوْلَى يَحِبُّ سَرَّاحَنَا فَيَعِزِّرُنَا مِنْ مُرَّةِ الْمَتَنَاصِرَةِ⁽¹⁰⁾

-
- (1) كَذَا فِي الْأَصْلِ. وَالْمَعْرُوفُ: غَشَشَ غَشًّا.
- (2) اللَّحْمُ الْغَرِيضُ: الطَّرِي.
- (3) انْظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ التَّحْقِيقِ فِي ص 4.
- (4) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ.
- (5) هُوَ إِشْعِيَاءُ، بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَفَتْحِ ثَانِيهِ وَإِسْكَانِ ثَالِثِهِ كَمَا ضَبَطَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. كَانَ أَحَدُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ (1: 143 - 145) حَدِيثًا طَوِيلًا، وَكِتَابُهُ يَشْتَمِلُ عَلَى سِتَّةِ وَسِتِّينَ أَصْحَاحًا.
- (6) بِمِثْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ يَصْلُحُ الْكَلَامُ. وَإِلَّا فَإِنَّ لِإِشْعِيَاءَ كِتَابًا وَاحِدًا كَمَا مَرَّ فِي التَّنْبِيهِ السَّابِقِ. فَمِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ كُتُبُ إِرْمِيَا، وَحَزَقِيَالِ، وَدَانِيَالِ، وَيُوشَعَ وَعَامُوسَ، وَغَيْرِهِمْ.
- (7) ش: «وَكَانَ الشَّيْخُ يَصْنَعُ الْأَخْبَارَ».
- (8) مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يِعَاتِبُ بِهَا بَنِي مَرَّةٍ. انْظُرِ الْخَزَانَةَ (3: 556 بُولَاق) وَخَمْسَةَ دَوَاوِدِينَ الْعَرَبِ 47، وَوَهْمُ الدِّمِيرِيِّ فِي نِسْبَةِ الشَّعْرِ إِلَى النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ.
- (9) انْظُرْ قِصَّةَ الشَّعْرِ فِي الْمَصْدُرِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَالشَّعْرَاءَ 112 - 113 وَالْمَحَاسِنَ وَالْمَسَاوِي (2: 134) وَالدِّمِيرِيِّ (1: 416) وَأَمْثَالَ الْمِيدَانِيِّ (1: 82) وَمَرْجُوحِ الذَّهَبِ (2: 129)، وَهِيَ مِمَّا وَضَعَهُ الْعَرَبُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْحَيَوَانِ.
- (10) ش: «يَجِيبُ سَرَّاحَنَا».

- لِيَهْنِكُمْ⁽¹⁾ أَنْ قَدْ نَفَيْتُمْ⁽²⁾ بِيُوتَنَا
وَأَنِّي لَلْأَقِ مِنْ ذَوِي الضُّغْنِ نَكْبَةً
كَمَا لَقِيتُ ذَاتَ الصَّفَا مِنْ حَلِيفِهَا
فَقَالَتْ لَهُ: أَذْعُوكَ لِلْعَقْلِ وَافِرًا
فَوَائِقَهَا بِاللَّهِ حَتَّى تَرَا ضِيَا
فَلَمَّا تَوَفَّى الْعَقْلَ إِلَّا أَقْلَهُ
تَفَكَّرَ أَنِّي يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُ⁽⁹⁾
فَظَلَّ عَلَى فَأْسٍ يُحِدُّ غُرَابِهَا⁽¹⁰⁾
فَلَمَّا وَقَاهَا اللَّهُ ضَرْبَةً فَأَسَّه
فَقَالَ: تَعَالَى نَجْعَلُ اللَّهَ بَيْنَنَا
فَقَالَتْ: يَمِينُ اللَّهِ، أَفْعَلْ؛ إِنِّي
- مَحَلَّ عُبَيْدَانَ الْمَحَلَّ بِأَقْرَهُ⁽³⁾
بَلَا عَثْرَةٍ وَالنَّفْسَ لَابَدَ عَاثِرَهُ⁽⁴⁾
وَمَا انْفَكَّتِ الْأَمْثَالُ فِي النَّاسِ سَائِرَهُ⁽⁵⁾
وَلَا تَغْشَيْنِي مِنْكَ لِلظَّلَمِ بَادِرَهُ⁽⁶⁾
فَكَانَتْ تَدِيهِ الْجَزْعَ خَفِيًّا وَظَاهِرَهُ⁽⁷⁾
وَجَارَتْ بِهِ نَفْسٌ عَنِ الْخَيْرِ جَائِرَهُ⁽⁸⁾
فِيصْبَحَ ذَا مَالٍ وَيَقْتُلُ وَاتِرَهُ
لِيَقْتُلُهَا، وَالنَّفْسُ لِلْقَتْلِ حَادِرَهُ⁽¹¹⁾
وَلِلَّهِ عَيْنٌ لَا تَغْمُضُ سَاهِرَهُ⁽¹²⁾
عَلَى الْعَقْلِ حَتَّى تُنْجِزِي لِي آخِرَهُ⁽¹³⁾
رَأَيْتُكَ خَتَّارًا يَمِينُكَ فَاجِرَهُ⁽¹⁴⁾

- (1) كذا في هـ. وفي ش: «ليهنكمو» وهما كتابتان جائزتان، وفي ط: «ليهنأكم»، وفي خمسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد): «ليهنأ لكم». وهذه لغة غريبة.
- (2) في الأصل: «لقيتم». وتصحيحه من الديوان واللسان (عبد).
- (3) في البيت إقواء. وقال ابن بري: صواب إنشاده: «المحلي بأقره» بكسر اللام من المحلي، وفتح الراء من بأقره. وعبيدان: ماء منقطع بأرض اليمن لا يقربه أنيس ولا وحش. أو هو بمعنى الفلاة. أو هو رجل له قصة، ذكرها صاحب اللسان. والباقر: البقر. ش، هـ: «المحلات» محرف. وانظر الاستدراكات.
- (4) الخزانة: «فإني لألقى من ذوي الضغن منهم».
- (5) ذات الصفا: الحية التي كان لها هذا المثل: وسميت بذلك لأنها تسكن في الصفا، وهي الحجارة الملس الصلاب.
- (6) العقل هنا بمعنى الدية. زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الحليف.
- (7) تديه الجزع: أي تعطيه دية أخيه من الجزع، بالفتح، وهو ضرب من الخرز فيه بياض وسواد. هـ: «تديه الجرح» محرف. ورواية الخزانة والديوان: «وكانت تديه المال غباً». والغب بالكسر: أن تعطيه في يوم ولا تعطيه في الثاني. والظاهرة أصله من ظمء الإبل، وهي أن تشرب كل يوم نصف النهار.
- (8) توفي العقل: أي أخذ الدية وافية كاملة.
- (9) رواية الديوان والخزانة: «تذكر أنني يجعل الله جنة». والجنة بالضم: الوقاية. ورواية الشعراء: «تذكر أنني يجعل الله فرصة».
- (10) غراب الفأس: طرفها. ورواية الميداني والخزانة والشعراء: «أكب على فأس».
- (11) والنفس: «أي ونفسه». ورواية العجز في الخزانة والميداني والديوان: «مذكورة من المعاول باتره».
- (12) ط: «ناظره». ورواية الميداني: «وللشر عين لا تغمض ناظره».
- (13) قال للحية: تعالي نجعل الله شاهداً بيننا على دية أخي حتى تنجز بها. ش، هـ: «فقالت لعلني يجعل صوابه، في ط والديوان والخزانة والميداني. ويروى: «على المال» و«على مالنا».
- (14) يمين الله: قسم من الأيمان. و«أفعل» أي: لا أفعل. وحذف «لا» بعد القسم كثير في كلامهم. وفي الكتاب: «تالله تفتؤ تذكر يوسف» أي لا تفتأ. وانظر لهذا البحث أمالي المرتضى (3: 137)، والمخصص (13: 115) والأضداد 148، والختار: الغدار.

أَبَى لَكَ قَبْرًا لَا يَزَالُ مُوَاكِفًا وَضَرْبَةً فَأَسَ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ^(١)
فَذَهَبَ النَّابِغَةُ فِي الْحَيَاتِ مَذْهَبَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ، وَعَدِيَّ بْنِ زَيْدٍ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الشُّعْرَاءِ.

(الصخور والأشجار في ماضي الزمان)

وَأُنْشِدُنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ كَيْسَانَ:

فَكَانَ رَطِيبًا يَوْمَ ذَلِكَ صَخْرُهَا وَكَانَ خَضِيدًا^(٢) طَلْحُهَا وَسَيَالُهَا

فَزَعَمَ كَمَا تَرَى أَنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ لَيْتَةً، وَأَنَّ الْأَشْجَارَ: الطَّلْحَ وَالسَّيَالَ كَانَتْ خَضِيدًا^(٣)
لَا شَوْكَ عَلَيْهَا. وَزَعَمَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ وَأَصْحَابُ الْأَخْبَارِ، أَنَّ الشَّوْكَ إِنَّمَا اعْتَرَاهَا فِي صَبِيحَةِ
الْيَوْمِ الَّذِي زَعَمَتِ النَّصَارَى فِيهِ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ.

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وَكَانَ مُقَاتِلٌ يَقُولُ - حَدَّثَنَا بِذَلِكَ [عنه^(٤)] أَبُو عَقِيلٍ السَّوَّاقُ، وَكَانَ أَحَدَ رَوَاتِهِ
وَالْحَامِلِينَ عَنْهُ - إِنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ لَيْتَةً، وَإِنَّ قَدَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرَتْ^(٥) فِي تِلْكَ
الصَّخْرَةِ، كَتَأْثِيرِ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ. إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَفَّى تِلْكَ الْآثَارَ، وَعَفَّى
عَلَيْهَا، وَمَسَحَهَا وَمَحَاهَا، وَتَرَكَ أَثَرَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْحِجَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي إِفْرَادِهِ
بِذَلِكَ وَمَحْوٍ مَا سِوَاهُ مِنْ آثَارِ أَقْدَامِ النَّاسِ. لَيْسَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ كَانَ وَطِئَ عَلَى صَخْرَةٍ خَلَقَهُ^(٦)
يَابِسَةً فَأَثَرَ فِيهَا.

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وَأَنَا أَقُولُ عَلَى تَثْبِيتِ ذَلِكَ بِالْحِجَّةِ^(٧). وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَذَرِ وَالتَّكْلِيفِ وَانْتِحَالِ مَا لَا
أَقُومُ بِهِ. أَقُولُ: إِنَّهُ لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهَلَكْتَ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ، وَلَوْلَا مَكَانُ الْمُعْتَزِّلَةِ
لَهَلَكْتَ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ النُّحُلِ. فَإِنْ لَمْ أَقُلْ: وَلَوْلَا أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ وَإِبْرَاهِيمُ لَهَلَكْتَ الْعَوَامُّ
مِنَ الْمُعْتَزِّلَةِ، فَإِنِّي أَقُولُ: إِنَّهُ قَدْ أَنْهَجَ لَهُمْ سُبُلًا، وَفَتَقَ لَهُمْ أُمُورًا، وَاخْتَصَرَ لَهُمْ أَبْوَابًا ظَهَرَتْ
فِيهَا الْمَنْفَعَةُ، وَشَمِلَتْهُمْ بِهَا النِّعْمَةُ.

(١) تقول: أبى لك أن تكون وفيًا ما أسلف إلى أخوك الذي قبره مواجه لنا وكان أخوه فيما زعموا - ضربها بفأس،
فانتقمتم منه بأن قتلته. ورواية الديوان والخزانة والشُعْرَاءُ: «أبى لي» أي أبى لي أن أخدع أو أن أضمن وفاءك
وصدق التعاهد والتوابع. والضربة الفاقرة: القاطعة، كأنها تقطع الفقار.

(٢) في الأصل: «نضيدًا»، صوابه ما أثبت. وانظر تعقيب الجاحظ.

(٣) خضيد: فاعل بمعنى مفعول من خضد الشوك: أي قطعه. وفي الأصل: «خضيدة» وفعل إذا كان بمعنى مفعول
وذكر معه الموصوف استوى فيه المذكور والمؤنث.

(٤) الزيادة من ش، هـ.

(٥) ط: «وإن قدما إبراهيم عليه السلام أثرتا»، ويكون صواب ما في ط: «وإن قدمي» إلخ.

(٦) صخرة خلقاء: ملساء.

(٧) ش: «الحجة».

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعّم أن الناس يحتاجون بدياً⁽¹⁾ إلى طبيعة ثم إلى معرفة، ثم إلى إنصاف. وأول ما ينبغي أن يبتدئ به صاحب الإنصاف أمره ألا يعطي نفسه فوق حقها، وألا يضعها دون مكانها، وأن يتحفظ من شيئين، فإن نجاته لا تتم إلا بالتحفظ منهما: أحدهما تهمة الإلف، والآخر تهمة السابِق إلى القلب - والله الموفق.

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثر ما يعرض في وقت إكبابي⁽²⁾ على هذا الكتاب، وإطالتي الكلام، وإطنابي في القول، بيت ابن هرمة، حيث يقول:

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغَرَّ الْقَوْمَ خَلَوْتُهُ حَتَّى يَلْجَ بِهِمْ عِيٌّ وَإِكْثَارُ⁽³⁾

وقولهم في المثل: «كل مُجَرِّفٍ فِي الْخَلَاءِ يُسَرُّ»⁽⁴⁾.

وأنا أعود بالله أن أَعَزَّ من نفسي، عند غيبة خصمي، وتصفح العلماء لكلامي، فإني أعلم أن فتنه اللسان والقلم، أشد من فتنه النساء، والحرص على المال.

وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه، أول ذلك العلة الشديدة، والثانية قلة الأعوان، والثالثة طول الكتاب، والرابعة أنني لو تكلفت كتاباً في طوله، وعدد ألفاظه ومعانيه، ثم كان من كتب العَرَض والجوهر، والطُفْرَة⁽⁵⁾، والتولد⁽⁶⁾،

(1) بدياً: أي بدءاً. وفي الأصل: «ندباً».

(2) أكب على الشيء: أقبل عليه ولزمه. وهذه الكلمة محرفة في الأصل، فهي في ط: «الباب» وش: «باب» وه: «أكبائي».

(3) خلوته: أي أن يختلي بعضهم ببعض لمداورته وتبادلته. وفي الأصل: «خلوته» بالحاء المهملة، وهو تصحيف صوابه في الجزء الأول ص 86 حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت.

(4) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق في الجزء الأول ص 86 وأمثال الميداني (2: 73) وأمالي القالي (2: 89). وأصله أن الرجل يجري فرسه في المكان الخالي لا مسابق له فيه، فهو مسرور بما يرى من فرسه. يرضب مثلاً للرجل تكون فيه الخلّة يحمدّها من نفسه، ولا يشعر بما في الناس من الفضائل. وقد روى المثل أيضاً: «كل مجر في الخلاء مسر»، بجعل «مسر» اسم مفعول من «أسره» أي أفرحه. وهو فعل لم تنطق به العرب، وإنما توهمه القائل، كما أنشد الآخر في عكسه:

وبلدة يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروي المثبوت

أراد: المثبت، فتوهم: ثبته. انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق في (1: 86).

(5) الطفرة: مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام، كما في الفصل (5: 64)، وهي قوله: إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار، ولا مر عليها، ولا حاذها، ولا حل فيها. وانظر لذلك أيضاً الفرق بين الفرق 124 س 6 - 7، 15 وتأويل مختلف الحديث 16 س 2 وفي الأصل: «الصفرة» تحريف ظاهر.

(6) التولد: مبحث كلامي، وذلك أنهم اختلفوا فيمن رمى سهماً فجرح به إنساناً، أو غيره، وفي حرق النار، وتبريد =

والمداخلة⁽¹⁾، والغرائز⁽²⁾ والتماس⁽³⁾ - لكان أسهل وأقصر أياماً، وأسرع فراغاً؛ لأنني كنت لا أفزع فيه إلى تلقط الأشعار⁽⁴⁾، وتتبع الأمثال، واستخراج الآي من القرآن، والحجج من الرواية، مع تفرق هذه الأمور في الكتب، وتباعد ما بين الأشكال. فإن وجدت فيه خلافاً من اضطراب لفظ، ومن سوء تأليف، أو من تقطيع نظام⁽⁵⁾، ومن وقوع الشيء في غير موضعه⁽⁶⁾ - فلا تنكر، بعد أن صوّرت عندك حالي التي ابتدأت عليها كتابي.

ولولا ما أرجو من عون الله على إتمامه؛ إذ كنت لم ألتبس به إلا إفهامك مواقع الحجج لله، وتصاريح تدييره، والذي أودع أصناف خلقه من أصناف حكمته - لما تعرضت لهذا المكروه. فإن نظرت في هذا الكتاب فانظر فيه نظراً من يلتبس لصاحبه المخارج، ولا يذهب مذهب التمثيل، ومذهب من إذا رأى خيراً كتّمه، وإذا رأى شراً أذاعه.

وليعلم من فعل ذلك أنه قد تعرض لباب إن أخذ بمثله، وتعرض له في قوله وكتبه، أن ليس ذلك إلا من سبيل العقوبة، والأخذ منه بالظلامة. فلينظر فيه على مثال ما أذب الله به، وعرف كيف يكون النظر والتفكير والاعتبار والتعليم؛ فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَلِذَٰلِكَ أَنَا خَلَقْتُكُمْ وَأَفْرَعُ فِيهِ إِلَى تَلْقُطِ الْأَشْعَارِ﴾⁽⁴⁾، وتتبع الأمثال، واستخراج الآي من القرآن، والحجج من الرواية، مع تفرق هذه الأمور في الكتب، وتباعد ما بين الأشكال. فإن وجدت فيه خلافاً من اضطراب لفظ، ومن سوء تأليف، أو من تقطيع نظام⁽⁵⁾، ومن وقوع الشيء في غير موضعه⁽⁶⁾ - فلا تنكر، بعد أن صوّرت عندك حالي التي ابتدأت عليها كتابي.

(الحكم الجلييلة في دقيق الأشياء)

فينبغي أن تكون إذا مررت بذكر الآية والأعجوبة، في الفراسة والجرسة⁽⁷⁾، ألا تحقر تلك الآية، وتصغر تلك الأعجوبة؛ لصغر قدرهما عندك، ولقلة معرفتهما عند معرفتك⁽⁸⁾،

= الثلج، وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات، فقالت طائفة: ما تولد من ذلك عن فعل إنسان أو حي، فهو فعل الإنسان والحي. واختلفوا فيما تولد من غير حي، فقالت طائفة: هو فعل الله. وقالت طائفة: هو فعل الطبيعة. وقال آخرون: كل ذلك فعل الله. وقد فصل ابن حزم الكلام فيه في كتابه (5: 59 - 60). وانظر مذهب الجبائي والنظام في الفرق 115 وبشر، في الفرق 143، وفي الأصل: «التوليد» وصوابه مما سبق ومن تأويل مختلف الحديث 16 س 3.

(1) المداخلة: مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان، والطعوم، والروائح، والأصوات والخواطر، أجسام، وأن تلك الأجسام بزعمهم تتداخل في حيز واحد. الفصل (5: 60 - 61). وقد ذهب النظام إلى ذلك. الفرق 122.

(2) الغرائز، أي الطبائع الموجودة في الأشياء، كالحر للنار، والبرد للثلج، والإسكار للخمر. أثبت ذلك قوم، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة. الفصل (5: 14 - 15). وللجاحظ كلام طويل فيها في هذا الجزء 313 - 319 ساسي.

(3) التماس، ويقال أيضاً: المجاورة، باب من الكلام، يبحث في اتصال الأجسام بعضها ببعض، كالماء باللبن، والدقيق بالماء، والزيت بالخل. وتجد أقسامه موضحة في الفصل (5: 61). وانظر تماس العرش ومالكه في الفرق بين الفرق 204، ط، هـ: «النحاش» س: «النخاس» وهما تحريف ما أثبت.

(4) أفزع إليه: أي ألجأ. وفي الأصل: «أفزع» محرفة. والتلقت: التقاط الشيء من هنا وهناك. وفي الأصل: «التلفظ»، وليس صواباً.

(5) ط، ش: «ومن تقطيع نظام»، وأثبت ما في هـ.

(6) هـ: «أو من وقوع». إلخ، وأثبت ما في ط، ش.

(7) الجرجس، بالكسر: البعوض الصغار. ط: «الجرسة»، صوابه في ش، هـ.

(8) في الأصل: «عندك معرفتك»، والوجه ما أثبت.

ولصغر أجسامهما عند جسمك . ولكن كن عند الذي يظهر لك من تلك الحكم ، ⁽¹⁾ [و⁽¹⁾] من ذلك التدبير ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: 145] ، قال ثم قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنَهَا ﴾ [الأعراف: 145] ، ثم قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَفَخْنَا الْجِبِلَّ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ [الأعراف: 171] . وقد قال عامر بن عبد قيس ⁽²⁾ : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » .

(حث على الإخلاص والتنبه عند النظر)

وأنا أعيد نفسي بالله أن أقول إلا له ، وأعيدك بالله أن تسمع إلا له . وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: 198] . فأخذ من أن تكون منهم ، ومن ينظر إلى حكمة الله وهو لا يبصرها ، ومن يبصرها بفتح العين واستماع الآذان ؛ ولكن بالتوقف من القلب ، والتثبت من العقل ، وبتحفيظه وتمكينه من اليقين ، والحجة الظاهرة . ولا يراها من يعرض عنها . وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: 21] . وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: 22] ، ولو كانوا صمًا بكما وكانوا هم لا يعقلون ، لما عيّرهم بذلك ، كما لم يعيّر من خلقه معتوها كيف لم يعقل ، ومن خلقه أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يلم ⁽⁴⁾ الدواب ، ولم يعاقب السباع . ولكنه سمي البصير المتعمي أعمى ، والسميع المتصام ⁽⁵⁾ أصم ، والعاقل المتجاهل جاهلاً .

وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: 50] . فانظر كما أمرك الله ، وانظر من الجهة التي دلك منها ، وخذ ذلك بقوة . قال تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ [الأعراف: 171] ⁽⁶⁾ .

(1) ليست بالأصل .

(2) ش : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جائز في العربية ، كما أسلفت في (3: 204) . وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التميمي العنبري . تابعي ثقة من كبار التابعين وعُبادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حدود المبالغة . انظر الإصابة 6280 ، وكان من الأبيناء الفصحاء ، كما ترى ذلك في مواضع كثيرة ، من بيان الجاحظ ، ومات عامر في خلافة معاوية . والخبر في البيان 83:1 .

(3) في الأصل : « وأن » ، ولا يستقيم بها الكلام . (4) ط ، هـ : « يكرم » صوابه في ش .

(5) كذا جاءت بالفك .

(6) مَا آتَيْنَاكُمْ : أي الكتاب . وأصل الخطاب لبني إسرائيل . بِقُوَّةٍ : بجِدٍّ وعزيمة . وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ : ادرسوه ولا تنسوه ، أو تفكروا فيه .

(عود إلى الحيات)

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلِ إِلَى مَا فِي الْحَيَّاتِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَرَةِ، وَالْفَائِدَةِ وَالْحِكْمَةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ: «لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يَمُرُّ بِنَا طَائِرٌ إِلَّا وَعِنْدَنَا مِنْ شَأْنِهِ عِلْمٌ». وَهَذَا الْقَوْلُ صَحِيحٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، وَلَمْ يَخْصُ أَبُو ذَرٍّ خَشَاشَ الطَّيْرِ مِنْ بُغَائِهَا وَأَحْرَارِهَا، وَلَا مَا يَدْخُلُ فِي بَابِهِ ⁽¹⁾ الْهَمَجُ. وَقَدْ أَرَيْنَاكَ مِنْ تَحْقِيقِ قَوْلِهِ طَرَفًا. وَلَعَلَّكَ إِنْ جُمِعَتْ نَظَرُكَ إِلَى نَظَرِنَا، أَنْ ⁽²⁾ تَسْتَتِمَّ هَذَا الْبَابَ، فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي رَأْيٍ وَاحِدٍ ⁽³⁾ أَشِيرَا عَلَيَّ الْيَوْمَ مَا تَرِيَانِ
وَقَالَ الْأَحْنَفُ: «مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ شَيْئًا، حَتَّى مِنَ الْأُمَةِ الْوَرَهَاءِ وَالْعَبْدِ الْأَوْزِهِ ⁽⁴⁾».

(أنواع الحيات)

وَالْحَيَّاتُ مُخْتَلِفَاتُ الْجِهَاتِ جَدًّا، وَهِيَ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي يَكْثُرُ اخْتِلَافُ أَجْنَاسِهَا فِي الضَّرْرِ وَالسَّمِّ، وَفِي الصَّغْرِ وَالْعِظَمِ، وَفِي التَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ وَفِي الْهَرَبِ مِنْهُمْ. فَمِنْهَا مَا لَا يُؤْذِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ قَدْ آذَوْهَا مَرَّةً. وَأَمَّا الْأَسْوَدُ فَإِنَّهُ يَحْقِذُ وَيُطَالِبُ، وَيَكْمُنُ ⁽⁵⁾ فِي الْمَتَاعِ حَتَّى يُدْرِكَ بِطَائِلَتِهِ. وَلَهُ زَمَانٌ يَقْتُلُ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ نَهَشَهُ.

وَأَمَّا الْأَفْعَى فَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهَا، وَلَكِنَّهَا تَظْهَرُ فِي الصَّيْفِ مَعَ أَوَّلِ اللَّيْلِ، إِذَا سَكَنَ وَهَجُ الرَّمْلِ وَظَاهِرُ الْأَرْضِ؛ فَتَأْتِي قَارِعَةَ الطَّرِيقِ حَتَّى تَسْتَدِيرَ وَتَطَّحَنَ ⁽⁶⁾ كَأَنَّهَا رَحَى، ثُمَّ تُلْصِقُ بَدَنَهَا ⁽⁷⁾ بِالْأَرْضِ وَتُشَخِّصُ رَأْسَهَا، لئَلَّا يَدْرِكَهَا السُّبَاتُ؛ مُعْتَرِضَةً، لئَلَّا يَطَّأَهَا إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ فَتَنْهَشَهُ. كَأَنَّهَا تَرِيدُ أَلَّا تَنْهَشَ إِلَّا بَأَنٍ يُتَعَرَّضُ ⁽⁸⁾ لَهَا، وَهِيَ قَدْ تَعَرَّضَتْ لَنْهَشِهِ بِاعْتِرَاضِهَا فِي الطَّرِيقِ وَتَنَاوُمِهَا عَلَيْهِ! وَهِيَ مِنَ الْحَيَّاتِ الَّتِي تَرُصِدُ ⁽⁹⁾ وَتُوصَفُ بِذَلِكَ. قَالَ مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ⁽¹⁰⁾:

(1) ش، هـ: «باب» ط: «بَابُهُ»، وَأُثْبِتَ تَصْحِيحُ مَا فِي ط.

(2) فِي الْأَصْلِ: «لَمْ».

(3) رَوَايَةُ الرَّاعِبِ فِي الْمَحَاضِرَاتِ (12: 1): «فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ».

(4) الْأَوْزَةُ: الْأَحْمَقُ، وَالْأَنْثَى وَرَهَاءُ.

(5) كَمُنَ يَكْمُنُ، مِنْ بَابِي نَصَرَ وَسَمِعَ: اسْتَخْفَى. ش: «وَيَكُنْ» مُحَرَفَةٌ.

(6) فِي الْأَصْلِ: «تَنْطَحِنُ» وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ. الْجَوْهَرِيُّ: طَحَنَتِ الْأَفْعَى: تَرَحَّتْ وَاسْتَدَارَتْ، فَهِيَ مَطْحَانٌ. قَالَ الشَّاعِرُ:

بَخْرَشَاءَ مَطْحَانَ كَأَنَّ فَحِيحَهَا إِذَا فَزَعَتْ مَاءَ هَرِيقٍ عَلَى جَمْرِ

(7) ط: «بَذْنِيهَا»، وَالْوَجْهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ ش، هـ. (8) ط: «يَعْتَرِضُ»، وَالْأَشْبَهُ مَا كَتَبْتُ مِنْ ش، هـ.

(9) تَرُصِدُ: «أَيُّ تَكْمُنُ». وَالْمَرَاصِدُ: الْمَكَامِنُ.

(10) مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ بْنُ وَائِلَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ يَالِيلِ الْهَذَلِيِّ، شَاعِرٌ مُخْضَرَمٌ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ، وَكَانَ أَبُوهُ رَفِيقُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَى أَبْرَهَةَ. مَعْجَمُ الْمَرْزَبَانِيِّ 371 وَالْإِصَابَةُ 8130.

أَبَا مَعْقِلٍ لَا تُوطِئَنَّكُمْ بَغَاظَتِي رُءُوسَ الْأَفَاعِي فِي مَرَاصِدِهَا الْعُرْمِ⁽¹⁾
يريد: الأفاعي في مراصدها⁽²⁾. وكلُّ مَنْقَطَةٍ⁽³⁾ فهي عُرْماء. مِنْ شَاةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وقال
آخر:

وَكَمْ طَوْتُ مِنْ حَنْشٍ وَرَاصِدٍ لِلْسَّفْرِ فِي أَعْلَى الْبِيَاتِ قَاصِدٍ
وَالْأَفْعَى تَقْتُلُ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ. وَالشُّجَاعُ⁽⁴⁾ يَوَائِبُ وَيَقُومُ عَلَى ذَنْبِهِ، وَرَبَّمَا
بَلَغَ رَأْسُهُ رَأْسَ الْفَارَسِ.

(ما يقتل الحية والعقرب من الحيوان)

وليس يقتلها - إذا تطوّقت على الطريق وفي المناهج، أو اعترضتها لتقطعها عابرةً إلى
الجانب الآخر - شيءٌ كأقاطيع الشياخ إذا مرّت بها، وكذلك الإبل الكثيرة إذا مرّت، فإن الحية
إذا وَقَعَتْ بين أرجلها كان همُّها نفسها، ولم يكن لها همّةٌ إِلَّا التَّخَلُّصُ بنفسها؛ لئلاّ تعجلها
بالوطء. فإن نَجَتْ من وطء أيديها، لم تنج من وطء أرجلها. وإن سَلِمَتْ مِنْ وَاحِدَةٍ لَمْ تَسْلَمْ
مِنَ الْتِي تَلِيهَا، إِلَى آخَرِهَا. وقال عمر بن لَجَأٍ، وهو يصف إبله:

تَعْرِضُ الْحَيَّاتِ فِي خِرَشَائِهَا⁽⁵⁾
وقال ذو الأهدام⁽⁶⁾:

تُعْجِلُهَا عَنْ نَهْشِهَا وَالنَّكَزِ⁽⁷⁾

ومن ذلك أَنَّ الْعَقْرَبَ تَقَعُ فِي يَدِ السُّتُورِ، فِيلْعَبُ بِهَا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ وَهِيَ فِي ذَلِكَ
مَسْتَرَحِيَةٌ مُسْتَخْدِيَةٌ لَا تَضُرُّهُ. وَالسَّنَانِيرُ مِنَ الْخُلُقِ الَّذِي لَا تَسْرِعُ⁽⁸⁾ السُّمُومُ فِيهِ.

(1) يخاطب أبا معقل عبد الله بن عتبة، كما في شرح أشعار الهذليين للسكري 383 تحقيق فراج. والبغاضة،
بالفتح: البغض. ورواية اللسان (رصد، بغض، عرم) والمخصص (7: 194): «لا توطئتك».

(2) ط: «بافلاعي» ش، هـ: «بالأفاعي» صوابه ما أثبت من الجزء الخامس من الحيوان ص 390 إذ لا داعي للباء.
ويعني الجاحظ أن العرم صفة للأفاعي، لا للمرار. ومراردها: مكانها.

(3) في الأصل: «منقطة»، تحريف. وفي المخصص (8: 111): «الحية العرماء التي فيها نقط سود وبيض. وأنشد:

رءوس الأفاعي في مرائبها العرم

(4) الشجاع: حية عظيمة.

(5) في اللسان (عفر 264): «تفرش»، وفي الأغاني (7: 64): «تفرس»، لعل صوابهما «تقرش». والتقرش: التجمع.
والخرشاء: جلد الحية وسلخها. وفي الأصل: «عساسها»، صوابه من اللسان والأغاني.

(6) ذو الأهدام، هو متوكل بن عياض بن حكيم بن طفيل، ويسمى المتوكل الكلابي. وهو كذلك لقب لنويفع، أو
نافع بن سودة الضبابي، وقد هجا كل منهما الفرزدق بشعر، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة، في النقائص.
وانظر المؤلف 179 ومعجم المرزباني 410 والقاموس المحيط.

(7) نكزته الحية: لسعته بأنفها. والنكاز: ضرب من الحيات ينكر بأنفه ولا يعض بفيه. في الأصل: «والمنكر».

(8) ش: «تسرح»، وليست هناك.

(مسالمة الأفعى للقانص والراعي)

وربما باتت الأفعى عند رأس الرجل وعلى فراشه فلا تنهشه وأكثر ما يوجد ذلك من القانص⁽¹⁾ والراعي، قال الشاعر⁽²⁾:

تبيت الحية النضناض منه مكان الحب مستمع السرار⁽³⁾

قال: الحب: الحبيب⁽⁴⁾. والنضناض من الحيات: الذي يحرك لسانه. وعن عيسى بن عمر قال: قلت لذي الرمة: ما النضناض؟ فأخرج لسانه يحركه⁽⁵⁾. وإنما يصف القانص وأنه يبيت بالقفر. ومثله قول أبي النجم⁽⁶⁾:

تحكي لنا القرناء في عززالها جري الرحي تجري على ثفالها⁽⁷⁾

العززال⁽⁸⁾: المكان.

وفي ذلك يقول أبو وجزة⁽⁹⁾:

تبيت جارتها الأفعى وسامرته رمد به عاذر منه كالجرب⁽¹⁰⁾

وقوله: رمد، يريد البعوض. وعاذر: أثر⁽¹¹⁾.

(1) القانص: الصائد. ط: «القاص»، صوابه في ش، ه.

(2) هو الراعي الشاعر، كما في اللسان (حب، نضض) وأمالى القالي (2: 23) والاشتقاق 308 من تحقيقي.

(3) كذا. وصواب الرواية: «يستمع السرا». انظر المصدرين المتقدمين والمخصص (4: 43، 8: 110).

(4) وقيل الحب، هنا: القرط. عن الأصمعي أنه سأل جندل بن عبيد الراعي، عن معنى قول أبيه الراعي:

تبيت الحية النضناض منه مكان الحب يستمع السرا

ما الحب؟ فقال: القرط. فقال: خذوا عن الشيخ فإنه عالم. وقال صاحب العين: «الحب والحباب: القرط من حبة».

(5) في المخصص: «أبو حاتم: قيل لذي الرمة: وما الحية النضناض؟ فحرك لسانه في فيه، يديره إدارة خفيفة: يحكيه».

(6) ويروى للأعشى، كما في اللسان.

(7) الحية القرناء: التي لها لحمتان في رأسها كأنهما قرنان، وأكثر ما يكون ذلك في الأفاعي. ه: «الفرماء» ش: «الغرماء» ط: «الغروال»، وهو تصحيف ما أثبت من اللسان (عززال، قرن). و«لنا» هي في ط: «بها» وفي اللسان: «له». و«عززالها» بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاي. وفي الأصل: «غروالها» تصحيحه من اللسان. و«جري» مفعول «تحكي». وثقال الرحي: الجلد يبسط تحتها لقي الطحين من التراب.

(8) في الأصل: «الغروال» تحريف. وفي اللسان: «عززال الحية: جحرها».

(9) في الأصل: «أبو وجرة» بالراء، وإنما هو بالزاي المعجمة. وقد تقدمت ترجمته في (1: 90). وانظر أيضاً المعارف 215 والأغانى (11: 75).

(10) في الأصل: «ريد» بالباء، صوابه من (5: 273).

(11) العاذر: أثر الجرح. كما في اللسان.

(قصة في مسالمة الأفعى)

قال: وبات يحيى بن منقاش مع دارم الدارمي، فلما أصبح يحيى رأى بينهما أفعى مستوية، فوثب يحيى ليقتلها، فقال له دارم. قد أعتقتها وحررتها! ولم تقتلها وهي ضجيعتي من أول الليل؟ فقال يحيى:

أعوذ بربي أن تُرى لي صحتي يُطيف بنا ليلاً مُحَرَّرُ دارم
من الخرس لا ينجو صحيحاً سليماً وإن كان معقوداً بحلى التمام⁽¹⁾

(مسالمة العقارب للناس)

والعقارب في ذلك دون الحيات، إلا الجرارات، فإنها ربما باتت في لحاف الرجل الليلة بأسرها، وتكون في قميصه عامة يومها، فلا تلسعه. فهي بالأفعى أشبه. فأما سائر العقارب فإنها تقصد إلى الضرر⁽²⁾، فإذا ضربت إنساناً فرث كما يصنع المسيء الخائف للعقاب⁽³⁾. والعقرب لا تضرب الميت ولا المغشي عليه، ولا النائم إلا أن يحرك شيئاً من جسده، فإنها عند ذلك تضربه.

(مسالمة العقارب للخنافس والحيات)

ويقال إنها تأوي مع الخنافس وتسالّمها، ولا تصادق من الحيات إلا كل أسود ساليخ.

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدث أبو إسحاق المكي قال: كان في دار نصر بن الحجاج السلمي عقارب إذا لسعَتْ قَتَلَتْ، فدبّ ضيفٌ لهم على بعض أهل الدار فضرَبَتْه عقربٌ على مذاكيره، فقال نصرٌ يعرضُ به:

وَدَارِي إِذَا نَامَ سَكَّانُهَا أَقَامَ الْحُدُودَ بِهَا الْعَقْرَبُ
إِذَا غَفَلَ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ فَإِنْ عَقَّارِبُهَا تَضْرِبُ⁽⁴⁾

قال: فأدخل الناسُ بها حواءً، وحكوا له شأن تلك العقارب، فقال: إن هذه العقارب تستقي من أسود ساليخ، ونظر إلى موضع في الدار فقال: احفروا هاهنا. فحفروا عن أسودين: ذكر وأنثى، وللدَّكر خصيتان ورأوا حول الذكر عقارب كثيرةً فقتلوها.

(1) السليم: اللدغ. وأراد معقوداً به حلى التمام، فقلب.

(2) في الأصل: «الصوت».

(3) ط: «للعقارب»، صوابه في ش، هـ.

(4) في المحاسن والأضداد 171: «فإن عقاربنا تغضب». والقصة فيه وفي محاضرات الراغب (115:2) مخالفة لما هنا. ونقل الدميري ما أثبت الجاحظ هنا. وزاد بعد هذا البيت:

فلا تأمنن سرى عقرب بليل إذا أذنب المذنب

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قال: وقال الفضل بن عباس حين راهنه عقرب بالشعر⁽¹⁾، وقيل لكل واحد منهما: لست في شيء حتى تغلب صاحبك. فقال الفضل:

قَدْ تَجَرَ الْعَقْرَبُ فِي سَوْقِنَا⁽²⁾ لَا مَرْحَبًا بِالْعَقْرَبِ التَّاجِرِ
كُلُّ عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَعَقْرَبٌ تُخْشَى مِنْ الدَّابِرِ⁽³⁾
كُلُّ عَدُوٍّ كَيْدُهُ فِي اسْتِهِ فَغَيْرُ ذِي أَيْدٍ وَلَا ضَائِرِهِ⁽⁴⁾
قَدْ ضَاقتِ الْعَقْرَبُ وَاسْتَيْقَنْتِ بَأَنَّ لَا دُنْيَا وَلَا آخِرَهُ
إِنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهُ

(من سمى بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر⁽⁵⁾، عقرب. وآل أبي موسى يكتنون بأبي العقارب ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب: ابن أبي العقرب الليثي⁽⁶⁾ الخطيب الفصيح، الراوية.

(حديث وخبر في العقرب)

وَرَوَوْا أَنَّ عَقْرَبًا لَسَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَعَنَهَا اللَّهُ، فَإِنَّهَا لَا تُبَالِي مَنْ ضَرَبَتْ!». وقال الضبي: أنا عقرب، أضرب ولا أنفع.

(الجرارات)

وكان الرجلُ تلسعه الجرّارة⁽⁷⁾ بعسكر مُكْرَم⁽⁸⁾، أو بجنديسابور، فتقتله؛ وربما تناثر

(1) عقرب هذا، كان تاجراً من تجار المدينة، ضرب به المثل في المثل والتسويق، فقالوا: «أمطل من عقرب» و: «أتجر من عقرب». وكان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب، من أشد الناس اقتضاء، فاتفق أن عقرباً عامل الفضل، وماطله، ولم يستطع الفضل مغالبته، حتى اضطر إلى هجاء عرضه بالشعر الآتي. هـ: «راهنته عقرب»، وإنما هو رجل كما أسلفت. انظر اللسان (عقرب) وأمثال الميداني (1: 133)، وعيون الأخبار (1: 256)، والمحاسن والمساوي (1: 228). و«عقرب» إذا سمي به رجل جاز صرفه ومنعه. وانظر الاستدراكات.

(2) في اللسان وأمثال الميداني وشرح شواهد الشافية 65: «قد تجرت في سوقنا عقرب».

(3) وكذا الرواية في عيون الأخبار. ورواية اللسان والأمثال: «وعقرب يخشى».

(4) الأيد: القوة. و«ضائرة» أي غير ذي ضائرة. والضائرة: ما تضير، أي تضرب. ورواية عيون الأخبار: «الغير ذي كيد ولا نائره». والنائرة: الحقد والعداوة، والكائنة تقع بين القوم.

(5) سبق ترجمته في (3: 43).

(6) في (5: 238): «القيني».

(7) الجرارة: ضرب من العقارب الصغار تجرر بأذناها. ط: «الجرادة»، صوابه في ش، هـ.

(8) بضم الميم وفتح الراء، بلد من بلاد خوزستان. منها أبو هلال العسكري.

لحمه، وربما تعفن وأنتن، حتى لا يدنو منه أحد إلا وهو مُخَمَّرٌ أنفه⁽¹⁾، مخافة إعدائه، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لا يعلم أن الوخزة التي وخرها كانت من جرارة.

وكانوا إذا شعروا بها دعوا حجاماً، يحجم ذلك الموضع ويمصه، قبل أن يتفشى فيه السم ويدخل تلك المداخل. فكان الحجام لا يجيئهم حتى يقبض دنائير كثيرة. وإنما كانوا يجودون له بذلك؛ لما كان لصاحبهم في ذلك من الفرج، وما على الحجام في ذلك من الضرر. وذلك أن وجهه ربما اسماًً واربداً، وربما عطلت مقادير أسنانه وتوجعت عليه، فيلقى من ذلك الجهد، وذلك لما كان يتصل إلى فيه من بخار الدم، ومن ذلك السم المخالط لذلك الدم، ثم إنهم بعد ذلك حشوا أذنانهم⁽²⁾ المحاجم بالقطن، فصار القطن لا يمنع قوة المص والجذب، ولم يدعه يصل إلى فم الحجام. ثم إنهم بعد مدة سنيات⁽³⁾ أصابوا بئته في بعض الشعب⁽⁴⁾، فإذا عالجوا الملسوع بها حسنت حاله. والجرارات تألف الأخواء⁽⁵⁾ التي تكون بحضرة الأتاتين⁽⁶⁾، وتألف الحشوش⁽⁷⁾ والمواضع النارية. وسمها نار.

(قول ماسرجويه في العقرب)

وقيل لماسرجويه: قد نجد العقرب تلسع رجلين فتقتل أحدهما ويقتلها الآخر⁽⁸⁾، وربما نجت ولم تمت، كما أنه ربما عُقِرَتْ ولم تفت، ونجدها تضرب رجلين في ساعة واحدة، فيختلفان في سوء الحال. ونجدها تختلف مواضع ضررها على قدر الأغذية، وعلى قدر الأزمان، وعلى قدر مواضع الجسد. ونجد واحدًا يتعالج بالمسوس⁽⁹⁾ فيحمده، ونجد آخر يدخل يده [في⁽¹⁰⁾] مدخل حار من غير أن يكون فيه ماء فيحمده، ونجد آخر يعالجه بالتخالة الحارة فيحمدها، ونجد آخر يحجم ذلك الموضع فيحمده، ونجد كل واحد من هؤلاء يشكو خلاف ما يوافقه، ثم إننا نجد يعاود ذلك العلاج عند لسعة أخرى فلا يحمده!

قال ماسرجويه: لما اختلفت السموم في أنفسها بالجنس والقدر، وفي الزمان، وباختلاف ما لاقاه⁽¹¹⁾ اختلف الذي وافقه على حسب اختلافه.

(1) خمر أنفه: غطاه. (2) ط: «أذباب»، صوابه في ش، هـ.

(3) جمع سنبة: تصغير سنة.

(4) الشعب: جمع شعبة بالضم، وهي المسيل في الرمل، أو التلعة الصغيرة.

(5) الأخواء: جمع خوي، بالتحريك والقصر، وهو اللين من الأرض. وفي الأصل: «الأخواء» بالمهمله!

(6) الأتاتين: جمع أتون، بالفتح وتشديد التاء المضمومة، وهو أخدود النار، أو موقدها. وفي الأصل: «الأتاتين» بنونين بينهما ياء، محرف.

(7) الحشوش: مواضع قضاء الحاجة، جمع حش بالضم.

(8) انظر الاستدراكات.

(9) المسوس، كصبور: الترياق الذي يعالج به الملسوع والملدوغ. ومنه قول كثير:

فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مسوس البلاد يشتكون وبالهـ

ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية: Theriake. وهذه مشتقة من: Therion وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي

ونحوها. انظر مفاتيح العلوم 103، وقاموس القرن العشرين 1006، وفي الأصل: «بالأمسوس» تحريف.

(10) الزيادة من ش، هـ. (11) ط، هـ: «مالقاء»، صوابه من ش.

وكان يقول: إِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ فِي الْعَقْرِب: شَرُّ مَا تَكُونُ حِينَ تَخْرُجُ مِنْ جُحْرِهَا، لَيْسَ يَعْنُونَ مِنْ لَيْلَتِهَا- إِذْ^(١) كَانَ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهَا نَصِيبٌ مِنَ الشَّدَّةِ - وَلَكِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْنُونَ: فِي أَوَّلِ مَا تَخْرُجُ مِنْ جُحْرِهَا عِنْدَ اسْتِقْبَالِ الصَّيْفِ، بَعْدَ طَوْلِ مُكْثِهَا فِي غَيْرِ عَالَمِنَا وَغَدَائِنَا وَأَنْفَاسِنَا وَمَعَايِشِنَا.

(زعم العامة في العقرب)

والعامة تزعم أنها شرُّ ما تكون إذا ضربت الإنسان وقد خرج من الحمام؛ لتفتح المسام^(٢)، وسعة المجاري، وسخونة البدن. ولذلك صار سمها في الصيف أشدَّ. هذا قول أبي إسحاق. كأنه كان يرى^(٣) أَنَّ الهواء كلما كان أحرَّ، وكان البدن أسخن كان شرًّا. ونحن نجدهم يصرخون من لسعتها اللَّيْلَ كُلَّهُ، وإذا طلعت الشمس سكن ما بهم. فإذا بقيت فضلة من تلك الجارحة في الشمس فما أكثر ما يسكن. وسمومها بالليل أشدُّ، إلا أن يزعم أن أجواف الناس في برد الليل أسخن وفي حرِّ النهار أفت.

(الدَّسَّاس)

وزعم لي بعض العلماء^(٤) ممَّن قَدْ رَوَى الْكِتَابَ، وَهُوَ فِي إِرْثِ مِنْهَا، أَنَّ الْحَيَّةَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: الدَّسَّاس^(٥)، تَلِدُ وَلَا تَبْيِضُ؛ وَأَنَّ أُنْثَى النَّمُورِ لَمْ تَضَعْ نَمْرًا قَطُّ إِلَّا وَمَعَهُ أَفْعَى.

(زعم استحالة الكمأة إلى أفاع)

والأعراب تزعم أن الكمأة تبقى في الأرض فتُمَطَّرُ مَطَرَةً صَيْفِيَّةً، فَيَسْتَحِيلُ بَعْضُهَا أَفَاعِي. فَسَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي بَعْضُ الرُّؤَسَاءِ الطَّائِفِينَ^(٦)، فَرَعِمَ لِي أَنَّهُ عَايَنَ كَمَاءَةً ضَخْمَةً فَتَأَمَّلَهَا، فَإِذَا هِيَ تَتَحَرَّكُ، فَنَهَضَ إِلَيْهَا فَقَلَعَهَا، فَإِذَا هِيَ أَفْعَى. هَذَا مَا حَدَّثْتُهُ عَنِ الْأَعْرَابِ، حَتَّى بَرُئْتُ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَيْبِ الْحَدِيثِ.

(١) في الأصل: «وإذا».

(٢) ش: «في تفتح المسام» وهي عبارة جيدة.

(٣) ط: «يروي»، صوابه في ش، هـ.

(٤) ط: «وزعم لي في بعض العلماء»، والوجه حذف «في» كما جاء في ش، هـ.

(٥) الدساس: حية خبيثة. وفي الديميري: «الدساسة بفتح الدال: حية صماء تندس تحت التراب اندساساً، أي تندفن». وفي اللسان: «أبو عمرو: الدساس من الحيات الذي لا يدري أي طرفيه رأسه، وهو أخبث الحيات، يندس في التراب فلا يظهر للشمس. وهو على لون القلب من الذهب المحلى» وانظر لولادة الدساس، ما في الاستدراكات. ط: «أن حية يقال لها الدساس»، وأثبت ما في ش، هـ.

(٦) جمع طائي، نسبة إلى قبيلة طيء على الشذوذ. ش: «الكمابين» هـ: «الكمابين»، وكنت حسبتها: «الكميائين»، لكن وجدت تعقيب الجاحظ لا يسعف بهذا.

(معارف)

في الحيات عن صاحب المنطق

وزعم صاحب المنطق أنَّ الوزَّعة والحيَّات تأْكُلُ اللَّحْمَ وَالْعُشْبَ وَزَعَمَ أَنَّ الحَيَّاتِ أَظْهَرُ كَلْبًا مِنْ جَمِيعِ الحَيَوَانِ، مَعَ قَلَّةِ شَرْبِ المَاءِ. وَأَنَّ الأَسَدَ مَعَ نَهْمِهِ قَلِيلُ شَرْبِ المَاءِ. قَالَ: وَلَا تَضَيِّطُ الحَيَّاتُ أَنْفُسَهَا إِذَا شَمَّتْ رِيحَ السَّدَابِ، وَرَبَّمَا أَصْطِيدَتْ بِهِ. وَإِذَا أَصَابُوهَا كَذَلِكَ وَجَدُّوهَا وَقَدْ سَكِرَتْ.

قال: والحيات تبتلع البيض، والفراخ، والعشب.

وزعم أنَّ الحياتِ تَسْلُخُ جلودها في أوَّلِ الرَّبِيعِ، عِنْدَ خُرُوجِهَا مِنْ أَعْشَتِهَا⁽¹⁾ وَفِي أوَّلِ الخريف. وزعم أنَّ السَّلَخَ يَبْتَدِئُ مِنْ نَاحِيَةِ عَيُونِهَا أوَّلًا. قَالَ: وَلِذَلِكَ يَظُنُّ بَعْضُ مَنْ يُعَانِيهَا⁽²⁾ أَنَّهَا عَمِيَاءُ.

وهي تَسْلُخُ مِنْ جِلُودِهَا فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِنَ الرَّأْسِ إِلَى الذَّنْبِ، وَيَصِيرُ دَاخِلُ الجِلْدِ هُوَ الْخَارِجُ، كَمَا يُسْلَخُ الجَنِينُ مِنَ المَشِيمَةِ؛ وَكَذَلِكَ⁽³⁾ جَمِيعُ الحَيَوَانِ المَحْزُزِّ⁽⁴⁾ الجَسَدِ، وَكُلُّ طَائِرٍ لَجَنَاحِهِ غِلَافٌ مِثْلُ الجُعَلِ وَالدَّبْرِ⁽⁵⁾ وَكَذَلِكَ السَّرَطَانُ، يَسْلَخُ أَيْضًا، فَيُضَعَفُ عِنْدَ ذَلِكَ عَنِ المَشْيِ. وَتَسْلَخُ جِلُودَهَا مِرَارًا.

(سلخ الحيوان)

وَالسَّلَخُ يَصِيبُ عَامَّةَ الحَيَوَانِ: أَمَّا الطَّيْرُ فَتَحْسِرُهَا⁽⁶⁾، وَأَمَّا ذَوَاتُ الحَوَافِرِ فَسَلَخُهَا عَقَائِقُهَا⁽⁷⁾، [وَسَلَخُ الإِبِلِ طَرْحُ أَوْ بَارِهَا، وَسَلَخُ الجِرَادِ انْسِلَاخُ جِلُودِهَا⁽⁸⁾]، وَسَلَخُ الأَيَّائِلِ إِلقاءُ قُرُونِهَا، وَسَلَخُ الأشْجَارِ إِسْقَاطُ وَرَقِهَا.

(1) المعروف في جمع العش: عشاش وأعشاش وعششة - كعنبه - فهذا جمع رابع. ولعل من غير المعهود استعمال العش لجحر الحية؛ إذ العش خاص بالطائر. لكن الجاحظ جعله هنا للحية، كما جعله أبو حيان التوحيدى للثعلب، قال في الإمتاع والمؤانسة (1: 171): «الثعلب يهين عشه ووكره، ذا سبعة أجحرة». فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للثعلب أيضاً.

(2) بتقديم النون على الياء، أي يقوم عليها ويهتم بشأنها. وفي القاموس: «ما يعانون ما لهم: ما يقومون عليه».

(3) ط، هـ: «ولذلك» صوابه في ش.

(4) كذا في ط، هـ. وفي ش: «المخرز».

(5) الدبر، بفتح الدال ويكسر، المراد به هنا أولاد الجراد. اللسان (دبر) 360.

(6) التحسير: سقوط ريش الطائر. ط: «فحسرها» ش، هـ: «فحسرها». والصواب ما أثبت. وانظر ما سبق في (3: 289 س9).

(7) العقائق: جمع عقيقة، وهي شعر المولود.

(8) هذه التكملة من ش، هـ.

(أصل الأسروع)

والأسروع: دويبة تنسلخ فتصيرُ فَرَاشَةً. وقال الطِّرْمَاح شعراً:

وتجرّد الأسروعُ وأطرّد السّفَا وجرت بجاليها الجدّابُ القَرْدَدُ⁽¹⁾
وانسابَ حَيَّاتُ الكَثِيبِ وأقبَلَتْ ورُقُ الفِراشِ لما يَشُبُّ الموقِدُ⁽²⁾
يصف الزّمان.

والدُّعْمُوص ينسلخ، فيصير إمّا بعوضةً وإمّا فراشةً.

(انسلاخ البرغوث)

وزعم ثمامة عن يحيى بن برمك⁽³⁾ أنّ البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة، وأنّ البعوضة التي من سلخ دعموص ربّما انسلخت⁽⁴⁾ برغوثاً. والنمل تحدث لها أجنحة ويتغيّر خلقها، وذلك هو سلخها. وهلكها يحين عند طيرانها.

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع. قال الرّاجز⁽⁵⁾:

مَلْعُونَةٌ تَسْلُخُ لَوْنًا لَوْنَيْنِ⁽⁶⁾

(أثر البلدان)

(في ضرر الأفاعي ونحوها)

قال: وعضّ السّباع ذوات الأربع، ولدغُ الهوامّ، يختلفُ بقدر اختلافِ البُلدان؛ كالذي

(1) الجالان: الجانبان. ط، هـ: «بحاليها» س: «بحاليها»، وصوابه ما أثبت من الديوان ص 141، والحداب: جمع حدب، وهو ما أشرف من الأرض وغلظ. والقردد: المرتفعة الغليظة. وفي الأصل: «الجراد القردد»، صوابه من الديوان ومما سيأتي ص 148، وقبل هذا البيت:

حتى إذا صهّب الجنادب ودعت نور الربيع ولاهن الجدجد

(2) يقول: أقبل ذلك الفراش الذي في لونه سواد وبياض، إلى النار التي يشبهها موقدها.

(3) نسبه إلى جده، وهو يحيى بن خالد بن برمك، سيد البرامكة، وكان مؤدب الرشيد ومعلمه، وكان الرشيد يدعوه بيا أبي، فلما ولي هارون الخلافة دفع إليه الخاتم وقلده أمره. وكان جواداً حسن السياسة. ولما نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه بالرقعة إلى أن مات، سنة مائة وتسعين.

(4) في الأصل: «تصلحت»، والوجه فيه ما أثبت.

(5) هو عوف بن ذروة، كما في نوادر أبي زيد الأنصاري ص 48، وقد روى من الرجز تسعة أبيات.

(6) رواية النوادر وما سيأتي في (5: 377): «تسلخ لوناً عن لون». وقبل البيت:

من كل سفعاء القفا والخدين

يبلغنا عن أفاعي الرَّمْل⁽¹⁾، وعن جَرَّارات قرى الأهواز، وعقارب نصيبين⁽²⁾، وشعابين مصر، وهنديّات⁽³⁾ الخرابات. وفي الشَّبَثان⁽⁴⁾، والزَّناير، والرَّتِيَّلات⁽⁵⁾ ما يقتل. فأما الطَّبُوع⁽⁶⁾ فإنَّه شديد الأذى. للضَّمج⁽⁷⁾ أذى لا يبلغ ذلك.

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق: ويكون بالبلدة التي تسمَّى باليونانية: «طبقون» حيَّةٌ صغيرة شديدة اللدغ، إلا أن تُعالج بحجر، يُخرج من بعض قبور قدماء الملوك. ولم أفهم هذا، ولم كان ذلك. وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد بعضها، كانت أردأ ما تكون سمًّا، مثل العقارب والأفاعي.

قال: والأيِّل إذا ألقى فُروَّه علم أنَّه قد ألقى سلاحه، فهو لا يظهر. وكذلك إن سمن علم أنَّه يُطلب، فلا يظهر. وكذلك أوَّل ما ينبت قرْنُه يعرِّضه للشمس؛ ليصلب ويجف. وإن لدغت الأيِّل حيَّةٌ أكل السَّراطين؛ فلذلك نُظِنُ أنَّ السَّراطينَ صالحةٌ للديع من الناس. قال: وإذا وضعت أنثى الأيِّل ولداً أكلت مشيمتها. فيُظَنُّ⁽⁸⁾ أنَّ المشيمة شيء يتداوى به من علة النفاس.

[قال]: والدُّبَّة إذا هربت⁽⁹⁾ دفعت جِراءها⁽¹⁰⁾ بين يديها، وإن خافت على أولادها غيبتها، وإذا لحقت⁽¹¹⁾ صعدت في الشجر وحملت معها جِراءها. قال: والفهد إذا عراه الداء الذي يقال له: «خانق الفهود» أكل العذرة فبرئ منه⁽¹²⁾. قال، والسَّباع تشتهي رائحة الفهود، والفهد يتغيَّب عنها، وربما فرَّ بعضها منه فيطعمُ في نفسه، فإذا أَراده السَّبع وثبَّ عليه الفهد فأكله.

- (1) الرمل: موضع بعينه، كما في ياقوت.
- (2) نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة، كانت عندها وقعة مشهورة. وقد عرفت بكثرة عقاربها. انظر ما كتبت في (189:3). وفي الأصل: «الصين»، وهو تحريف.
- (3) الهنديّات: ضرب من الأفاعي، سبق ذكرها في 68، ط، ش: «هذرايات» وأثبت صوابه من هـ.
- (4) الشَّبَثان: جمع شبت بالتحريك، وهو ضرب من الرتيلات.
- (5) الرتيلات: نوع من العناكب قتال.
- (6) الطَّبُوع، كتنور: دويبة ذات سم، أو من جنس القردان، لعضته ألم شديد.
- (7) الضمج: دويبة منتنة تلسع، تسمى في مصر بالبق. وهي: Cimex، وفي الأصل: «الضمخ» محرفة.
- (8) كذا على الصواب في ش. وفي ط، هـ: «فتظن». وانظر السطر السابق.
- (9) ط، ش: «والدبة فإنها إذا هربت». والأوفق حذف الكلمة الثانية كما في هـ.
- (10) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز في الأصل. والجِراء: جمع جرو: وهو ولدها.
- (11) يقال لحقه وألحقه: أدركه. وقرئ في القنوت: «إن عذابك الجد بالكفار ملحق» بكسر الحاء، أي لاحق. قال صاحب القاموس: «والفتح أحسن، أو الصواب». ط، هـ: «ألحقت» وهي اللغة الضعيفة. وأثبت ما في ش.
- (12) وجاء في كتاب الإمتاع والمؤانسة (167:1): «الفهد إذا أكل العشبة التي تسمى خانقة الفهود، يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالج به».

قال: والتمساح يفتح فاه إذا غَمَّهُ ما قد تعلق بأسنانه، حتى يأتي طائر⁽¹⁾ فيأكل ذلك، فيكون طعاماً له وراحةً للتمساح.

قال: وأما السُّلْحَفَة فإنَّها إذا أكلت الأفعى أكلت صَعْتراً جبلياً. وقد فعلت ذلك مراراً، فربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصَّعتر مراراً كثيرة، فإذا أكثرت من ذلك هلكت.

قال: وأما ابنُ عرس، فإنه إذا قَاتَلَ الحَيَّةَ بدأ بأكلِ السَّذاب، لأنَّ رائحةَ السَّذاب مخالفةٌ للحَيَّةِ، كما أن ساءَ أبرص لا يدخل بيتاً فيه زعفران.

قال: والكلاب إذا كان في أجوافها دُودٌ أكلت سُنبل القمح.

قال: ونَظْنُ أنَّ ابنَ عرس يحتالُ للطيرِ بحيلة الذئب للغنم؛ فإنه يذبِّحها⁽²⁾ كما يفعل الذئب بالشاة.

قال: وتتقاتل الحيات المشتركة في الطعم.

وزعم أنَّ القنَافِذَ لا يخفى عليها شيءٌ من جهة الرِّيح وتحولُّها وهُبُوبها، وأنَّه كان بِقِسْطُنْطِينِيَّة رجلٌ يُقَدِّم وَيُعْظِّم؛ لأنه كان يَعْرِفُ هُبُوبَ الرِّيح ويُخبرهم⁽³⁾ بذلك. وإنما كان يَعْرِفُ الحالَ فيها بما يَرى مِنْ هَيْئَةِ القنَافِذ.

(العيون الحمراء)

والعيون الحمراء لِلْعَرَضِ المَفارِقِ، كعين الغضبان، وعين السَّكران، وَعَيْنِ الْكَلْبِ، وَعَيْنِ الرَّمِدِ.

(العيون الذهبية)

والعيون الذهبية: عيون⁽⁴⁾ أصناف البزاة من بين العُقاب⁽⁵⁾ إلى الزُّرَق.

(العيون التي تسرح بالليل)

والعيون التي تُسْرِجُ بالليل: عيون الأسد، وعيون النمر، وعيون السَّنانير، وعيون الأفاعي⁽⁶⁾.

(1) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط، وهو أرقط صغير في رأسه شوكة، إذا أطبق التمساح فمه عليه نخسه بها فيفتحه.

(2) انظر ما سيأتي في (5: 216).

(3) ط، هـ: «ويخبر».

(4) ط، هـ: «وعيون»، والصواب حذف الواو كما في ش.

(5) ط، هـ: «العقارب»، صوابه في ش.

(6) سبق مثل هذا الكلام في ص 65، وسيأتي مثله في (5: 222).

(خبر وشعر في العين)

قال أبو حية :

غَضَابٌ يُثِيرُونَ الدُّحُولَ، عُيُونُهُمْ كَجَمْرِ الغَضِي ذَكَّيْتُهُ فتوقدًا⁽¹⁾

وقال آخر⁽²⁾ :

وَمَدَجَّجَ يَسْعَى بِشَكَّتِهِ مَحْمَرَةَ عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ⁽³⁾
رجع بالكلب إلى صفة المدجج .

وقال معاوية لصحار العبدى : يا أحمر ! قال : والذهب أحمر ! قال : يا أزرق ! قال :
والبازي أزرق ! وأنشدوا :

وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرُ شُكْلَةٍ عَيْنَهَا كَذَاكَ عِتَاقُ الطَّيْرِ شُكْلُ عِيُونِهَا⁽⁴⁾
وقال آخر :

وَشُكْلَةُ عَيْنٍ لَوْ حُبِيتَ بِبَعْضِهَا لَكُنْتَ مَكَانَ الْعَيْنِ مَرَأًى وَمَسْمَعًا⁽⁵⁾

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغرب⁽⁶⁾ ، والأزرق ، والأشكل⁽⁷⁾ ، والأسجر⁽⁸⁾ ، والأشهل⁽⁹⁾ ،
والأخيف⁽¹⁰⁾ ، وذلك إذا اختلفا .

(1) الذحول : جمع ذحل بالفتح ، وهو الثأر . ش ، هـ : «الدخول» صوابه في ط . وذكى النار : ألقى عليها ما تذكو به وتزيد اشتعالاً . ط ، هـ : «ذكيته» ، ووجهه ما أثبت من ش .

(2) انظر ما سبق في (1: 219) .

(3) المدجج ، بكسر الجيم وفتحها ، كما في المخصص (8: 95) نقلاً عن العين . وأراد به القنفذ ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة : السلاح . ورواية الكامل 609 ليسك :

وَمَدَجَّجاً يَسْعَى بِشَكَّتِهِ مَحْمَرَةَ عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ
وهي الصحيحة ؛ لأن قبله في الأغاني (12: 50) :

إِذَا لَا تَرَى إِلَّا مَقَاتِلَةَ وَعِجَانَساً يَرْفُلْنَ بِالرَّكِبِ

(4) يروى : «غير شهلة عينها» كما في اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقاً فيه . وسيعاد البيت في (5: 223) .

(5) هـ : «لو حبيت» ، صوابه في ط ، ش ورسائل الجاحظ 196 الرحمانية . والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل :
«مكان النجم» .

(6) المغرب ، بفتح الراء : الأبيض . هـ : «الغرب» ش : «العذب» صوابه في ط .

(7) الشكلة ، بالضم : حمرة في بياض العين .

(8) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهي نحو الشكلة . ط ، هـ : «الأسحر» بالحاء ، صوابه في ش .

(9) الشهلة ، بالضم : الحمرة في سواد العين .

(10) الخيف ، بالتحريك : زرقه إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : «والأحتف» ط : «والأخف» ش : «والأخسف»
إهمال الباء . وصواب أولئك ما أثبت .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كَحَلَاءَ، وهي أَبْصَرُ بالليل من الفَرَسِ والعقاب.

(شعر في حمرة العينين وضيائهما)

وفي حمرة العينين وضيائهما يقولُ مُحَمَّدُ بْنُ دُوَيْبِ الْعُمَانِيُّ، في صفة الأسد:

أَجْرًا مِنْ ذِي لِبْدَةٍ هَمَّاسٍ ⁽¹⁾ عَضْنُفَرٍ مَضْبَرٍ رَهَّاسٍ ⁽²⁾
مَنَاعٍ أَخْيَاسٍ إِلَى أَخْيَاسٍ ⁽³⁾ كَأَنَّمَا عَيْنَاهُ فِي مِرَاسٍ ⁽⁴⁾
شِعَاعٌ مِقْبَاسٍ إِلَى مِقْبَاسٍ ⁽⁵⁾

وقال المرَّار:

مِثْلَ مَا وَقَدَ عَيْنَيْهِ النَّيْمَرُ ⁽⁶⁾

(أصوات خشاش الأرض)

نحو الضَّبِّ، والوَرَلِ. والحَيَّةِ، والقَنْفَذِ، وما أشبه ذلك)

يقال للضَّبِّ والحَيَّةِ والوَرَلِ: فَحَّ يَفْحُ فَحِيحًا، وقال رؤبة:

فِحِّي فَلَا أَفْرِقُ أَنْ تَفْحِي ⁽⁷⁾ وَأَنْ تَرَحِّي كَرَحِي المَرَحِّي ⁽⁸⁾
أَصْبَحَ مِنْ نَحْنَحَةٍ وَأَحَّ ⁽⁹⁾ يَحْكِي سُعَالَ النَّشْرِ الْأَبَحِّ ⁽¹⁰⁾

(1) الهماس: الشديد الغمز بضره.

(2) المضبر: الموثق الخلق. وفي الأصل: «مضبر» محرف. والرهاس: الذي يطأ الأرض وطئاً شديداً.

(3) أخياس: جمع خيس، بالكسر، وهو الأجمة يكون فيها الأسد. وإلى هنا بمعنى مع. ط: «أجناس إلى أجناس» ش: «أخياس إلى أجناس». صوابهما في هـ.

(4) أي في أثناء ممارسته الصيد.

(5) المقباس: شعلة النار تقتبس. وإلى، بمعنى: مع.

(6) في الأصل: «كأنما وقد»، وصواب روايته من المفضليات 87، وصدره:

حنق قد وقدت عيناه لي

(7) أفرق: أخاف. والفرق، بالتحريك: الخوف. ورواية اللسان: «يا حي لا أفرق»، أي يا حية.

(8) يقال رحح الحية ترحو، وترحت تترحي: إذا استدارت. وأما رحح ترحى بالتشديد فلم أره في معجم، وهذا لا ينفي صوابه. والمرحي: الذي يسوى الرحي. وهذا البيت وما قبله سيعادان في (6: 88)، ورواية اللسان: «أو أن».

(9) أح يؤح: إذا سعل. وكلمة «أصبح» هي في الأصل: «أصح» تحريف. ورواية اللسان: «يكاد من تنحج وأح». قال: «يصف رجلاً بخيلاً إذا سئل تنحج وسعل».

(10) النشز، محركة: المسن القوي. والأبج: الذي غلظ صوته من داء ورواية اللسان:

يحكي سعال النزق الأبج

قال: الفحيح: صوت الحية من فيها. والكشيش والقشيش⁽¹⁾: صوت جلدتها إذا حكت بعضه ببعض. قال الرّاجز⁽²⁾ في صفة الشَّخْب والحَلْب:

حَلَبْتُ لِلأَبْرَشِ وَهُوَ مُغْضٍ حمراء منها شخبة بالمخض⁽³⁾
ليست بذات وبرٍ مبيضٍ كأنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا المَرْفُضُ⁽⁴⁾
كشيشُ أفعى أجمعت لعَضُ⁽⁵⁾

ويقال للضَّبِّ والورل: كش يكش كشيشاً. وأنشد أبو الجراح:

ترى الضَّبَّ إن لم يرهب الضَّبَّ غيره يكش له مُستكبراً ويُطاوله⁽⁶⁾

باب

من ضرب المثل للرجل الداهية وللحي الممتنع بالحيّة

قال ذو الإصبع العدواني:

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَذُوا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ⁽⁷⁾
بَغَى بَعْضُهُمْ ظِلْمًا فَلَمْ يُزْعِ عَلَى بَعْضِ⁽⁸⁾
وَفِيهِمْ كَانَتْ السَّادَا تْ وَالْمَوْفُونَ بِالْقَرْضِ⁽⁹⁾

يقال: «فلان حية الوادي»، و«ما هو إلاَّ صِلُ أصلال»⁽¹⁰⁾. والصِّلُ: الداهية والحيّة.

قال النَّابِغَةُ:

(1) في الأصل: «النشيش»، صوابه من (88:6).

(2) هو معتمر بن قطبة، كما في تاج العروس (كشش).

(3) حمراء: أي ناقة حمراء.

(4) المرفض: الذي يتتابع سيلانه وترششه. وفي الأصل: «كأن شخب صوتها» صوابه في المخصص (115:8) والخزانة (4: 571 بولاق) وأدب الكاتب 125 والاقتضاب 345 واللسان (كشش).

(5) أجمعت: من الإجماع، وهو العزم على الشيء. وفي الكتاب: «فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ» [يونس: 71]. ش، هـ: «جمعت»، وأثبت ما في ط والمصادر المتقدمة. وبعد هذا البيت:

فهي تحك بعضها ببعض

ومثل هذا المعنى قول الآخر في الاقتضاب وأمالى الزجاجي 120 واللسان (فما):

كأنه صوت شخبها إذا همى صوت الأفاعي في خشي أشخما

(6) في الأصل: «مستنكرأ» صوابه في (6: 42-88)، والبيت لابن ميادة.

(7) في ثمار القلوب 409: «العرب تقول للرجل المنيع الجانب: حية الأرض».

(8) روايته في حماسة البحرري 169: «بغى بعضهم بعضاً فلم يرعوا».

(9) القرص: ما يتجازى به الناس بينهم من إحسان، أو إساءة. يقول: هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان، والإساءة بمثلها. وفي ذلك المروءة، والقدرة. ش: «بالعرض»، وأثبت ما في ط، هـ. والشعراء 690.

(10) ويقال ضلُّ أصلال، كما في اللسان (ضلل) والمزهر (323:1).

مَاذَا رُزِّنَا بِهِ مِنْ حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَضْنَاضَةً بِالرَّزَايَا، صَلِّ أَصْلَالٍ⁽¹⁾
وقال آخر:

صِلَّ صَفَاً تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ سِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتٍ⁽²⁾
وقال آخر⁽³⁾:

مُطَرِّقٌ يَرشَحُ سَمًّا، كَمَا أَطَرَّقَ أَفْعَى يَنْفُتُ السَّمَّ صِلُّ
ومن أمثالهم: «صَمِّي صَمَامٍ»⁽⁴⁾ و«صَمِّي ابْنَةُ الْجَبَلِ»⁽⁵⁾ وهي الحَيَّة. وقال الكميت:
إِذَا لَقِيَ السَّفِيرَ لَهَا وَنَادَى بِهَا: صَمِّي ابْنَةُ الْجَبَلِ، السَّفِيرُ⁽⁶⁾

(قولهم: جاء بأم الرُبَيْقِ على أَرَيْق)

ومن أمثالهم: «جاء بأم الرُبَيْقِ على أَرَيْق»⁽⁷⁾ أم الرُبَيْق: إحدى الحيات. وأَرَيْق: أم
الطَّبَق⁽⁸⁾، ضربوا به مثلاً في الدواهي. وأصلها من الحيَّات قال:

إِذَا وَجَدْتَ بُوَادَ حَيَّةً ذَكَرًا فَادْهَبْ وَدَعْنِي أُمَارِسَ حَيَةَ الْوَادِي⁽⁹⁾

- (1) رزئنا به: أصبنا. وفي ط، هـ: «رأينا» وش: «رأيت»، وصوابه من اللسان (صلل) وثمار القلوب 336 وأمثال الميداني (1: 24). من حية: يقول: هو حية. والنضناضة: التي تحرك لسانها. أنثها ناظراً للفظ الموصوف.
- (2) تنطف أنيابه: يقطر منها السم. ط: «تنطف»، صوابه في ش، هـ. والسمام: جمع سم. والذيفان بالفتح والكسر: السم النافع.
- (3) هو تأبط شراً. كما سبق في (38: 3) والحماسة (1: 341)، وشرحها (2: 160 - 161).
- (4) صم يصم، بفتح الصاد فيهما. وصمام كقطام: الداهية. والمثل يضرب للرجل يأتي بالداهية، اللسان وأمثال الميداني (1: 362).
- (5) ابنة الجبل: الحية. أي لا تجيبي الراقي ودومي على حالك. يضرب الفريقين إذا أبيا الصلح ولجا في الخلاف. أمثال الميداني. وتكون ابنة الجبل أيضاً الداهية العظيمة، والصدى، أو الصخرة. اللسان (صمم).
- (6) يقول: إذا لقي السفير السفير، فأخر الفاعل. و«بها» و«لها» يرجعان إلى الحرب. اللسان وأمثال الميداني. والمعنى: إذا فشل السفيران المنتدبان - بكسر الدال - الصلح وفض النزاع، وتركوا الحرب في شدتها لا يستطيعان لها دفعا. في الأصل: «إذا ألقى»، وتصحيحه من اللسان وأمثال الميداني.
- (7) رواه الفراء: «لقيت منه أم الرُبَيْقِ على وريق».
- (8) في الأصل: «وأريق الطبق» وهو كلام ناقص. وأم طبق من كنى الحيات. ومنه قول خلف الأحمر، حين نعى إليه المنصور:

قَدْ طَرَقَتْ بِبِكْرِهَا أُمُ طَبِيقٍ فَذَمَرُوهَا وَهَمَّةٌ ضَخْمُ الْعَنْقِ

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب 207، وسميت أم طبق لترجيها وتحويها كالطبق، أو لإطباقتها على من تلسهه. و«أريق» من الحيات، كما في قول العجاج:

وَقَدْ رَأَى دُونِي مِنْ تَهْجَمِي أُمُ الرَّبِيقِ وَالْأَرِيقِ الْأَزْنَمِ

- بدلالة قوله: «الأزْنَم»، وهو الذي له زئمة من الحيات. اللسان (أرق)، وفيه كلام صرفي خاص بهذه الكلمة.
- (9) حية الوادي: مثل للرجل المنيع الجانب؛ فإن حية الوادي تحميه فلا يقربه شيء. ثمار القلوب 335 وفيه البيت. وروى في المخصص (16: 101): «إذا رأيت». إلخ.

(قولهم: أدرك القويمة لا تأكلها الهويمة)

وفي المثل: «أدرك القويمة لا تأكلها الهويمة»، يعني ⁽¹⁾ الصبي الذي يدرج ويتناول كل شيء سنح له، ويهوى به إلى فيه، كأنه قال لأمه: أدركيه لا تأكله الهامة! وهي الحية. وهو قوله ⁽²⁾ في التعويذ: «ومن كل شيطان وهامة، ونفس وعين لامة ⁽³⁾».

(شعر للأخطل في الحية)

وقال الأخطل، في جعلهم الرجل الشجاع وذا الرأي ⁽⁴⁾ الداهية حية - وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيم شأنها، وإذا أرادوا ذلك فما أكثر ما يجعلون الحية ذكراً. قال الأخطل:

أنبتت كلباً تمنى أن يسافهنا	وطالما سافهونا ثم ما ظفروا ⁽⁵⁾
كلفتمونا رجالاً قاطعي قرن	مستلحقين كما يستلحق اليسر ⁽⁶⁾
ليست عليهم إذا عدت خصالهم	خصل وليس لهم إيجاب ما قمروا ⁽⁷⁾
قد أنذروا حية في رأس هضبتة	وقد أنتهم به الأنباء والنذر ⁽⁸⁾
باتوا رُقوداً على الأمهاد ليلهم	وليلهم ساهر فيها، وما شعروا ⁽⁹⁾
نمت قالوا أمات الماء حيتته	وما يكاد ينأى الحية الذكر ⁽¹⁰⁾

(1) أي بقوله: «القويمة»، وهو تصغير «قائمة» بتشديد الميم. اللسان (قم 395) وفي أمثال الميداني (1: 242): «يعني بها - أي القائمة - الصبي؛ لأنه يقتحم كل ما أدرك، يجعله في فيه، فربما أتى على بعض الهوام، كالعقرب وغيرها. يضرب في حفظ الصبي وغيره. والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع في هلكة».

(2) أي في الحديث النبوي. روى ابن عباس أن النبي ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول: «أعذكما بكلمات الله التامة، من شر كل شيطان وهامة، ومن شر كل عين لامة». ويقول: «هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام».

(3) الامة: التي تصيب بسوء.

(4) ط: «وإذا لرأى»، صوابه في ش، هـ.

(5) كذا الرواية في الأصل، وأراد بـ«كلب»: القبيل، فذكره. ورواية الديوان 268: «أن تسافهنا وربما».

(6) اليسر، بالتحريك: صاحب القدم من قدامح الميسر. وكانوا ربما جاء الرجل بقده بعدما فاز منهم الواحد والاثنان، فيسألهم أن يدخلوا قدامحه في قدامحهم، فيفعلون ذلك، ويسمونهم المستلحق. انظر الميسر والقدامح 153، وقوله: «قاطعي قرن» يعني قيساً. وذلك أن كلباً لاموا تغلب فقالوا: أعنتم قيساً علينا! فقال الأخطل: حملتمونا ذنب هؤلاء، وألزمتمونا، وليسوا منا ولا نحن منهم، كما يستلحق الأيسار رجلاً لم يكن معهم. ط، ش: «مستلحقين كما يستلحق السرر»، هـ: «مستلحقين كما يستلحق السرر»، صوابهما ما أثبت من الديوان والميسر والقدامح.

(7) ش، هـ: «أنجاب ما قمروا»، صوابه في ط والديوان. والرواية فيه:

ليست عليهم ديات يؤخذون بها ولا يكون لهم إيجاب ما قمروا

(8) ش: «بها الأنباء»، والديوان: «به الأخبار».

(9) الأمهاد: جمع مهد بالضم، وهو النشز من الأرض، أو ما انخفض منها في سهولة واستواء. ورواية الديوان: «باتوا نياماً على الأنماط ليلهم وليله».

(10) في الديوان: «هناك قالوا أنام الماء حيتته».

(حَيَّةُ الْمَاءِ)

وما أَكْثَرَ ما يذكرون حَيَّةَ الْمَاءِ ؛ لِأَنَّ حَيَّاتِ الْمَاءِ ^(١) فيها تفاوت . إِمَّا أَنْ تَكُونَ لَا تَضُرُّ كَبِيرَ ضَرَرٍ ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَقْتَلَ مِنَ الْحَيَّاتِ وَالْأَفَاعِي .

(الهنديات)

ويقال : إِنَّ الْهِنْدِيَّاتِ ^(٢) إِنَّمَا تُصَوِّرُ فِي الْبُيُوتِ وَالْأُتُورِ ، وَالْإِصْطِبَلَاتِ ، وَالْخَرَابَاتِ ؛ لِأَنَّهَا تُحْمَلُ فِي الْقُضْبِ ^(٣) وَفِي أَشْبَاهِ ذَلِكَ .

(علة وجود الحيات في بعض البيوت)

والحيات تأكل الجرادَ أَكْلاً شَدِيداً ، فربما فَتَحَ رَأْسَ كُرْزِهِ ^(٤) وَجَرَاهُ وَجْوَاقَهُ ، الَّذِي يَأْتِي الْجَرَادَ ^(٥) ، وَقَدْ ضَرَبَهُ بَرْدُ السَّحَرِ ، وَقَدْ تَرَكَمَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ؛ لِأَنَّهَا مَوْصُوفَةٌ بِالصَّرَدِ ^(٦) .

وَالْحَيَّاتُ تُوصَفُ بِالصَّرَدِ ، وَكَذَلِكَ الْحَمِيرُ ، وَالْمَاعِزُ مِنَ الْغَنَمِ . وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ ^(٧) :

بَلِيتَ كَمَا يَبْلَى الْوِكَاءُ وَلَا أَرَى جَنَاناً وَلَا أَكْنَافَ ذُرَّةٍ تَخْلُقُ ^(٨)
أَلْوَى حَيَازِمِي بِهِنَ صَبَابَةٍ كَمَا تَتَلَوَّى الْحَيَّةُ الْمَتَشَرِّقُ ^(٩)

وَإِنَّمَا تَشَرِّقُ إِذَا أَدْرَكَهَا بَرْدُ السَّحَرِ وَلَمْ تَصِرْ بَعْدُ إِلَى صِلَاحِهَا وَ[إِذَا] ^(١٠) خَرَجَتْ بِاللَّيْلِ

(١) هذه الكلمة ونظيرتها، هي في الأصل: «المساء» محرفة. وفي الأصل: «حياة».

(٢) الهندية: ضرب من الأفاعي، ذكر في ص 68، وفي هـ: «الهنديات» مصحف.

(٣) أي في قضب الشجر. والقضيب: الفرع. وذلك أن الحاطب ربما علقت الحيات ببعض ما يجمعه. وقالوا في أمثالهم: «كحاطب ليل»، فهو يجمع القضب والحيات وقد يصيبه منها الضرر الشديد.

(٤) الكرز، بالضم وتقدير الرء: ضرب من الجوالق، أو هو الخرج الكبير يحمل فيه الراعي زاده ومتاعه. ط، هـ: «كرزه» ش: «كذه» وهما تحريف ما أثبت.

(٥) كلمة «الذي» هي فاعل «فتح» المتقدمة. وما سيأتي إلى السطر الأول من الصفحة الآتية، استطراد معترض، وتبدأ صلة الكلام بكلمة: «فربما» الآتية.

(٦) من صرد، كفرح: وجد البرد سريعاً.

(٧) هو صخر بن الجعد الخضري، كما في نقد الشعر 43 والأغاني (67: 19) ومعجم البلدان (رسم جنان، ذروة). وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. وكان مغرمًا بكأس بنت جبير بن جندب، وهي ابنة عمه. قالوا: وكانت كأس تشرب من غدير يقال له جنان، وبحضرته أهلها، فوقف طويلاً عليه يبكي، وقال الشعر الآتي.

(٨) الوكاء، بالكسر، أراد به هنا السقاء، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء. والرواية في المصادر المتقدمة: «كما يبلى الرداء»، وجنان، كسحاب: جبل أو واد بنجد. وفي الأصل: «جناباً»، صوابه من معجم البلدان. وذروة، بفتح أوله ويكسر: مكان حجازي.

(٩) ط: «يتلوى». وفي نقد النثر: «تنطوى». واستشهد ابن رشيق في العمدة (47: 2) بهذا البيت على ما سماه «الإيغال»، وهو المبالغة التي يكون موضعها قافية البيت.

(١٠) ليست بالأصل.

تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السباع. وربما اجترف صاحب الكرز الجراد⁽¹⁾، فأدخله كَرْزَه، وفيه الأفعى وأسودُ سالخ، حتى يُنقل ذلك إلى الدور، وربما لقي الناس منها جهداً. وقال بشر بن المعتمر، في شعره المزاج:

يا عَجَباً والدَّهرُ ذو عجائب مِنْ شاهدٍ وقلْبِهِ كالغائب
وحاطبٌ يَحْطُبُ في بجاده⁽²⁾ في ظلمة الليل وفي سواده
يَحْطُبُ⁽³⁾ في بجاده الأيِّمَ الذَّكر والأسودُ السَّالخُ مَكْرُوهُ النَّظَرِ

(شعر في حية الماء)

فممن ذكر حية الماء، عبد الله بن همام السلولي فقال:

كَحَيَّةِ الماءِ لا تنحاشُ مِنْ أَحَدٍ صُلْبُ المراسِ إذا ما حُلَّتِ النُّطْقُ⁽⁴⁾
وقال الشَّماخُ بنُ ضِرار:

خَوْضُ العيونِ تَبَارَى في أَرْمَتِها إذا تَفَصَّدْنَ من حرِّ الصَّياخيدِ⁽⁵⁾
وكُلَّهنَّ تُبَارِي ثُنَيَّ مُطَرِدٍ كحِيةِ الماءِ وَلَيَّ غَيْرِ مُطْرُودِ⁽⁶⁾
وقال الأخطل:

ضفادعُ في ظُلُماءِ ليلٍ تَجَاوَبَت فدل عليها صوتها حَيَّةُ البَحْرِ⁽⁷⁾
وقال أيضاً:

هَلُمَّ ابْنَ صَفَّارٍ فَإِنَّ قِتالَنَا جِهَاراً وما مِنَّا ملاوذةُ العُذْرِ
فإِنَّكَ في قيسٍ لَتالٍ مُذْبَذَبٌ وغيرُك منهم ذو الثَّنَاءِ وذو الفخرِ
ونحنُ منعنا ماءً دَجَلَةً مِنْكُمْ ونمنعُ ما بينَ العِراقِ إلى البِشْرِ⁽⁸⁾
ألا يا ابنَ صَفَّارٍ فلا تَرُمِ العُلَى⁽⁹⁾ ولا تَذْكُرَنَّ حَيَّاتِ قَوْمِكَ في الشَّعْرِ
فما تركتُ حَيَّاتِنَا لَكَ حَيَّةً تَحَرَّكَ في أرضِ بَرّاجٍ ولا بَحْرِ⁽¹⁰⁾

(1) في الأصل: «للجراد» وفي ش: «فربما احترف» محرفان.

(2) البجاد، بالكسر: الكساء.

(3) ط، هـ: «يخطب» صوابه في ش. حطب الحطب: جمعه.

(4) تنحاش: تنفر. وحلت النطق: كناية عن اشتداد الأمر. والنطق: جمع نطاق، وهو شبه إزار فيه تكة.

(5) يقول: تلك الإبل الغائرة العيون تتسابق، وقد تصبب عرقها من حر الهواجر. ورواية الديوان 22: «إذا تقصدن» باللقاف، والتقصّد أصل معناه الهلاك، وأراد به تغييرها بعد السمن.

(6) أي كل منها يسابق طرف زمامه. ش، هـ: «في مطردة»، صوابه في ط، والديوان.

(7) سبق الكلام على هذا البيت في (3: 148).

(8) البشر، بالكسر: جبل بالجزيرة. هـ: «البسر»، صوابه في ط، ش.

(9) لا ترم: لا تطلب. يقول له: ليس ذلك من شأنك.

(10) البراج، كسحاب: المتسع من الأرض، لا زرع به ولا شجر.

وقال نُفَيْع ^(١) [يَعْيَرُهُ ^(٢)] بِالْكُحَيْلِ ^(٣) :

فإن تك قتلاكم بدجلة غرقت
ثووا إذ لقونا بالكحيل كما ثوى
بدجلة حالت حربنا دون قومنا
ولو كنتم حيات بحر لكنتم

فما أشبهت قتلى حنين ولا بدّر
شمام إلى يوم القيامة والحشر ^(٤)
وأوطاننا ما بين دجلة والحضر ^(٥)
غداة الكحيل ^(٦) إذ تقومون في الغمر ^(٧)

(ما يشبه بالأيام)

فالأيام الحية الذكر يشبهون به الزمام، وربما شبهوا الجارية المجدولة الخميصة الخواصر ^(٨)، في مشيها، بالأيام؛ لأنّ الحية الذكر ليس له غبب، وموضع بطنه مجدول غير متراخ، وقال ابن ميادة:

قعدت على السعلاة تنفض مسحها
تيمم خير الناس من آل حاضر

وتجذب مثل الأيم في بلد قفر ^(٩)
وتحمل حاجات تضمّنّها صدر ^(١٠)

(١) نفيع، بالفاء وهيئة التصغير، هو ابن سالم بن صفار المحاربي، وقد هجاه الأخطل بالشعر المتقدم، فقال هو الشعر الآتي. وفي الأصل: «نفيع» مصحف. انظر المؤلف والمختلف 195.

(٢) ليست بالأصل، والكلام يشعر بالحاجة إليها.

(٣) الكحيل، بهيئة التصغير: نهر أسفل الموصل، كانت عنده وقعة هزمت فيها تغلب وألقوا بأنفسهم في الماء. الأغاني (11: 55).

(٤) شمام، كقطام: جبل له رأسان يسميان ابني شمام، يضرب بهما المثل في البقاء. قال لبيد:

فهل نبئت عن أخوين داما
وإلا الفرقدين وآل نعش

على الأحداث إلا ابني شمام
خوالد ما تحدث بانهدام

(٥) الحضر، بالفتح: مدينة بإزاء تكريت في البرية، بينها وبين الموصل والفرات. ياقوت. وفي الأصل: «فالحضر»، وهو تحريف.

(٦) أي لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعتم السباحة. ط: «كذات الكحيل» ش: «كذات الكحيل» صوابه من المؤلف 195.

(٧) تقومون: تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين، وذلك في الماء معطبة. ه: «تقومون» ولا يصح به المعنى. ورواية الأمدي: «يلبون» من ألب بالمكان: أقام به ولزمه. والغمر: الماء الكثير. وفي الأصل: «القمر» وتصحيحه من المؤلف.

(٨) الخاصرة: ما فوق الخصر من الجلد الرقيقة. وهما خاصرتان. فهو قد جمع وأراد الاثنين. انظر المزهري (125: 2).

(٩) السعلاة: اسم ناقة ابن ميادة، كما في الأغاني (114: 2). ومثل الأيم، عني به الزمام. يقول: هي تجذب زمامها من شدة نشاطها. وفي الأغاني: «في برة الصفر».

(١٠) رواية الأغاني: «تيمم خير الناس ماء وحاضراً». وبعد البيت خمسة أخرى في الأغاني.

(شعر في حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر في حمرة عين الأفعى :

لولا الهراوة والكِفَاتُ أوردني حَوْضَ المنية قتال لمن علقاً⁽¹⁾
أصم منهرت الشدقين ملتبداً لم يُغذ إلا المنايا من لدن خُلِقاً⁽²⁾
كأن عينيه مسماران⁽³⁾ من ذهب جلاهما مدوس التلّاق فائتلقاً⁽⁴⁾

(شعر في حمرة عيون الناس)

قال في حمرة عيون الناس في الحرب وفي الغضب، ابن ميادة:

وعند الفزاري العراقي عارض كأن عيون القوم في نبضة الجمر⁽⁵⁾
وفي حمرة العين من جهة الخلقة، يقول أبو قردودة، في ابن عمار⁽⁶⁾ حين قتله
النعمان:

إنني نهيت ابن عمار وقلت له: لا تأمنن أحمر العينين والشعر
إن الملوك متى تنزل بساحتهم تطر بنارك من نيرانهم شررة
يا جفنة كإزاء الحوض قد هدمت ومنطقاً مثل وشي اليمنة الحبرة⁽⁷⁾

(معرفة في الحية)

وأكثر ما يذكرون من⁽⁸⁾ الحيات بأسمائها دون صفاتها: الأفعى، والأسود، والشجاع، والأرقم. قال عمر بن لجأ:

- (1) الكفات: جمع كفة، بالكسر، وهي من آلات الصيد. ط، هـ: «السفاة»، صوابه من ش.
- (2) منهرت الشدقين: واسعهما. ط، هـ: «منهرة»، صوابه في ش: «لم يغذ»، من الغذاء. ط، ش: «يفد»، هـ: «يغد»، صوابهما ما أثبت.
- (3) في الأصل: «مسمكان»، ولا تصح؛ فإن المسماك: عود الخباء، وقد ذكر الديميري في كلامه على الحية: «وعينها لا تدور في رأسها، بل كأنها مسمار مضروب في رأسها». وانظر ما أسلف الجاحظ في ص 101 س 3.
- (4) المدوس، بالكسر: خشية يشد عليها مسن، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه. والتلّاق: تفعال من ألق، بمعنى لمع. وفي الأصل: «التلاق»! وائتلقا: لمعاً وبرقاً. وفي الأصل: «فابتلقا»، والوجه ما أثبت. وانظر البيان (60:3).
- (5) ط، ش: «القراري»، صوابه في هـ.
- (6) هو عمرو بن عمار الطائي، كان شاعراً خطيباً، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته، وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر، وكان شديد العريضة، قتالاً للندماء، فنهاه أبو قردودة عن منادمته، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتي، البيان (1: 322، 349) والحيوان (5: 224) ومعجم المرزبانى 236 ومحاضرات الراغب (92:1).
- (7) كانت العرب تسمي السيد المطعم جفنة؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها. اللسان (جفن). وإزاء الحوض: مصب الدلو فيه.
- (8) ط: «مر» صوابه في ش، هـ.

يلزق بالصَّخْرِ لُزُوقَ الْأَرْقَمِ

وقال آخر:

ورَفَّعَ أُولَى الْقَوْمِ وَقَعُ خِرَادِلٍ⁽¹⁾ ووقع نبال مثل وقع الأساودِ

(ذكر الأفاعي في بعض كتب الأنبياء)

وفي بعض كتب الأنبياء، أَنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى قال لبني إسرائيل: «يا أولادَ الأفاعي⁽²⁾».

(أمثالٌ وشعر في الحية)

ويقال: «رَمَاهُ اللَّهُ بِأَفْعَى حَارِيَةٍ⁽³⁾» وهي التي تحري⁽⁴⁾، وكلما كبرت في السن صَغُرَتْ في الجسم. وأنشد الأصمعي في شدة أسوداد أسود سالخ:

مُهِرَّتْ الْأَشْدَاقُ عَوْدُ قَدْ كَمَلِ⁽⁵⁾ كأنما قيظ من ليط جُعل⁽⁶⁾

وقال جرير في صفة عُرُوقِ بَطْنِ الشَّبْعَانِ⁽⁷⁾:

وأعور من نُبْهَانٍ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ⁽⁸⁾

رَفَعْتُ لَهُ مَشْبُوبَةً يَلْتَوِي بِهَا يَكَادُ سَنَاها فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ⁽⁹⁾

فلما استَوَى جنباه لَاعَبَ ظِلَّهُ عَرِيضُ أَفَاعِي الْحَالِبِينَ ضَرِيرُ⁽¹⁰⁾

(1) لعلها: «خوازق» جمع خازق، وهو السهم النافذ، أو السنان. اللسان.

(2) هذه العبارة التي يشير إليها الجاحظ، تجدها في إنجيل متى (الأصحاح 7:3) والنص فيه: «فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم: يا أولاد الأفاعي! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟!». ومثل هذا النص في إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح 7:3). وضمير (قال) عائد إلى يوحنا المعمدان - وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام - يعظ اليهود مبشراً بعبسى عليه الصلاة والسلام.

(3) ط، هـ: «جارية» صوابه بالحاء المهملة كما في ش.

(4) حري يحري، كيرمي: نقص. وفي ط، ش: «تجري»، صوابه في هـ.

(5) في الأصل: «مهروثة»، والوجه ما أثبت من (277:3).

(6) كذا. وانظر رواية البيت وشرحه في (277:3).

(7) ش: «عروق بطن». ط، هـ: «عروق بطن السنان»، ولا وجه للعبارتين. والصواب ما أثبت.

(8) الأعور، هو النبهاني، واسمه عدي بن أوس، أو سحمة بن نعيم، وكان بينه وبين جرير مناقضة. انظر المؤلف 161 والمرزباني 253، وصواب رواية هذا البيت:

وأعور من نبهان يعوي ودونه من الليل بابا ظلمة وستور

كما هو عند الأمدي والمرزباني وفي الديوان 265، والذي أوهم الجاحظ ذلك أن في القصيدة بيتاً آخر، يروي بهذه الرواية التي أثبتها، ولكن موضعه في نهاية القصيدة، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص 266 س3، 5.

(9) مشبوبة: أي ناراً. وكانوا يرفعون النيران لترشد إليهم الضيفان. يلتوي: كذا جاءت الرواية هنا. وهي في الديوان والمؤلف: «يهتدي».

(10) استوى جنباه: أي برزا من امتلائهما. في الأصل: «استوت» محرفة. لاعب ظله: أي جعل ذلك النبهاني يلاعب ظله مما طراً عليه من السرور. وضمير «ظله» راجع إلى «عريض». والحالبان: عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن. وفي الأصل: «عروض أفاعي الحاليتين»، تصحيحه من النقائص. وانظر الرواية في الديوان.

قال: ويقال: «أَبْصُرُ مِنْ حَيَّةٍ» كما يقال: «أَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ»، و: «أَسْمَعُ مِنْ عُقَابٍ». وقال الراجز:

أَسْمَعُ مِنْ فَرَخِ الْعُقَابِ الْأَسْحَمِ⁽¹⁾

وقال آخر⁽²⁾:

أَسْوَدُ شَرَى لَأَقْتُ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدِ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ⁽³⁾
ضَرَبَ المَثَلَ بجنسين من الأسود، إِذْ كَانَ⁽⁴⁾ عِنْدَهُ الغَايَةُ فِي الشَّدَّةِ وَالهُولِ، فلم يقنع بذلك حتى رَدَّ ذلك كُلَّهُ إِلَى سُمُومِ الحَيَّاتِ.

(ما يشبَّه بالأسود)

وفي هَوْلٍ منظر الأسود يقول الشاعر⁽⁵⁾:

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لَوْنُ لَيْلٍ مُظْلَمٍ وَحَفِيفٍ نَافِجَةٍ وَكَلْبٍ مُوسَدٍ⁽⁶⁾
وَالضَّيْفِ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ سَالِحٍ لَا بَلَّ أَحْبُهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ⁽⁷⁾
وَيَصِفُونَ ذَوَائِبَ النِّسَاءِ، فَإِذَا بَلَغُوا الغَايَةَ شَبَّهُوا بِالْأَسَاوِدِ. قَالَ جِرَانُ الْعَوْدِ:
أَلَا لَا تَغَرَّنَّ امْرَأً نَوْفَلِيَّةً عَلَى الرَّأْسِ مِنْهَا، وَالتَّرَائِبُ وَضَحُ⁽⁸⁾
وَلَا فَاحِمٍ يُسْقَى الدَّهَانَ كَأَنَّهُ أَسَاوِدُ يَزْهَاهَا لَعِينِكَ أَبْطَحُ⁽⁹⁾

(1) الأسحم: الأسود. وفي الأصل: «الأشجع»، صوابه في (6: 282). وفي الديميري: «فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسفح والأبيض والأشقر».

(2) هو الأشهب بن رميلة، كما في البيان (4: 55) والكمال 33، 438 ليسك والعقد (1: 53) واللسان (حرد).

(3) شرى: جبل بنجد، أو تهامة، مشهور بكثرة السباع. وخفية: أجمة في سواد الكوفة. ه: «حفية» بالحاء المهملة صوابه في ط، ش والمراجع المتقدمة وكذا الأضداد 198 والمقصور 58 والمخصص (11: 48) والحدرد: الغضب. وروى في المقصور: «الوح». واللوح، بالضم، ويفتح: العطش. وقبل البيت:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
هم ساعد الدهر الذي يتقي به وما خير كف لا تنوء بساعد

(4) في الأصل: «كان»، وصوابه ما أثبت.

(5) هو حسيل بن عرفطة، الذي تقدمت ترجمته في (3: 58)، انظر نوادر أبي زيد 75 وديوان المعاني (1: 106) والحيوان (1: 261).

(6) النافجة، بالجيم بعد الفاء: الريح تبدأ بقوة. وفي الأصل وكذا ديوان المعاني: «نافحة»، وصواب الرواية من النوادر. و «كلب» هي في الأصل: «قلب» صوابه من المراجع المتقدمة.

(7) مكان: «أحبهما» بياض في ش.

(8) النوفيلة: ضرب من الامتنشاط، وفسره صاحب التهذيب بأنه شيء يتخذ نساء الأعراب من صوف يكون في غلظ أقل من الساعد، ثم يحشى ويعطف، فتضعه المرأة على رأسها، ثم تختمر عليه. ورواية الديوان واللسان: «على الرأس بعدي». والترائب: جمع تريبة، وهي موضع القلادة. وضع: جمع واضحة بمعنى مشرفة.

(9) الأبطح: بطن واد فيه رمل وحجارة، الديوان: «لعينيك»، واللسان: «مع الليل أبطح».

(استطراد لغوي)

قال: والخرشاء⁽¹⁾: القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج ما فيها، وجماعه الخراشي⁽²⁾، غير مهموز. قال: وخرشاء الحية: سلخها حين تَسْلَخ⁽³⁾ وقال: هذا أسود سالخ، وهذان أسودان سالخان، وأسود سالخة. وقال مرقش:

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لِدَاكُمْ كَمَا يَنْسَلُّ عَنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ

(تعليق الحلي والخلأخيل على السليم)

وكانوا يَرَوْنَ أَنَّ تَعْلِيْقَ الْحَلِيِّ، وَخَشْخَشَةَ الْخَلَأَخِيلِ عَلَى السَّلِيمِ، مِمَّا لَا يَفِيقُ وَلَا يَبْرَأُ إِلَّا بِهِ، وَقَالَ زَيْدُ الْخَيْلِ:

أَيُّمَ يَكُونُ النِّعْلُ مِنْهُ ضَّجِيعَهُ كَمَا عُلِّقْتُ فَوْقَ السَّلِيمِ الْخَلَأَخِيلُ⁽⁴⁾

وخبرني خالد بن عقبة، من بني سلمة بن الأكوع، وهو من بني المسبع، أنَّ رجلاً من حزن، من بني عذرة، يسمّى أسباط، قال في تعليقهم الحلي على السليم:

أَرَقْتُ فَلَمْ تَطْعَمْ لِي الْعَيْنُ مَهْجَعًا وَبِتُّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُقَرَّعًا⁽⁵⁾

كَأَنِّي سَلِيمٌ نَالَهُ كُلُّمُ حَيَّةٍ تَرَى حَوْلَهُ حَلِيَّ النِّسَاءِ مُرْصَعًا⁽⁶⁾

وقال الذُّبْيَانِيُّ:

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتُنِي ضَّئِيلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاعِقٌ

يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَائِعٌ

(1) جاءت هذه الكلمة مقصورة في الأصل، وصوابها المد.

(2) جماعه: أي جمعه. وفي ط، هـ: «جماعة» ش: «جماعته» وصوابه ما أثبت. وكلمة «الخراشي» هي في ط، ش:

«الخراش» وفي هـ: «الخراشاء» تحريف، صوابه من اللسان والقاموس والمقصود 38.

(3) ش: «تنسلخ» وخرشاء، هي مقصورة في الأصل، والصواب مدها، كما في المفضليات 240 والمقصود والممدود 38 وما سيأتي في ص 199.

(4) الخلاخل: جمع خلخل، وهو الخلخال، ذاك الحلي. وكان العرب يعلقون الجلاجل أيضاً على اللديغ، جمع جلاجل، وهو الجرس الصغير. انظر لذلك بلوغ الأرب (2: 304) وما أورد من الشواهد. وجاء في شرح الوزير أبي بكر لديوان النابغة 52: «كان الحلي في الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته من المرأة إذا مشت».

(5) مقررراً، بالقاف بعدها راء: من التقرير، وهو الإقلاق.

(6) مرصعاً: معقوداً. وفي نهاية الأرب (2: 305): «موضعاً» وهي صحيحة من وضع الباني الحجر، بالتشديد: نضد بعضه على بعض.

(استطراد فيه لغة وشعر)

قال: ويقال لسان طلق ذلق⁽¹⁾. ويقال للسليم إذا لدغ: قد طلق، وذلك حين ترجع إليه نفسه. وهو قول النابغة:

تناذرهما الرّاقون من سوء سمّها تطلّقه طوراً وطوراً تراجع⁽²⁾
وقال العبدى⁽³⁾ - إن كان قاله -:

تبثّ الهموم الطّارقات يعذّني كما تعترّي الأهوال رأس المطلق⁽⁴⁾
وأنشد:

تلاقى من تذكّر آل ليلي كما يلقي السليم من العدا⁽⁵⁾
والعداء: الوقت. يقال: إن تلك اللّسعة لتعاده⁽⁶⁾: إذا عاده الوجع في الوقت الذي لُسع فيه.

(حديث الحمل المصلي)

وذكر النبي ﷺ السم الذي كان في الحمل المصلي⁽⁷⁾، الذي كانت اليهوديّة قدّمته إليه فنال منه، فقال: «إنّ تلك الأكلّة لتعاذني⁽⁸⁾».

(1) في القاموس: «وطلق اللسان بالفتح والكسر، وكأمر. ولسان طلق ذلق - ضبط كل منهما ككتف، بالقلم - وطلّيق ذليق، وطلق ذلق بضمّتين، وكصرد وكتف: ذو حدة».

(2) تناذرهما الراقون: أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا لها. في الأصل: «تبادرها»، وصوابه من الديوان 52 والمخصص (9: 65) واللسان (نذر) والكامل 507 ليسك. ويروى: «من سوء سمعها» بفتح السين وبكسرهما، بمعنى الشهرة. تطلقه: أي تطلق «السليم» المذكور في البيت السابق، والمعنى تخف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى. قال المبرد: «وذاك أن المنهوش إذا ألح الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يواس من برئه».

(3) يعني بالعبدى هنا، الممزق العبدى، صاحب البيت السائر (انظر الشعراء 360):

فإن كنت مأكولاً فكن أنت أكلي وإلا فأدركني ولما أمزق

(4) ط: «تعذني» ش: «تفدني» ه: «تعذني»، وصوابه ما أثبت من الكامل 507 ليسك. وفيه أيضاً: «كما تعترّي الأوصاب».

(5) الرواية في المخصص (5: 88) والأضداد 90 واللسان (عدد): «يلاقى من تذكر». وقد أقحم الشاعر كلمة «آل»، فهي زائدة في الكلام، وأراد: من تذكر ليلي نفسها. مثله ما جاء في الحديث: «لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود» أراد: من مزامير داود نفسه.

(6) ط: «لتعتاده»، صوابه في ش، ه.

(7) المصلي: المشوي. صلى اللحم وغيره صلياً: شواه. والمعروف في الرواية أنها شاة، لا حمل. تأويل مختلف الحديث 225، والسيرة 764 جوتجن، والتنبيه والإشراف 223 والذي أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية، امرأة سلام بن مشكم اليهودي، وقيل: هي أخت مرحب اليهودي. الروض الأنف (2: 243)، وكانت سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى الرسول؟ فقبل لها: الذراع، فأكثر فيها من السم. وانظر بقية الخبر في السيرة (غزوة خيبر).

(8) ط: «لتعتادين» وصوابه في ش، ه والروض الأنف، وتأويل مختلف الحديث، والمخصص (5: 88) والأضداد 90 واللسان (عدد). والرواية في هذه المصادر: «ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهري». وقد قال هذا القول في مرضه الذي توفي فيه. وهو دليل على أنه ﷺ مات شهيداً.

(جلد الحية)

وفي الحية قشرها، وهو أحسن من كل ورقة وثوب، وجناح، وطائر؛ وأعجب من ستر العنكبوت، وغرقى⁽¹⁾ البيض.

(ما يشبه بلسان الحية)

ويقال في مثل، إذا مدحوا⁽²⁾ الخف اللطيف، والقدم اللطيفة، قالوا: كأنه لسان حية.

(نفع الحية)

وبالحية يُدأوى من سم الحية. وللدغ الأفاعي يؤخذ الترياق الذي لا يوجد إلا بمتون⁽³⁾ الأفاعي. قال كثير:

وما زالت رُقاك تسأل ضغني وتخرج من مكامنها ضبابي⁽⁴⁾
وترقيني لك الحاوون حتى أجابك حية تحت الحجاب⁽⁵⁾

(قصة امرأة لدغتها حية)

جووير بن إسماعيل، عن عمه، قال: حججت فإنا لفي وقعة مع قوم⁽⁶⁾ نزلوا منزلنا⁽⁷⁾، ومعنا امرأة، فنامت⁽⁸⁾ فانتبهت وحية منطوية عليها، قد جمعت رأسها مع ذنبها بين ثدييها⁽⁹⁾، فهاها ذلك وأزعجنا، فلم تزل منطوية عليها لا تضرها بشيء، حتى دخلنا أنصاب الحرم⁽¹⁰⁾، فانسابت فدخلت مكة، فقضينا نسكنا وانصرنا، حتى إذا كنا بالمكان الذي انطوت عليها فيه الحية، وهو المنزل الذي نزلناه، نزلت فنامت واستيقظت، فإذا الحية منطوية عليها، ثم صفرت الحية فإذا الوادي يسيل حياث عليها، فنهشتها حتى نقت⁽¹¹⁾ عظامها، فقلت لجارية

(1) الغرقى، كزبرج: القشرة الملتزمة بياض البيض.

(2) في الأصل: «مدح».

(3) ط: «لا يؤخذ إلا بمتون». ش، ه: «لا يؤخذ إلا بمتون» وصوابهما ما أثبت. والمتن: الظهر.

(4) الضباب، بالكسر: جمع ضب؛ بالفتح والكسر، وهو الضغن والعداوة. وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كما في الموشح 143 والصناعتين 72 وزهر الآداب (2: 63) وابن سلام 464، وفيها جميعاً نقد جيد لهذين البيتين.

(5) ترقيني، كذا في الأصل، وهي صحيحة، وفي الكتاب: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾ [يونس: 90]. انظر لذلك ما أسلفت في ص 108، والرواية في المراجع: «وبرقيني»، والحاوون: جمع حاو. وفي ط، ش: «الحادون». و ه: «الهاون» محرفان، صوابهما في المراجع المتقدمة.

(6) الوقعة، بالفتح: النوم في آخر الليل. ط، ش: «من قوم»، صوابه في ه.

(7) ط، ش: إذا نزلوا منزلنا. ه: «إذا نزلوا منزلنا»، وكلمة «إذ» مقحمة.

(8) ش: «فقامت».

(9) ط، ه: «ثديها» ش: «أيديها»، وصوابه ما أثبت.

(10) أنصاب الحرم: حدوده، كما في القاموس واللسان.

(11) نقي العظم نقياً: استخرج نقيه. والنقي بالكسر: مخ العظام.

كانت لها: ويحك! أخبرينا عن هذه المرأة. قالت: بعثت ثلاث مرّات، كلّ مرّة تأتي بولد، فإذا وضعته سَجَرَتِ التَّنُورَ⁽¹⁾، ثم ألقته فيه.

(قول امرأة في عليّ والزبير وطلحة)

قال: ونظرت امرأة إلى عليّ، والزبير، وطلحة، وقد اختلفت أعناق دوابهم حين التقوا، فقالت: من هذا الذي كأنه أرقم يتلمّظ؟ قيل لها: الزبير. قالت: فمن هذا الذي كأنه كُسر ثم جُبر⁽²⁾؟ قيل لها: عليّ. قالت: فمن هذا الذي كأن وجهه دينار هرقلي⁽³⁾؟ قيل لها: طلحة.

(استطرد لغوي)

وقال أبو زيد: نهشت أنهش نهشاً. والنهش: هو تناولك الشيء بفيك، فتمضغه فتؤثر فيه ولا تجرحه. وكذلك نهش الحية. وأما نهش السبع فتناوله من الدابة بفيه، ثم يقطع ما أخذ منه فوه. ويقال نهشت اللحم أنهشه نهشاً⁽⁴⁾، وهو انتزاع اللحم بالثنايا؛ للأكل. ويقال نشطت العقْد نشطاً: إذا عقدته بأنشوطه⁽⁵⁾. ونشطت الإبل تنشط نشطاً: إذا ذهب على هدى أو غير هدى، نزاعاً أو غير نزاع. ونشطته الحية فهي تنشط نشطاً، وهو أن تعضه عضاً، ونكزته الحية تنكزه نكزاً، وهو طعنها الإنسان بأنفها⁽⁶⁾. فالتكز من كل دابة سوى الحية العض. ويقال: نشطته شعوب نشطاً⁽⁷⁾ وهي المنية:

قال: وتقول العرب. نشطه الشعوب، فتدخل عليها التعريف.

(علة تسمية النهيش بالسليم)

ويسمون النهيش سليماً على الطيرة⁽⁸⁾. قال ابن ميادة:

(1) سَجَرَتِ التَّنُورَ: أحميته وأوقدته. والسجور، بالفتح: الوقود. وفي الأصل: «سجرت»، وهو تصحيف. والتنور: ما يخبز فيه.

(2) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخماً البطن، أفتس الأنف، دقيق الذراعين. المعارف 91.

(3) الدينار الهرقلي نسبة إلى هرقل. قال الأب أنستاس ماري في حواشي النقود العربية 25: «وكان ذهبه من أحسن الذهب، وشكله حسناً بديعاً». وقد روى ابن قتيبة حديث هذه المرأة في عيون الأخبار (4: 25) برواية أخرى.

(4) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و(النهس) فقالوا: نهش اللحم: أخذه بأضراسه. ونهس: أخذه بأطراف الأسنان. وسوى بعضهم بينهما.

(5) الأنشوطه، بالضم: عقدة يسهل انحلالها. ط، هـ: «بالنشوطه»، صوابه في ش. وفي اللسان: «ونشطت العقْد: إذا عقدته بأنشوطه».

(6) في الأصل: «بفيها»، وهو تحريف، تصحيحه من اللسان والقاموس.

(7) شعوب، بالفتح ومنع الصرف: علم للمنية، سميت بذلك لأنها تشعب، أي تفرق. ودخول (أل) عليها، مثل دخولها على العباس، والحسن، والحارث.

(8) الطيرة، كعنبه: ما يتشاءم به من الفأل الرديء. فالمعنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش.

كَأَنِّي بِهَا لَمَّا عَرَفْتُ رُسُومَهَا قَتِيلٌ لَدَى أَيْدِي الرُّقَاةِ سَلِيمٌ
(شعر في الحية)

وَمَّا يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثْلَ بِالْحَيَّاتِ فِي دَوَاهِي الْأَمْرِ، كَقَوْلِ الْأَقْبِيلِ الْقَيْنِيِّ^(١) :
لَقَدْ عَلِمْتُ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ^(٢) أَنْ انْطَلَقِي إِلَى الْحَجَّاجِ تَغْرِيرُ
لَنْ ذَهَبْتُ^(٣) إِلَى الْحَجَّاجِ يَفْتُلْنِي إِنْ لَأَحْمُقُ مَنْ تُحْدِي بِهِ الْعِيرُ
مُسْتَحَقًّا صُحْفًا تَذْمَى طَوَابِعُهَا^(٤) وَفِي الصَّحَائِفِ حَيَّاتٌ مَنَّاكِيرُ

(استطراد لغوي)

وقال الأصمعي: يقال للحية الذكر أَيْم وأيم، مثقل ومخفف، نحو لَيْن ولين، وهَيْن وهين. قال الشاعر^(٥) :

هَيْئُونَ لَيْئُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو يَسَرٍ سُوَاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ
وَأُنْشِدُ فِي تَخْفِيفِ الْأَيْمِ وَتَشْدِيدِهِ^(٦) :
وَلَقَدْ وَرَدَتِ الْمَاءَ لَمْ تَشْرَبْ بِهِ زَمَنَ الرَّبِيعِ إِلَى شَهْرِ الصَّيْفِ^(٧)
إِلَّا عَوَاسِرُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةً بِاللَّيْلِ مَوْزِدَ أَيْمٍ مَتَغَضِّفٍ^(٨)

(١) هو الأقبيل بن نيهان بن خنيف، شاعر إسلامي كان في زمن الحجاج. وكان الأقبيل مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير، فهرب من الحجاج لما رأى البيت يضرب بالمجانيق، وقال شعراً أغضب الحجاج، فطلبه فاحتفى بقبر مروان، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له، فقال قومه: إنك إن أتيت الحجاج قتلك، فطرح الكتاب وهرب، وقال الشعر الآتي. وفي الأصل، وكذا الجزء السابع ص 66: «العتبي» وصوابه من المؤتلف 24 ومن نسخة كوبريلي الجزء السابع. وهو نسبة إلى بني القين بن جسر.

(٢) رواية الأمدى :

إِنِّي لِأَعْلَمُ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ

(٣) رواية الأمدى :

لِئَنَّ حُدَى بِي

(٤) استحقب الشيء: حملة في مؤخرة الرجل. ط: «مستحلياً» ش: «مستخفياً» ه: «مستحفاً» وهو تحريف ما أثبت من المؤتلف والجزء السابع. والطوايع، جمع طابع، بفتح الباء وكسرها، وهو الخاتم الذي يختم به الرسائل ونحوها. ط، ه: «طوائعها» ش: «طوالعها» صوابها من الجزء السابع.

(٥) انظر تحقيق اسمه في (2: 52)، وكذا شرح البيت ورواياته في: (2: 54).

(٦) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلي، كما في ديوان الهذليين (2: 105) واللسان (صيف، غضف) وأمالى القالي (2: 89).

(٧) وردت، بفتح تاء المخاطب، يخاطب رجلاً رثاه من قومه، وقبل البيت، كما في تنبيه البكري 99:

أَزْهَيْرُ إِنْ أَخَالَ لَنَا ذَا مَرَّةٍ جِلْدُ الْقَوَى فِي كُلِّ سَاعَةٍ مُحَرَفٍ
فَارَقْتَهُ يَوْمًا بِجَانِبِ نَخْلَةٍ سَبَقَ الْحَمَامُ بِهِ زَهِيرُ تَلْهَفِي

وفاعل «تشرّب» هو «عواسر» في البيت الآتي. وروى في الأمالي، واللسان: «يشرب».

(٨) «بالليل» هي في الأصل: «بالعسل» وتصحيحه من اللسان (عسر، صيف، غضف) والأمالى.

الصَّيْفُ، يعني مَطَرُ الصَّيْفِ⁽¹⁾. والعواسر: يعني ذئباً رافعة أذناها. والمِرَاط: السهام التي قد تمرط ريشها. ومُعَيِدَة: يعني معاودة للورود. يقول هو مكانٌ لَخْلَائِهِ⁽²⁾ يكون فيه الحَيَّاتُ، وتَرِدُهُ الذَّئَابُ. ومتغصّف يريد بعضه على بعض، يريد تشني الحية. وأنشد لابن هند⁽³⁾:

أودى بأَمِّ سُلَيْمِي لَاطِي لَبْدٌ كَحَيَّةٍ مَنْطُومٍ مِنْ بَيْنِ أَحْجَارٍ⁽⁴⁾
وقال محمد بن سعيد⁽⁵⁾:

قريحة لم تُدْنِيهَا السَّيَاطُ وَلَمْ توردُ عِرَاكاً وَلَمْ تَعَصِرْ عَلَى كَدَرٍ⁽⁶⁾
كَمَنْطُومِي الحَيَّةِ التَّنْضَاضِ مَكْمَنُهَا فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يَهَيِّجْهَا عَلَى زَوْرِ
الليث لليث منسوبٌ أَظْفَرُهُ⁽⁷⁾ والحَيَّةِ الصَّلُّ نَجْلُ الحَيَّةِ الذَّكْرِ
وقال ذو الرِّمَّة:

وأحوى كَأَيْمِ الضَّالِ أَطْرَقَ بَعْدَمَا حَبَا تَحْتَ فِينَانٍ مِنَ الظِّلِّ وَارِفٍ⁽⁸⁾
قال: ويقال انبست الحيات⁽⁹⁾: إذا تفرقت وكثرت. وذلك عند إقبال الصَّيْفِ. قال أبو النجم:
وانبست حَيَّاتُ الكَثِيبِ الأَهِيلِ⁽¹⁰⁾
وقال الطُّرَمَّاح:

- (1) في الأصل: «مطر الصَّيْفِ»، وتصحيحه من اللسان (صيف) والأُمالي.
- (2) في الأصل: «هو مكان الخلابة»، تحريف ما أثبت. وعبارة القالي: «هذا المكان لخلائه، من موارد الحيات»، أي لكونه خالياً ترده الحيات.
- (3) هو عبد الله بن هند، كما في العقد (6: 127).
- (4) الحية تذكر وتؤنث. وفي العقد: «حب سليم»؛ وهو الصواب.
- (5) ط، هـ: «سعد»، وأثبت ما في ش. وقد ذكر المرزباني من اسمه محمد بن سعد الكاتب التميمي، وهو عربي بغدادي وأنشد له الأبيات التي أولها:

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت
وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها، في الرسائل 23 ساسي، ونسبها إلى محمد بن سعيد، قال: «وهو رجل من الجند». فإن صدق حدسي كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه.

(6) القريح: الخالص. وعنى أن هذه الإبل أو الناقة التي ينعتها خالصة النسب. ويقال أورد إبله العراك وأوردها عراكاً: أي أوردها الماء مزدحمة. وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد النحويين):

فأوردها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال
وفي الأصل: «ولم تردد»، وصوابه ما أثبت.

- (7) ط: «أظفاره»، صوابه في ش، هـ.
- (8) الأحوى، عني به زمام الناقة، كما في المخصص (10: 95). والأحوى: الذي يضرب سواده إلى الحمرة.
- (9) والضال: نبت. وحيا: دنا، كما في اللسان (حيا) حيث استشهد بالبيت.
- (10) انبست، بالسين، كما في ش واللسان. وفي ط، هـ: «أنبشت» مصحف. وكلمة «الحيات» هي في ش، ط: «الحية» وتصحيحها من هـ.
- (11) ط، هـ: «وانبست» صوابه في ش. وفي ش، ط: «الكثيف» صوابه في هـ: «والكثيب الأهيل: الرمل السائل الذي لا يثبت.

وَتَجَرَّدَ الْأَسْرُوعُ وَاطْرَدَ السَّفَا وَجَرَتْ بِجَالِيهَا الْحَدَابِ الْقَرْدُ⁽¹⁾
وَأَنَسَابَ حَيَّاتِ الْكَثِيبِ وَأَقْبَلَتْ وَرَقَ الْفَرَّاشِ لَمَّا يَشُبُّ الْمَوْقِدُ⁽²⁾

قال: ويقال جباً عليه الأسود من جحره: إذا فاجأه. وهو يَجْبُ جَبْنًا وَجَبُونًا. وقال رجل من بني شيبان:

وَمَا أَنَا مِنْ رَيْبِ الْمَنُونِ بِجَبًّا وَمَا أَنَا مِنْ سَيْبِ الْإِلَهِ بَيَّائِسَ⁽³⁾

(ما يشرع في اللبن)

قال: ويقال: اللبن مُحْتَضَرٌ⁽⁴⁾ فغَطَّ إِنْءَاكَ. كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْجَنَّ تَشْرَعُ فِيهِ⁽⁵⁾، على تصديق الحديث في قول المفقود⁽⁶⁾ لعمر، حين سأله وقد استهوته الجن: ما كان طعامهم؟ قال: الرَّمَّة. يريد العظم البالي. قال: فما شرابهم؟ قال: الْجَدَف. قال: وهو كُلُّ شراب لا يُخْمَرُ⁽⁷⁾.

وتقول الأعراب: ليس ذلك إلا في اللبن. وأمَّا النَّاسُ فيذهبون إلى أَنَّ الْحَيَّاتِ تَشْرَعُ⁽⁸⁾ في اللبن، وكذلك سَامُ أَرْص، وكذلك الْحَيَّاتِ تَشْرَعُ في كثير من المرق.

(حديث في المعصفر)

وجاء في الحديث: «لَا تَبَيِّتُوا فِي الْمَعْصَفِرِ⁽⁹⁾؛ فَإِنَّهَا مُحْتَضَرَةٌ»، أي يحضرها الجن والعُمَار.

وقال الشاعر فيما يمجنون⁽¹⁰⁾ به، من ذكر الأفعى:

رَمَاكَ اللَّهْ مِنْ أَيْرَ بِأَفْعَى وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ⁽¹¹⁾
أَجْبَنَّا فِي الْكَرْبِهِةِ حِينَ تَلْقَى وَنَعْظًا مَا تَفْتَرُ فِي الْخَلَاءِ!!

(1) في الأصل: «وجرت بحالتها». وانظر ما سبق في ص 128 حيث تجد شرح البيت.

(2) في الأصل: «زرق الفراش»، وتصحيح الرواية مما سبق ص 128.

(3) الجبأ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة: الهبوب الجبان. وقد وهم أبو عمرو والشيباني في تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجي من الأمر الذي انفلت منه. وقد اعترضه صاحب التنبيهات على أغلاط الرواة. وروى في المخصص (12: 16): «فما أنا من ريب الزمان»، والسيب، بالفتح: العطاء. وروى في المخصص (70: 3): «وما أنا من سيب الإله بآيس»، على القلب.

(4) محتضر: يحضره الجن، والدواب وغيرها من أهل الأرض. ش: «فقد أذاك» محرف.

(5) تشرع فيه: تدخل فيه لتشرب. وفي الأصل: «تسرع فيه»، مصحف.

(6) أي الذي كان قد استهوته الجن: فيما يروون.

(7) لا يخمر: أي لا يغطي.

(8) في الأصل: «تسرع». وانظر ما سبق قريباً.

(9) المعصفر: المصبوغ بالعصفر، وهو زهر القرطم. ط: «العصفر»، صوابه في ش، هـ. وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب.

(10) يمجنون، من المجنون. وفي الأصل: «يحكون»، وصوابه ما أثبت. والشعر الآتي وما بعده مجوني.

(11) سبقت هذه الأبيات في (1: 137).

فلولا الله ما أمسى رفيقي ولولا البول عوجل بالخصاء
وقال أبو التَّجَم (1):

نظرت فأعجبها الذي في دُرْعها من حُسْنها ونظرت في سِرْبِها (2)
فراأت لها كفلاً ينوء بخَصْرها وعثاً روادفهُ وأخْثَمَ نَاتِيا (3)
ورأيت منتشرَ العِجان مُقْبِضا رُخُوا حمائله وجلداً باليا (4)
أدنى له الركب الحَلِيقَ كأنما أدنى إليه عقارباً وأفاعيا (5)
وقال آخر (6):

مريضةً أثناء التهادي كأنما تخافُ على أحشائها أنْ تَقْطَعاً (7)
تسيب انسياب الأئيم أخصره الندى يرفع من أطرافه ما ترفعاً (8)

(شعر في العقربان)

وقال إياس بن الأرت (9):

(1) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك، وقد أتت له سبعون سنة، فقال له: يا أبا النجم! كيف أنت والنساء؟ قال: والله يا أمير المؤمنين، ما أنظر إليهن إلا شزراً، ولا ينظرن إلي إلا كرهاً! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه، فقال: يا أبا النجم: خذ هذه الوصفة فابل بها نفسك، واغد علي بخبرك. فانصرف بها. فلما كان من الغد غدا عليه، فقال: ما الذي صنعت يا أبا النجم؟ فقال: لا والذي أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين، ما صنعت شيئاً ولا قدرت عليه! وقد قلت في ذلك أبياتاً، ثم أنشده الشعر الآتي. فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له: خذ هذه فاجعلها عوضاً مما فاتك. الأغاني (9: 77) وكتاب المختار من شعر بشار ص 209.

(2) الدر: القميص. رواية الأغاني: «من حسنه» والمختار: «خلقها».

(3) ينوء بخصرها: أي ينوء خصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك. وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب. وعثا روادفه: أصل الوعث: المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام. وهذه هي رواية ط والأغاني والمختار. وفي ط، هـ: «وعسا» بالسين، وهي بمعنى الأول. والأختم: المرتفع الغليظ. وناتيا، أي بارزا، وأصله ناتئاً. ورواية الأغاني والمختار: «جائياً».

(4) في المختار: «منتفخ العجان مقلصاً»، والأغاني: «رخواً مفاصله». وبين هذا البيت والذي قبله بيت رواه صاحب المختار، وهو:

ارفع جبينك فيم أنت منكس أفضحتني وطردت أم عياليا

(5) الركب، بالتحريك: الهن. وفي المختار «أدنى لك كما أدنى إليك» على الخطاب. وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى في الأغاني، منها اثنان في المختار.

(6) بدله في محاضرات الراغب (2: 139): «ويستحسن للسعدي»، أي رجل من بني سعد.

(7) التهادي: مشي في تمايل وسكون. هـ: «التهاي» صوابه في ش، ط والمحاضرات والحماسة (2: 93) ومجموعة المعاني 212، والرواية في المحاضرات والحماسة: «مريضات أوبات التهادي». ينعثها أو ينعتهن بلين المشية ودقة الخصر.

(8) يقول: تتدافع في السبر تتدافع تلك الحية التي أثر فيها برد الندى، فهي في مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك، ترفع من أجزائها بعضاً. ورواية المحاضرات والحماسة ومجموعة المعاني: «رفع من أعطافه».

(9) لم أجد له ترجمة إلا ما قال صاحب القاموس في (رت): «إياس بن الأرت، كريم، شاعر». والأرت اسمه خالد، كما في ذيل اللآلي ص 24.

كَأَنَّ مَرْعَى أَمَّكُمْ سَوْءَةً عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عَقْرُبَانُ⁽¹⁾
 إِكْلِيلُهَا زَوْلٌ وَفِي شَوْلِهَا وَخَزٌ حَدِيدٌ مِثْلُ وَخَزِ السِّنَانِ⁽²⁾
 كُلُّ امْرِئٍ قَدْ يُتَّقَى مُقْبَلًا وَأَمُّكُمْ قَدْ تَتَّقَى بِالْعِجَانِ⁽³⁾
 وَقَالَ آخَرُ⁽⁴⁾ لِمُضِيهِ:

تَبَيْتُ تَذْهِيهِ الْقِدَّانَ حَوْلِي كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عَقْرُبَانُ⁽⁵⁾
 فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي حَمَلًا سَمِينًا شَكَرْتُكَ؛ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ⁽⁶⁾

(شعر في الحيات والأفاعي)

وقال النَّابِغَةُ:

فَلَوْ يَسْتَطِيعُونَ دَبَّتْ لَنَا مَذَاكِي الْأَفَاعِي وَأَطْفَالُهَا⁽⁷⁾
 وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ:

مَا زَالَ أَمْرُ وُلَاةِ السُّوءِ مُنْتَشِرًا حَتَّى أَظَلَّ⁽⁸⁾ عَلَيْهِمْ حَيَّةٌ ذَكَرُ

(1) مرعى: اسم أمهم. يكوومها: يخالطها. والعقربان، بالضم: ذكر العقارب، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم، تسمى في مصر (أم أربعة وأربعين) ويسمونها العرب أيضاً دخال الأذن، ويسمونها علماء الإفرنج: Centipede، وعلى الوجه الثاني من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت. ولست أستجيده وقد أسلفت كلاماً على هذا الشعر في (2: 161).

(2) كنى عن قرني العقرب بالإكليل. التبريزي (4: 24). والزول: الخفيف الحركة، أو العجب. والشول: رفع الذنب. والوخز، بالزاي: طعن لا ينفذ حديد: قوي. ش، هـ: «وخذ حديد»، وصوابه في ط والحماصة. وفي ش: «مثل وخذ» و هـ: «مثل خز» وهما تصحيفان.

(3) أي إذا أدبرت، ولعله يعني أنها إذا غابت نمت بين الناس.

(4) قائل الشعر الآتي هو الهيردان بن اللعين المنقري. والهيردان، بفتح الهاء بعدها مثناة تحتية وراء مضمومة. وقد ذكره المرزباني في معجمه 488، وأما أبوه اللعين المنقري فقد أسلفت ترجمته في (184: 01). وكان من قصة الهيردان أنه نزل في البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت، فأطعمه تمرًا وأسقاه لبنًا وقام يصلي، فقال الهيردان الشعر الآتي. وقبل البيت الأول:

لخبز يا ثبيت عليه لحم أحب إلي من صوت الأذان

انظر معجم المرزباني. وقد روى القالي في أماليه (3: 17) هذه القصة، ولم يذكر فيها اسم الهيردان، وقال: إن ثبيتاً هذا نزل به قوم ليلة فلم يعشهم وقام يصلي، فقال رجل منهم الشعر الآتي.

(5) يدهده: يدحرج أو يقلب بعضه على بعض. والقذان: البراغيث، واحدها قذة، كقوة. والرواية الجيدة: «تدهور القرآن»، ودهور كلامه: قحم بعضه في إثر بعض. والعقربان سبق شرحه في التنبيه الأول من هذه الصفحة. وقال القالي في شرح هذا البيت: واختلفوا في العقربان، فقال قوم: هو ذكر العقارب، وقال قوم: هو دخال الأذن. وهو الوجه. وانظر التنبيه المشار إليه.

(6) كذا الرواية أيضاً في عيون الأخبار (3: 320)، ولم يروه المرزباني، ورواية القالي:

فلو أطعمتني خبزاً ولحماً حمدتك والطعام له مكان

(7) المذاكي: جمع المذكي، بتشديد الكاف المكسورة، وهو المسن من كل شيء.

(8) كذا في الأصل بالطاء المعجمة.

ذو مرة تَفَرَّقَ الحَيَّاتِ صَوْلَتَه
لم يأتهم خبرٌ عنه يلين له
وقال بشار:

تَزَلُّ القَوَافِي عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهَا
حُمَاتُ الْأَفَاعِي رِيْقَهْنَ قَضَاءً⁽²⁾
[وقال⁽³⁾]:

فكم من أخ قد كان يأملُ نفعكم
أخ لو شكرتُم فعله لو عَضَضْتُم
وقال الحارث دعي الوليد، في ذكر الأسود بالسم من بين الحيات:

فإِنْ أَنْتَ أَقْرَرْتَ الغَدَاةَ بِنِسْبَتِي
عُرِفْتُ وَإِلَّا كُنْتُ فَقْعاً بِقَرْدٍ⁽⁶⁾
وَيَشْمَتُ أَعْدَاءُ وَيَجْذُلُ كَاشِحٌ
عَمَرْتُ لَهُمْ سُمّاً عَلَى رَأْسِ أَسْوَدٍ⁽⁷⁾
وقال آخر:

ومعشرٍ مَنْقَعٍ لِي فِي صُدُورِهِمْ
وسَمْتُهُم بِالْقَوَافِي فَوْقَ أَعْيُنِهِمْ
وسم الأساود يغلي في المواعيد
وسم المعيدي أعناق المقاحيد⁽⁸⁾

- (1) المرر: جمع مرة، بالكسر، وهي القوة. أراد أنه قوي الشكيمة.
(2) الحمات: جمع حمة بضم ففتح، وهي ما تلدغ به الأفعى. وفي الأصل: «حماة» محرف. ريقهن قضاء: أي فيه القضاء على من سرى فيه. ط، هـ: «قصاب»، صوابه ما أثبت من ش والمختار من شعر بشار ص 90، وقبل هذا البيت:

وقد علمت عليا معد بأنني إذا السيف أكدي كان في مضاء

- (3) هذه الكلمة ليست بالأصل. وقد يكون القائل بشاراً، وقد يكون غيره.
(4) حديد: قوي.
(5) في الأصل: «لعضضتم»، وبذا يضطرب نسج البيت. والوجه ما أثبت. وقد حذف جواب الشرط الأول، اكتفاء بما يدل عليه جواب الشرط الثاني. أي لو شكرتم فعله لشاركم في جميع ما أنتم فيه، حتى لو تقحمت الصعبة لتقحمها معكم.
(6) الفقع: كمأة رخوة بيضاء. ويقال للذليل: «أذل من فقع بقرقرة»، وذلك أن الفقع لا يمتنع على من جناه، أو أنه يوطأ بالأرجل. أمثال الميداني (2: 59). والقردد: الأرض المستوية. وأما القرقرة في المثل فهي الأرض المطمئة اللينة.
(7) عمرت لهم: أي أقيت للأعداء.
(8) أي جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة في جباههم، والمقاحيد: جمع مقحاد، بالكسر، وهو ما عظم سنانه من الإبل. و«المعيدي» كذا بالأصل. ولعلها «المعبد» بتشديد الباء الموحدة المكسورة، وهو الذي يعبد الإبل، أي يظليها بالقطران ليعالج جربها؛ فإن المعيدي تصغير المعدي نسبة إلى معد بن عدنان، وليس له وجه مناسب.

وقال أبو الأسود⁽¹⁾ :

لَيْتَكَ أَذْنَتْنِي بِوَاحِدَةٍ جَعَلْتَهَا مِنْكَ آخِرَ الْأَبَدِ⁽²⁾
تَخْلِفُ إِلَّا تَبَرَّنِي أَبَدًا فَإِنْ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبْدِي⁽³⁾
إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ فِي نَظَرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدِ⁽⁴⁾
وقال أبو السَّحَّاح⁽⁵⁾ يرثي أخاه يحيى بن عميرة⁽⁶⁾ ، ويسميه بالشجاع⁽⁷⁾ :

يَعْدُو فَلَ تَكْذِبْ شِدَّاتُهُ كَمَا عَدَا اللَّيْثُ بَوَادِي السَّبَاعِ
يَجْمَعُ عَزْمًا وَأَنَاءَ مَعَا ثُمَّتَ يَنْبَاعُ أَنْبِيَاعِ الشَّجَاعِ⁽⁸⁾
وقال المتلمس :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ ، وَلَوْ يَرَى مَسَاعَا لِنَابِيهِ الشَّجَاعُ لَصَمَّمَا⁽⁹⁾
وقال مَعْمَرُ بْنُ لَقِيطٍ⁽¹⁰⁾ أَوْ ابْنُ ذِي الْقُرُوحِ⁽¹¹⁾ :

شَمُوسٌ يَظُلُّ الْقَوْمَ مَعْتَصِمًا بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَاكَ حَزْمٌ مِنَ الْقَوْمِ عَادِيَا
أَبِيتَ كَمَا بَاتَ الشَّجَاعُ إِلَى الذُّرَى وَأَغْدُو عَلَى هَمِّي وَإِنْ بَثَّ طَاوِيَا

(1) مثل هذه النسبة في عيون الأخبار (3: 189) . ونسبه ياقوت في معجم الأدباء (1: 193) إلى إبراهيم الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات، وصاحب العقد (3: 397) إلى أبي زيد . وصواب نسبته أنه لأبي الأسد نباتة بن عبد الله، كما في طبقات الشعراء لابن المعتز 348 والأغاني (12: 168) وديوان المعاني (2: 203) إذا يقول في القصيدة :

فصرت من سوء ما رميت به أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

وأبو الأسود، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المزهر (2: 263) . وأبو الأسود الدؤلي البصري، أول من أسس النحو، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين، وكان شيعياً انظر بقیة نعته في بغية الوعاة 274، توفي سنة 67 بطاعون الجارف .

(2) أذنه بالأمر : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : «تجعلها منك» .

(3) يقول : ليتك تحلف ألا تبرني ؛ فقد سئمت برك وما تحملني من المن .

(4) في معجم الأدباء : «في ماصفاحه» . وصواب ما في المعجم : «في ماضغي حية» .

(5) كذا في الأصل ومقطعات مراث ص 116، وكذا في الموفقيات للزبير بن بكار طبعة وستنفلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعي . والشعر منسوب في المفضليات 154 إلى السفاح بن بكير الثعلبي . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع .

(6) وقال أبو عبيدة : هي لرجل من بني قريع، يرثي بها يحيى بن ميسرة، صاحب مصعب بن الزبير، وكان وفياً له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات 630، وكذا خزانة الأدب (2: 537 بولاق) .

(7) الشجاع : ضرب من الحيات .

(8) ينباع : يشب ويسطو .

(9) روى : «وأطرق» في حماسة البحترى 15 ولباب الآداب 393 والميداني (1: 395) . وروى في سر الصناعة : «لناباه» . وبه يستشهد النحويون على إلزام المثنى الألف في أحوال الإعراب الثلاث عند بعض القبائل . انظر الخزانة (3: 337 بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم المرزباني 213) :

فأطرق إطرارق الشجاع ولو يرى مساعاً لنابيه الشجاع لقد أرم

(10) كذا . ولعله : «لقيط بن يعمر» . (11) المعروف في الشعراء : «ذو القروح» ، وهو امرؤ القيس .

وإني أهُضُّ الضَّيْمَ مَنَى بَصَارِمَ رَهِيْفٍ وَشَيْخٍ مَاجِدٍ قَدْ بَنَى لِيَا⁽¹⁾
وهكذا صفة الأفعى ؛ لأنها أبداً نابتةٌ مستوية ، فإنْ أنكرتْ شيئاً فَتَشَطَّتْهَا كَالْبَرْقِ
الخاطِلف . ووصف آخرُ أفعى ، فقال :

وَقَدْ أُرَانِي بِطَوِيِّ الْحَسِّ وَذَاتِ قَرْنَيْنِ طُحُونِ الضَّرْسِ⁽²⁾
نَضْنَاضَةٍ مِثْلَ انْتِنَاءِ الْمَرْسِ⁽³⁾ تَدِيرُ عَيْنًا كَشَهَابِ الْقَبْسِ
لَمَّا التَّقَيْنَا بِمَضِيْقٍ شَكْسٍ⁽⁴⁾ حَتَّى قَنَصْتُ قَرْنَهَا بِخَمْسِ⁽⁵⁾
وهم يتهاجَوْنَ بِأَكْلِ الْأَفَاعِي وَالْحَيَاتِ . قال الشاعر :

فِيَاكُمُ وَالرَّيْفَ لَا تَقْرُبْنَهُ فَإِنْ لَدَيْهِ الْمَوْتُ وَالْحَتَمَ قَاضِيَا
هُمُ طَرَدُوكُمُ عَنْ بِلَادِ أَبِيكُمُ وَأَنْتُمْ حُلُولُ تَشْتَوُونَ الْأَفَاعِيَا
وقال عمر بن أبي ربيعة :

وَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئْتُ مَصَابِيحَ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوُرُ⁽⁶⁾
وَعَابَ قَمِيرٌ كُنْتُ أَرْجُو مَغِيبَهُ وَرُوحَ رُعِيَانٍ وَهَوْمَ سَمَرٍ
وَنَفَضْتُ عَنِّي اللَّيْلَ⁽⁷⁾ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ الْـ حُبَابِ ، وَرُكْنِي خَيْفَةَ الْقَوْمِ أَزْوُرُ⁽⁸⁾

(ضرب المثل بسم الأسود)

[و]⁽⁹⁾ ضَرَبَ كَثُومُ بْنُ عَمْرِو المثلَ بِسَمِّ الْأَسَاوِدِ ، فقال⁽¹⁰⁾ :

- (1) أهض الضيم : أدفعه . وأصل الهض : الكسر والدق .
- (2) في الأصل : «كجون الترس» . وأثبت ما عند الدميري .
- (3) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الحبل . وقد سكن الراء للشعر . وفي الأصل : «الرس» ولا وجه لها .
- (4) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) في اللسان .
- (5) أي بخمس أصابع . ش : «حتى قضت» ، وفي ش ، ط : «قبوتها» وصوابهما في هـ .
- (6) أنور ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد في الكامل 383 ليبسك : «وقوله : وأنور ، إن شئت همزت ، وإن شئت لم تهمز» . ورويت : «أنور» عند العيني (1: 318) .
- (7) يروى : «ونفضت عني العين» ، أي احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضاً ، بل هي أطيّب وألطف ، ورواية العيني : «وخفض عني الصوت» .
- (8) الحباب ، بالضم : الحية . أزور : مائل ، فهو يتخفى .
- (9) ليست بالأصل .
- (10) في الأغاني (12: 8) : «وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور النمري قد أخذ الأموال ، فحلى نساءه ، وبنى داره ، واشترى ضياعاً ، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . . » . وهو بهذا الشعر «يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة صحبة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان» . غرر الخصائص الواضحة للوطواط 408 ، والشعر متداول في مراجع كثيرة ، منها عيون الأخبار (1: 231) والعقد (2: 136) والبيان (3: 353) ومروج الذهب (2: 495) وزهر الآداب : (3: 39) وحماسة ابن الشجري 140 ومحاضرات الراغب (1: 92 ، 213) .

تلوم عن ترك الغني ⁽¹⁾ بأهليّة ⁽²⁾ طوى الدّهر عنها كلّ طَرْفٍ وتالِد
رأت حولها النّسوان يرفُلن في الكسأ ⁽³⁾ مقلّدة أجيادها بالقلائد
يسرّك أني نلت ما نال جعفر وأن أمير المؤمنين أعصّني
ذريني تجنّني ميتتي مُطمئنّة ذريني تجنّني ميتتي مُطمئنّة
فإن كريمات المعالي مشوبة فإن كريمات المعالي مشوبة

(حيات الجبل)

وفي التشيع لحيات الجبل، يقول اللّعين المنقري ⁽⁸⁾ لرؤبة بن العجاج ⁽⁹⁾ :
إني أنا ابن جلا إن كنت تعرفني يا رؤب، والحيّة الصّماء في الجبل ⁽¹⁰⁾
أبا الأراجيز يا ابن اللؤم توعدي وفي الأراجيز جلب اللؤم والكسل ⁽¹¹⁾

- (1) ط، هـ: «الغناء»، صوابه في ش والمراجع المتقدمة.
 - (2) ط: «لأهله»، هـ: «بأهليّة»، صوابه في ش والمراجع المتقدمة. والباهلية: امرأته.
 - (3) الكسأ: جمع كسوة. يرفلن: يتبخترن.
 - (4) يعني جعفرأ البرمكي، ويحيى بن خالد البرمكي. أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد البرمكي فقد قتله الرشيد في قصة مؤسفة، يرويه المسعودي في مروج الذهب. وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيى، حتى ماتا في حبسهما.
 - (5) أعضه الشيء: جعله بعضه. ومن عض السيف فقد أهلكه. وروى في البيان والغرر وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجري والأغاني: «أعصني مغصهما». والمرهفات: السيوف المرفقات. والبوارد: التي تثبت في الضريبة، لا تنثني. وهم يمدحون السيف بذلك، قال طرفه:
- أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة إذا قيل مهلاً قال حاجزه قدي
- وفي الأصل: «الفوارد» بالفاء، وصوابه في البيان وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجري والمروج والزهر. وفي العقد: «الحدائد».
- (6) كذا في ط وسائر المراجع. وانفردت ش، هـ برواية: «حول» ووجهها ضعيف.
 - (7) كذا الرواية أيضاً في البيان وعيون الأخبار. وفي الزهر: «فإن رفيفات المعالي»، والمروج: «فإن نفيسات الأمور»، والحماسة: «فإن رفيفات الأمور»، والعقد: «وجدت لذاذات الحياة»، والأغاني: «رأيت رفيفات الأمور»، وديوان المعاني (13: 1): «وإن جسيمات الأمور منوطة». وهو مثل من أمثلة تصرف الرواة، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ. وانظر مأخذ البيت في محاضرات الراغب (1: 213).
 - (8) روى البحرني في حماسه ص 8 البيتين منسوبين إلى المكعبير الضبي. واللّعين المنقري سبقت ترجمته في (184: 1).
 - (9) أنشد الثاني من البيتين برواية: «خلت اللؤم والخور» في سيبويه 1: 61 والعيني 2: 404 منسوباً إلى اللّعين.
 - (10) يقولون للرجل الظاهر لا يخفى مكانه: ابن جلا. وروى البحرني: «إن كنت تنكرني». قوله: «والحيّة الصّماء» أي وأنا الحيّة الصّماء.
 - (11) كذا. والمراد: يا أبا الأراجيز. ورواية البحرني: «أبا لأراجيز». في ش، ط: «يوعدي» صوابه في هـ وحماسة البحرني. وروى: «خلت اللؤم والفشل». برفع اللؤم والفشل، على الإقواء. وعند البحرني: «إن الأراجيز رأس النوك والفشل».

(خبران في الحيات)

الأصمعي، قال: حدّثني ابن أبي طرفة⁽¹⁾، قال: مرّ قومٌ حُجَّاجٌ من أهل اليمن مع المساء، برجل من هُذيل، يقال له أبو خراش، فسأله القري، فقال لهم: هذه قدر، وهذه مسقاة، وبذلك الشعب ماء! فقالوا: ما وقّيتنا حقّ قرانا! فأخذ القربة فتقلّدها يسقيهم، فنهشته حية.

قال أبو إسحاق: بلغني وأنا حدث، أن النبي ﷺ: «نهى عن اختناث فم القربة، والشرب⁽²⁾ منه». قال: فكنت أقول إنّ لهذا الحديث لشأناً، وما في الشرب من فم قربة حتّى يجيء فيها هذا النهي؟! حتّى قيل: إنّ رجلاً شرب من فم قربة، فوكعته⁽³⁾ حية فمات، وإنّ الحيات تدخل في أفواه القرب. فعلمت⁽⁴⁾ أنّ كلّ شيء لا أعرف تأويله من الحديث، أنّ له مذهباً وإن جهلته⁽⁵⁾.

(شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعر في سلخ الحية:

حتّى إذا تابَعَ بَيْنَ سَلَخَيْنِ وعادَ كالْمِيسَمِ أَحْمَاهُ الْقَيْنِ⁽⁶⁾
أَقْبَلَ وَهُوَ وَاثِقٌ بِثَنَّتَيْنِ بِسَمِّهِ الرَّأْسِ وَنَهَشِ الرَّجْلَيْنِ⁽⁷⁾
قال: كأنّه ذهب إلى أنّ سمّه لا يكون قاتلاً مُجَهِّزاً حتّى تأتي عليه سنتان.

(قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أنّ السلخ للحية مثل البزول والقروح للخف والحافر.

قال: وليس ينسلخ إلا بعد سنين كثيرة، ولم يقفوا من السنين على حدّ. وزعم بعضهم أنّ الحية تسلك في كلّ عام مرّتين - والسلخ في الحيات كالتحسير من الطير - وأنّ الطير لا تجتمع قوّة إلا بعد التحسير وتما نبت الرّيش. وكذلك الحية، تضعف في أيام السلخ ثمّ تشدّ بعد.

(1) الخبر في الأغاني (21: 47-48) والإصابة 2341.

(2) اختنث فم القربة والسقاء: ثناه إلى خارج فشرب منه. وفي الأصل: «اجتثاث» بدل: «اختناث» وهو تحريف، صوابه في نهاية ابن الأثير واللسان (مادة خنث) من كل منهما. وانظر الجامع الصغير 9411.

(3) وكعته الحية: لدغته.

(4) في الأصل: «علمت» ووجهه ما أثبت.

(5) وعلله أصحاب الحديث أيضاً، بأن دوام الشرب هكذا مما يغير ريحه، وبأنه يجعل الماء يترشش على الشارب لسعة فم السقاء. انظر النهاية واللسان (خنث).

(6) الميسم بالكسر: أداة الوسم. والقين: الحداد.

(7) في الأصل: «بسمّة الرأس»، والسمة بمعنى العلامة، وهي لا تلائم نظام الكلام.

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعيّ: أخبرني أبو رفاعة⁽¹⁾، شيخ من أهل البادية، قال: رأيتُ في المنام كأنّي أتخطى حَيَات. فمطرت السماء، فجعلت أتخطى سُبُلاً. وحكى الأصمعيّ أنّ رجلاً رأى في المنام في بيوته حَيَاتٍ، فسأل عن ذلك ابن سيرين أو غيره، فقال: هذا رجلٌ يدخل منزله أعداء المسلمين. وكانت الخوارجُ تجتمعُ في بيته.

(شعر للعرجي والشمّاح في الحيات)

قال العرجيُّ، في ديب السّم في المنهوش:

وَأَشْرَبَ جِلْعَدِي حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ كَمَشَى حَمِيًّا الْكَأْسَ فِي جِلْدِ شَارِبِ
يَدِبْ هَوَاهَا فِي عِظَامِي وَحُبِّهَا كَمَا دَبَّ فِي الْمَلْسُوعِ سَمُّ الْعَقَارِبِ

وقال العرجيُّ في العرماء⁽²⁾ من الأفاعي، وكونها في صُدُوعِ الصَّخْرِ، فقال:

تَأْتِي بَلِيلُ دُوسَعَةٍ⁽³⁾ فَسَلَّهَا بِهَا حَافِظُ هَادٍ وَلَمْ أَرْقِ سَلَمًا⁽⁴⁾
كَمَثَلِ شَهَابِ النَّارِ فِي كَفِّ قَابِسِ إِذَا الرِّيحُ هَبَتْ مِنْ مَكَانٍ تَضَرَّمَا
أَبْرَ عَلَى الْحَوَاءِ⁽⁵⁾ حَتَّى تَنَازَرُوا حِمَاهُ⁽⁶⁾ مُحَامَاةً مِنَ النَّاسِ، فَاحْتَمَى⁽⁷⁾
يَظَلُّ مُشِيحاً سَامِعاً، ثُمَّ إِنَّهَا إِذَا بُعِثَتْ لَمْ تَأَلُ إِلَّا تَقْدُمًا⁽⁸⁾

قال: ويقال: تَطَوَّتْ⁽⁹⁾ الحية. وأنشد العرجيُّ:

ذَكَرْتُ نِي إِذْ حَيَّةٌ قَدْ تَطَوَّتْ بَرَقَا عِنْدَ عَرْسِهِ فِي الثِّيَابِ⁽¹⁰⁾
وَقَالَ الشَّمَّاحُ، أَوْ الْبَيْعِثُ⁽¹¹⁾:

(1) ش، هـ: «أبو رفاعة» بالقاف.

(2) العرماء، بالفتح: الحية الرقشاء. وفي الأصل: «العرما». وكلمة «في» قبلها ساقطة من ش، هـ.

(3) السعة، بالفتح: التصرف. ط: «سعادة» ش: «سعا» بدون إعجام. وصوابهما في هـ.

(4) كذا جاء في الشطر، وفيه تحريف.

(5) أبر عليهم: غلبهم واستعصى عليهم. والحواء، بضم الحاء: جمع حاو. وهذا الجمع ليس قياسياً ولا مما ذكرته المعاجم. وسمع نظيره: غاز وغزاء، وسار وسراء. انظر مع الهوامع (2: 177). والعرجي ممن يحتج بكلامه، فإنه توفي نحو سنة 120، وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكان شاعراً غزلاً ينحو نحو ابن أبي ربيعة، وكان من الفرسان الظرفاء. ولقب بالعرجي لسكنائه قرية العرج في الطائف. وفي ش، هـ: «الجواد» ط: «الأجواد». وهما تحريف ما أثبت.

(6) تناذروا حماه: أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له. وقد سبق مثل هذا في بيت للنابعة ص 143 س 4، وفي الأصل: «تبادروا»، وهو تحريف.

(7) في الأصل: «فاحتما».

(8) المشيح: الحذر. وقد ذكرها مرة وأثنى أخرى. والحية مما يذكر ويؤنث.

(9) ش: «انطوت». والأوفق ما أثبت من ط، هـ.

(10) كذا جاء هذا الشطر في ط، هـ. وفي ش: «عند عريسه»، وكلا النصين محرف. وانظر ديوان العرجي 115.

(11) ليس البيت في ديوان الشمّاح.

وأطرق إطراق الشجاع وقد جرى على حد نأبيه الذعاف المسمم⁽¹⁾

(ما ينبج من الحيوان)

والأجناس التي تُذكرُ بالبُباح: الكلب، والحيّة، والطَّبْيُ إذا أَسَنَّ، والهُدُودُ، وقد كتبنا ذلك مرة ثم⁽²⁾. قال أبو النّجم:

والأسد قد تسمّع من زئيرها وباتت⁽³⁾ الأفعى على محفورها
تأسيرها يحتك في تأسيرها⁽⁴⁾ مرّ الرّحى تجري على شعيرها
كرعدة الجراء أو هديرها⁽⁵⁾ تضرمّ القصباء في تنورها⁽⁶⁾
توقر النفس على توقيرها تعلّم الأشياء في تنقيرها
في عاجل النفس وفي تأخيرها

(قول في آية)

وسنذكر مسألة وجوابها. وذلك أنّ ناساً زعموا أنّ جميع الحيوان على أربعة أقسام: شيء يطير، وشيء يمشي، وشيء يعوم، وشيء ينساح.

وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [النور: 45]. وقد وضع الكلام على قسمة أجناس الحيوان، وعلى تصنيف ضروب الخلق، ثم قصّر عن الشيء الذي وضع عليه كلامه⁽⁷⁾، فلم يذكر ما يطير وما يعوم. ثم جعل ما ينساح، مثل الحيات والديدان، ممّا يمشي، والمشي لا يكون إلا برجل، كما أنّ العض لا يكون إلا بضم، والرّمح لا يكون إلا بحافر. وذكر ما يمشي

(1) في الأصل: «ولو جرى». وانظر مثيل هذا البيت في ص 152.

(2) انظر لنجاح الطيبي ما سبق في (1: 240) ولنجاح الهدهد ما سبق في (1: 241). وأما نباح الحية فلم يسبق له ذكر، وانظر له الاستدراكات.

(3) هـ: «وباتت» بالنون. وانظر بعض أشطار من الأرجوزة في اللسان (عفر).

(4) التأسير: واحد التأسير، وهي في أصل معناه السيور يؤسر بها السرج، وجعله هنا لجلدها. و«يحتك» هي في الأصل «يحتك» بالنون. وصوابه ما أثبت.

(5) الجراء: جمع جرو، أراد به ولد الكلب، ورعدها: صوتها، وكذلك هديرها وفي الأصل: «الجزاء»، ولا وجه له.

(6) القصباء: جماعة القصب، ويسمى أيضاً الأباء بالفتح. وبه يضرب المثل في شدة الصوت عند التضرم. ومنه قول ابن أبي الحقيق:

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كمعمعة الأباء المحرق

وهذه الكلمة محرفة في الأصل، فهي في ط: «القضاء»، وهـ: «الغضا» وش: «القصباء». وفي ش: أيضاً «تنور» مكان «تضرم».

(7) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعترضين على الآية الكريمة، وسيرد عليهم في السطر الثالث من الصفحة الآتية.

على أربع، وهاهنا دواب كثيرة تمشي على ثمان قوائم، وعلى ست، وعلى أكثر من ثمان. ومن تفقد قوائم السرطان وبنات وزدان، وأصناف العناكب - عرف ذلك.

قلنا: قد أخطأتم في جميع هذا التأويل وحده. فما الدليل على أنه وضع كلامه في استقصاء أصناف القوائم؟ وبأي حجة جزمتم على ذلك؟ وقد قال الله عز وجل: ﴿وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: 6] وَتَرَكَ ذَكَرَ الشَّيَاطِينِ وَالنَّارُ لَهُمْ أَكُلٌ، وعذابهم بها أشد. فترك ذكرهم من غير نسيان، وعلى أن ذلك معلوم عند المخاطب. وقد قال الله عز وجل: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: 11]، أخرج من هذا العموم عيسى بن مريم عليه السلام، وقد قصد في مخرج هذا الكلام [إلى (1)] جميع ولد آدم. وقال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1] أدخل فيها آدم وحواء. ثم قال على صلة الكلام: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: 2]، أخرج منها آدم وحواء وعيسى بن مريم عليه السلام. وحسن ذلك إذ كان الكلام لم يوضع على جميع ما تعرفه النفوس من جهة استقصاء اللفظ. فقلوه: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ (2) [النور: 45] كان على هذا المثال الذي ذكرنا. وعلى أن كل شيء يمشي على أربع فهو مما يمشي على رجلين، والذي يمشي على ثمان هو مما يمشي على أربع، وعلى رجلين. وإذا قلت: لي على فلان عشرة آلاف درهم، فقد خبرت أن لك عليه ما بين درهم (3) إلى عشرة آلاف. وأما قولكم: إن المشي لا يكون إلا بالأرجل، فينبغي أيضاً أن تقولوا ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ فَسَعَى﴾ [طه: 20]: إن ذلك خطأ؛ لأن السعي لا يكون إلا بالأرجل.

وفي هذا الذي جهلتموه ضرور من الجواب: أما وجه منه فهو قول القائل وقول الشاعر: «ما هو إلا كأنه حية»، و: «كأن مشيته مشية حية» يصفون ذلك، ويذكرون عنده مشية الأيم والحباب، وذكر الحيات. ومن جعل للحيات مشياً من الشعراء، أكثر من أن نقف (4) عليهم. ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسيابها مشياً وسعياً، لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل، وأن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه؛ فمن عادة العرب أن تشبه به في حالات كثيرة. وقال الله تعالى: ﴿هَذَا نَزَمُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: 56] والعذاب لا يكون نزلاً، ولكنه أجراه مجرى كلامهم، كقول حاتم حين أمرؤه بفصعده بغير، وطعنه في سنامه، وقال: «هذا فصدته (5)».

- (1) الزيادة من ش، هـ.
- (2) بين هذه الآية والكلام بعدها، جملة: «فهو مما يمشي على أربع»، في ط، ش: وهي عبارة مقحمة لبس لها وجود في هـ.
- (3) كلمة «عليه» ساقطة من هـ. وفي هـ أيضاً: «مائتين» بدل «ما بين» وهو تحريف.
- (4) هـ: «تقف» بالخطاب.
- (5) أي هذا فصد البعير، والفصد: شق العرق لاستخراج دمه. وكان أهل الجاهلية في شدة الأزمات يفصدون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان، أو يجعلون ذلك الدم في معي من الأمعاء ويشوونه ويأكلونه. ويروى المثل عند الميداني (2: 317): «هكذا فصدي» وقال: «قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة. وذلك أنه كان أسيراً في عنزة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة، فنحرها، فلامته على نحره إياها فقال: هكذا فصدي! يريد أنه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام». عنزة: قبيلة. وأم المنزل: ربه.

وقال الآخر:

فقلت يا عمرؤ أطعمني تمرًا⁽¹⁾ فكان تمرى كَهْرَةً وزبرًا⁽²⁾

وذمّ بعضهم⁽³⁾ الفأر وذكر سوء أثرها في بيته، فقال:

يا عَجَل الرّخْمَن بالعقاب لعامرات البيت بالخراب
يقول: هذا هو عمارتها. كما يقول الرّجل، «ما نرى من خيرك ورقدك إلا ما يبلغنا منْ
خطبك»⁽⁴⁾ علينا، وفَتَكَ في أعضادنا⁽⁵⁾!». (

وقال الثّابغة في شبيه بهذا، وليس به:

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قِراع الكتائب

ووجه آخر: أن الأعراب تزعم - وكذلك قال ناسٌ من الحوَّاثين والرّقائين - إنَّ للحية حُزُوزًا⁽⁶⁾ في بطنه، فإذا مشى قامت حُزُوزُه⁽⁷⁾، وإذا ترك المشي تراجعت إلى مكانها، وعادت تلك المواضع مُلسًا. ولم تُوجد بعين ولا لَمَس، ولا يبلغها إلا كلُّ حَوَّاءٍ دقيق الحسّ. وليس ذلك بأعجب من شَفِيقَةِ الجمَل العربيّ؛ فإنّه يظهرها كالذَّلْو، فإذا هو أعادها إلى لَهَاتِه تراجع ذلك الجلد إلى موضعه، فلا يقدِرُ أحدٌ عليه بلَمَس ولا عَيْن. وكذلك عروق الكُلى⁽⁸⁾ إلى المثانة التي يجري فيها الحصى المتولد في الكلية إذا قَذَفَتْه⁽⁹⁾ تلك العروق⁽¹⁰⁾ إلى المثانة، فإذا بال الإنسان انضمت العروق واتصلت بأماكنها، والتحمت حتى كان موضعها كسائر ما جاوز تلك الأماكن.

ووجه آخر: وهو أن هذا الكلام عربيّ فصيح؛ إذ كان الذي جاء به عربيًّا فصيحًا، ولو لم يكن قرآنًا من عند الله تبارك وتعالى، ثم كان كلام الذي جاء به، وكان ممن يجهل اللحن ولا يعرف مواضع الأسماء في لغته، لكان هذا - خاصّة - ممّا لا يجهلُه.

(1) روى في البيان (1: 153): «فقلت أطعمني عمير»، والحيوان (5: 22): «قالت ألا فاطعم عميرًا». وروى في المخصص (2: 134): «فقلت أطعمني عميم تمرًا»، وهي رواية الأضداد 152، وفيها: «قال أبو بكر: عميم: تصغير عم». أي يا عمي.

(2) الكهرة: الانتهاز. والزبر: الزجر والمنع.

(3) هو أعرابي دخل البصرة فاشتري خبزاً فأكله فأفاد. انظر الحيوان (5: 174) وديوان المعاني (2: 151) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة.

(4) في القاموس: «حطب في حبلهم يحطب: نصرهم». وفي اللسان: «وحطب فلان بفلان: سعى به»؛ فالمراد هنا: من خطبك علينا بالشر، وتألّب الناس علينا. وفي الأصل وكذا في بعض نسخ البيان (1: 153): «خطبك بالخاء. ولا تنجّه إلا بتكلف. وما يبلغنا: أي ما يصل إلينا.

(5) فت في عضده: رام إضراره بتخونه أهل بيته. وعضد الرجل: أهل بيته. ط: «وفتلك» صوابه في ش، هـ والبيان. وفي ط، هـ: «أعضادنا» صوابه في ش والبيان.

(6) ط، ش: «خزوزاً» صوابه في هـ. (7) ط، ش: «خزوزه» صوابه في هـ.

(8) ط: «الكلا»، ش، هـ: «الكلا»، صوابه ما أثبت. وهو جمع كلية، بالضم.

(9) ط، هـ: «تجري». والحصى، كتبت في ط، ش بالألف. وفي هـ: «الخصا» صوابهما ما أثبت. وفي الأصل: «قذفتها» بدل: «قذفته».

(10) في الأصل: «في تلك العروق». والوجه حذف «في» كما أثبت.

فلو أننا لم نجعل لمحمد ﷺ، فضيلة في نبوة، ولا مزية في البيان والفصاحة، لكننا لا نجد بدءاً من أن نعلم أنه كواحد من الفصحاء، فهل يجوز عندكم أن يخطيء أحد منهم في مثل هذا في حديث، أو وصف، أو خطبة أو رسالة، فيزعم⁽¹⁾ أن كذا وكذا يمشي أو يسعى أو يطير، وذلك الذي قال⁽²⁾ ليس من لغته ولا من لغة أهله؟! فمعلوم عند هذا الجواب، وعند ما قبله، أن تأويلكم هذا خطأ.

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس: 55] وأصحاب الجنة لا يوصفون بالشغل، وإنما ذلك جواب لقول القائل: خبرني عن أهل الجنة، بأي شيء يتشاغلون؟ أم لهم فراغ أبداً؟ فيقول المجيب: لا، ما شغلهم إلا في افتضاض الأبقار، وأكل فواكه الجنة، وزيارة الإخوان على نجائب الياقوت!

وهذا على مثال جواب عامر بن عبد قيس، حين قيل له وقد أقبل من جهة الحلبة⁽³⁾، وهو بالشام: مَنْ سَقَ؟ قال: رسول الله ﷺ! قيل: فَمَنْ صَلَّى؟ قال: أبو بكر! قال: إنما أسألك عن الخيل! قال: وأنا أجيبك عن الخير!

وهو كقول المفسر حين سُئل عن قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 62]. فقال: ليس فيها بُكْرَةٌ وعشي، وقد صدق القرآن، وصدق المفسر، ولم يتناكرا، ولم يتنافيا؛ لأن القرآن ذهب إلى المقادير، والمفسر ذهب إلى الموجود، من دوران ذلك مع غروب الشمس وطلوعها.

وعلى ذلك المعنى روي عن عمر أنه قال: «مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أنا أنهي عنهما وأضرب عليهما⁽⁴⁾».

قد كان المسلمون يتكلمون في الصلاة ويطبّقون⁽⁵⁾ إذا ركعوا، فنهي عن ذلك إمام من الأئمة، وصُرب عليه، بعد أن أظهر النسخ، وعرفهم أن ذلك من المنسوخ، فكان قائلاً قال:

(1) في الأصل: «فزعم». (2) أي الذي قاله من الكلام المتقدم.
(3) الحلبة، بالفتح: الدفعة من الخيل في الرهان. وقد روى الجاحظ هذا الحديث في البيان (3: 160) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر. كما رواه في البيان (2: 282) منسوباً إلى بلال برواية أخرى.
(4) المتعتان: هما متعة النساء ومتعة الحج، كما جاء هذا الخبر مفصلاً في كتاب العباسية من رسائل الجاحظ 302 الرحمانية. أما متعة النساء، فهي ما يسميه رجال الفقه: نكاح المتعة، وهو الزواج بأجل مسمى في العقد، كيوم، أو شهر، أو سنة، أو سنوات. وكان ذلك مباحاً في أول الإسلام، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيصَةً﴾ [النساء: 24]، ثم نسخ ذلك بنهي الرسول ﷺ. وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع. وعني عمر رضي الله عنه تحريمها على سكان مكة؛ إذ قال في حديث آخر: «ليس لأهل مكة تمتع ولا قران». وأراد الجاحظ أن قول عمر رضي الله عنه: «كانتا على عهد رسول الله ﷺ» ليس على ظاهره، بل المراد أنهما كانتا على عهد رسول الله ﷺ وحرمتا أيضاً في عهد رسول الله ﷺ، وكذلك قوله: «أنا أنهي عنهما»، فالمراد: «أنا أنهي عنهما كما نهى الرسول ﷺ».

(5) في الأصل: «يضبعون»، وهو تحريف صوابه مما في البيان (2: 282). والتطبيق: أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد. وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة، ثم أمروا بإلقاء الكفين رأس الركبتين. وانظر لسان العرب (طبق).

أَتْنَهَانَا عَنْ شَيْءٍ، وَقَدْ كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ؟ فيقول: نعم. وقد قَدَّمَ الاحتجاجَ في النَّاسِخِ والمنسوخِ^(١).

ومن العَجَبِ أَنَّ نَاسًا جَعَلُوا هَذَا الْقَوْلَ عَلَى الْمَنْبَرِ مِنْ عِيُوبِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَعْنَى فِيهِ عَلَى مَا وَصَفْنَا، فَمَا فِي الْأَرْضِ أَجْهَلُ مِنْ عُمَرَ حِينَ يُظْهَرُ الْكُفْرُ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَنْبَرِ الْجَمَاعَةِ، وَهُوَ إِنَّمَا عَلَاهُ بِالْإِسْلَامِ. ثُمَّ فِي شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ حُجَّةٌ فِيهِ وَلَا عِلَّةٌ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ تِلْكَ الْأُمَّةُ، وَتِلْكَ الْجَمَاعَةُ [التي^(٢)] لَمْ تُتَكَّرْ تِلْكَ الْكَلِمَةُ فِي حَيَاتِهِ، وَلَا بَعْدَ مَوْتِهِ؛ ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ جَمِيعُ التَّابِعِينَ وَاتَّبَاعِ التَّابِعِينَ، حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَهْلِ دَهْرِنَا هَذَا. وَتِلْكَ الْجَمَاعَةُ هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا عُثْمَانَ عَلَى أَنْ سَيَّرَ رَجُلًا^(٣). وَهَذَا لَا يَقُولُهُ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ مُعَانِدٌ.

وعلى تأويل قوله: ﴿هَذَا نُزِّلَتْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: 56]، قال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسَّ إِلَهَاهُ﴾ [ص: 56]، وقال تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 71]، فجعل للنَّارِ خَزَائِنَ، وجعل لها خَزَنَةً، كما جعل في الْجَنَّةِ خَزَائِنَ وجعل لها خَزَنَةً. وَلَوْ أَنَّ جَهَنَّمَ فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا، وَنُحِّيَ^(٤) عَنْهَا الْخَزَنَةُ، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ لَصٍّ فِي الْأَرْضِ، وَلِكُلِّ خَائِنٍ فِي الْأَرْضِ: دُونَكَ؛ فَقَدْ أُبْحِثَ لَكَ! لَمَّا دَنَا مِنْهَا، وَقَدْ جُعِلَ لَهَا خَزَائِنُ وَخَزَنَةٌ، وَإِنَّمَا هَذَا عَلَى مِثَالِ مَا ذَكَرْنَا وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَالْآيَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا فِي صِدْقِ هَذَا الْجَوَابِ، كُلُّهَا حُجَجٌ عَلَى الْخَوَارِجِ فِي إِنْكَارِهِمُ الْمَنْزِلَةَ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ^(٥).

(شعر لخلف الأحمر في الحيات)

وقال خلف الأحمر في ذكر الحيات:

يَرَوْنَ الْمَوْتَ دُونِي إِنْ رَأُونِي وَصِلْ صَفَاً لِنَابِيهِ ذُبَابٌ^(٦)

(١) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء في البيان (2: 282).

(٢) الزيادة من ش، هـ.

(٣) هذا الرجل الصحابي الجليل، أبو ذر الغفاري. وكان له ثورة مشهورة على الأغنياء، غضب عليه من أجلها عثمان رضي الله عنه، وسيره إلى الربذة، وهي من قرى المدينة على ثلاثة أميال، قريبة من ذات عرق، فأقام بها إلى أن مات سنة 32، واسم أبي ذر جندب بن جنادة. وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان رضي الله عنه في مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان)، حيث تجد أسباباً أخرى لمصرعه رضي الله عنهما.

(٤) ط، ش: «نحى»، صوابه في هـ. ونحى: أبعد.

(٥) القول بالمنزلة بين المنزلتين، أصل من أصول المعتزلة. إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر، بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر. ويقولون: ليس في الآخرة إلا الفريقان: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾، فمركب الكبيرة إذا لم يتب فهو خالد في النار، لكنه يخفف عنه العذاب، وتكون دركته فوق دركة الكفار. ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة؛ لا عتزالهم قول الأمة بأسرها. وجمهور الخوارج على أن الفاسق كافر، لا كما يقول المعتزلة بأنه في منزلة بين المنزلتين.

(٦) ذباب الناب: طرفه الحاد.

- مِنَ الْمُتَحَرِّمَاتِ ⁽¹⁾ بِكَهْفِ طَوْدٍ حَرَامٌ مَا يُرَامُ لَهُ جَنَابٌ ⁽²⁾
 أَبِي الْحَاوُونَ أَنْ يَطَّوُوا حِمَاهُ وَلَا تَسْرِي بِعَقْوَتِهِ الذُّنَابُ ⁽³⁾
 كَانَ دَمًا أَمِيرَ عَلَى قَرَاهُ وَقَطْرَانًا أَمِيرَ بِهِ كُبَابٌ ⁽⁴⁾
 إِذَا مَا اسْتَجْرَسَ ⁽⁵⁾ الْأَصْوَاتُ أَبَدَى لِسَانًا دُونَهُ الْمَوْتُ الضَّبَابُ ⁽⁶⁾
 إِذَا مَا اللَّيْلُ الْبَسَهُ دُجَاهُ سَرَى أَصْمَى تَصِيحٌ لَهُ الشُّعَابُ ⁽⁷⁾

فقلت لحيان ⁽⁸⁾ بن عتبى ⁽⁹⁾: [لَمْ ⁽¹⁰⁾] قال موسى بن جابر الحنفى ⁽¹¹⁾:

- طَرَدَ الْأَرَوَى فَمَا تَقَرَّبُهُ وَنَفَى الْحَيَاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ ⁽¹²⁾

قال: لَأَنَّ الذُّنَابَ تَأْكُلُ الْحَيَّاتِ. [قلت ⁽¹³⁾]: فلم قال خلف الأحمر:

ولا تسري بعقوته الذناب؟

قال: لَأَنَّ الذُّنَابَ تَأْكُلُ الْحَيَّاتِ. فَظَنَنْتُ أَنَّهُ حَدَسَ ⁽¹⁴⁾ ولم يقل بعلم.

- (1) المتحرمات، من قولهم: تحرم فلان بفلان: إذا دخل في ذمته وحمايته، يقول: هو من تلك الحيات التي تحرمت
 بذاك الكهف المنيع، فلا يستطيع أن يحاولها أحد. في الأصل: «المتجربات». ولا وجه له.
 (2) طود حرام: جبل لا يستطيع القرب منه، كأنه محرم. وفي الأصل: «عرام». يرام: يطلب.
 (3) ط: «الحاوون»، صوابه في ش، هـ. والعقوة، بالفتح: الساحة، وما حول الدار.
 (4) أمار الدم: أجراه وأسأله. وفي الأصل «أمر» في الموضعين، بمعنى جعل يمر، وما كتبت أشبهه. وجاء في
 الحديث: «أمر الدم بما شئت». والمائرات: الدماء. قال رشيد بن رميض:

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

والقرا، بالفتح: الظهر. والكباب، بالضم: التراب.

- (5) استجرس، بمعنى طلب الجرس، وهو بالفتح بمعنى الصوت. وفي الأصل: «استجرش» ولم أجد له وجهاً،
 ومما يعزز هذا التصحيح ما جاء في ص 102 من قول عنترة:

رقود ضحيات كأن لسانه إذا سمع الإجراس مكحال أرمدا

- (6) كذا ولعله: «الصهاب» بالصاد المضمومة. وفي اللسان: «والموت الصهابي: الشديد، كالموت الأحمر، قال الجعدي:

فجئنا إلى الموت الصهابي بعدما تجرد عريان من الشر أحدب»

- (7) الأصمى: الشديد الوثاب. ط: «أسمى» صوابه في ش، هـ. و«تصيح» هي في ش: «تضج». ولو كانت «تصيح»
 لزدادت حسناً.

(8) ط: «الحيات» صوابه في ش، هـ.

- (9) كذا جاء هذا الاسم. ولم أعثر له على تحقيق. وجاء في عيون الأخبار (2: 43) من اسمه: (حيان بن غضبان) وهو الذي
 ورث نصف دار أبيه، فقال: أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري النصف الباقي فتصير كلها لي! فلعله هذا.

(10) زيادة يقتضيها السياق. وليست بالأصل.

- (11) هو أحد شعراء بني حنيفة، يقال له ابن الفريعة، وهي أمه، كما أن حسان بن ثابت يقال له ابن الفريعة. المؤتلف 165،

وقال المرزباني في معجمه 376 إنه نصراني جاهلي، يلقب أزيق اليمامة. والحق أنه إسلامي، وأنه قال شعراً في

الإسلام. انظر الأغاني (10: 107)، كما أن شعره في الحماسة (1: 136، 138، 139، 140) يشعر بما تقدم. وفي شرح

الحماسة للتبريزي (1: 189): «قال أبو العلاء: موسى منقول من العبرية. ولم أعلم أن في العرب من سمي موسى زمان

الجاهلية. وإنما حدث هذا في الإسلام. لمانزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء، على سبيل التبرك».

(12) ط: «ونفا»، صوابه في ش، هـ.

(13) ليست بالأصل، والكلام في حاجة إليها.

(14) الحدس: الحزر والتخمين.

(منافضة شعرية للزيادي ويحيى بن أبي حفصة)

وقال الزَيَادِيُّ في يحيى بن أبي حفصة⁽¹⁾:

إني ويحيى وما ينبغي كملتَمِسِ
أَهْوَى إلى باب جُحْرٍ في مقدَّمِه
اللُّونُ أَرْبَدُ والأنْيَابُ شَابِكَةٌ
يَهْوِي إلى الصَّوْتِ والظُّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ
لَوْ نَالَ كَفَّكَ آبَتْ منه مخضبة
بِيعَتْ بَوَكْسٍ قليلٍ فاستقلَّ بها
فردَّ عليه يحيى فقال:

كم حَيَّةٍ ترهبُ الحَيَّاتُ صَوْلَتُهُ
يلْقَيْنَ حَيَّةً قَفًّا ذَا مُسَاوَرَةٍ
تكاد تسقُطُ منهنَّ الجلودُ؛ لِمَا
أصَمَّ ما شمَّ من خَضْرَاءٍ أَيْبَسَهَا
يَحْمَى لِرَيْدِيهِ⁽⁶⁾ قد غادرته قطعاً
يُسْقَى به القِرْنُ من كأس الرَّدِي جُرْعاً⁽⁷⁾
يَعْلَمَنَّ منه إذا عَايَنَتْهُ، قَزْعاً⁽⁸⁾
أو مَسَّ من حجرٍ أوهاه فأنصدعاً⁽⁹⁾

(شعر في الحيات)

وقال آخر:

وكم طَوْتُ من حَنْشٍ راصِدٍ لِّلسَّفْرِ في أعلى الثَّنِيَّاتِ⁽¹⁰⁾

- (1) هو جد مروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور، وقال أبو الفرج فيه (9: 37): «ويحيى أشعار كثيرة».
- (2) العسيب: أصل الذنب، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشف خوصها. والقزع بالتحريك: خفة شعر الرأس.
- (3) شابكة: مشتبكة. ط، ش: «شائلة» هـ: «سائلة». وصوابه ما أثبت. وانظر ما سيأتي في (5: 225). والعصل: الملتويات. وفي الأصل: «عصلاً» صوابه مما سبق ص 103.
- (4) الحيد، بالفتح: ما شخص من الجبل ومن كل شيء. والتقور: الثني. وفي الأصل: «تعود». وانظر ما سبق في 183، يقول: هذا الحية يتلوى في مشيه كما يتلوى ماء السيل إذا لاقى حيداً فأشرف منه على أرض منخفضة، فهو أسرع لجريه وتليوه.
- (5) كذا ورد هذا البيت. وفي ط: «قذعاً» بالذال المعجمة.
- (6) أي تدركه الحمية والأنفة إذا اعتدى على ريديه. والريد، بالفتح: الحرف الناتئ من الجبل. ش: «لذيذه».
- (7) القف: بالضم: مرتفع حجري. و«يسقى» هي في الأصل: «تسقي». والوجه ما أثبت.
- (8) قزعا: أي قطعاً متفرقة. وأصل القزع: القطع من السحاب. ط، ش: «قذعاً» بالذال المعجمة، صوابه في هـ.
- (9) سبق الكلام على هذا البيت في (2: 80) وفي هذا الجزء ص 103.
- (10) الثنية: الطريق العالي في الجبل.

- أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى
 منهتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضَّحَى
 ذِي هَامَةٍ رَقَطَاءَ مَفْطُوحَةٍ
 صِلْ صَفَاً، تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ
 مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَظْلَالاً إِلَى
 قَدَمَنْ عَنْ ضَرْسَيْنِ وَاسْتَأْخَرَا
 يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ
 وَتَارَةً تَحْسِبُهُ مَيِّتَاً
 وقال آخر، وهو جاهليٌّ:

- لَاهُمَّ إِنْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو ظَلَمَ
 فابعث له في بعض أعراض اللَّمَمِ
 أَسْمَرَ زَخَافًا مِنَ الرُّقَطِ الْعُرْمِ⁽¹⁰⁾
 فكلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجَوْعُ شَمَّ⁽¹¹⁾
 يَمَسُّ مِنْهُ مَضْضٌ وَلَا سَقَمٌ
 وَلَمْ يَقَمْ لِإِبْلِ وَلَا غَنَمٍ
 وخانني في علمه وقد عَلِمَ
 لميمَةً مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصَمَّ⁽⁹⁾
 قد عاش حتى هو لا يَمْشِي بَدَمٍ
 حتى إذا أَمْسَى أَبُو عَمْرٍو وَلَمْ
 قَامَ وَوَدَّ بَعْدَهَا أَنْ لَمْ يَقَمْ
 وَلَا لَخَوْفٍ رَاعَهُ وَلَا لِهَمٍ

- (1) الأنبياء العصل: الملتوية. هـ: «عضل»، صوابه في ش، ط.
 (2) منهت الشدق: واسعه. والطمور، كصبور: الوثاب. ط: «طمورا» صوابه في ش، هـ.
 (3) مفطوحة، بالفاء: عريضة. ط: «منطوحة» بالنون، تصحيحه من ش، هـ.
 (4) تنطف أنيابه، بكسر الطاء وضمها: تقطر. والسمام، بالكسر: جمع سم. والذيفان بالفتح والكسر: السم القاتل. و«مجيرات» كذا جاءت بالجيم، ولعلها «مبيرات» بمعنى مهلكات. وقد سبق البيت في 134.
 (5) سبق هذا البيت في ص 30.
 (6) ط: «واستأخرت»، صوابه في ش، هـ. والضمير عائد إلى الضرسين. والسماخ بكسر السين: لغة في الصماخ بكسر الصاد، وهو ثقب الأذن. واللّهوات جمع اللّهاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق. وقد سكنت الهاء للشعر، كما أنه جمعها والمراد بها الواحد؛ إذ أن له لهاة واحدة.
 (7) ش: «المفارات»، صوابه في ط، هـ. يسبته الصبح: ينيمه.
 (8) الإطراق: السكوت والنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين. وفي الأصل: «إشراق» بالشين. ولا وجه له. قال:
 مطرق ينفت سماً كما أطرق أفعى ينفت السم صل
 والإخبات: من أخبت بمعنى خشع. وأصله من الخبت، وهو المطمئن من الأرض.
 (9) سبق في ص 67.
 (10) العرم: جمع أعرم، وهو ما كان منقطاً بسواد وبياض، ومثله الأرقط. وقد ضمت الراء في (العرم) لضرورة الوزن. وفي الأصل: «القدم»، ووجهه ما أثبت.
 (11) في الأصل: «فكل ما»، تحريف. أقصده الجوع: أصابه. وفي الأصل: «أفضل» ووجهه ما أثبت، كما سبق في 67، وشم، أي تنسم الهواء ليغتذي به. وانظر ما سبق في ص 67.

حَتَّى دَنَا مِنْ رَأْسِ نَضْنَاضٍ أَصَمٍّ (1) فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ (2)
بِمَذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍّ (3) كَأَنَّ وَخْرَ نَابِهِ إِذَا انْتَضَمَ
وَخْرَةَ إِشْفَى فِي عَطُوفٍ مِنْ أَدَمٍّ (4)

ومخالب الأسد وأشباه الأسد من السباع، تكون في غُلْفٍ (5)، إذا وطئت على بطون
أكفها ترفعت المخالب، ودخلت في أكمام لها. وهو قول أبي زبيد:

بُحْجِنَ كَالْمَحَاجِنِ فِي فَتُوخٍ يَقِيهَا قِصَّةُ الْأَرْضِ الدَّخِيسِ (6)
وكذلك أنياب الأفاعي، هي ما لم تعضْ فَمُصُونَةٌ في أكمام، ألا تراه يقول:
فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ بِمَذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍّ (7)
(رجز وشعر في لعب الحية)

وقال آخر:

أَنَعْتُ نَضْنَاضًا كَثِيرَ الصَّقْرِ (8) مَوْلده كَمَوْلِدِ ابْنِ الدَّهْرِ (9)
كَأَنَّا جَمِيعًا وَلِدْنَا فِي شَهْرٍ يَظَلُّ فِي مَرَأَى بَعِيدِ الْقَعْرِ
بَيْنَ حَوَافِي سَدْرِ وَصَخْرٍ (10)

- (1) النضناض: الحية ينضنض لسانه، أي يحركه. ط: «من أس»، صوابه في ش، هـ.
- (2) هو من خاضه بالسيف خوضاً: وضعه في أسفل بطنه، ثم رفعه إلى فوق.
- (3) عنى بالمذرب ناب الحية. هـ: «لمذوب»، صوابه في ش، هـ. والكم، بالضم: غشاء مخالب السبع. اللسان (430: 15).
- (4) الإشفى: المحرز، يذكر ويؤنث، والعطوف، بالفتح: المعطوف. وذا أظهر لأثر الخرز. والأدم، بالتحريك: الجلد، أو أحمره، أو مدبوغه.
- (5) غلف: جمع غلاف. ط: «غلق»، صوابه من ش، هـ.
- (6) الحجن: عنى بها مخالب الأسد. وقد اشتهر أبو زبيد بنعته. والمحاجن: جمع محجن، وهو العصا المعوجة. والفتوخ بضم الفاء، وبالحاء المعجمة في آخره: هي من الأسد مفاصل مخالبه، كما في القاموس، وفي الأصل: «فتوخ» بالحاء المهملة مصحف. والقضة، بكسر القاف وتفتح، بعدها ضاد معجمة مشددة: الحصى الصغار، وفي الأصل: «قصة» بالصاد، محرف، والدخيس: لحم باطن الكف.
- (7) سبق شرح البيت في التنبيه الثالث من هذه الصفحة. ط: «مخاضه» صوابه و ش، هـ: «بمذوب»، محرف.
- (8) الصقر، أراد به سمه ولعابه. وفي الأصل: «كبير الظفر»، وليس للحية ظفر. وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (208: 13).
- (9) ابن الدهر، فسر هـ ابن سيده بأنه الموت. المخصص (208: 13)، وقد فسر هـ الثعالبي في ثمار القلوب 214 بأنه النهار، واستشهد ببيت ابن الرومي:

وما الدهر إلا كابنه، فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجوقاتله

- في الأصل: «ومولد ابن الطهر»، وتصحيحه من المخصص. وقد عني الراجز أن ذلك الحية متقادماً الميلاد، وذاك مما يزيد في شدة سمه.
- (10) الحوافي: جمع حافة، بفتح الفاء المخففة، وهو من نادر الجمع. والحافة: الجانب. والسدر، ككتف: البحر. وحيات الماء معروفة بالجرأة والنكر. وفي الأصل: «صدر»، ولعل الوجه فيه ما أثبت.

وقال :

وكيفَ وقد أسهرتَ عينَكَ تبتغي
من الصُّمِّ يكفي مرّةً من لُعابه
عناداً لنابئٍ حيّةٍ قد تَرَبَّدَا⁽¹⁾
وما عاد إلا كان في العودِ أحمداً⁽²⁾

(شعر لخلف في الأفعى)

وقال خلفُ الأحمر - وهي مخلوطةٌ فيها شيءٌ، وله شيءٌ، من الغبرة⁽³⁾ وما علمتُ أنّ أحداً وصفَ عَيْنَ الأفعى على معرفةٍ واختبارٍ غيره - وهي قوله :

أَفْعَى رُخُوفِ الْعَيْنِ مِطْرَاقِ الْبُكَرِ⁽⁴⁾
صِلْ صَفَاً مَا يَنْطُوي مِنَ الْقِصْرِ⁽⁵⁾
داهية قد صغرت من الكِبَرِ
طويلة الإطراقِ⁽⁶⁾ من غير حَسْرٍ
كأنما قد ذهبَتْ بِهِ الْفِكْرُ
شُقَّتْ لَهُ الْعَيْنَانِ طُولاً فِي شَتْرِ
مهروتة الشدقينِ حولاءِ النظرِ
جاء بها الطوفان أيامَ زَخَرِ⁽⁷⁾
كأنَّ صوتَ جلدِها إذا استدرَ⁽⁸⁾
نشيشُ جمرٍ عند طاهٍ مقتدرٍ

(أحاديث في الوزغ)

هشام بن عروة قال : أخبرني أبي أنّ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كانت تَقْتُلُ الْوَزَغَ .
يحيى بن أبي أنيسة⁽⁹⁾ ، عن الزُّهري ، عن عروة⁽¹⁰⁾ ، عن عائشة رضي الله عنها قالت :
« سمعتُ رسول الله ﷺ يقول للوزغ : فويسق » . قالت : « ولم أسمع رسول الله ﷺ أمرَ بقتله » .
قال⁽¹¹⁾ قالت عائشة رضي الله عنها : « سمعت سعداً يقول : أمر رسول الله ﷺ بقتله » .

- (1) تربد : صار أريد . والربدة : لون إلى الغبرة . وضمير « تربد » عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث .
- (2) ط ، ش : « مرة » . هـ : « مرة » ، صوابهما ما أثبت . والشطر الثاني فيه تهكم .
- (3) كذا جاءت هاتان الكلمتان . وحقهما أن تكونا في صدر الفقرة مسبوقتين بنحو كلمة : « تربد » ، فتكونا شرحاً لها ، كما أسلفت في التنبيه الأول من هذه الصفحة .
- (4) الرخوف : من رخف بمعنى استرخى . ط ، هـ : « زخوف » صوابه في ش . ومطراق البكر : أي يطرق إطرافاً في الغدوات . وذلك من صفة الأفعى . أما انتباهها فيكون على أشده في الليل .
- (5) صلال الصفا من أخبث الحيات . وقد بالغ الراجز في جعله الصل لا ينطوي من شدة قصره . في الأصل : « صل صفا ينطوي » ، وصوابه مما سبق في ص 67 .
- (6) في الأصل : « الأطراف » بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون مع النظر في الأرض .
- (7) زخر : ارتفع . وقد عني أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !
- (8) استدر : كثرت حركته .
- (9) يحيى بن أبي أنيسة ، بهيئة التصغير ، الجزري ، ضعيف من السادسة ، مات سنة ست وأربعين ومائة .
- (10) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبي بكر وسمع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهري . ولد سنة 22 أو 26 الهجرية . وتوفي سنة 93 أو 94 ، وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فلينظر إلى عروة بن الزبير ! » .
- (11) ليست في ش ، هـ .

عبد الرحمن بن زياد قال: أخبرني ⁽¹⁾ هشام عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ قال للوزغ: الفويسق».

أبو بكر الهذلي، عن معاذ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل رسول الله ﷺ عليّ وفي يدي عَكَازٌ فيه زُجٌّ، فقال: يا عائشة، ما تصنعين بهذا؟ قلت: أقتل به الوزغ في بيتي، قال: إن تفعلين فإن الدوابّ كلها حين ألقى إبراهيم عليه السلام في النار، كانت تُطفئ عنه، وإن هذا كان ينفخ عليه، فصم وبرص». وهذه الأحاديث كلها يحتج بها أصحاب الجهالات، ومن زعم أن الأشياء كلها كانت ناطقة، وأنها أمم مجراها مجرى الناس.

(تأول آيات من الكتاب)

وتأولوا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَحْنَأِيهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]، وقالوا: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72] وقال ⁽²⁾ تعالى: ﴿يَجْعَلُ أَوْرِيَّ مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ ⁽³⁾ [سبا: 10]، وقال: ﴿وَأَنَّ مِنَ الْجَارَةِ لَمَا يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَىٰ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 74].

فذهبت الجهمية ومن أنكر إيجاد الطبائع مذهباً، وذهب ابن حائط ⁽⁴⁾ ومن لف لقه من أصحاب الجهالات مذهباً، وذهب ناس من غير المتكلمين، واتبعوا ظاهر الحديث وظاهر الأشعار، وزعموا ⁽⁵⁾ أن الحجارة كانت تعقل وتنطق، وإنما سلبت المنطق فقط. فأما الطير والسباع فعلى ما كانت عليه.

قال: والوطواط، والضرد، والصفدغ، مطيعات ومثابات ⁽⁶⁾. والعقرب، والحيّة، والجداة، والغراب، والوزغ، والكلب، وأشباه ذلك، عاصيات معاقبات.

ولم أقف ⁽⁷⁾ على واحد منهم فأقول له: إن الوزغة التي تقتلها على أنها كانت تُضرم النار

(1) ط: «وأخبرني».

(2) في الأصل: «وقوله».

(3) لا خلاف بينهم في نصبه. وما روى عن البصري وعاصم وروح من رفعه وإن كانت له أوجه صحيحة في العربية، لا يقرأ به؛ لضعفه في الرواية. السفاسقي.

(4) هو أحمد بن حائط، صاحب مذهب الحائطية، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه وأتى في مذهبه بمنكرات عجيبة. ومما قاله: إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حياها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا طَيْرٍ يَحْنَأِيهِ إِلَّا أُمَّمٌ

أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: 38]، وقال: إن في كل أمة منها رسولا من نوعها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]، انظر الملل والنحل (1: 80-81) والفرق 255-259 حيث تجد قولاً فكها ضارباً في الخيال. وفي

الأصل: «ابن حافظ، وصوابه ما أثبت.

(5) ه: «فزعموا».

(6) ط: «مثنات» بالنون، صوابه في ش، ه.

(7) ط: «أفق»، وتصحيحه من ش، ه.

على إبراهيم، أهي هذه أم هي من أولادها فمأخوذة هي بذنب غيرها؟ أم تزعم أنه في المعلوم أن تكون تلك الوزغ لا تلد ولا تبيض ولا تُفْرَخُ إلا من يدين بدينها، ويذهب مذهبها؟! وليس هؤلاء ممن يفهم تأويل الأحاديث، وأي ضرب منها يكون مردوداً، وأي ضرب منها يكون متأولاً، وأي ضرب منها يقال إن ذلك إنما هو حكاية عن بعض القبائل.

ولذلك أقول: لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام، واختطفت واسترقت، ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون⁽¹⁾.

(أحاديث في قتل الوزغ)

شريك عن النخعي، عن ليث، عن نافع، أن ابن عمر كان يقتل الوزغ في بيته ويقول: هو شيطان!

هشام بن حسان، عن خالد الربيعي، قال: لم يكن شيء من خَشاش الأرض إلا كان يُطْفِئ النار عن إبراهيم، إلا الوزغ؛ فإنه كان ينفخ عليه.

حنظلة بن أبي سفيان، قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: إن الأوزاع كانت يوم حرق بيت المقدس تنفخه والوطاوط⁽²⁾ بأجنحتها.

شريك عن النخعي، عن جابر، عن ابن عباس، قال: الوزغ شريك الشيطان. أبو داود الواسطي قال: أخبرنا أبو هاشم. قال: من قتل وزغة حط الله عنه سبعين خطيئة، ومن قتل سبعاً⁽³⁾ كان كعتق رقبة.

هشام بن حسان، عن واصل مولى أبي عيينة⁽⁴⁾، عن عقيل، عن يحيى بن يعمر، قال: لأن أقتل مائة من الوزغ أحب إلي من أن أعتق مائة رقبة. وهذا الحديث ليس من شكل الأول؛ لأن يحيى بن يعمر لم يزعم أنه يقتله لكفره أو لكفر أبيه، ولكنها دابة تُطاع الحيات وتراقها وتقاربها، وربما قتلت بعضتها، وتكرع في المرق واللبن ثم تمجّه في الإناء فينال الناس بذلك مكروه كبير، من حيث لا يعلمون. وقتله في سبيل قتل الحيات والعقارب.

(1) انظر ما سبق في ص 116.

(2) يجمع الوطاوط على وطاويط ووطاوط. كما هنا وكما في القاموس.

(3) تحتمل الرواية أن تكون سبعاً بإسكان الباء، أي هذا العدد من الوزغ. وتحتمل أيضاً أن تكون سبعاً بضم الباء، بمعنى المفترس من الحيوان. والصدر الأول رواه الطبراني في الأوسط، عن عائشة رضي الله عنها، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير 8915 بحرف (ح) أي حسن.

(4) واصل مولى أبي عيينة، بتحتانية مصغر، قال ابن حجر: صدوق من السادسة تقرب التهذيب.

(صنع السم من الأوزاغ)

وأهل السَّجْنِ ⁽¹⁾ يعملون منها سموماً أَنْفَذَ من سَمِّ البَيْشِ ⁽²⁾، ومن ريق الأفاعي؛ وذلك أَنَّهُمْ يُدْخِلُونَ الْوَزْغَ قَارُورَةً، ثُمَّ يَصُبُّونَ فِيهَا مِنَ الزَّيْتِ مَا يَغْمُرُهَا، وَيَضَعُونَهَا فِي الشَّمْسِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، حَتَّى تَخْتَلِطَ بِالزَّيْتِ وَتَصِيرَ شَيْئاً وَاحِداً. فَإِنْ مَسَحَ السَّجَّينَ مِنْهُ عَلَى رَغِيفٍ مَسْحَةً يَسِيرَةً فَأَكَلَ مِنْهُ عَشْرَةُ أَنْفُسٍ مَاتُوا ⁽³⁾، وَلَا أُدْرِي لِمَ تَوَخَّوْا مِنْ مَوَاضِعِ الدَّفْنِ عَتَبَ الْأَبْوَابِ ⁽⁴⁾.

(حديث فيه نصائح)

يحيى بن أبي أنيسة، عن أبي الزُّبَيْرِ، عن جابر بن عبد الله، قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعٍ وَنَهَانَا عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَنَا أَنْ نُجِيفَ أَبْوَابَنَا، وَأَنْ نَحْمَرَ آتِنَتَنَا، وَأَنْ نُوَكِّيَ أَسْقِيَتَنَا، وَأَنْ نُطْفِئَ سُرُجَنَا ⁽⁵⁾ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَجَدَ بَاباً مُجَافاً لَمْ يَفْتَحْهُ، وَإِنَاءً مُخَمَّراً لَمْ يَكْشِفْهُ، وَسَقَاءً مُوَكَّى ⁽⁶⁾ لَمْ يَحِلَّهُ. وَإِنَّ الْفَوَيْسِقَةَ ⁽⁷⁾ تَأْتِي الْمَصْبَاحَ فَتُضْرَمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ. وَنَهَانَا عَنْ أَرْبَعٍ: نَهَانَا عَنْ اشْتِمَالِ الصَّمَاءِ ⁽⁸⁾، وَأَنْ يَمْشِيَ أَحَدُنَا فِي النَّعْلِ الْوَاحِدَةِ أَوْ الْخُفِّ الْوَاحِدِ، وَأَنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ مِثْلًا فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ ⁽⁹⁾ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَأَنْ يَسْتَلْقِيَ أَحَدُنَا عَلَى ظَهْرِهِ وَيَرْفَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْآخَرَى ⁽¹⁰⁾». وَهَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ، وَهُوَ يَقَعُ فِي بَابِ جُمْلَةِ الْقَوْلِ فِي النَّارِ، وَهُوَ يَقَعُ [بَعْدَ ⁽¹¹⁾] هَذَا الَّذِي يَلِي الْقَوْلَ فِي النَّعَامِ.

- (1) أي القوامون بأمر السجن. ولعلهم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا ممن يلون أمرهم من المساجين، أو لتخف عنهم مؤنة المراقبة، أو تنفيذاً لما يوحى به إليهم أولو الأمر. وفي الأصل: «أهل السحر»، والأوفق ما أثبت كما في عيون الأخبار (2: 99). وسيأتي من الكلام أن «المسجون» هو الذي يطعم هذا السم.
- (2) البيش، بالكسر: نبت صيني وهندي، يطول إلى ذراع، سبط الأوراق، وهو سم قاتل، أسرع فتكاً بالإنسان من سم الأفاعي.
- (3) ط: «ماتوا»، صوابه في ش، هـ.
- (4) أي دفنهم ما يقتلون من الأوزاغ تحت عتب الأبواب.
- (5) أجاف الباب: رده عليه. وتخميم الآنية: تغطيتها. ويقال أوكى السقاء يوكيه: أي شده بالوكاء، بالكسر، وهو سير، أو خيط. والسرج: جمع سراج، وهو المصباح.
- (6) ط، هـ: «موكا»، ووجه كتابته بالياء، وفي ش: «موكا». بالهمز، ولعله لغة.
- (7) المراد بالفويسقة: الفأرة، تصغير فاسقة.
- (8) اشتمل الصماء: رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيها جميعاً، فمن ذلك ما قيل الصماء. وللفقهاء تفسير آخر، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو. ش: «الصماد» محرف.
- (9) أي أن يضم رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما، فربما تحرك، أو زال الثوب فيقع صاحبه في الحرج. ط: «أن يجتبي الرجل منا في الثوب الواحد»، وهو على الصواب في ش، هـ.
- (10) روى هذا الحديث بروايات مختلفة في (5: 82).
- (11) الزيادة من ش، هـ.

(ما جاء في الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام، قال: أخبرني أبو قيس، قال: جلست إلى علقمة بن قيس⁽¹⁾، وربيع بن خثيم⁽²⁾ فقال ربيع: قولوا وافعلوا خيراً⁽³⁾ تُجْزَوْا خيراً. وقال علقمة: مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَلَّا يَرَى الْحَيَّةَ، إِلَّا قَتَلَهَا، إِلَّا الَّتِي مِثْلَ الْمِيلِ⁽⁴⁾؛ فَإِنَّهَا جَانٌّ⁽⁵⁾. وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ قَتْلُ حَيَّةٍ أَوْ كَافِرٍ. إسماعيل المكي⁽⁶⁾، عن أبي إسحاق، عن علقمة قال: قال عبد الله بن مسعود: من قَتَلَ حَيَّةً فَقَتَلَ كَافِرًا.

ثم سمعت عبد الرحمن بن زيد⁽⁷⁾ يقول: من قَتَلَ حَيَّةً أَوْ عَقْرَبًا قَتَلَ كَافِرًا. وهذا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ أَصْحَابُ ابْنِ حَائِظٍ⁽⁸⁾، وتأويله في الحديث الآخر⁽⁹⁾. عبد الرحمن بن عبد الله المَسْعُودِيُّ⁽¹⁰⁾ قال: سمعت القاسم بن عبد الرحمن، يقول: قال عبد الله⁽¹¹⁾: مَنْ قَتَلَ حَيَّةً أَوْ عَقْرَبًا فَكَأَنَّمَا قَتَلَ كَافِرًا. فعلى هذا المعنى يكون تأليف الحديث. سعيد بن أبي عروبة⁽¹²⁾، عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «مَا سَأَلَمْنَا هُنَّ مُدًّا حَارَبْنَاهُنَّ»⁽¹³⁾.

- (1) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي. ثقة ثبت فقيه عابد. وكان من كبار التابعين. توفي بعد الستين أو بعد السبعين. تقريب التهذيب.
- (2) هو الربيع بن خثيم، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثناة، ابن عائد بن عبد الله الثوري الكوفي. ثقة عابد من كبار التابعين، قال له ابن مسعود: «لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك». مات سنة إحدى وقليل ثلاث وستين عن تقريب التهذيب. وفي الأصل: «خثيم»، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً. وقد نبهت عليه في تذييل الجزء الأول ص 249.
- (3) ط: «فقلت افعلوا خيراً»، وتصحيحه وإكماله من ش، هـ.
- (4) الميل، بالكسر: ذاك الذي يكتحل به. والنص مضطرب في الأصل. ففي ط، ش: «إلى مثل الميل»، وفي هـ: «إلى مثل» بدون ذكر «الميل». ولعل الصواب فيه ما أثبت. ويؤيده ما ورد في نهاية ابن الأثير من الحديث: «أنه نهى عن قتل الجنان»، قال: «هي الحيات التي تكون في البيوت، واحداً جان، وهو الدقيق الخفيف».
- (5) هـ: «فإنه جاني».
- (6) في الأصل: «المكنى».
- (7) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي، ولد في حياة الرسول ﷺ، وولى إمرة مكة ليزيد بن معاوية، ومات سنة بضع وستين. ط، هـ: «عبد الرحمن بن يزيد»، ممن ولد في عهد الرسول ﷺ أيضاً. وترجم له ابن حجر في الإصابة 6230.
- (8) في الأصل: «ابن حافظ». وصوابه ما أثبت. وانظر ما سبق في ص 167.
- (9) إشارة إلى ما ذهب إليه ابن حائط وأتباعه، من أن الحيوان مكلف، كما أن الإنسان مكلف، وأن الله يرسل إليه رسلاً منه كما يرسل إلى الناس؛ فلذلك يكون من الحيوان المؤمن، والكافر، والصالح، والطالح.
- (10) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي المسعودي، مات سنة ستين أو خمس وستين بعد المائة. في الأصل: «المسعودي»، وصوابه ما أثبت.
- (11) يعني عبد الله بن مسعود.
- (12) سعيد بن أبي عروبة اليشكري - مولا هم - البصري. وكان من أثبت الناس في قتادة. مات سنة ست أو سبع وخمسين ومائة. وأبوه أبو عروبة، بفتح العين المهملة وضم الراء. واسم أبي عروبة مهران. عن تقريب التهذيب.
- (13) ش: «حاربناهن»، وهو تحريف. وسيعاد هذا الحديث قريباً.

سعيد بن أبي عروبة⁽¹⁾ عن قتادة، قالت عائشة: «مَنْ [تَرَكَ⁽²⁾] قَتَلَ حَيَّةً مَخَافَةً أَثَارَهَا⁽³⁾ فعليه لعنة الله والملائكة».

الرَّبِيعُ بن صَبِيح⁽⁴⁾ عن عطاء الخُراساني⁽⁵⁾ قال: كان فيما أُخِذَ على الحَيَّاتِ أَلَا يَظْهَرْنَ. فَمَنْ ظَهَرَ مِنْهُنَّ مِنْهُنَّ حَلَّ قَتْلُهُ. وَقَتْلُهُنَّ كَقَتْلِ الْكَفَّارِ، وَلَا يَتْرُكُ قَتْلَهُنَّ إِلَّا شَاكًّا. وهذا مما يتعلّق به أصحاب ابن حاطب.

محمّد بن عجلان قال: سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما سألناه من مدّ حاربناهن».

ابن جُرَيْج قال: أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير⁽⁶⁾ قال: أخبرني أبو الطفيل أنّه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين⁽⁷⁾، والكلب الأسود البهيم⁽⁸⁾ ذا الغرّتين⁽⁹⁾». قال: والغرة⁽¹⁰⁾: حوّة تكون بعينه.

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق: الطير على ضربين: أوابد وقواطع. ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره وإن لم يكن ذا سلاح. فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم. ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يعضها، ومنه المشترك الطباع؛ كالعصفور والدجاج والغراب، فإنها تأكل النوعين جميعاً، وكطير الماء، يأكل السمك ويلقط الحب. ومنه ما يأكل شيئاً خاصاً، مثل

- (1) ط: «سعيد بن عروبة»، صوابه ما أثبت من ش، ب. وانظر التنبيه الذي قبل السابق.
- (2) هذه الكلمة ساقطة من الأصل. ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها. أما عدم صحة المعنى فلقلوله: «مخافة أثارها»، فالخوف من الثأر يقتضي عدم قتلها. وكان أهل الجاهلية يقولون: «إن الجن تطلب الجان إذا قتل، وربما قتلت قاتله، وربما أصابته بخبل، وربما قتلت ولده». انظر تأويل مختلف الحديث 146. وأما الرواية فقد رواه ابن قتيبة على هذا الوجه: «من ترك قتل الحيات مخافة الثأر فقد كفر». وفي محاضرات الراغب: «من قتل حية فخاف أثارها فعليه لعنة الله».
- (3) ط: «إثارها»، ش، ب: «أثارها»، صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (2: 305). وهي جمع ثأر. وانظر التنبيه السابق.
- (4) الربيع بن صبيح: بفتح المهملة، السعدي البصري، صدوق سيئ الحفظ. قالوا: أول من صنف الكتب بالبصرة، كان من كبار أتباع التابعين. توفي سنة ستين ومائة.
- (5) هو عطاء بن أبي مسلم، أبو عثمان، الخراساني. واسم أبيه ميسرة أو عبد الله مات سنة خمس وثلاثين ومائة.
- (6) عبد الله بن عبيد بن عمير، بتصغير الأخيرين، من الطبقة الوسطى من التابعين، استشهد غازياً سنة 113، وفي الأصل: «عبد الله بن عمر». وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة 80 على حين توفي عبد الله بن عمر سنة 73، والتصويب مما سبق في (2: 165).
- (7) الطفيتان، بالضم: خطان أسودان على ظهر الحية.
- (8) البهيم: الذي لا شية فيه.
- (9) في الأصل: «القرنين»، وهو تحريف صوابه ما أثبت. وانظر ما أسلفت في (2: 165).
- (10) ط، ب: «والقرة» ش: «والقرة» صوابهما ما أثبت. وانظر ما كتبت في (2: 165).

جنس النحل المعسل⁽¹⁾ الذي غذاؤه شيء واحد، و جنس العنكبوت؛ فإن طعم النحل المعسل العسل⁽²⁾، والعنكبوت يعيش من صيد الذباب⁽³⁾.

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكن ومأوى؛ كالخلد⁽⁴⁾ والفأر، والنمل، والنحل، والضَّب. ومنه مالا يتخذ شيئاً يرجع إليه [كالحيات⁽⁵⁾]؛ لأن ذكورة الحيات سياره، وإنائها⁽⁶⁾ إنما تقيم في المكان إلى تمام خروج الفراخ من البيض، واستغناء الفراخ بأنفسها، ومنها ما يكون يأوى إلى شقوق الصخور والحيطان، والمدخل الضيقة، مثل سام أبرص.

قال: والحيات تألفها كما تألف العقارب الخنافس. والعظايا تألف المزابل والخرابات. والورع قريبة من الناس.

(زعم زرادشت في العظايا وسوام أبرص)

[وزعم⁽⁷⁾] زرادشت⁽⁸⁾ أن العظايا ليست من ذوات السموم، وأن سام أبرص من ذوات السموم، وأن أهرمن⁽⁹⁾ لما قعد ليقسم السموم، كان الحظ الأوفر لكل شيء سبق إلى طلبه؛ كالأفاعي، والثعابين والجرارات. وأن نصيب الورع نصيب وسط قصد، لا يكمل أن يقتل، ولكنه يزاقي الحية⁽¹⁰⁾، فتميزه⁽¹¹⁾ مما عندها. ومتى دبر⁽¹²⁾ الورع جاء منه السم القاتل، أسرع من سم البيش، ومن لعاب الأفاعي، فأما العظاية⁽¹³⁾ فإنها احتبست عن الطلب حتى نفذ

(1) المعسل: الذي يصنع العسل. وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل، يتخذ غذاءه من مختلف أنواع الأزهار. ط: «العسل»، صوابه في ش، هـ.

(2) ط، هـ: «فإن طعم النحل العسل» س: «فإن طعم النحل المعسل»، وقد جمعت بينهما.

(3) هـ: «الذباب». (4) الخلد، بالضم ويفتح: ضرب من الفأر أعمى.

(5) ليست بالأصل. والسياق يقتضيها.

(6) في الأصل: «وإنها». وأوجه ما أثبت. وعند الدميري: «والذكر لا يقيم بموضع واحد. وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب».

(7) ليست بالأصل.

(8) زرادشت: رجل ظهر في عهد كيشتناسب من ملوك الفرس الكيانيين، ودعا إلى دين المجوسية، وهو صاحب الأبستا، وشرحه: الزند بستا، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثمائة سنة، على ما في التنبيه والإشراف 85، وقد ظهر من بعده مزدك الموبذ، فتأول الأبستا، وجعل لظاهرها باطناً، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية. في ط، ش: «درادشت»، وب: «درادست»، صوابه ما أثبت.

(9) أهرمن، هو في مذهب زرادشت: رمز لقوة الشر. كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير. وكان يرى أن الاثنين يظلان في نزاع دائم، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن في نهاية الأمر. وبذل هذه الكلمة والتي قبلها في كل من ط، هـ: «لأنه» صوابه في ش.

(10) يزاقي الحية: مفاعلة، من زق الطائر فرخه: أطعمه. ش، ب: «بزاقي» صوابه في ط.

(11) ماره يميزه، وأماره يميزه: جلب الطعام إليه. ش: «فيميزه»، صوابه في هـ، ط.

(12) دبر، من باب نصر: أدركه الهرم والشيوخوخة. ومنه في الكتاب: ﴿وَأَيُّ لِيْذْ أَدَبٍ﴾ [المدثر: 33]، في بعض القراءات.

(13) العظاية، بالفتح: دوية كسام أبرص. ط: «الفضاية»، صوابه في ش، هـ.

السَّم، وأخذ كلُّ شيءٍ قِسْطَهُ، على قَدْرِ السَّبْقِ والبُكُورِ، فلما جاءت العظاية وقد فَنِيَ^(١) السَّم، دخلها من الحُسرة، ومما علاها من الكَرْبِ، حتى جعلت وجهها إلى الخرابات والمزابل. فإذا رأيت العظاية تمشي مشياً سريعاً ثم تَقِفُ، فإنَّ تلك الوقفة إنما هي لما يعرضُ لها من التذكُّرِ والحُسرة على ما فاتها من نصيبها من السَّم.

(ردّ عليه)

ولا أعلم العظاية في هذا القياس إلا أكثر شُروراً من الوزغ؛ لأنها لولا إفراط طباعها في الشُّرارة^(٢)، لم يدخلها من قوّة الهمِّ مثل الذي دخلها ولم يستَبِنَ لِلنَّاسِ^(٣) من اغتباط الوزغ بنصيبه من السَّم، بقدر ما استبان من ثُكل العظاية، وتسَلَّلها وإحضارها^(٤) وبكائها وحُزْنها، وأسَفها على ما فاتها من السَّم.

(زعم زرادشت في خلق الفأرة والسَّتور)

ويزعم زَرَادَشْت^(٥)، وهو مذهبُ المجوس^(٦)، أنَّ الفأرة مِنْ خلقِ الله، وأنَّ السَّتورَ مِنْ خَلْقِ الشَّيْطَانِ، وهو إبليس، وهو أَهْرَمَنْ^(٧). فإذا قيل له: كيف تقول ذلك والفأرة مُفْسِدةٌ، تجذب فتيلة المصباح فتحرق بذلك البيت والقبائل الكثيرة، والمدن العظام، والأرباض الواسعة، بما فيها من النَّاسِ والحيوان والأموال، وتقرضُ دفاتر العلم، وكتب الله، دقائق الحساب، والصِّكَاكُ^(٨)، والشُّروط؛ وتقرضُ الشَّيَابَ، وربما طلبت القطن لتأكل بزره فتدعُ اللِّحافَ غريبالاً، وتقرضُ الجُرْبَ^(٩)، وأوكية الأسقية والأزقاق والقرب فتخرجُ جميع ما فيها، وتقع في الأنية وفي البئر، فتموت فيه، وتُخَوِّج النَّاسَ إلى مؤنِّ عظام، وربما عضَّت رجلَ النَّائم؛ وربما قتلت الإنسان بعَضَّتْها. والفأر^(١٠) بخراسانَ ربَّما قطعَتْ أذن الرَّجُلِ. وجِرْدَانٌ أنطاكية تعجِزُ^(١١) عنها السَّنانير، وقد جلا عنها قومٌ وكرَّهها آخرون لِمَكَانِ جِرْدَانِها. وهي التي فجرت

(١) ط، هـ: «قي» بالقاف، ولا وجه له. وتصحيحه من ش.

(٢) يقال شرير شريراً وشرارة، فهو شرير - بفتح الشين وكسر الراء - وشرير، كسكيت.

(٣) في الأصل: «الناس»، وسياق القول يقتضي ما أثبت. واستبان بمعنى ظهر.

(٤) الإحضار: سرعة الجري.

(٥) في الأصل: «زرادشت»، وهو تحريف. وانظر ما سبق في ص 172 التنبيه الثامن.

(٦) ذاك الزعم مذهب المجوس؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم.

(٧) ط: «وهرمن»، وتصحيحه وإكماله من ش، هـ. وانظر التنبيه السادس من ص 172.

(٨) الصك بمعنى الوثيقة، معرب جك، وهو بالفارسية: كتاب القاضي. وقيل: الصك عربي. شفاء الغليل.

(٩) الجرب، بضمين وبضمة أيضاً: جمع جراب، بالكسر، وهو الوعاء، أو وعاء زاد المسافر.

(١٠) أراد بالفأر هنا الجماعة. ط: «للغار» صوابه في ش، هـ.

(١١) ط: «تفجر»، تصحيحه من ش، هـ.

المسئاة⁽¹⁾، حتى كان ذلك سببَ الحَسَرِ⁽²⁾ بأرض سبأ؛ وهي المضروب بها المثل. وسيل العَرَمِ مِمَّا تَوَرَّخُ بزمانه العَرَب. والعَرَم: المسئاة. وإنما كان جُرْذاً. وتقتل النَّحْلَ والفَسِيلَ⁽³⁾، وتخرَّب الضَّيْعَةَ، وتأتي على أَرَمَةِ الرِّكَابِ والخُطْمِ⁽⁴⁾، وغير ذلك من الأموال. والنَّاسُ ربما اجتلبوا السَّنَانِيرَ ليدفعوا بها بوائق الفأر⁽⁵⁾ - فكيف صار خلقُ الضَّارِّ المفسد من الله، وخلقُ النَّافع من الضَّرَرِ من خلق الشيطان؟! والسُّنُورُ يُعَدَى به على كلِّ شيءٍ خَلَقَهُ الشَّيْطَانُ⁽⁶⁾ من الحَيَّاتِ، والعقارب، والجِعلان، وبناتِ وُردان، والفأرة لا نَفَعٌ⁽⁷⁾ لها. ومُونُها عظيمة.

قال: لأنَّ السُّنُورَ لو بَالَ في البحر لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلافِ سمكة!

فَهَلْ سمعت بحُجَّةٍ قُطِّ، أو بحيلةٍ، أو بأضحوكةٍ، أو بكلامٍ ظهر على تلقيح هرة⁽⁸⁾، يبلغ مُوْنُ هذا الاعتلال؟! فالحمد لله الذي كان هذا مقدارَ عقولهم واختيارهم⁽⁹⁾. وأنشد أبو زَيْد:

والله لو كُنْتُ لهذا خالِصاً لكُنْتُ عبداً أكل الأبارصاً⁽¹⁰⁾
يعني جماعاً⁽¹¹⁾ ساماً أبرص: أبارص.

(1) المسئاة: السد الذي يعترض به الوادي لتنظيم تدفق المياه، وفجر، تقال بالتخفيف والتشديد، بمعنى جعله ينفجر ويسيل.

(2) الحسر: مصدر حسر الماء عن الأرض: نضب حتى بدا ما تحته. وجاء في معجم البلدان (برسم مأرب): «وجاء السيل بالرمْل فطمها». وطمها: من قولهم: «جاء السيل فطم الركبة»: أي دفنها وسواها. ط: «الخسر» بالخاء المعجمة. وأثبت ما في ش، هـ.

(3) الفسِيل: جمع فسيلة، وهي النخلة الصغيرة. ش: «النحل والعسيل»، صوابه في ط، هـ.

(4) الرِّكَاب، بالكسر: الإبل. والأزْمَةُ: جمع زمام. وهو مقود البعير. والخطْم: جمع خطام، وهو ما يوضع على مخطم البعير ليقاد به. وفي الأصل: «على أقرحة الرِّكَاب والخضر». وهي عبارة لا تتجه. والصواب ما أثبت.

(5) بوائق: جمع بائقة، وهي الداهية، أو الشر.

(6) هذا مجازة من الجاحظ للمجوسي الذي يعارضه.

(7) في الأصل: «لا نفع».

(8) كذا. والعبارة غير واضحة.

(9) ظن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد؛ لانعدام الرابط في الصلة، ومنهم الحريري في درة الغواص 100، وقد رد عليه الخفاجي في الشرح 209 بأن حذف الرابط في مثل هذا جائز، كما هو معروف في كتب النحو. فالتقدير هنا: الذي كان هذا منه... إلخ.

(10) يصح أن تقرأ: «أكل» قراءة الفعل، فتكون فعلاً مرفوعاً. وتجاوز أيضاً أن تقرأ «أكل» قراءة اسم الفاعل المنصوب، مع حذف التنوين كما جاء حذفه في قوله:

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلاً

بنصب لفظ الجلالة، وحذف التنوين مما قبله. انظر ابن السيد في الاقتضاب 355.

(11) الجماع، بالكسر: بمعنى الجمع.

(أثر أكل سام أبرص ونحوه)

وسام أبرص ربما قتل أكله⁽¹⁾، وليس يؤكل إلا من الجوع الشديد. وربما قتل السنابير وبنات عرس، والشاهمرك، وجميع اللقّاطات⁽²⁾. وقال آخر⁽³⁾:

كَأَنَّ الْقَوْمَ عُشُّوا لَحْمَ ضَائِنٍ فَهُمْ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ طُلَاهِمُ⁽⁴⁾

وهو شيء يعرض عن أكل دسم الضأن، وهو أيضاً يلقي علي دسمه⁽⁵⁾ الثعاس، وقد يفعل ذلك الحبق⁽⁶⁾، والخشخاش. [والخشخاش] يسمى بالفارسية «أنار كَبُو»⁽⁷⁾، وتأويله رمان الخس، وإنما اشتق له ذلك إذ كان يورث الثعاس، كما يورثه الخس.

(أكل السماني)

وأكل الطعام الذي فيه سماني يورث الدّوار. وزعموا أنّ صبيّاً من الأعراب فيما مضى من الدّهر، صادّ هامة⁽⁸⁾ على قبر، فظنها سماني، فأكلها فغثت نفسه، فقال:

نَفْسِي تَمَقَّسُ مِنْ سُمَانِي الْأَقْبَرِ⁽⁹⁾

(استطراد لغوي)

ويقال: عثت نفسه عثياناً وعثياً⁽¹⁰⁾، ولقيست تلقس لقساً، وتمقست⁽¹¹⁾ تتمقس تمقساً: إذا عثيت⁽¹²⁾.

(1) يصح قراءتها على المصدرية، أو على أنها اسم فاعل: (أكله)، و: (آكله).

(2) أي الحيوان الذي يلتقط غذاءه. ط: «اللفاهات»، صوابه ما أثبت من ش، هـ.

(3) هو ذو الرمة، كما في لسان العرب (مادة نعي).

(4) في المخصص (5: 80): «فإن أكل لحم ضأن فتقل على قلبه فهو نعي». ومثل هذا النص في فقه اللغة 139 طبعة الحلبي، ولسان العرب (نعي)، مع رواية للبيت في كل منها، وفي الأصل: «يعجون» بالباء، وهذه الرواية مع احتمال صحتها لا تصلح مع تعقيب الجاحظ للبيت بما سيأتي من الكلام. والبمعج: المتسع البطن. والطلبي، بالضم: الأعناق، جمع طلية بالضم. وإنما مالت طلاههم لما غلب عليهم من النوم. ش: «كلاههم»، وهو تحريف. وانظر (5: 479).

(5) كذا في ط، هـ. وفي ش: «رسمه»، ولعل صوابهما: «يلقى عن دسمه».

(6) الحبق، بالتحريك: ضرب من الرياحين.

(7) هذه الكلمة الفارسية، مركبة من مقطعين، أحدهما (أنار) ومعناه الرمان. ويقال فيه أيضاً (نار). ومنه (جلنار) بمعنى زهر الرمان. و(جل) بمعنى زهر والثاني (كبو) ومعناه الخس. وفيه لغات: (كيبو، كيبو، كيو، جيو). وهذه الكلمة محرفة في الأصل. فهي في ط، هـ: «أباركوا» وفي ش: «أباركو». واعتمدت في تصحيحها على معجمي بالمر وريتشاردسن.

(8) الهامة: ضرب من اليوم.

(9) الأقبر: جمع قبر. والخبر في اللسان (مقس) بصورة أخرى.

(10) ش: «عثت نفسه عثياناً وعثياً» بالعين المهملة في الكلمة الأولى والثانية، والمعجمة في الثالثة. صوابه في ط، هـ.

(11) في الأصل: «وتمقس». والوجه ما أثبت.

(12) ش: «عثيت» محرف.

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرني صباح بن خاقان، قال: كنت بالبادية، فرأيت ناساً حول نارٍ فسألت عنهم، فقالوا: قد صادوا حياتٍ فهم يشؤونها ويأكلونها؛ إذ نظرتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حيةً قد أخرجها من الجمر، فرأيتُه إذا امتنعت عليه يمدُّها كما يمدُّ عصبٌ لم ينضج. فما صرفتُ بصري عنه حتى لُبطَ به⁽¹⁾، فما لبث أن مات، فسألت عن شأنه، فقل لي: عجل عليها قبل أن تنضج وتعمل النار في مثنها.

(أكل الحوائن للحيات)

وقد كان في بغداد وفي البصرة جماعة من الحوائن، يأكل أحدهم أي حيةً أشرت إليها في جوفته، غير مشوية. وربما أخذ المرأة⁽²⁾ وسط راحته، فطعها بلسانه، ويأكل عشرين عقربانة⁽³⁾ نية⁽⁴⁾ بدرهم. وأما المشوي فإن ذلك عنده عرس⁽⁵⁾.

(شعر في الحيات)

وقال كثير:

وما زالت رُقَاكَ تَسْلُ ضِعْنِي فَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِبابِي⁽⁶⁾
وَتَرْقِينِي لِكَ الْحَاوُونَ حَتَّى أَجَابَتْ حَيَّةٌ خَلْفَ الْحِجَابِ⁽⁷⁾

وقال أبو عدنان⁽⁸⁾، وذكر ابن ثروان⁽⁹⁾ الخارجي، حين [كان] صار إلى ظُهر البصرة، وخرج إليه من خرج من بني نُمير:

حَسِبْتُ نُمِيرًا يَا ابْنَ ثُرَوَانَ كَالْأُلَى لَقِيتَهُمْ بِالْأُمْسِ: ذُهْلًا وَيَشْكُرًا⁽¹⁰⁾
كَمَا ظَنَّ صَيَّادُ الْعَصَافِيرِ أَنَّ فِي جَمِيعِ الْكُوَى، جَهْلًا، فِرَاخًا وَأَطِيرًا⁽¹¹⁾

(1) لبط به: صرع. وفي الأصل: «لبط به»، بالياء، وهو تحريف.

(2) أي مرارة الحية، أو لعلها «الجرارة» هـ: «النواء» محرفة.

(3) كذا في الأصل. ولعلها: «عقرباً».

(4) النية بالكسر والهمز: اللحم الذي لم ينضج. وفي اللسان: «وقد يترك الهمز ويقلب ياء، فيقال: ني، مشدداً».

فما هو هنا صواب. وانظر (5: 241).

(5) العرس، بالضم وبضميتين: طعام الوليمة.

(6) ش: «وتخرج». وفي الأصل: «من مكانها»، محرف. وانظر ما سبق في ص 144.

(7) انظر ما أسلفت من الكلام على هذين البيتين في ص 144.

(8) سبقت ترجمته في (1: 141). هـ: «أو عجنان»، محرف.

(9) في الأصل: «أبا ثروان». وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتي.

(10) ط، هـ: «حسبت غيراً»، صوابه في ش. وذهل ويشكر: قبيلتان.

(11) الكوى، بالضم: جمع كوة بالضم، وهو الخرق في الحائط.

فَأَدْخَلَ يَوْمًا كَفَّهُ جُحْرَ أُسُودٍ فَشَرَّشَرَهُ بِالنَّهْشِ حَتَّى تَشَرُّشَرًا⁽¹⁾
أَرَادَ قَوْلَ رُؤْيَةٍ:

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جُحْرٍ يَدًا فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا قَى الْأُسُودَا
لَوْ مَسَّ حَرْفِي حَجَرٍ تَقْصَدًا⁽²⁾ بِالشَّمِّ لَا بِالسَّمِّ مِنْهُ قَصْدًا⁽³⁾
فَقَدَّمَ الْأُسُودَ عَلَى الْأَفْعَى. وَهَذَا لَا يَقُولُهُ مَنْ يَعْرِفُ مِقْدَارَ⁽⁴⁾ سَمِّ الْحَيَاتِ
وَقَالَ عَنْتَرَةُ:

حَلَفْنَا لَهُمْ وَالْخَيْلُ تَرْدِي بِنَا مَعًا نَزَايِلُكُمْ حَتَّى تَهْرُؤَ الْعَوَالِيَا⁽⁵⁾
عَوَالِي سُمُرٍ مِنْ رِمَاحٍ رُدِينَةٍ هَرِيرِ الْكَلَابِ يَتَّقِينَ الْأَفَاعِيَا⁽⁶⁾
(حديث في الحية)

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ». شَبَّهَ الْخَيْطَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ بِخَوْصِ الْمُثَلِّ⁽⁷⁾
وَأَنْشَدَتْ لِأَبِي دُوَيْبٍ:

عَفَّتْ غَيْرُ نَوْيِ الدَّارِ لِأَيَّا أَبِيْنُهُ وَأَقْطَاعِ طُفْيٍ قَدْ عَفَّتْ فِي الْمَعَاقِلِ⁽⁸⁾

- (1) شَرَّشَرَهُ: قَطَعَهُ تَقْطِيعًا.
 - (2) يُقَالُ قَصَدَهُ فَتَقْصِدُ: أَيِ كَسَرَهُ فَتَكْسِرُ. وَفِي الْأَصْلِ: «تَقْصِدُ»، وَتَقْصِدُ بِمَعْنَى سَالَ لَا وَجْهَ لَهُ هُنَا.
 - (3) كَذَا فِي ط، هَذَا يَكُونُ الْمُرَادُ بِهَذِهِ قَصْدُ الْحَجَرِ - بِالْقَافِ - بِمَعْنَى كَسَرِهِ وَفِي ش: «أَقْصَدًا»، مِنْ أَقْصَدْتَهُ الْحَيَّةَ: بِمَعْنَى قَتَلْتَهُ مَكَانَهُ.
 - (4) ش: «أَقْدَارُ». وَانْظُرْ نَقْدَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الصَّنَاعَتَيْنِ 88 وَالْوَسَاطَةَ 17 وَالشُّعْرَاءَ 579.
 - (5) رَدَّتِ الْخَيْلُ تَرْدِي: رَجَمَتْ الْأَرْضَ بِحَوَافِرِهَا. نَزَايِلُكُمْ، أَيِ لَا نَزَايِلُكُمْ. فَحَذَفَ النَّافِي. وَهُوَ جَائِزٌ مَعَ الْقِسْمِ. وَفِي الْكِتَابِ: ﴿تَأَلَّهْ تَقْتَرُوا تَذَكَّرْ يُوسُفُ﴾ [يُوسُفُ: 85]، أَيِ لَا تَقْتَرُوا. وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:
- فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحَ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْيِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
وَانْظُرْ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْمُخَصَّصَ (13: 115) وَأَمَّا الْمَرْتَضَى (3: 137) وَالْأَضْدَادُ 148 وَالصَّنَاعَتَيْنِ 176، وَيُقَالُ:
هَرَّتْ إِلَيْهِ الْكَلَابُ وَهَرَّتْ: أَيِ نَبَحَتْ. انْظُرْ أَسَاسَ الْبَلَاغَةِ. وَالْعَوَالِيَا، رِءُوسُ الرِّمَاحِ. وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ
يَنْبَحُونَهَا، وَلَكِنَّهُ يَرِيدُ إِظْهَارَهُمْ بَغْضَاهَا وَالْخَوْفَ مِنْهَا. وَالْكَلْبُ إِذَا خَافَ شَيْئًا نَبَحَهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَنْبَحُ السَّحَابَ
مِمَّا يَلْقَى مِنْهُ مِنْ أَذَى الْمَطَرِ. انْظُرْ (2: 43 - 44).
- (6) سُمُرٍ: أَيِ رِمَاحِ سُمُرٍ. وَرَوَى فِي الدِّيَوَانِ وَالْكَامِلِ 175 لَيْبَسُكُ: «عَوَالِيَا زَرْقًا» فَتَكُونُ زَرْقًا صَفَةً لِلْعَوَالِيَا، أَيِ
أُسْنَةِ زَرْقًا. وَالسَّنَانُ الْأَزْرَقُ هُوَ الشَّدِيدُ الصَّفَاءُ، فَكَأَنَّهُ مَرَّةً يَنْطَبِعُ فِيهَا لَوْنُ السَّمَاءِ. وَالْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةِ لَعْنَتَرَةَ
يَقُولُهَا فِي يَوْمِ (الْفُرُوقِ)، وَهُوَ يَوْمُ كَانَ لَبْنِي عَبَسَ عَلَى بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ، وَمَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ:
- أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الطُّلُولَ الْبَوَالِيَا وَقَاتِلَ ذَكَرَاكَ السَّنِينَ الْخَوَالِيَا
(7) انْظُرْ مَا أَسْلَفْتُ فِي ص 171.
- (8) النَّوْيُ: حَفِيرٌ حَوْلَ الْخَبَاءِ أَوْ الْخِيْمَةِ يَمْنَعُ السَّيْلَ، وَالْأَقْطَاعُ: جَمْعُ قَطْعٍ، بِالْكَسْرِ بِمَعْنَى الْمَقْطُوعِ. وَالْمَعَاقِلُ:
جَمْعُ مَعْقِلٍ، كَمَجْلِسٍ، وَهُوَ الْمَكَانُ تَعْقِلُ فِيهِ الْإِبِلُ أَيِ تَشَدُّ، وَفِي الْأَصْلِ: «الْمَعَالِفُ»، وَهُوَ خَطَأٌ؛ إِذْ أَنَّ الْبَيْتَ
مِنْ قَصِيدَةِ لَامِيَّةٍ، مَطْلَعُهَا:

لَمَنْ طَلَلْ بِالْمَنْتَضِي غَيْرَ حَائِلٍ عَفَا بَعْدَ عَهْدٍ مِنْ قَطَارٍ وَوَابِلٍ
انْظُرِ اللِّسَانَ (طَفِي) وَمَعْجَمَ الْبُلْدَانِ (الْمَنْتَضِي). وَيُرْوَى أَيْضًا: «فِي الْمَنَاقِلِ»، وَ: «فِي الْمَنَازِلِ» كَمَا فِي اللِّسَانِ.

والطُّفْيُ^(١): خوص المقل. وهم يَصِفُونَ بَطْنَ المرأةِ الهيفاءِ الخميصةِ البطن، بطن الحية. وهي^(٢) الأيم. وقال العجاج:

وَبَطْنِ أَيْمٍ وَقَوَاماً عُسْلَجاً^(٣)

(مناقضة شعرية)

وقال أدهم بن أبي الزعرار^(٤)، وشبه نفسه بحية:

وما أسودُّ بالبأس ترتاحُ نفسه	إذا حَلَبَةٌ جاءتْ ويُطْرَقُ للحسِّ
به نُقْطُ حَمَرٍ وَسُودٌ كَأَنَّمَا	تَنْضَحُ نَضْحاً بالكَحِيلِ وبالوَرَسِ ^(٥)
أَصُمُّ قَطَارِيٌّ يَكُونُ خَرُوجُهُ	قُبَيْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ مُخْتَلِطَ الدَّمَسِ ^(٦)
له منزلٌ، أنفُ ابنِ قِثْرَةٍ يَغْتَذِي	به السَّم، لم يظهر نهاراً إلى الشَّمْسِ ^(٧)
يَقِيلُ إِذَا مَا قَالَ بَيْنَ شَوَاهِقِ	تَزَلُّ الْعُقَابُ عَنْ نَفَانِفِهَا الْمَلَسِ ^(٨)
بَأَجْرٍ مَنِيَّ يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ مُقَدِّمًا ^(٩)	إِذَا الْحَرْبُ دَبَّتْ أَوْ لَبِسَتْ لَهَا لِبْسِي ^(١٠)

(١) جمع طفية بالضم، وتجمع أيضاً على طفى بضم ففتح. قال (انظر اللسان):

وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذل الطفني من رقية الراقي

أي ذوات الطفنى، بمعنى الحيات.

(٢) ش: «وهو»، والحية تذكر وتؤنث.

(٣) قوام عسلج، بضم العين واللام، أي ناعم يشني ويميل.

(٤) أدهم بن أبي الزعرار الطائي، شاعر محسن، له أشعار جياذ في أوصاف الحيات، كما ذكر ذلك الآمدي في المؤلف والمختلف 31، وهو من شعراء الحماسة. وهو كذلك شاعر إسلامي له شعر في وقعة المنتهب، التي كانت في أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. انظر شرح التبريزي (2: 82). وفي ط: «أدهم بن أبي الزعري»، وش: «أدهم بن أبي الزعري». و هـ: «ابن أبي الزعري»، والصواب في ذلك ما أثبت.

(٥) الكحيل، بهيئة التصغير: القطران يطلى به الإبل، وهو أسود اللون، والورس، بالفتح: نبت يصبغ به، فيعطي صفرة إلى حمرة.

(٦) قطاري، بالضم: يقطر سمه من كثرته، أو ضخم. مختلط الدمس: أي عند اختلاط الظلام. وروى هذا البيت في اللسان (فطر 418) منسوباً إلى تأبط شرأ برواية:

بعيد غروب الشمس مختلف الرسم

(٧) ابن قتر، بكسر القاف وإسكان التاء: حية خبيثة إلى الصغر، تنطوي ثم تنقر ذراعاً أو نحوها، لا تجري. ط، هـ: «ابن قتر»، ش: «ابن قتر» صوابهما ما أثبت. يقول: إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود فتغذي بأنفها السم. و: «به» بمعنى منه، وفي الكتاب: «عيناً يشرب بها عباد الله»، أي يشرب منها.

(٨) قال: أمضي وقت القائلة، أي الظهر، والشواهي: الجبال العالية. والنفانف جمع نفنف، بفتح النونين، وهو صقع الجبل الذي كأنه جدار مبنى مستو.

(٩) مقدماً، بضم الميم وفتح الدال، أي إقداماً. ويصح أن يقرأ «مقدماً» بضم الميم وكسر الدال، نصب على الحال.

(١٠) اللبس، بالكسر: ما يلبس، والمراد لباس الحرب: من الدرع والبيضة ونحوهما. ط، هـ: «لبس» صوابه في ش.

فأجابه عَنَتْرَةَ الطائي (1) فقال:

عَسَاكَ تَمْنَى مِنْ أَرَاقِمِ أَرْضِنَا بِأَرْقَمِ يُسْقَى السَّمِّ مِنْ كُلِّ مَنْطِفٍ (2)
(شعر في الأسود)

وقال عنترة:

أَتَرْجُو حَيَاةً يَا ابْنَ بَشَرٍ بِنِ مَسْهَرٍ وَقَدْ عَلَقْتُ رَجْلَاكَ فِي نَابِ أَسْوَدَا
أَصَمَّ جِبَالِي (3) إِذَا عَضَّ عَضَّةً تَزَايَلُ عَنْهُ جِلْدُهُ فَتَبَدَّدَا (4)
بِسَلْعٍ صَفَا لَمْ يَبْدُ لِلشَّمْسِ قَبْلَهَا إِذَا مَا رَأَاهُ صَاحِبُ الْيَمِّ أُرْعَدَا (5)
لَهُ رِبْقَةٌ فِي عُنُقِهِ مِنْ قَمِيصِهِ وَسَائِرُهُ عَنْ مَثْنِهِ قَدْ تَقَدَّدَا (6)
رُقُودِ ضَحِيَّاتٍ، كَأَنَّ لِسَانَهُ إِذَا سَمِعَ الْأَجْرَاسَ مِكْحَالَ أُرْمَدَا (7)
يُفِيْتُ النُّفُوسَ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الرُّقَى وَإِنْ أَبْرَقَ الْحَاوِي عَلَيْهِ وَأُرْعَدَا (8)

(1) هو عنترة بن عكبرة الطائي، وعكبرة أم أمه، وهو عنترة بن الأخرس بن ثعلبة. وساق نسبه الآمدي في المؤلف 152 قال: شاعر محسن وفارس». والبيت الآتي من أبيات خمسة في الحماسة (2: 381). وفي الأصل: «عنترة الصابي» وتصحيحه من المؤلف وشرح التبريزي للحماسة (1: 118).

(2) تمنى، أراد يقدر لك، منى الله له الشيء: قدره. ولم أر تضعيف هذه النون إلا في هذه الرواية. ورواية الحماسة، وكذا محاضرات الراغب (2: 305). «لعلك تمنى». والمنطف: الموضع ينطف منه السم، أي يقطر. وروى: «أنطف» على وزن أفعّل، قال التبريزي (4: 151). و«أفعل يوضع موضع فعل وفاعل». ونطف يقال من باب نصر وضرب.

(3) كذا. ويقال للحية: ابنة الجبل. ورواية اللسان (مادة قطر): «قطاري» بمعنى ضخم.

(4) رواية اللسان: «تزيل أعلَى جلده فتربدا».

(5) السّلع، بالفتح والكسر: الشق. واليم: البحر. وفي اللسان (سّلع): «راكب» بدل «صاحب». وأرعد، بالبناء للمجهول: أصابته الرعدة.

(6) الربقة، بالكسر: الحبل. وقميصه: جلده المنسلخ. والمتن: الظهر.

(7) يقول: هو ينام في الضحى، وذاك من شأن الحيات، وإنما تستيقظ في الظلام. والأجراس: جمع جرس، بالفتح: وهو الصوت. وتقرأ أيضاً: «الإجراس» بالكسر، وهو التصويت. ومكحال الأرمد: ما يكتحل به. وجعل لسانه كالمكحال في دفته، وفي سواده أيضاً. ومكحال الأرمد أشد سواداً من غيره؛ لكثرة ما يستعمل. ومن طريف ما جاء في وصف لسان الحية بالسواد، قول الآخر:

كَأَنَّمَا لِسَانُهُ عَلَى فِيهِ دَخَانَ مَصْبَاحٍ ذَكَتْ ذَوَاكِيهِ

قال أبو العباس ثعلب: «يقال إنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت». انظر ديوان المعاني (2: 146). وقد سبق الكلام على لسان الحية في 91.

(8) يفيت النفوس: يميتهها موت الفجأة. و«يقع الرقى» كذا في الأصل. ولعلها: «يسمع الرقى». وأبرق وأرعد: تهدد وأوعد، بما يتلو من العزائم.

(شعر في الحية)

وقال آخر :

لَا يَنْبُتُ الْعُشْبُ فِي وَادٍ تَكُونُ بِهِ ⁽¹⁾ وَلَا يَجَاوِرُهَا وَحْشٌ وَلَا شَجَرٌ
رَبْدَاءُ شَابِكَةِ الْأَنْيَابِ ذَابِلَةٌ
لَوْ سَرَّحْتَ بِالْنَدَى مَا مَسَّهَا بَلَلٌ
يَنْبُو، مِنَ الْيُسِّ، عَنْ يَافُوخِهَا الْحَجَرُ ⁽²⁾
قَدْ حَاوَرُوهَا فَمَا قَامَ الرُّقَاةَ لَهَا
وَلَوْ تَكَنَّفَهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَّرُوا ⁽³⁾
تَقْصِدُ الْوَرَلَ الْعَادِي بِضَرْبَتِهَا
وَخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفَرُوا ⁽⁴⁾
نَكَزًا، وَيَهْرُبُ عَنْهَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ ⁽⁵⁾

(جملة القول في الظليم)

فمما فيه من الأعاجيب أنه يغتذي الصَّخَر، وبيتلع الحِجَارَةَ، ويعتمد إلى المَرُوءِ،
[والمَرُوءُ] من الحجارة التي توصف بالملاسة؛ وبيتلع الحصى، والحصى أصلب من الصَّخَر،
ثم يُمِيعه ويُذِيبه في قانصته ⁽⁶⁾، حتَّى يجعله كالماء الجاري. ويقصد إليه وهو واثق باستمرائه
وهضمه، وأنه له غذاء وقوام.

وفي ذلك أعجوبتان: إحداهما التَّغْذِي بما لا يُتَغَذَّى ⁽⁷⁾ به. والأخرى: استمراؤه
وهضمه للشيء الذي لو أُلْقِيَ في شيء ثم طبخ أبداً ما انحَلَّ ولا لَانَ. والحجارة هو المثل
المضروب في الشدة. قال الشاعر:

حتى يلين لِضَرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرِ

وقال آخر ⁽⁸⁾:

- (1) تكون به: أي تكون تلك الحية به. وليس يعني أنها تمنع العشب من أن ينبت، ولكنه يريد أنها تختار موضعها في القفر.
- (2) ربداء: من الربدية، وهي الغبرة. شابكة: مشبكة. ش، هـ: «شائكة» وانظر ما سبق في ص 163 س 5، وذابلة: دقيقة. ويعرض للحية الدقة عند الكبر فيكون ذلك أشد لسمها. ينبو: يرتد. ش: «يا فوخة»، صوابه في ط، هـ. واليافوخ: ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره.
- (3) يقولك ينزل عنها الندى لملاستها، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من جحرها ما أمكنهم ذلك. والحيات الخبيثة لا تستجيب لدعوة الراقي.
- (4) خاتلوها: خادعوها. ش، هـ: «فما نالوا»، صوابه في ط.
- (5) الورل: حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الخصر لا عقد في ذنبه كعقد ذنب الضب، وهو أطول من الضب وأقصر من التمساح: Varanus، والعادي: الذي يعدو، أي يجري. تقصده: تقطعه وتفصله تفصيلاً.
- انظر اللسان (قصد) وما سبق في ص 177، ط، هـ: «تقصر، ش: «تذكر»، والوجه ما أثبت. والنكز: طعن الحية الحيوان بأنفها.

(6) في الأصل: «من قانصته».

(7) بدله في ش: «بما لا يغذو».

(8) هو تميم بن أبي مقبل، كما في ديوانه 273 وشرح شواهد المغني 227.

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَرَ⁽¹⁾ تَنْبُو الحوادث عنه وهو ملموم⁽²⁾
 ووصف الله قلوب قوم⁽³⁾ بالشدة والقسوة، فقال: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾
 [البقرة: 74]، وقال في التشديد: ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾⁽⁴⁾ [التحریم: 6] لأنه حين حذر النَّاسَ
 أعلمهم أنه يُلقِي العَصَا في نارٍ تَأْكُلُ الحِجَارَةَ. ومن الحجارة ما يَتَّخِذُ الصَّفَارُونَ⁽⁵⁾ عِلَاةً⁽⁶⁾
 دُونَ الحديد؛ لأنه أَصْبَرُ على دَقِّ عِظَامِ المطَارِقِ والفِطِيسَاتِ⁽⁷⁾. فجوفُ النِّعَامَةِ يُذِيبُ هذا
 الجوهر الذي هذه صفته.

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرُّمَّة:

أذاك أم خاضبٍ بالسِّيِّ مرتعُهُ أبو ثلاثين أمس وهو منقلب⁽⁷⁾
 شخت الجزيرة مثل البيت سائرُهُ من المُسَوِّحِ خَدَبٌ شوقب حشِبُ⁽⁸⁾

(1) الحجر الملموم: هو المجتمع الشديد.

(2) هم بنو إسرائيل. انظر الآية الرابعة والسبعين من سورة البقرة.

(3) وقع تحريف في هذه الآية في النسخ الثلاث. ففي ط: «النار» وفي ش، هـ: «نار». وهذه الآية هي السادسة من سورة التحريم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، وفي سورة البقرة الآية 24 أيضاً: ﴿إِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

(4) الصفارون: جمع صفار، وهو من يعمل الصفرة، وهو بالضم: النحاس الجيد أو الأصفر. ط، هـ: «الصائغون»، والوجه ما أثبت من ش؛ إذ أن السياق يأبى ما في ط، هـ.

(5) العلاة، بالفتح: السندان، هو بالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه.

(6) جمع فطيس، كسكيت، وهي المطرقة العظيمة. ط: «الغطيسات»، ش: «العظيسات»، صوابهما ما أثبت من هـ.
 (7) أذاك: يقول أذاك الثور يشبه ناقتي أم خاضب صفته كذا وكذا. والخاضب: الظليم، أي ذكر النعام، الذي احمرت ساقاه. والسي بكسر السين بعدها ياء مشددة: ما استوى من الأرض. وجاء في الأصل بالهمزة، صوابه في اللسان (سي) والمخصص (52: 8)، وأمالى القالي (3: 164)، وديوان ذي الرمة ص 28 كمبردج. أبو ثلاثين: أي أبو ثلاثين فرخاً. والنعام يبيض نحو العشر فما فوقها، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبناً فعرف ما يصلح البيض وما يفسده؛ فهو حينما ينتهي من الرعي يهرع إلى أدحيته. وقال: أمسى، ليعبر عن جده في اللحاق قبل الليل، ولأنه يكون في ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته. منقلب: منصرف. ط، هـ: «وذاك»، صوابهما في ش والمخصص والأمالى والديوان. ط: «مرتعة» صوابه في جميع المصادر. ط، هـ: «فهو منقلب»، وهي رواية المخصص أيضاً.

(8) شخت الجزيرة: أي دقيق القوائم. والجزارة، بالضم: أجر الجزيرة، كالعمالة أجر العامل. وكانوا يأخذون القوائم في أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة. مثل البيت، هو البيت من بيوت العرب من المسوح. قال المبرد: «يعني إذا مد جناحيه. وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة:

صعل كأن جناحيه وجوجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم

والمسوح: جمع مسح، بالكسر، وهو الكساء من الشعر. والخدب: الضخم. والشوقب: الطويل. خشب: غليظ خشن. ط: «خدب» صوابه في ش، هـ والديوان والكامل 449 ليسك.

كَأَنَّ رَجُلِيهِ مِسْمًا كَانَ مِنْ عَشْرِ صَقْبَانِ لَمْ يَتَقَشَّرْ عَنْهُمَا النَّجَبُ⁽¹⁾
 أَلِهَاهُ آءٌ وَتَنُومٌ، وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَائِحِ الْمَرُوءِ، وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبُ⁽²⁾
 وقال أبو النجيم:

وَالْمَرُوءُ يُلْقِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ⁽³⁾ فِي سَرْطَمٍ مَادَ عَلَى التَّوَائِهِ⁽⁴⁾
 يَمُورُ فِي الْحَلْقِ عَلَى عِلْبَائِهِ⁽⁵⁾ تَمْعُجُ الْحَيَّةُ فِي غِشَائِهِ⁽⁶⁾
 هَادٍ وَلَوْ حَارَ بِحَوَصْلَائِهِ⁽⁷⁾

(إذابة جوف الظليم للحجارة)

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ جَوْفَ الظِّلِيمِ إِنَّمَا يُذِيبُ⁽⁸⁾ الْحِجَارَةَ بَقَيْظِ الْحَرَارَةِ فَقَدْ أَخْطَأَ. وَلَكِنْ لَا بَدَّ
 مِنْ مَقْدَارٍ لِلْحَرَارَةِ [و⁽⁹⁾] نَحْوِ غَرَائِزٍ أُخْرَى، وَخَاصِّاتٍ أُخْرَى. أَلَا تَرَى أَنَّ الْقُدُورَ الَّتِي يُوقَدُ
 تَحْتَهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، لَا تَذُوبُ.

- (1) المسمك: عود يكون في الخباء. والعشر: ضرب من كبار الشجر، له صمغ حلو. صقبان: طويلا. والنجب: لحاء الشجر، أي قشره. جعل رجله كالمسماكين الطويلين الخشنيين. وفي الأصل: «كأن عينيه»، وهو من عجيب التحريف. وصوابه ما كتبت من الديوان. ط: «لم يتشر» صوابه في ش، هـ والديوان.
- (2) الآء: شجر له ثمر يأكله النعام. والتنوم: شجر له حمل صغار مثل حب الخروع، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق. عقبت الماشية في المرعى: رعت الخلعة عقبة ثم تحولت إلى الحمض عقبة أخرى، أو العكس. أي هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرو. والمرو: الحجارة البيض. واللائح: اللامع.
- (3) المرو فسر قريبا. في الأصل: «والمروء»، تصحيحه من عيون الأخبار (2: 86). والأمعاء: جمع معي بالتحريك، وبكسر الأول وفتح الثاني. في الأصل: «معائه»، تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (2: 298).
- (4) السرطم، كجعفر: البلعوم. في الأصل: «سرطه» صوابه من عيون الأخبار. ماد البلعوم: مال واضطرب. في الأصل: «مار» ويصح بها المعنى، لكن يسترك بها الرجز لما سيأتي في البيت بعده. وفي عيون الأخبار: «هاد» والوجه ما أثبت. على التواتر: أي بسبب التواء بلعوم هذا الظليم.
- (5) يَمُور: أي يضطرب ويتردد، والضمير للمرو. ط، ش: «تمر» هـ: «يمر» صوابهما من المخصص (16: 63)، وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت بما بعده. والعلباء، بالكسر: عصب العنق. في الأصل: «عليائه» بالياء، والوجه ما أثبت موافقا لما في المخصص.
- (6) التمتع: التلوي. ورواية المخصص (16: 28، 63): «تعمج» بتقديم العين، وهما بمعنى واحد. وغشاء الحية: غلافه. والمراد جلده الذي يسليخه. والحية يذكر ويؤنث، جعل حركة المرو يتردد في حلق الظليم كحركة الحية حين تضطرب في جلدها قبل تمام انسلاخه. في الأصل: «عشائه» صوابه من المخصص.
- (7) يقول: ذلك المر، ولو حار قليلا في وصوله إلى حوصلة الظليم، فهو هاد بها في آخر الأمر، أي مهتد. ط، هـ: «جاد» محرفة. ش: «حاد» والأوفق ما أثبت من المخصص (8: 122)، و«بحوصلائه»: أي هو مهتد بحوصلائه، كأنها علم له. ورواية المخصص والفصول 462: «لحوصلائه».
- (8) ط، هـ: «تذيب»، صوابهما في ش.
- (9) ليست بالأصل. والكلام في حاجة إليها.

(القول في الخاصيات والمقابلات والغرائز)

وسأدُلُّك على أنَّ القولَ في الخاصِّياتِ والمقابلاتِ والغرائزِ حقٌّ. ألا ترى أنَّ جوفَ الكلبِ والذئبِ يذيانُ العظامَ ولا يذيانُ نوى التمرِ، ونوى التمرِ أرخى وألين وأضعفُ من العظامِ المضمَّمةِ، وما أكثرَ ما يهضمُ العظمُ. وقد يهضمُ العظمُ جوفُ الأسدِ وجوفُ الحَيَّةِ، إذا ازدردتِ بضعُ اللحمِ (1) بالشَّرهِ والنَّهَمِ، وفيه بعضُ العظامِ. والبراذين التي يُجِلُّ (2) أجوافُها القَتَّ والثَّبنَ (3) رَوْنًا، لا تستمرِّي الشعيرِ. والإبلُ تقبضُ بأسنانها على أغصانٍ أمَّ غيلانٍ، وله شوكٌ كصياصي البقرِ (4)، والقضبانُ علكةُ (5) يابسةٌ جرد، وصلابٌ متينةٌ، فتستمرُّها (6) وتجعلُها ثَلَطًا (7) ولا تقوى على هضمِ الشَّعيرِ المنقَعِ. وليس ذلك إلاَّ بالخصائصِ والمقابلاتِ. وقد قدَّرَ كلُّ شيءٍ شيءًا. ولولا ذلك لما نفذ خرطومُ البعوضةِ والجِرْجسةِ في جلدِ الفيلِ والجاموسِ، ولما رأيتِ الجاموسَ يهرُبُ إلى الانغماسِ في الماءِ مرَّةً ومرَّةً يتلَطَّحُ بالطَّينِ، ومرَّةً يجعله أهله ربيثَ الدكانِ (8). ولو دفعوا إليك مِسْلَةً شديدةً المثنِ، لما أدخلتها في جلدِ الجاموسِ إلاَّ بعدَ التكلُّفِ، وإلاَّ يَبْغُضُ الاعتمادَ.

والذي سَخَّرَ جلدَ الجاموسِ حتَّى أنْفَرَى وانصدعَ لطعنةِ البعوضةِ، وسَخَّرَ (9) جلدَ الحمارِ لطعنةِ الذُّبابِ، وسَخَّرَ الحجارةَ لجوفِ الظليمِ، والعظمَ لجوفِ الكلبِ - هو الذي سَخَّرَ الصَّخْرَ الصُّلبَ لأذنانِ الجرادِ، إذا أرادَتْ أن تُلقِيَ بيضها؛ فإنَّها في تلكِ الحالِ متى عقدَتْ ذنبها في ضاحي صخرةٍ (10) انصدعتْ لها. ولو كان انصداعُها من جهةِ الأسرِّ (11)، ومن قوَّةِ الآلةِ (12)، ومن الصَّدَمِ (13) وقوَّةِ الغمزِ، لانصدعتْ لما هُوَ في الحسِّ أشدُّ وأقوى. ولكنَّه على جهةِ التَّسخيرِ، والمقابلاتِ، والخصائصِ. وكذلك (14) عودُ الحُلَفاءِ، مع دقَّتِهِ ورخاوتِهِ ولينِ انعطافِهِ، إذا نَبَتَ في عُمقِ الأرضِ، وتلقَّاهُ الآجُرُّ والخَزَفُ الغليظُ، ثَقَبَ ذلك، عند نباتِهِ وشبابِهِ؛ وهو في ذلك عبقرٌ نُضير. وزعم لي ناسٌ من أهلِ الأَرْدُنِّ، أنهم وجدوا الحُلَفاءَ قد خَرَقَ جوفَ القارِ (15). وزعم لي أبو عتَّابِ الجَرَّارِ (16)، أنَّه سمعَ الأَكْرَةَ يُخْبِرُونَ أنهم وجدوه قد خَرَقَ فِلْسًا (17) بَصْرِيًّا. وليس ذلك لشِدَّةِ الغمزِ وحِدَّةِ الرأسِ، ولكنه يكون على قدرِ ملاقةِ الطباعِ.

(1) البضعة، بالفتح وقد تكسر: القطعة من اللحم، جمعها بضع بالفتح، وكعنب، وصحاف، وتمرات.

(2) في الأصل: «يحل».

(3) القَت: يابس الفصفصة، والفصفصة ما يعرف في مصر بالبرسيم. في الأصل: «ألقَت» صوابه ما أثبت.

(4) صياصي البقر: قرونها، مفردا صيصية.

(5) علكة: شديدة.

(6) في الأصل: «تستمرُّها».

(7) الثلط، بالفتح: «الروث. ش، هـ: «ثلكاً» صوابه في ط.

(8) الربيث: المحبوس، وفي الأصل: «على ربيث» وهذا التصحيح للأب أنستاس.

(9) ط: «وسخر» صوابه في ش، هـ.

(10) ضاحي الصخرة: ظاهرها. ش، هـ: «صاحي» صوابه في ط.

(11) الأسر، بالفتح: القوة.

(12) ش: «الأيد».

(13) ط، هـ: «الصدع» صوابه في ش.

(14) ش: «ولذلك».

(15) القار: الزفت. ط: «الفار» ش: «يعار» كذا. صوابهما في هـ.

(16) ط: «الجرار» وأثبت ما في ش، هـ. وانظر ما سبق في (3: 18).

(17) الفلّس: جزء من أجزاء الدرهم. وقد تحدث عنه المحقق الكبير الأب أنستاس ماري في حواشي النقود العربية 67

- 68، ط: «وقد قلع فلساً بصرياً».

ويزعمون أَنَّ الصَّاعِقَةَ تَسْقُطُ فِي حَانُوتِ الصَّيْقَلِ ⁽¹⁾ فَتُذِيبُ السُّيُوفَ بِطَبْعِهَا ⁽²⁾ ، وتَدْعُ الْأَغْمَادَ عَلَى شَبِيهِ بِحَالِهَا . وَتَسْقُطُ عَلَى الرَّجُلِ وَمَعَهُ الدَّرَاهِمُ فَتَسْبِكُ الدَّرَاهِمَ ، وَلَا يَصِيبُ الرَّجُلَ أَكْثَرُ مِنَ الْمَوْتِ . وَالْبَحْرِيُّونَ عِنْدَنَا بِالْبَصْرَةِ وَالْأُبُلَّةِ الَّتِي تَكُونُ عَلَيْهَا الصَّوَاعِقُ ⁽³⁾ ، لَا يَدْعُونَ فِي صَحُونٍ ⁽⁴⁾ دَوْرَهُمْ وَأَعَالِي سَطُوحِهِمْ ، شَيْئاً مِنَ الصُّفْرِ إِلَّا رَفَعُوهُ ؛ لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ تَنْقُضُ مِنْ أَصْلٍ مَخَارِجَهَا ، عَلَى مَقْدَارٍ مِنْ مُحَاذَاةِ الْأَرْضِ ، وَمُقَابِلَةِ الْمَكَانِ ، فَإِذَا كَانَ ⁽⁵⁾ الصُّفْرُ لَهَا ضَاحِياً ، عَدَلَتْ إِلَيْهِ عَنْ سَنَنِهَا ⁽⁶⁾ . وَمَا أَنْكَرَ مَا قَالُوا . وَقَدْ رَأَيْتَهُمْ يَسْتَعْلَمُونَ ذَلِكَ .

وَقَدْ يَسْقُطُ النَّوَى ⁽⁷⁾ فِي تُرَابِ الْمَتَوَضِّأِ ، فَإِذَا صُهِرَجَ نَبَتَ ⁽⁸⁾ فَإِذَا انْتَهَى إِلَى الصَّارُوجِ أَمْسَكَ . وَإِنْ كَانَ الصَّارُوجُ رَقِيقاً فَإِنْ قُبِّرَ ، وَجُعِلَ غُلْظُهُ بِقَدْرِ طُولِ الْإِبْهَامِ ، نَبَتَ ذَلِكَ النَّوَى حَتَّى يَخْرِقَ ذَلِكَ الْقَارَ ⁽⁹⁾ . وَلَوْ رَامَ رَجُلٌ خَرْقَهُ بِمَسْمَارٍ أَوْ سِكَّةٍ ⁽¹⁰⁾ ، لَمَا بَلَغَ إِرَادَتَهُ حَتَّى يَشُقَّ عَلَى نَفْسِهِ . وَالَّذِي سَخَّرَ هَذِهِ الْأُمُورَ الْقَوِيَّةَ فِي مَذْهَبِ الرُّأْيِ وَإِحْسَاسِ النَّاسِ ، هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْقُمُتْمَ ، وَالطَّيْجَنَ ، وَالْمَرْجَلَ ، وَالطُّسْتَ ، لِابْرَةِ الْعَقْرَبِ . فَمَا أَحْصِيَ عَدَدَ مَنْ أَخْبَرَنِي مِنَ ⁽¹¹⁾ الْحَوَائِثِ ، مِنْ أَهْلِ التَّجَارِبِ ، أَنَّهَا رَبَّمَا خَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فِي اللَّيْلِ لَطَلَبَ الطُّعْمِ ⁽¹²⁾ ، وَلَهَا نَشَاطٌ وَعُرَامٌ ⁽¹³⁾ ، فَتَضْرِبُ كُلَّ مَا لَقِيَتْ وَلَقِيَهَا : مِنْ حَيَوَانٍ ، أَوْ نَبَاتٍ ، أَوْ جِمَادٍ .

وَزَعِمَ لِي خَاقَانُ بْنُ صَبِيحٍ - وَاسْتَشْهَدَ الْمُثَنَّى بْنُ بَشْرٍ ، وَمَا كَانَ يَحْتَاجُ خَبْرَهُ إِلَى شَاهِدٍ ، لَصَدَقَهُ - أَنَّهُ سَمِعَ فِي دَارِهِ نَقْرَةً وَقَعَتْ عَلَى قُمُتْمٍ - وَقَدْ كَانَ سَمِعَ بِهَذَا الْحَدِيثِ - فَنَهَضَ ⁽¹⁴⁾ نَحْوَ الصَّوْتِ ، فَإِذَا هُوَ بِعَقْرَبٍ فَتَعَاوَرَهَا هُوَ وَالْمُثَنَّى بِنَعَالِهِمَا ⁽¹⁵⁾ حَتَّى قَتَلَاهَا ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّاهُ فِي الْقُمُتْمِ فِي عَشِيَّتَيْهِمَا ، وَهُوَ صَحِيحٌ لَا يَسِيلُ مِنْهُ شَيْءٌ .

فَمِنْ تَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَصْرِفْ بَدِيًّا ⁽¹⁶⁾ تَعَجَّبَهُ إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي تَقْدَفُهُ بِذَنْبِهَا ⁽¹⁷⁾ الْعَقْرَبُ

(1) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(2) ش : « وطبعها » .

(3) في الأصل : « عنها الصواعق » .

(4) صحن الدار : وسطها .

(5) في الأصل : « كائت » .

(6) السنن : الطريق . ط : « سنتها » ، والوجه ما أثبت من ش ، هـ .

(7) في الأصل : « وقد تسقط النواة » ، والسياق يقتضي ما كتبت .

(8) صهرج المتوضأ : عمل بالصاروج ، وهو النورة أو أخلاطها .

(9) أي جعل فوقه القار . ط : « وإن كان الصارج » ، صوابه في ش ، هـ .

(10) السكة : الحديدة . وأصلها حديدة المحراث . ط : « سلة » ، وأثبت ما في ش ، هـ .

(11) في الأصل : « عن » .

(12) ط ، هـ : « الطعام » ، وما أثبت من ش أشبهه بلغة الجاحظ . والطعم ، بالضم : الطعام .

(13) العرام ، بضم العين المهملة : الحدة والشدة ، وهذه الكلمة محرقة في الأصل ، فهي في ط ، ش : « غرام » وهـ : « عزام » .

(14) هـ : « فناهض » ، صوابه في ط ، ش .

(15) التعاور : التداول والتناوب . ش ، هـ : « بنطهما » وهو وجه جائز ، وأثبت ما في ط .

(16) بديا : أي بدءاً وأولاً . وجاء في ش : « بدءاً » .

(17) ط ، هـ : « بديها » ، ش : « بدبها » ، ولعل الوجه ما أثبت .

في بدن الإنسان والحمير والبغال، فليفكر⁽¹⁾ في مقدار ذلك من القلة والكثرة. فقد زعم لي ناس من أهل العسكر⁽²⁾ أنهم وزنوا جرارة⁽³⁾ بعد أن ألسعوها⁽⁴⁾ فوجدوا وزنها على تحقيق الوزن على مقدار واحد. فإن كان الشيء المقذوف من شكل [الشيء] الحار، فلم قصرت النار عن مبلغ عمله؟! وإن كان من شكل الشيء البارد فلم قصر الثلج عن مبلغ عمله؟! فقد وجب الآن أن السم ليس يقتل بالحرارة، ولا بالبرودة إذا كان بارداً. ولو وجدنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلغ الثلج والنار لذكرناه. فقد دل ما ذكرنا على أن جوف النعامة ليس يذيب الصخر الأملس بالحرارة، ولكنه لا بد على كل حال من مقدار من الحرارة، مع خاصيات أخرى، ليست⁽⁵⁾ بذات أسماء، ولا تعرف إلا بالوهم في الجملة.

(علة قتل السم)

والسم يقتل بالكم والكيف والجنس. والكم: المقدار. والكيف: الحد. والجنس: عين⁽⁶⁾ الجوهر وذاته.

وترعم الهند أن السم إنما يقتل بالغرابة، وأن كل شيء غريب خالط جوف حيوان قتله. وقد أبى ذلك ناس فقالوا وما باله يكون غريباً إذا لاقى العصب واللحم، وربما كان عاملاً فيهما جميعاً. بل ليس يقتل إلا بالجنس، وليس تحس النفس إلا بالجنس. ولو كان الذي يمت حسهما إنما يميته لأن غريب، جاز أيضاً أن يكون الحساس إنما حس⁽⁷⁾ لأنه غريب. ولو كان هذا جائزاً لقل في كل شيء.

وقال ابن الجهم: لولا أن الذهب المائع، والفضة المائعة، يجمدان إذا صارا في جوف الإنسان، وإذا جمدا لم يجاوزا مكانهما - لكأن⁽⁸⁾ من القوائل بالغرابة.

وهذا القول دعوى في النفس، والنفس تضيق جداً. وما⁽⁹⁾ قرأت للقدماء في النفس الأجلاد الكثيرة. [و⁽¹⁰⁾] إنما يستدل ببقاء تلك الكتب على وجه الدهر إلى يومنا هذا، ونسخ

(1) كذا في ش. وفي ط، ه: «يفكر».

(2) هو عسكر مكرم، بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء: بلد من نواحي خوزستان. قال الجاحظ عند ذكر الجرارات: «وهي تكون بعسكر مكرم وجنديسابور». وقال الدميري عند ذكر الجرارات: «وهي عقارب صغار صفر على مقدار ورق الأنجذان. وتكون بعسكر مكرم».

(3) الجرارة: واحدة الجرارات، وهي ضرب من العقارب صغار تجر أذناها وفي الأصل: «جرادة» تحريف. انظر التنبيه السابق.

(4) ألسعوها: أي مكنوها من لسع حيوان. ط، ه: «التقوها»، صوابه ما أثبت من ش.

(5) ط، ش: «ليسب»، تصحيحه من ه. (6) في الأصل: «غير»، وصوابه ما كتبت.

(7) هي صحيحة. وفي القاموس: «وحست الشيء: أحسسته».

(8) في الأصل: «لكان». والوجه إلحاق ألف الاثنين.

(9) لعلها: «وقد».

(10) ليست بالأصل.

الرَّجَالُ لَهَا أُمَّةٌ بَعْدَ أُمَّةٍ، وَعُمَرَاءُ بَعْدَ عُمَرٍ، عَلَى جَهْلٍ أَكْثَرَ النَّاسِ بِالْكَلَامِ، وَالْمُتَكَلِّمُونَ يَرِيدُونَ أَنْ يَعْلَمُوا كُلَّ شَيْءٍ، وَيَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ. فَهَذَا بَابٌ مِنْ أَعَاجِبِ الظَّلِيمِ.

باب آخر وهو عندي أعجب من الأول

وهو ابتلاؤه الجمر حتى ينفذ إلى جوفه، فيكون جوفه هو العامل في إطفائه، ولا يكون الجمر هو العامل في إحراقه.

وأخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النُّظَام - وكنا لا نرتاب بحديثه إذا حكى عن سماع أو عيان - أنه شهد محمد بن عبد الله، يلقي الحجر في النار، فإذا عاد كالجمر قذف به قدامه، فإذا هو يبتلعه كما يبتلع الجمر. وكنت قلت له: إنَّ الجمرَ سخيْفٌ سريعُ الانطفاءِ إذا لقي الرطوبات، ومتى أطبق عليه شيء يحول بينه وبين التَّسِيمِ حَمْدٌ، والحجر أشدُّ إمساكاً لما يتداخله من الحرارة، وأثقل ثِقَلًا، والزرَقُ لزوقاً وأبطأ انطفاءً، فلو أحميت الحجارة! فأحماها ثم قذف بها إليه، فابتلع الأولى فارتبت به، فلما ثنى وثلك اشتدَّ تعجبي له، فقلت له: لو أحميت أواقِيَّ الحديد، ما كان منها رُبْعُ رطلٍ ونصف رطل! ففعل، فاتبلعه، فقلت: هذا أعجب من الأول والثاني، وقد بقيت علينا واحدة، وهو أن ننظر: أيسْتَمْرِي⁽¹⁾ الحديد كما يستمري الحجارة؟ ولم يتركنا بعض السفهاء وأصحاب الخرق⁽²⁾ أن نتعرف ذلك على الأيام. وكنت عزمْتُ على ذبحه وتفتيش جوفه وقانصته، فلعلَّ الحديد يكون قد بقي هناك لا ذائباً ولا خارجاً فعمد بعض ندمائه إلى سكين فأخمي، ثم ألقاه إليه فابتلعه، فلم يجاوز أعلى خلقه حتى طلع طرف السكين من موضع مذبجه، ثم خر ميتاً، فَمَنَعَنَا بُخْرَقَهُ من استقصاء ما أردنا.

(شبه النعامة بالبعير وبالطائر)

وفي النعامة أنَّها لا طائر ولا بعير. وفيها من جهة المنسم [والوظيف⁽³⁾] والخَرَمَةِ⁽⁴⁾، والشَّقُّ الذي في أنفه، ما للبعير. وفيها من الريش والجناحين والذنب والمنقار، ما للطائر. وما كان فيها من شكل الطائر أخرجها ونقلها إلى البيض⁽⁵⁾، وما كان فيها من شكل البعير لم

(1) يستمري: يستسيغ. وأصلها الهمز.

(2) الخرق، بالضم: الحمق وسوء التصرف.

(3) الوظيف: مستدق الذراع والرجل من الخيل والإبل. وهذه الزيادة من ش.

(4) الخرمة، بالتحريك: موضع الخرم من الأنف. وفي كل أنف خرمت ثلاث، ثنتان خارجتان عن اليمين واليسار، والثالثة الوترية التي بين المنخرين. ط: «الخرامة»، وهي بالكسر: ما يوضع في خرمة الأنف، وليست مرادة. ش، هـ: «الخرامة»، صوابه ما أثبت. وانظر العقد 2: 237.

(5) البيض، ككتب، وبالكسر أيضاً: جمع بائض وببوض. والعبارة محرفة في الأصل. ففي جميع النسخ: «وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر»، وبعد كلمة «الطائر» في كل من ط، هـ: «حذقها»، وفي ش: «حذفها» وهو تحريف جد مضلل، وقد هداني إلى تصحيح العبارة، ما تقتضيه المقابلة بين هذه الجملة والجملة التي تلوها.

يخرجها ولم ينقلها إلى الولد⁽¹⁾. وسماها أهل فارس: «أشتر مرغ⁽²⁾»، كأنهم قالوا: هو طائر وبعير.

(شعر في شبه النعامة بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل:

فأنت كساقط بين الحشايا	تصير إلى الخبيث من المصير ⁽³⁾
ومثل نعامة تدعى بعيراً	تعاطمها إذا ما قيل طيري ⁽⁴⁾
فإن قيل أحملني قالت فإنني	من الطير المرببة بالوكور ⁽⁵⁾
ثم هجا خالداً ⁽⁶⁾ فقال:	
وكنت لدى المغيرة غير سوء	تصول، من المخافة، للزئير ⁽⁷⁾
لأعلاج ثمانية وعلج	كبير السن ذي بصر ضير ⁽⁸⁾
هتفت بكل صوتك أطمعوني	شراباً؛ ثم بليت على السرير ⁽⁹⁾

- (1) الولد، بالضم وتكسر: جمع والد بمعنى الدة. وفي اللسان: «وشاة الدة وولود: بينة الولاد. ووالد، والجمع ولد». وانظر تاج العروس. ط، هـ: «الواعر»، وصوابه ما أثبت من ش.
- (2) «أشتر» بضم الهمزة والتاء، ويقال أيضاً: «شتر» بحذف الهمزة ونقل الضمة إلى الشين: معناه البعير. ومرغ، بالضم: معناه الطائر.
- (3) جعله ممن يلزم الفراش، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة، وجاء في حديث علي «من يعذرني من هؤلاء الضيافة، يتخلف أحدهم يتقلب على حشايه!». وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايان يمينه وشماله». الخور: اللينات. «تصير» هي في الحيوان (11: 7) والبيات (226: 2): «يصير».
- (4) تعاطمها: أي ادعأها العظمة والفوق على الطيور. وجاءت الرواية كذلك في الجزء السابع، والبيان، وأصل عيون الأخبار (86: 2) ومحاضرات الراغب (298: 2)، وروى: «تعاصينا»، كما هي عند الدميري. وروى في اللسان (مادة نعم): «تعاطمه»، أي تعاطم البعير.
- (5) أرب الطائر بوكره: لزمه ولم يفارقه.
- (6) هو خالد بن عبد الله القسري. وروى الجاحظ في البيان (112: 1) بيتين ليحيى بن نوفل في هجاء خالد بن عبد الله القسري:

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جد في الهرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق في الخطب

- (7) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد، صاحب فرقة المغيرية، وهو متنبئ خرج في إمارة خالد بن عبد الله القسري، وكان يقول بإلهية علي رضي الله عنه، وتكفير أبي بكر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه وسائر الصحابة رضي الله عنهم إلا من ثبت مع علي رضي الله عنه. وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر، فأحرقه وأحرق أصحابه في سنة 119 من الهجرة. والغير: الحمار الوحشي جعله عند ملاقاته للمغيرة كالبعير، إذا سمع زئير الأسد دفعته شدة الجبن والذعر إلى أن يهاجم هو الأسد، مما ضاع من صوابه وطار من رشده، وهذا معروف من طباع البعير. والبيت محرف في الأصل وفي البيان أيضاً. فهو في الأصل: «عبد سوء تصول من المخافة للزئير»، وفي البيان: «تبول من المخافة للزئير» وصوابهما ما أثبت.

- (8) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه. وللمرzbاني حديث عن هذا البيت في الموشح 235.

- (9) انظر لتوضيح هذا البيت ما سبق في (2: 149 س 1) والحواشي.

وإنما قيل ذلك في النّعام؛ لأنّ النَّاسَ يضربون بها المثل للرجل إذا كان مِمَّنْ يعتلُّ في [كُلِّ] شيءٍ يكلفونه بعلّة، وإن اختلف ذلك التكليف، وهو قولهم: «إنما أنت نعمة، إذا قيل لها احملني قالت: أنا طائر، وإذا قيل لها طيري قالت: أنا بعير».

(قصة أذني النّعام)

وتزعمُ الأعرابُ أنّ النّعامَ ذهبَتْ تطلُّبُ قرنين، فرجعت مقطوعة الأذنين؛ لذلك يسمونه «الظليم⁽¹⁾»، ويصفونه بذلك. وقد ذكر أبو العيال⁽²⁾ الهذليّ ذلك، فقال:

وَإِخَالٌ ⁽³⁾ أَنْ أَخَاكُم وَعِتَابُهُ ⁽⁴⁾	إِذَا جَاءَكُمْ بِتَعَطُّفٍ وَسُكُونٍ ⁽⁵⁾
يُمْسِي إِذَا يُمْسِي بِبَطْنِ جَائِعٍ	صَفَرٌ وَوَجْهٌ سَاهِمٌ مَذْهُونٌ ⁽⁶⁾
فَعَدَا يُمْتُ ⁽⁷⁾ وَلَا يُرَى فِي بَطْنِهِ	مَثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مُوزُونٍ ⁽⁸⁾
أَوْ كَالنّعامِ إِذْ غَدَتِ مِنْ بَيْتِهَا	لِيُصَاغَ قَرْنَاهَا بِغَيْرِ أَذِينٍ ⁽⁹⁾
فَاجْتَثَتِ الْأُذْنَانِ مِنْهَا فَانْثَنَتْ	صَلَمَاءُ لَيْسَتْ مِنْ ذَوَاتِ قُرُونٍ ⁽¹⁰⁾

(1) الظليم أي المظلوم، كقتيل وجريح. وانظر ما سيأتي في 237، وجاء في هذا قول بشار: كما في محاضرات الراغب (2: 298):

وكنْتَ كالهيَقْ غدا يبتغي قرناً فلم يرجع بأذنين

وانظر مع هذا التذييل في آخر الجزء.

(2) أبو العيال، شاعر من شعراء هذيل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم فيمن أسلم من هذيل، وعمر إلى خلافة معاوية. الأغاني (20: 167) الجمحي: «كان رجلان من هذيل يسكنان مصر - أحدهما يقال له بدر بن عامر والآخر يقال له أبو العيال بن أبي غنير. فبينما ابن أخ لأبي العيال قائم عند قوم ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله. فخاصم في دمه أبو العيال، وأنه اتهم به بدر بن عامر، أن يكون ضلعه مع القوم الذين يخاصمهم، وخاف أن يعينهم عليه». وقد قال بدر بن عامر يبرئ نفسه مما قيل لأبي العيال وقرف به. شعراً روي في (أشعار الهذليين) المطبوع في لندن 1854، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى، وهكذا حتى تجاوبا عدة مرات. انظر أشعار الهذليين ص 136، وهذا الشعر الآتي هو المجاوبة الخامسة من أبي العيال الهذلي. وروى قصة الشعر أبو الفرج في الأغاني (20: 167) معزوة إلى الأصمعي وأبي عمرو. وفيها زيادة: أن ذينك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا الاسم هو في الأصل: «أبو العباس» وصوابه ما ذكرت.

(3) ش: وأخاك، صوابه في ط، ه وبقية أشعار الهذليين.

(4) في الأصل: «رعانة»، تصحيحه من بقية أشعار الهذليين.

(5) قال ابن حبيب: يقول: جاءكم متعطفاً ساكناً يريكم أن باطنه صالح، وهو باطن سيئ.

(6) ط: «يمشي إذا يمشي» صوابه في ش، ه والمرجع المتقدم. والصفر بالكسر: الخالي الذي لا طعام فيه. ساهم: ضامر مهزول. وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخضب وليخدعهم عن سهومه وتغيره.

(7) يمت: يرى على سحنته وجلده مثل الدهن. في الأصل: «يموت»، وهو تحريف صوابه في بقية أشعار الهذليين. والرواية فيه: «فيرى يمت».

(8) مثقال: مقدار. وحب الخردل من أصغر الحبوب. يريد مثقال حبة خردل من طعام. وجعله موزوناً مبالغة منه وإظهاراً للمعنى.

(9) بغير أذنين: أي من غير أن يؤذن لها. في الأصل: «لتصاغ»، ووجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين.

(10) اجتثت: قطعت من أصلها. والصلماء: المقطوعة الأذنين.

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون: ذَهَبَ الْغُرَابُ يَتَعَلَّمُ مِشْيَةَ الْعُصْفُورِ^(١)، فلم يتعلّمها، ونسي مشيته، فلذلك صار يحجل ولا يقفز قفزاً الْعُصْفُورِ^(٢).

(مشي طوائف من الحيوان)

والبرغوث والجراة ذات قفز، ولا تمشي مِشْيَةَ الْدِيكِ والصقير والبازي، ولكن تمشي مِشْيَةَ الْمُقَيْدِ أو الْمُحَجَّلِ^(٣) [خَلْقَةً^(٤)].

قال أبو عمران الأعمى^(٥)، في تحوّل قضاة إلى قحطان^(٦) عَنْ نَزَارٍ^(٧):

كما اسْتَوْحَشَ الْحَيُّ الْمُقِيمُ فَفَارَقُوا أَلْ
خَلِيطَ فَلَا عَزَّ الْذِينَ تَحَمَّلُوا
كتارك يوماً مِشْيَةَ مَنْ سَجِيَّةٍ
لأخرى ففَاتَتْهُ فَأَصْبَحَ يَحْجِلُ^(٨)

(١) الشعر الذي رواه الدميري يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة. وهو:

إن الغراب وكان يمشي مشية
حسد القطاة ورام يمشي مشيها
فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها
فيما مضى من سالف الأجيال
فلذاك سموه أبا المرقال

(٢) هي صحيحة. يقال قفز يقفز قفزاً وقفازاً - بضم ففتح خفيفة - وقفوزاً. والأسير والأعراف: نقر العصفور ينقر نقزاً ونقزاناً.

(٣) المحجل: الذي قيدت قوائمه. وفي الأصل: «الحجل» محرف.

(٤) هذه الزيادة من ش، هـ. وهي في أصلها: «خلقته».

(٥) كذا في ط، هـ وفي ش: «أبو عمروان الأعمى»، تحريف. واسمه يحيى بن سعيد كما في كتاب العققة والبررة لأبي عبيدة، في نوادر المخطوطات (2: 352).

(٦) قضاة، هو قضاة بن معد بن عدنان. وقد تحولت إلى حمير فعدت في اليمن. انظر المعارف ص 29، وقد وضع ابن الكلبي سبب هذا التحول بأن قضاة ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان، بل والده هو مالك بن حمير من اليمن، فلما توفي والد قضاة تزوجت أمه - وكان اسمها عكبرة - بمعد بن عدنان، فتبناه حينئذ وتكنى به، فنسب إليه، أي إلى معد، في أول الأمر. ثم عاد النسب إلى حقيقته فصار يعرف بقضاة بن مالك بن حمير. انظر النص في الروض الأنف (1: 16). وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب:

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر
النسب المعروف غير المنكر
قضاة بن مالك بن حمير
في الحجر المنقوش تحت المنبر
وقال الكمي يعاتب قضاة في انتسابهم إلى اليمن:

علام نزلتم من غير فقر
ولا ضراء منزلة الحميل
والحميل: السبي يحمل من بلد إلى بلد.

(٧) أي عن إخوانهم نزار بن معد بن عدنان، وفي الأصل: «بن نزار» وليس شيئاً؛ فإن قحطان هو ابن عابر؛ كما اتفقت على ذلك كتب الأنساب.

(٨) المشية؛ بالكسر: الهيئة من المشي. وقد فصل بن المتضايفين بالظرف، وهو جائز، وفي الأصل: مشيه والصواب ما أثبت؛ لقوله: «أخرى» أي لمشية أخرى. وانظر العققة والبررة لأبي عبيدة 355.

(عظام النعامة)

ومن أعاجيبها أنَّها مع عَظْمِ عظامها، وشدة عذوها، لا مَخَّ فيها. وفي ذلك يقول الأعلام الهذليُّ:

عَلَى حَتِّ الْبُرَايَةِ^(١) زَمْخَرِيَّ الْـ سَّوَاعِدِ^(٢) ظَلَّ فِي شَرِي طَوَالِ^(٣)

يعني ظليماً شبه [به^(٤)] عَذُوَ فَرَسِهِ. وَالْحَتُّ^(٥): السريع. وَالشَّرَى: الحنظل. وبُرايته: قوته على ما يَبْرِيه من السَّير^(٦). والسَّوَاعِد: مجاري مَخِّه في العظم وكذلك مجاري عروق الضَّرْع، يقال لها السَّوَاعِد.

قال: ونظنَّ أنَّما قيل لها ذلك لأنَّ بعضَهَا يُسَعِّدُ^(٧) بعضاً؛ كأنَّه من التَّعاون أو من المواساة^(٨).

قال: والزَّمْخَرِيَّ: الأجوف. ويقال: إنَّ قصب عَظْمِ الظَّلِيم لا مَخَّ له. وقال أبو النجم:

هَآؤِ يَظْلُ الْمَخُّ فِي هَوَائِهِ^(٩)

وواحد السَّوَاعِد: ساعد.

وقال صاحب المنطق: ليس المَخُّ إلَّا في المَجُوفَةِ^(١٠)، مثل عَظْمِ الأسد. وفي بعض عظامه مَخٌّ يسير. وكذلك المَخُّ قليلٌ في عَظَامِ الخنازير، وليس في بعضها منه شيءُ البتَّة.

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومن أعاجيبها أنَّها مع عَظْمِ بيضها تكثُرُ عدد البيض، ثُمَّ تَضَعُ بيضها طويلاً حتَّى لو مددْتَ عليها خيطاً لما وجدت لها مِنْهُ^(١١) خُروجاً عن الأخرى، تُعْطِي كُلَّ بَيْضَةٍ مِنْ ذَلِكَ

(١) حَت، بحاء مفتوحة بعدها تاء مثناة. وفي الأصل: «حَت» بالمثلثة، وهو وهم وتحريف، صوابه من اللسان (حتت، زمخر، بري) وحماسة البحرى 66 حيث يتوسط البيت خمسة أبيات مروية هناك. ش: «البرية» تحريف.

(٢) الزمخري: سيفسره الجاحظ. ش: «ذمخري»، صوابه بالزاي كما أثبت.

(٣) تقرأ بالكسر، جمعاً لطويل. وبالضم، مفرداً بمعنى الطويل. قال ابن جني: «يريد أنهن إذا كن طويلاً سترنه فزاد استيحاشه. ولو كن قصاراً لشرح بصره، وطابت نفسه، فخفض عدوه».

(٤) ليست بالأصل.

(٥) ط، هـ: «الحَت» ش: «الحب»، صوابهما بالمثلثة، انظر التنبيه الثالث.

(٦) ذهب ابن سيده في تفسير هذا البيت إلى أن «حت البراية» بمعنى منحت الريش لما ينفض عنه عفاء من الربيع. والبراية: النحاة. وأنا أستحسن ما ذهب إليه.

(٧) أسعده بمعنى أعانه. وفي ط، هـ: «يساعده»، وأثبت ما في ش.

(٨) ط، هـ: «المساواة»، والوجه ما أثبت من ش.

(٩) في القرطين (2: 77):

هَآؤِ تَضِلُّ الطَّيْرُ فِي خَوَائِهِ

(١٠) أي العظام المجوفة. (١١) أي من الخيط. وفي الأصل: «منها».

قُسْطُهُ . ثُمَّ هِيَ مَعَ ذَلِكَ رَبَّمَا تَرَكْتَ بَيْضَهَا وَذَهَبْتَ تَلْتَمِسُ الطَّعَامَ ، فَتَجِدُ بَيْضَ أُخْرَى فَتَحْضُنُهُ . وَرَبَّمَا حَضَنْتَ هَذِهِ بَيْضَ تِلْكَ ، وَرَبَّمَا ضَاعَ الْبَيْضُ بَيْنَهُمَا .

وَأَمَّا عَدَدُ بَيْضِهَا وَرِثَالِهَا فَقَدْ قَالَ دُو الرُّمَّةُ :

أَذَاكَ أُمُّ خَاضِبٍ بِالسِّيِّ مَرْتَعُهُ أَبُو ثَلَاثِينَ أَمْسَى وَهُوَ مُنْقَلِبٌ⁽¹⁾
وَفِي وَضْعِهَا لَهُ طُولًا وَعَرْضًا عَلَى خَطِّ وَسْطَرٍ ، يَقُولُ⁽²⁾ :
وَمَا بَيْضَاتُ ذِي لَبَدٍ هَجَفٌ سُقَيْنَ بِزَاجِلٍ حَتَّى رَوَيْنَا⁽³⁾
وُضِعْنَ فَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَعْ جَنِينَا⁽⁴⁾
يَبِيتُ يَحْفَهُنَّ بِمَرْفَقِيهِ وَيَلْحَفُهُنَّ هَفْهَافًا ثَخِينَا⁽⁵⁾
وَقَالَ الْآخَرُ⁽⁶⁾ :

تَهْوِي بِهَا مُكْرَبَاتٌ فِي مَرَافِقِهَا فُتْلُ صِلَابٍ مَيَاسِيرٌ مَعَاجِلُ⁽⁷⁾

(1) سبق الكلام على هذا البيت في ص 181 ، ش : «أخاك» ، هـ : «بالشيء» ط : «بالسيء» وكل ذلك محرف . ش ، هـ : «فهو منقلب» .

(2) القائل هو عمرو بن أحمر الباهلي ، كما سيأتي في ص 200 والكامل 25 ليسك وعيون الأخبار (2 : 87) واللسان (هـجف) .

(3) عني باللبد هنا الريش . والهيجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المسن . ط ، هـ : «نجف» ش : «ينجف» ، صوابه من اللسان والمخصص (55 : 8) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمز أيضاً : ما يسيل من مؤخر الطليم على البيض إذا حضنه . ش : «بداجل» ، صوابه في ط ، هـ والمخصص واللسان (هـجف ، زجل) .

(4) غرار ، بالكسر : أي حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذي يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون . ولفظه بكسر الهاء يقال للواحد والجمع . و«لم تقرع» هكذا جاءت في الأصل ، ورواية المبرد : «قد وسقت» ، بمعنى حملت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه هذا البيت ببيت عمرو بن كلثوم :

ذراعي حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنيناً

فحدث فيه لذلك الوهم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرصفي وهم أيضاً في شرح هذا البيت من الكامل (رغبة الأمل 1 : 147) فجعله في صفة نوق ، وإنما هو في صفة بيض النعام .

(5) لحفه ، من باب منع : غطاه باللحاف . هفهافاً ، يعني به الجناح ، وثخيناً : أي تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت في الأصل :

تبیت تحفهن بمرفقيها وتلحفهن هفهافاً ثخيناً

والوجه ما أثبت ، إذ أن الضمائر راجعة إلى الطليم . ورواية اللسان في مادة (هفف) : «يبيت يحفهن بقققييه» . وفي مادة (قفف) : «فطل يحفهن بقققييه» . وقققا الظليم : جناحه .

(6) هو الشماخ ، من قصيدة له ديوانه 77 - 82 مطلعها :

بانث سعاد فدمع العين مملول وكان من قصر من عهدا طول

(7) تهوي بها : أي تسرع . والضمير عائد إلى الناقة في بيت سابق . والمكربات : المشدودات ، يعني أن أذرعها مشدودة بمرافقها ، وفتل : جمع أفتل وفتلاء ، بمعنى مندمجة شديدة . ط ، هـ : «ملزمت» ، ش : «مكلمات» ، وهما تحريف ما أثبت .

- يَدَا مَهَاةٍ، وَرَجُلَا خَاضِبٍ سَنَقٍ
هَيْتِي هَجَفٌ وَزَقَانِيَّةٌ مَرَطِي
كَأَنَّمَا مُنْثَنِي أَقْمَاعٌ مَا هَصَرْتُ
تَرَوْحًا مِنْ سِنَامِ الْعِرْقِ فَالْتَبَطَا
إِذَا اسْتَهَلَّا بِشَوْبُوبٍ فَقَدْ فُعِلْتُ
فَصَادَفَا الْبَيْضَ قَدْ أَبَدْتُ مَنَاكِهَهَا
فَنَكَبَا يَنْقُفَانِ الْبَيْضَ عَنْ بَشَرٍ
كَأَنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرَى مَخْلُولٌ⁽¹⁾
رَعْرَاءُ، رِيَشُ جَنَاحِيهَا هَرَامِيلُ⁽²⁾
مِنْ الْعِفَاءِ بَلِيَّتِيهَا ثَالِيلُ⁽³⁾
إِلَى الْقَنَانِ الَّتِي فِيهَا الْمَدَاخِيلُ⁽⁴⁾
بِمَا أَصَابَا مِنَ الْأَرْضِ الْأَفَاعِيلُ⁽⁵⁾
مِنْهَا الرِّثَالُ، لَهَا مِنْهَا سَرَابِيلُ⁽⁶⁾
كَأَنَّهُا وَرَقُ الْبَسْبَاسِ مَغْسُولُ⁽⁷⁾

- (1) المهامة: البقرة الوحشية. والخاضب: الظليم احمرت ساقه. والسنق: الذي أصابه السنق والبشم من الشيع. من جناه الشرى: أي من تناوله الحنظل، وهو أطيب طعام عند النعام. يقال جنى الثمر يجنيه جنى، بالتحريك. والمخلول، هو الفصيل يجعل في لسانه عود ليمنعه من الرضاع. جعل الظليم، في امتناعه عن الطعام، مما شيع، كالفصيل المخلول الذي لا يستطيع الرضاع. والبيت محرف في الأصل تحريفاً كبيراً، ففي الأصل: «أشق» موضع «سنق»، والأولى لا وجود لها في اللغة وتصحيحه من الديوان. ش: «من حناه»، ه: «من حناه» صوابه في ط والديوان. ش: «محلول» صوابه في ط، ه والديوان.
- (2) الهيق: الطويل. والهجف: الطويل الضخم. وفي الديوان واللسان (هرمل) والمخصص (51:8): «هزف». والهجف: السريع. والزفانية، بالكسر كما في القاموس (زفف) - السريعة. ط، ه: «زفافية» ش: «زنافية» محرفتان. وضبطت في المخصص ضبط قلم وكذا في الديوان بالفتح. والمرطى، بفتحات: السريعة. وفي الأصل والديوان: «مرطاً» صوابه في المخصص واللسان (هرمل). والزعراء: القليلة الريش. والريش الهراميل: المتفرقات. وفي الأصل: «هذا ميل»، صوابه في الديوان والمخصص واللسان.
- (3) يقول: كأن رءوس مغارز الريش الذي هصرته تلك النعامة ونزعته، بثور ظاهرة. والليت، بالكسر: صفحة العنق. في الأصل: «من الفقار» وتصحيحه من الديوان. والعفاء، بالكسر: الريش. ش: «بليديها»، ه: «بلبيها» بهذا الإهمال، وصوابهما في ط والديوان.
- (4) تروحا: أي ساراً في الرواح، وسنام العرق: أعلاه. والعرق، بالكسر: الأرض المرتفعة، أو الحبل الرقيق المستطيل من الرمل. ش: «العرف» بالفاء، وهو بالضم: الأرض المرتفعة. وأثبت ما في ط، ه والديوان. والتبطا: توجها. والقنان: جمع قنة بالضم، وهي الجبل السهل المستوي المنبسط على الأرض، وفي الأصل: «الفقار» وأثبت ما في الديوان. والمداخيل: المداخل، وعننى بها المداخل التي تحت الجرف، التي تسمى الدحال. وفي الديوان: «المداخيل» بالحاء المهملة.
- (5) أي إذا اشتدا في الجري بدفعة منه فإنهما يحددان الأرض بمناسمهما. وأصل الاستهلال شدة انصباب المطر. والشؤبوب: الدفعة منه. في الأصل: «إذا استهل . . . بما أصاب . . .» وصوابه ما أثبت موافقاً لما في الديوان.
- (6) أي وجدا البيض وقد أخرجت منه الفراخ الصغار مناكيها، وقد علاهن بعض قشر البيض ومائه، فكان ذلك لهن كالسراويل. في الأصل: «فصادف» وصوابه ما أثبت من الديوان. وفي الديوان أيضاً: «منه الرثال لها منه» وهما وجهان جائزان؛ إذ أن كل جمع يكون بينه وبين واحد الهاء نحو بقر وبقرة، فإنه يذكر ويؤنث. المصباح ص 968، وهذا قول الزجاج. ولابن سيده تفصيل طيب في هذا المعنى. المخصص (16: 100).
- (7) يقول: ما لا إلى ذلك البيض ينزعان قشره عن بشر تلك الأفراخ، وكأن بشرها ورق ذاك النبت حين يغسل. مكان «عن بشر» في ط: «أعينها» وفي ش: «عن» فقط، وفي ه: «عنها» وتصحيحه وإكماله من الديوان. والبشر: جمع بشرة، يذكر ويؤنث، كما في التنبيه السابق. والبسباس: نبت له أوراق متراكمة شقر، تذكره داود. وفي الديوان: «كأنه ورق البسباس».

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشُعراء يشبّهون القَدْرَ الضَّخْمَةَ التي تكون بمنزِلِ العَظِيمِ وأشباهِهِ من الأجواد، بالنعامة. قال الرَّمَّاحُ، ابنُ مَيَّادَةَ⁽¹⁾:

وقلت لها لا تعجلي كذلك تقري الشوك ما لم تزد⁽²⁾
إلى جامع⁽³⁾ مثل النعامة يلتقي عواذبه⁽⁴⁾ فوق

جامع: يعني القدر. وجعلها مثل النعامة.

وقال ابن ميادة يمدح الوليد بن يزيد:

نتاج العشار المنقيات إذا شتت⁽⁵⁾ روابدُها مثل النعام العواطف⁽⁶⁾
وقال⁽⁷⁾ الفرزدق⁽⁸⁾:

وقدر كحيزوم النعامة أحمشت⁽⁹⁾ بأجذال خُشب زال عنها هشيمها⁽¹⁰⁾

(1) هو الرماح بن أبرد. وهو المعروف بابن ميادة. وميادة: أمه. وهو مخضرم من شعراء الدولتين. ش، هـ: «الرياحي ابن ميادة»، صوابه في ط.

(2) ش: «يقري»، ط: «ما لم تزد». وفي هذا البيت والذي بعده نقص وتحريف.

(3) ط: «جامع»، وأثبت صوابه من ش، هـ. وفي القاموس: «وقدر جامع وجامعة وجماع ككتاب: عظيمة». وفي اللسان: «وقدر جماع وجامعة: عظيمة. وقيل هي التي تجمع الجزور».

(4) ش: «غواذيه»، هـ: «عواذبه».

(5) ش، هـ: «نتاج» صوابه في ط. والمنقيات: ذوات الشحم. والنقى، بالكسر. الشحم. وشتت: دخلت في الشتاء. ط: «إذا المنقيات شتت»، هـ: «العشار إذا شتت»، ش: «العشار إذا تشتت»، وقد وجهته بما ترى.

(6) الروابيد: من ريد ربوداً: أقام. وقد عنى بهن القدور المقيمة على النار. والعواطف: الحانيات على أولادها.

(7) قبل هذا في هـ: «فضحك أبو عبيدة»، وهي زيادة لا موضع لها.

(8) البيت في محاضرات الراغب منسوب إلى مضرس. وهو كذلك ليس في ديوان الفرزدق مع وجود أخواته في ص 803.

(9) حيزوم النعامة: ما استدار بطنها وظهرها. ويقال أحمش القدر وأحمش بها: أشبع وقودها. ط، هـ: «أحشمت»، صوابه في ش والبخلاء 190 وأمالى المرتضى (29:4) والحماسة (328:2)، وأول البيت فيهما: «غضبوا». جعل غلبانها بمنزلة الغضب.

(10) الأجذال: جمع جذل، بالكسر، وهو أصل الشجرة. وفي الأصل: «أجفال» تحريف ما أثبت من البخلاء ومحاضرات الراغب. ورواية أبي تمام والمرتضى: «بأجواز» أي أوساط. وهي أصلب الخشب وأبقاه ناراً. والهشيم: المتهشم. ط: «هشيماً»، صوابه في ش، هـ وسائر المراجع. ط، هـ: «منها» وأثبت ما في سائر المراجع.

(الذئب والنعام)

وضحك أبو كلدة^(١) حين أنشد شعر ابن النطاح^(٢)، وهو قوله:

والذئب يلعب بالنعام الشارد

قال: وكيف يلعب بالنعام والذئب لا يعرض لبيض النعام وفراخه حين لا يكونان حاضرين، أو يكون أحدهما؛ لأنهما متى ناهضاه ركضه الذكر فرماه إلى الأنثى، وأعجلته الأنثى فركضته ركضة تلقية إلى الذكر فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه أو يعجزهما هرباً. وإذا حاول ذلك منه أحدهما لم يقوَ عليه. قال: فكيف يقول:

والذئب يلعب بالنعام الشارد

وهذه حاله مع النعام؟!

وزعم أن نعمتين اعتورتا ذئباً فهزمتاه^(٣)، وصعد شجرة، فجالدهما، فنقره أحدهما، فتناول الذئب رأسه فقطعه، ثم نزل إلى الآخر فساوره فهزمه.

(جبن الظليم ونفاره)

والظليم يوصف بالجبن، ويوصف بالنفار والتوخش. وقال سهم بن حنظلة^(٤)، في هجائه بني عامر:

إذا ما رأيت بني عامر رأيت جفاءً ونوكاً كثيراً^(٥)
نعاماً تجر بأعناقها ويمنعها نوكها أن تطيرا^(٦)

(١) هذه العبارة ساقطة من هـ. وأبو كلدة سبق ذكره في (١: 170).

(٢) هو بكر بن النطاح، سبقت ترجمته في (3: 109).

(٣) اعتورتاه: تداولته. هـ: «فهزمتاه».

(٤) في الإصابة 3703: «سهم بن حنظلة بن خاقان - صوابه حلوان - بن خويلد بن حرمان - كذا - الغنوي. قال

المرزباني: شاعر شامي مخضرم». وذكره صاحب المؤتلف والمختلف 136.

(٥) النوك، بالضم والفتح: الحمق. وفي عيون الأخبار: «ونوكاً كبيراً».

(٦) الرواية في عيون الأخبار (2: 87): «تمد بأعناقها». وهذه أجود.

(ضرر النعامة)

والنعامة تتخذها الناس في الدور⁽¹⁾، وضررها شديد؛ لأنها ربّما رأت في أذن الجارية أو الصبية قُرطاً فيه حجر، أو حبة لؤلؤ، فتخطفه لتأكله، فكم أذن قد خرقتها! وربّما رأت ذلك في لبة⁽²⁾ الصبي أو الصبية، فتضربه بمنقارها، فربّما خرقت ذلك المكان.

(شعر في تشبيه الفرس بالظليم)

ومما يشبه به الفرس ممّا في الظليم، قول امرئ القيس بن حُجر:
وخذ أسيل كالمسنّ وبركة كجوجؤ هيق دفه قد تموراً⁽³⁾
وقال عتبة بن سابع⁽⁴⁾:
وله بركة كجوجؤ هيق ولبان مضرّج بالخضاب⁽⁵⁾
وقال أبو دؤاد⁽⁶⁾ الإيادي:
يمشي كمشي نعامتي من يتابعان أشق شاخص⁽⁷⁾
وقال آخر⁽⁸⁾:

(1) الدور: جمع دار. ش: «تتخذ في الدور».

(2) اللبة، بالفتح وتشديد الباء: موضع القلادة من الصدر.

(3) البركة، بالكسر: الصدر. والجوجؤ: الصدر أيضاً. والهيق: الذكر من النعام. والدف، بالفتح: صفحة الجنب. وتمور: سقط منه النسيل أي الريش. وإنما يكون ذلك في أيام الربيع وجودة المرعى. ويحدث مثله أيضاً للحمار حيث يسقط عنه الشعر. انظر اللسان (مور)، والنعام في ذلك الوقت ينمو نمواً كبيراً. وقد سبق هذا البيت في (1: 196). وانظر ديوان امرئ القيس 267 دار المعارف.

(4) هو عتبة بن سابق الهزاني، شاعر من شعراء الأصمعيات (6-7). وفي الأصل: «عبدة بن شأس»، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ في الجزء الأول ص 196.

(5) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق في تفسير البيت السابق. والرواية في الجزء الأول: «ولها». واللبان، بالفتح: وسط الصدر. مضرّج بالخضاب: ملطخ بالدم. وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد، فالسابق منها إليه يخضبون نحره بدم ما يمسكونه من الصيد؛ علامة على أنه سباق غايات. بلوغ الأرب (3: 18)، وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر؛ فيصيب فرسه نصيب من ذلك.

(6) في الأصل: «أبو داود» وهو تحريف يتكرر كثيراً، والصواب ما أثبت. وترجمة أبي دؤاد تقدمت في (3: 226)، وهو أحد نعات الخيل المجيدين.

(7) أشق: يعني ظليماً واسع ما بين الرجلين. والشاخص: المرتفع. وقد سبق البيت في (197).

(8) في (1: 197) أنه خالد بن عبد الرحمن.

كَأَنَّ حَمَاتِهِ كُرْدُوسٌ فَحُلٍ مَقْلَصَةٌ عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ⁽¹⁾
وقال أبو ذؤاد الإيادي:

كَالسَّيِّدِ مَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَإِذَا وَلَّى تَقُولُ مُلْمَلَمٌ ضَرْبٌ⁽²⁾
لَأَمْ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَمَشَى مُتَتَابِعاً مَا خَانَهُ عَقْبٌ⁽³⁾
يَمْشِي كَمْشِي نَعَامَةٍ تَبَعَتْ أُخْرَى إِذَا مَا رَاعَهَا خَطْبٌ

(القول فيما اشتق له من البيض اسم)

قال العديس⁽⁴⁾ الكِنَانِي: باضت البُهْمَى⁽⁵⁾: أي سقطت نصالها⁽⁶⁾
وباض الصَّيْف، وباض القَيْظ: اشتدَّ الحر وخرج كلُّ ما فيه - من ذلك. وقال
الأسدي:

فَجِئْنَا وَقَدْ بَاضَ الْكَرَى فِي عَيُونِنَا⁽⁷⁾ فَتَى مِنْ عُيُوبِ الْمُقْرِفِينَ مُسَلِّمًا⁽⁸⁾
وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ:

رَكِبْتُ بَيْضَةَ الْبَيَاتِ عَلَيْهِمْ لَمْ يُحْسُوا مِنْهَا سِوَاهَا نَذِيرًا⁽⁹⁾
وقال الرَّاعِي، يَهْجُو ابْنَ الرَّقَاعِ⁽¹⁰⁾:

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجْوُكُمْ يَابْنَ الرَّقَاعِ، وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْبَى قُضَاعَةً لَمْ تَقْبَلْ لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نَزَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

(1) الحماة: عضلة الساق. والكردوس، بالضم: واحد الكراديس، وهي رءوس العظام. وفي الأصل: «نحل»، صوابه ما أثبت من الجزء الأول، ط، هـ: «على شتى» ش: «على سقى»، صوابه ما أثبت من الأول.

(2) السيد، بالكسر: الذئب، والململم: المجتمع المدور. والضرب: الخفيف اللحم.

(3) اللأم: الشديد.

(4) العديس الكِنَانِي: أعرابي فصيح، ذكره ابن النديم في الفهرست 47 ليدن، 70 مصر وفي القاموس (مادة عديس)، أن العديس رجل كِنَانِي. وفي اللسان (مادة عديس أيضاً) «ومنه سمي العديس الأعرابي الكِنَانِي». وفي الأصل: «العديس» بالباء، صوابه ما أثبت من المراجع المتقدمة.

(5) البهمي، كحبل: نبت هيثه كالشعير، ولكنه قصير. ويعرف أيضاً بالشوفان في سوريا. وهو بالإنجليزية: Wild-oat، عن معجم النبات، وتذكرة داود، والقاموس.

(6) النصال: جمع نصل، وهو سنبله البهمي.

(7) الكرى: النوم والنعاس. في الأصل: «من عيوننا». محرف.

(8) في الأصل: «عيون المقرفين» والصواب ما أثبت. والمقرفين، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل: إذا كان هجيناً، بأن تكون أمه عربية وأبوه غير عربي. وإن فتحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره: وقع فيه وذكره بسوء.

(9) البيات، بالفتح: من بيت العدو القوم: قصدهم في الليل من غير أن يعلموا، فيأخذهم بغتة. ط والديوان 34: «سراها» صوابه في ش، هـ.

(10) هو عدي بن الرقاع. وكلمتا: «ابن الرقاع» ساقطة من ش، وانظر الكلام على البيتين في الحيوان (2: 192) واللسان (بيض) وثمار القلوب 392 والعمدة (2: 153).

وفي المديح قولُ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «أنا بَيِضَةُ الْبَلَدِ» ومنه بيضة الإسلام. وبيضة القبة: أعلاها، وكذلك الصَّومَةُ⁽¹⁾. والبيض: قلانس الحديد.

وقال أبو حيّة التَّمِيرِي⁽²⁾:

وصدَّ الغانياتُ البِيضُ عَنِّي وما إنْ كان ذلك عن تَقَالِي⁽³⁾
رائِنَ الشَّيْبِ بَاضَ على لِدَاتِي⁽⁴⁾ وأفسدَ ما عَلَيَّ من الجَمَالِ!

وَبِيضُ الْجُرْحِ وَالْخُرَاجِ وَالْحَبَنِ⁽⁵⁾: الوعاء الذي يجمع فيه الصَّديد، إذا خَرَجَ برئٌ وصلح. وقد يُسمُّون ما في بطونِ إناثِ السَّمَكِ بِيضاً، وما في بطونِ الجَرَادِ بِيضاً، وإن كانوا لا يَرَوْنَ قِشْراً يشتمِلُ عليه، ولا قَيْضاً يكونُ لما فيه حِضْناً⁽⁶⁾.

والخِرْشَاءُ: قشرة البيض إذا خَرَجَ ما فيه. وسَلَخَ الحَيَّةَ يقال له الخِرْشَاء.

(شعر في التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى في تشبيه اللَّفَاءِ⁽⁷⁾ الحسناء بالبيضة:

أو بيضة في الدَّعْصِ مكنونة أو دُرَّةٌ سِيَقَتْ إلى تَاجِرٍ⁽⁸⁾
وقال في بيض الحديد:

(1) الصومعة، كجوهرة: بيت للنصارى، سمي بذلك لدقة في رأسه.

(2) اسمه الهيثم بن الربيع، ونسبته إلى نمير بن عامر بن صعصعة، وهو شاعر من مخضرمي الدولتين، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً، وكان مقصداً راجزاً من ساكني البصرة، وكانت به لوثة، وكان من أجبن الخلق، وله سيف يسميه: لعاب المنية، ليس بينه وبين الخشبة فرق. توفي نحو سنة 160، الشعراء 749 والأغاني 15: 61 وفي الأصل: «النمري» محرف.

(3) التَّقَالِي: المباغضة. هـ: «تقالي» مصحفة.

(4) لداتي: جمع لدة، بالكسر. واللدة: من يولد معك.

(5) الحبن، بالكسر: الدم. ط: «الجبن» تصحيف سبق مثله في 2: 192، وصوابه في ش، هـ.

(6) القَيْض، بالفتح: القشرة العليا اليابسة على البيضة، والحضن، بالكسر: بمعنى ما يحيط بالشيء. وأصله من حضن الجبل، وهو ما يطيف به.

(7) في الأصل: «الذلفاء»، وهي القصيرة الأنف الصغيرة. ولا وجه لها هنا. وما أثبت هو أقرب تصحيح للكلمة. واللفاء: الضخمة الفخزين في اكتناز واجتماع.

(8) مكنونة في الدعص: مخبأة في الرمل المستدير. ورواية الديوان 104: «أو درة شيفت لدى تاجر». وشيفت: جلست. وضبط «بيضة» و«درة» بالكسر؛ لأن قبل البيت:

كدمية صور محرابها بمذهب في مرمر مائر

كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ إِذَا شَامَ يَوْمًا لِلصَّرِيخِ الْمُنْدَدِ⁽¹⁾
وقال الأعشى:

أَتَتْنا مِنَ الْبَطْحَاءِ يَبْرُقُ بَيْضُهَا وَقَدْ رُفِعَتْ نِيرَانُهَا فَاسْتَقَلَّتْ⁽²⁾
وقال زيد الخيل:

كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ فَأَحْدَأْتُهُمْ تَحْتَ الْحَدِيدِ خَوَازِرُ⁽³⁾
(استطراد لغوي)

قال: ويقال تَقَيَّضَتِ الْبَيْضَةُ، وَالْإِنَاءُ، وَالْقَارُورَةُ، تَقَيُّضًا⁽⁴⁾: إِذَا انْكَسَرَتْ فَلَقًا. فَإِذَا هِيَ لَمْ تَتَفَلَّقْ⁽⁵⁾ [فَلَقًا] وَهِيَ⁽⁶⁾ مُتَلَاذِقَةٌ، فَهِيَ مُنْقَاضَةٌ انْقِيَاضًا. وَقَيُّضُ الْبَيْضَةِ: قَشَرَتِهَا الْيَابِسَةُ. وَغَرَقَتْهَا: الْقَشْرَةُ الرَّقِيقَةُ الَّتِي بَيْنَ اللَّحْمِ وَبَيْنَ الصَّمِيمِ. قَالَ: وَالصَّمِيمُ: الْجِلْدَةُ.

(1) الدو: الفلاة. ورواية الديوان 132: «إِذَا رِيعَ شَتَى لِلصَّرِيخِ الْمُنْدَدِ». والبيت في صفة كتيبة. جعل البيض الذي يحمي رءوس الرجال شبيهاً ببيض النعام؛ لكثرة. فإن كل نعام تبيض نحو الثلاثين. ولذا يقال لها: أم ثلاثين. وللظلم: أبو ثلاثين. وقبل البيت:

بملمومة لا ينفض الطرف عرضها وخيل وأرماع وجند مؤيد

فضمير «شام» عائد إلى الجند، وشام: نظر، أو سل سيفه. والصريخ: صوت المستصرخ المستغيث. والمندد، بضم الميم وفتح الدال المشددة؛ الصوت المبالغ في رفعه وتشديده. ومنه قول طرفة: «لهجس خفي أو لصوت مندّد»، وفي الأصل: «الممدد»، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان.

(2) في الأصل: «أَتَيْتَنَا» صوابه من أمالي ابن الشجري (2: 165) حيدر أباد. ورواية الديوان: «أَتَتْهُمْ». ش، هـ وحماسة ابن الشجري 41: «تبرق» ط، ش: «بيضنا» صوابها في هـ وأمالي وحماسة ابن الشجري وديوان الأعشى 179، ورواية العجز في الديوان: «وقد رفعت راياتها فاستقلت». ورواية ابن الشجري: «وقد بذخت فرسانها وأدلت». والبيت من قصيدة للأعشى يذكر فيها وقعة ذي قار، التي كانت بين العرب والفرس. وهو في صفة جيش الفرس وعظمته. وبعده (في رواية ابن الشجري):

فثاروا وثرنا والمنية بيننا وهاجت علينا هبوة فتجلت

نحاسيهم كأساً من الموت مرة وقد رفعت راياتهم فاستقلت

ومثله للأعشى في تعظيم شأن جيش الأعاجم حينئذ. (الأغاني 20: 140):

لما أتونا كأن الليل يقدمهم مطبق الأرض تغشاها لهم سدف

بطارق وبنو ملك مراربة من الأعاجم في آذانها النطف

من كل مرجانة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طينها الصدف

وظعننا خلفنا تجري مدامعها أكبادها وجلا مما ترى تجف

وانظر بقية الشعر فيها. ولوقعة ذي قار العقد (3: 374) والعمدة (2: 169) والميداني (2: 352) ومعجم البلدان.

(3) جمع خازر: وهو من ينظر بلحاظ عينيه، ويكون ذلك عند ما يراد تحديد النظر. ورواية الشعراء 220: «وأعينهم تحت الحديد». ورواية قدامة في نقد الشعر 39 والأغاني 10: 44: «وأعينهم تحت الحبيك». ونسب في الأغاني لمعقر بن أوس.

(4) ط، هـ: «نقيضاً»، صوابه في ش.

(5) ط، هـ: «تفلق».

(6) ط، هـ: «فهي»، صوابه في ش.

قال: ويقال غرقأت البيضة: إذا خرجت وليس لها قشر ظاهر غير الغرقية⁽¹⁾.
 قال الرَّدَاد: غرقأت الدَّجاجةُ بيضها، فالبيضة مُعْرَقَةٌ⁽²⁾. والخرشاء: القشرة الغليظة⁽³⁾
 من البيضة، بعد أن تُثَقَّب فيخرج ما فيها من البلل؛ وجماعها الخَرَّاشِي، غير مهموز.
 قال: وقال رَدَاد: خِرْشَاءُ الحَيَّة: سَلَخُها حين تَسْلُخُ⁽⁴⁾.
 قال: وتغذى أعرابيٌّ عندَ بعضِ الملوك، فدبَّت على حلقه قملةً، فتناولها فقصَّعها
 بإبهامه وسبَّابته، ثم قتلها، فقالوا له: ويلك! ما صنعت؟! فقال: بأبي أنتم وأمي، ما بقى إلا
 خِرْشاؤُها! وقال المرقش:

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبْ لَذَاكُم كَمَا يَنْسَلُ مِنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ⁽⁵⁾

وقال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ في بَيْضِ الحديد⁽⁶⁾:

قال: ويقال في الحافر نزا⁽⁷⁾ ينزو. وأمَّا الظليم [فيقال⁽⁸⁾] قعا يقعو، مثل البعير. يقال
 قاع يقعو قَوْعاً⁽⁹⁾ وقِياعاً، وقَعَا يقَعُو قَعَواً. فهذا ما يسوون فيه بينه وبين البعير. ويقال: خفَّ
 البعير؛ والجمع أخفاف. ومنسَمُ البعير، والجمع مناسم؛ وكذلك يقال للنَّعامة. وقال
 الرَّاعي:

وَرَجُلٌ كَرَجُلِ الْأَخْدَرِيِّ يُشِيلُهَا وَظِيفٌ عَلَى خَفِّ النَّعَامَةِ أَرْوَحُ⁽¹⁰⁾

وقال جِران العود:

لَهَا مِثْلُ أَظْفَارِ الْعَقَابِ وَمَنْسَمٌ أَنْجٌ كَظُنْبُوبِ النَّعَامَةِ أَرْوَحُ⁽¹¹⁾

(1) كذا جاءت. والمعروف في المعاجم: «الغرقية» بالتذكير.

(2) ط، هـ: «غرقات» صوابه في ش.

(3) ط: «والخرشاء مغرقات الجلد الغليظة»، هـ: «والخرشا الجلد الغليظة»، صوابهما في ش.

(4) ط، هـ: «يسلخ جلدها»، وما أثبت من ش أشبه.

(5) الأرقم من الحيات: الذي فيه سواد وبياض. في الأصل: «خرشائها»، صوابه من المفضليات 240 والمقصور والممدود 38، وقد سبق البيت في ص 142، ط، هـ: «تنسل» تصحيحه من ش والمقصور.

(6) بعد هذا بياض في الأصل. ولم اهتم بعد إلى شعر لدريد في ببيض الحديد.

(7) في الأصل: «نزي» بالياء.

(8) ليست بالأصل.

(9) كذا على الصواب في هـ. وفي ط: «قعيًا» وش: «قعيًا».

(10) الأخدري: الحمار الوحشي. يشيلها: يرفعها ويحملها. والوظيف: مستدق الذراع والساق. ووظيف أروح:
 اتسع ما بينه وبين الوظيف الآخر.

(11) السكري: «يقول: أظفارها كمخالب العقاب. والمنسم: طرف خف النعامة. والأزج: المقوس. والظنبوب:
 أنف عظم الساق». في الأصل: «أظفار الكناء» تصحيحه من ديوان جِران العود ص 6، والبيت وجملته: «وقال
 جِران العود» ساقطان من ش.

قال: والزَّاجِلُ^(١): ماء الظليم؛ وهو كالكَرَاضِ من ماء الفحل. وأنشد لابن أحرمر^(٢):
وما بيضات ذي لبٍدٍ هَجَفٌ سُقَيْنَ بِزَاجِلٍ حَتَّى رَوَيْنَا^(٣)
وقال الطَّرمَّاح:

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسٍ سَبْنَدَا ةٌ أَمَارَتْ بِالْبَوْلِ مَاءَ الْكَرَاضِ^(٤)
وربما استعاروا المناسم، قال الشاعر:

توعدني بالسَّجْنِ والآدَاتِ^(٥) إِذَا عَدَّتْ تَأْظَبْتَ أَدَاتِ^(٦)
تربط بالحبل أَكْبِرَعَاتٍ

قال: ويقال لولد النعام: الرَّأل، والجمع رئال ورئلان؛ وَحَفَّانٌ. وَحَفَّانَةٌ للواحدة، والجمع حَفَّانٌ؛ وَحِشْكَل. ويقال: هذا خَيْطُ نَعَامٍ وَخَيْطَانٌ^(٧). وقال الأسود بن يَغْفَرُ^(٨):

وكأنَّ مرجعهم مَنَاقِفُ حَنْظَلٍ لِعَبِّ الرَّئَالِ بَهَاوٍ خَيْطُ نَعَامٍ^(٩)
ويقال: قَطِيعٌ من نَعَامٍ، وَرَعْلَةٌ من نَعَامٍ.

وقال الأصمعيُّ: الرَّعْلَةُ: القِطْعَةُ من النَعَامِ. والسَّرْبُ من الطَّبَّاءِ والقَطَا. والإِجْلُ^(١٠) من الظَّلَفِ.

(١) يقال بالهمز وبغير الهمز.

(٢) ط، هـ: «ابن أحرمر»، صوابه في ش. وانظر ما سبق في ص 191.

(٣) سبق شرحه في ص 191.

(٤) السبنداء: الناقة الجريئة لا تفر للفحل. ورواية الديوان 81: «سبنتاء» وهما لغتان يقال بالتاء وبالذال. أمارت: أسالت. وماء الكراض: ما في جوفها من ماء الفحل. ش، هـ: «سوف يدنيك»، وأثبت ما في ط والديوان. ط، ش: «أمارات» صوابه في هـ والديوان. والبيت من قصيدة للطرمّاح، مطلعها:

قل في شط نهروان اغتماضي ودعاني هوى العيون المراض

(٥) كذا بالأصل.

(٦) كذا. وفي ط: «غدت».

(٧) الخيط، بالفتح ويكسر: الجماعة من النعام.

(٨) الأسود بن يعفر، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالكثير، وكان ينادم النعمان بن المنذر. ولما أسن كف بصره، فكان يقاد. واسمه في أعاشي العرب: أعشى بني نهشل. الأغاني (11: 128) والخزانة (1: 366) سلفية) والمؤتلف والمختلف 16، و(يعفر) بفتح الياء وضم الفاء. وقال يونس سمعت رؤية يقول: أسود بن يعفر بضم الياء - أي وبضم الفاء أيضاً - انظر الصحاح (عفر) والخزانة والأغاني وابن سلام 122، وهو على الوجه الأول ممنوع من الصرف، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه. ط: «يعقر» صوابه في ش، هـ.

(٩) «مرجعهم» لعلها «مربعهم». ومناقف الحنظل: حيث ينقف أي يشق ليستخرج حبه المسمى بالهييد. يقول: قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى للنعام.

(١٠) الإجل، بكسر الهمزة. س: «الأرجل»، صوابه في ط، هـ.

وقال طُفَيْلُ الْعَنْوِي فِي بَيْضَةِ الْحَيِّ⁽¹⁾ وما أشبه ذلك :

صَوَابِعُ تَنْوِي بَيْضَةِ الْحَيِّ بَعْدَمَا أَذَاعَتْ بَرِيعَانِ السَّوَامِ الْمَعْرَبِ⁽²⁾

قال : ويقال : للظليم إذا رعى في هذا النَّبَاتِ ساعةً وفي هذا ساعةً : قد عَقَّبَ يَعْقُبُ تعقيباً⁽³⁾ ، وأنشدني لذي الرُّمَّة :

أَلِهَاهُ آءٌ وَتَنْوُومٌ وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَائِحِ الْمَرْوِ وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبُ⁽⁴⁾

قال : ويقال للرجل ، إذا كان صغير الأذنين لاصقتين بالرَّأْسِ : أصمغ ؛ وامرأة صَمْعَاءُ . ويقال : خَرَجَ السَّهْمُ مَتَصَمِّعاً⁽⁵⁾ : إذا ابتَلَّتْ قُدْذَهُ⁽⁶⁾ من الدَّمِ وانضَمَّت . وقال أبو ذؤيب :

سَهْمًا فَخَرَّ وَرِيشُهُ مَتَصَمِّعٌ⁽⁷⁾

ويقال : أَنَا بَشْرِيْدَةٌ مُصَمِّعَةٌ⁽⁸⁾ : إذا دَقَّقَهَا⁽⁹⁾ وَحَدَّدَ رَأْسَهَا . وصومعة الرَّاهِبِ منه ؛ لأنها دقيقة الرأس . وفلان أصمغ القلب : إذا كان ذكياً حديداً [ماضياً] . وقال طرفة :

لِعَمْرِي لَقَدْ مَرَّتْ عَوَاطِسُ جَمَّةٍ وَمَرَّ قُبَيْلُ الصُّبْحِ ظَبْيٌ مَصَمِّعٌ⁽¹⁰⁾

أراد : ماضياً .

- (1) في الأصل : «الحلي» ، صوابه ما أثبت ، انظر البيت الآتي وشرحه .
- (2) صواب : تمتد أصابعها في سيرها ، أي أعضادها . ط ، ش : «صوائع» هـ : «صوانع» صوابهما من الديوان 11 ، تنوي : تقصد . ط ، هـ : «تنبى» ش : «تبني» صوابهما من الديوان . وفي الأصل : «الحلي» موضع «الحي» تحريف أيضاً . وفي شرح ديوان طفيل : «وبيضه الحي : معظمهم» أذاعت : فرقت . وريعان كل شيء : أوله . والسوام ، كسحاب : ما يسرح من إبل وبقر وغنم ، ولا واحد له ، والمعرب ، بتشديد الزاي المفتوحة : الذي عزب عن أهله لا يروح عليهم . ط ، ش : «الشباب المغرب» هـ : «السقام المغرب» ، تصحيحه من الديوان .
- (3) ط : «عضب يعضب تعضيماً» صوابه في ش ، هـ .
- (4) سبق شرح هذا البيت في 182 ، ط ، هـ : «آء آء» بالتكرار . صوابه في ش .
- (5) ط : «أصمغ» هـ : «صمغاء» ش : «صمغاً» صوابه ما أثبت من القاموس واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتي .
- (6) قدذ السهم : جمع قذة بالضم ، وهي ريشة السهم .
- (7) عجز بيت في صفة صائد رمى أتاناً بسهم فنفذ فيها بريشه ثم سقط . وصدوره :

فرمى فأنفذ من نحوص عائط

- في الأصل : «ريشه» ، وصوابه من اللسان (صمغ) وديوان الهذليين (8: 1) ، والمفضليات 425 حيث تجد القصيدة .
- (8) في الأصل : «متصمعة» صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً : «مصومعة» كما في القاموس .
 - (9) في الأصل : «رققها» بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس ، وانظر اللسان والقاموس (صمغ) .
 - (10) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، في أثناء رحلته المشهورة إلى عامل عمرو بن هند بالبحرين ، وكان قد سنحت له في الطريق طباء وعقاب . انظر ديوانه 9 - 10 والعواطس : جمع عاطس ، وهو ما استقبلك من الأطباء . ورواية اللسان (مادة عطس) : «عواطيس» : جمع عاطوس ، وهي دابة يتشاءم بها . وفي مادة (صمغ) : «عواطس» كما هنا . والمصمغ : بكسر الميم المشددة : الذاهب السريع كما فسره الجاحظ . ويروى : «مصمغ» بفتح الميم المشددة ، وهو الصغير الأذنين . وفي الأصل . بدل : «ومر» : «ومنى» تحريف ، صوابه ما أثبت من اللسان في موضعيه والديوان .

(شعر في البيض)

وقال الشاعر في بيضة البلد⁽¹⁾:

أقبلت توضع بكراً لا خطام لها حسبت رهطك عندي بيضة البلد⁽²⁾

ويشبهه عظام جماجم الرءوس بيض النعام. وقال الأعرج القيني⁽³⁾:

بكيننا بالرّماح غداة طَرَق على قتلّي بناصفة كرام⁽⁴⁾

جماجم غودرت بحمام عرق كأنّ فراشها بيض النعام⁽⁵⁾

وقال مقاتل بن طلّبة⁽⁶⁾:

رأيتُ سحيماً فاقد الله بينّها تنيك بأيديها وتأبى أيورها⁽⁷⁾

وقال السحيمي يردّ عليه:

مُقاتِلُ، بشرّها ببيض نعامٍ وإن لم تبشرّها فانت أميرها

وقال أبو الشيص الخزاعي⁽⁸⁾ في بيضة الخدر:

وأبرز الخدر من ثنييه بيضته وأعجل الرّوع نصل السيف يختلط⁽⁹⁾

(1) هذه الكلمة ساقطة من ش. وانظر لبيضة البلد ما سبق في (2: 192).

(2) البكر، بالكسر: الناقة لم تحمل، أو التي ولدت بطناً واحداً. والبكر أيضاً ولدها ذكراً كان أو أنثى. وأوضع الناقة يوضعها: جعلها تضع في سيرها، أي تعدو عدواً خفيفاً. وفي الأصل: «تضع بكراً»، وهو تحريف فكه.

(3) كذا. والمعروف في الشعراء: الأعرج المعنى، نسبة إلى معن طيء. واسمه عدي بن عمرو بن سويد. وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وهو القائل:

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنداما

معجم المرزباني 251 والإصابة 6409، 3713، ولالأعرج المعنى شعر في البيان (1: 246).

(4) ناصفة: موضع. ش، هـ: «بناصية»، صوابه في ط.

(5) الفراش، بالفتح: كل عظم رقيق.

(6) هو مقاتل بن طلّبة بن قيس بن عاصم، كما في عيون الأخبار (4: 96) وطلّبة، بالتحريك، انظر القاموس واللسان هـ: «كلية» محرفة.

(7) سحيم: بطن من بني حنيفة. وفاقد الله بينها: جعل بعضهم يفقدون بعضاً. ورواية عيون الأخبار: «وتعيا» موضع: «وتأبى».

(8) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين، وهو عم دعبل بن علي الخزاعي. وكان معاصراً لأبي نواس ومسلم بن الوليد، وذكره الصفدي في نكت الهميان 257 وذكر أنه توفي سنة مائتين أو قبلها.

(9) الثني، بالكسر: واحد الأثناء، وهي المحاني والمعاطف. وقد ثني وأراد الجمع، وهو معروف في كلامهم. ش: «من ثنيته بيضة»، صوابه في ط، هـ. يختلط: أي يستل من غمده. يقول: استعجل الخوف نصل السيف في حال اختراطه. في الأصل: «مختلط». ولا يستقيم بها إعراب البيت. فعل الوجه ما أثبت.

فثَمَّ تَفْدِيكَ مَنَّا كُلَّ غَانِيَةٍ وَالشَّيْخُ يَفْدِيكَ وَالْوِلْدَانُ وَالشَّمُطُ⁽¹⁾
وقال جحش بن نصيب:

كَأَنَّ فَلَاقَ الْهَامِ تَحْتَ سَيُوفِنَا خَذَارِيفُ بِيضِ عَجَلِ النَقْفِ طَائِرُهُ⁽²⁾
وقال مهلهل في بيضة الخدر:

وَتَجُولُ بِيضَاتُ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا يَمَسَّحُنَ فَضْلَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ⁽³⁾
وهو وما قبله يدلان⁽⁴⁾ على أنهم لا يشبهون بيض النعام إلا الأبكار. قال الشاعر⁽⁵⁾:

وَبِيضُ أَفْقِنَا⁽⁶⁾ بِالضُّحَى مِنْ مُتُونِهَا سَمَاوَةٌ بِيضُ⁽⁷⁾ كَالْخَبَاءِ الْمَقْوُضِ⁽⁸⁾
هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتَى يُرَمَ فِي عَيْنِيهِ بِالشَّخْصِ يَنْهَضُ⁽⁹⁾

يعني بالبيض ببيض النعام. وسماوة الشيء: شخصه. لأن الظليم لما رآهم فزع ونهض. وهذا البيت أيضاً يدل على أنه فروقة⁽¹⁰⁾. وقال ذو الرمة في بيض النعام:

تَرَاهُ إِذَا هَبَّ الصَّبَا دَرَجَتْ بِهِ غَرَابِيبُ مِنْ بِيضِ هَجَائِنِ دَرْدُقُ⁽¹¹⁾

(1) الشَّمُط، بالضم: جمع أشمط وشمطاء. وهو من اختلط بياض رأسه بسواده. وقد ضم الميم للشعر، وأصلها السكون.

(2) الفلاق، بالضم، جمع فلاقة بالضم أيضاً، وهي القطعة. والهام: الرؤوس. والخذاريف: جمع خذروف بالضم، وهي كل شيء مبعر من شيء. س: «خذاريف» صوابه في ط، هـ. ونقف الطائر البيضة: ثقبها ليساعد الفرخ في الظهور.

(3) حواسرا: كاشفات رؤوسهن. وفي الأصمعيات 176: «عرض ذوائب».

(4) ش، هـ: «يدل».

(5) هو ذو الرمة، كما في الخزانة (4: 451 بولاق) ومحاضرات الراغب (2: 299) وكتاب سيبويه (1: 56).

(6) كذا في ش، هـ. وفي ط: «فلقنا». وفي محاضرات الراغب: «كشفنا» ورواية القالي (2: 294): «رفعنا».

(7) كذا. ولعلها: «هيق» وهو الظليم. ورواية القالي: «جون» بمعنى ظليم أسود.

(8) الخباء، بالكسر: البيت من وبر أو صوف أو شعر. ش، هـ: «كالحياء» صوابهما في ط، والمحاضرات والأمالى. والمقوض: المهذوم. وجعله كذلك حين حضنه للبيض ورقوده عليه.

(9) هجوم عليها نفسه: أي يهجم على البيض نفسه ويلقيها حاضناً لها. وقد أنث البيض هنا. واستشهد به سيبويه على أعمال صيغة فعول عمل اسم الفاعل. وفي الأصل: «هجوم علينا» وصوابه في المصادر السابقة. وروى القالي وسيبويه: «بالشبح» مكان: «بالشخص»، وهما بمعنى. والشبح والشبح، بالفتح، وبالتحريك، لغتان.

(10) الفروقة، بالفتح: الكثير الفزع، يقال للمذكر والمؤنث. وله نظائر في المزهر (2: 134) وانظر شواهد ذلك في اللسان (فرق). وفيه أيضاً أنه يقال للمؤنث «فروق» بنزع الهاء. وفي أصل الكتاب: «روحه» وهو تحريف لا يستقيم.

(11) في الأصل: «ذرفت به»، وتصحيحه من ديوان ذي الرمة 398 ومن الشرح الآتي للجاحظ. و«دردق» صفة لكلمة «غرابيب» فهي مرفوعة. والبيت من قصيدة لذي الرمة، أولها:

أَدَارَا بِحَزَوِيٍّ هَجَتْ لِلْعَيْنِ عِبْرَةً فَمَاءُ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقَّرُ
وقبل البيت:

بِمَشْتَبِهَةِ الْأَرْبَاءِ يَرْمِي بِرُكْبِهِ يَبِيسُ الثَّرِي نَائِي الْمَنَاهِلِ أَخُوقِ

قال: والصَّبَا والجنوبُ تَهَبَّانِ في أيامِ يبسِ البَقْلِ، وهو الوقتُ الذي يثْقُبُ النَّعامُ فيه البيضَ. يقول: درجت به رِثْلان سودُّ غرابيب، وهي من بَيْضِ هجائن: أي بَيْضِ. والدَّرْدَقُ: الصُّغار، وهو من صُغَرٍ^(١) الرُّثْلان.

(الحصول على بيض النعام)

قال طفيل بن عوف الغنوي^(٢)، وذكر كيف يأخذون بيض النعام:

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَاراً تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ^(٣)
سِوَى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ مُعْفَرٍ أَغْرَ مِنَ الْخُنْسِ الْمُنَاخِرِ تَوَامٍ^(٤)

هذه إبلُ راعٍ معزِبٍ^(٥) صاحب بوادٍ^(٦) وبدوةٍ، لا يأتي المحاضر والمياه حيثُ تكون النيران^(٧). وهو صاحب لبنٍ وليس صاحب بَقْلٍ، فإبله لا ترى ناراً سوى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ.

(١) جمع صغرى. وفي اللسان: «والصغرى تأنيث الأصغر، والجمع الصغر. قال سيبويه: يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر، إلا بالالف واللام».

(٢) طفيل بن عوف الغنوي: شاعر جاهلي فحل، قالوا: وهو أوصف العرب للخيول. ويقال له: طفيل الخيل، ويسمى أيضاً: المحبر الغنوي. المؤتلف 184.

(٣) عواذب: عني إبلاً عواذب لا تروح على أهلها، تبيت بالقفر. وقبل هذا البيت بأربعة أبيات:

أرى إبلي عافت جدود فلم تذق بها قطرة إلا تحلة مقسم

والنبوح، بالضم: أصوات الكلاب. والمقامة، بالفتح: الحي المقيمون. يريد: أصوات كلاب الحي المقيمين. ثم حول مجرم: أي حول تام. ش، هـ: «نبوح» صوابه من الديوان 45 ومما سبق في (1: 240). هـ: «حمامة» موضع «مقامة» صوابه في ش، ط والديوان. ورواية القالي: «نُبُوحٌ مُقَامَةٌ»، قال: «النبوح: أصوات الناس. والمقامة: حيث يقيم الناس»، ثم قال: «يقول: هذه الإبل عواذب، لعز أربابها، ترعى حيث شاءت لا تمنع ولا تخاف، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر ناراً سنة كاملة سوى نار ببيض نعام يصيبه راعيها فيشويه، أو غزال يصيده».

(٤) معفر: مقتول ممرغ في العفر. ش: «معفر» بالقاف. والأغن: الذي فيه غنة، وهو من صفة الظباء. وفي الأصل: «أغر» وصوابه من الديوان، والأمالي، والأخنس: القصير الأنف. والتوأم: الذي ولد مع غيره. وذلك أشد لضؤولته وصغر جسمه.

(٥) هـ: «معرب»، صوابه في ط، ش.

(٦) كتبت في الأصل بإثبات الياء. وهو جائز في العربية في حالة الوقف فقط. وفي كتاب سيبويه (2: 288): «وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول: هذا غازي ورامي وعمى. أظهروا في الوقف، حيث صارت في موضع غير تنوين».

(٧) ط، هـ: «الثيران» بالثاء. صوابه بالنون كما في ش.

(نار الصَّيد)

وهذه النَّارُ هي النَّارُ التي يُصْطاد بها الطَّيَّاء والرَّثْلان ويَبْيَض النَّعَامُ ⁽¹⁾ لأنَّ هذه كُلُّها تعشى إذا رَأَتْ ناراً، ويحدِّثُ لها فكرةً فيها ونظر. والصَّبِيُّ الصغير كذلك. وأوَّلُ ما يعابِثُ ⁽²⁾ الرُّضِيعُ، أوَّلُ ما يَنَاقِي، المصْبَاحُ ⁽³⁾. وقد يعتري مثلُ ذلك الأسد، ويعتري الضَّفدَعُ؛ لأنَّ الضَّفدَعُ ينقُ، فإذا رأى ناراً سكت. وهذه الأجناس قد تغتَرُ ⁽⁴⁾ بالنَّار، ويُحْتالُ لها بها.

(تشبيه الغيوم بالنعام)

وتوصف الغيومُ المتراكمة ⁽⁵⁾ بأنَّ عليها نعاماً. قال الشاعر ⁽⁶⁾:

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُؤَيْنَ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَزْجَلِ ⁽⁷⁾
وقال آخر:

خَلِيلِي لَا تَسْتَسْلِمَا وَادْعُوا الَّذِي لَهُ كُلُّ أَمْرٍ أَنْ يَصُوبَ رَبِيعُ
حَيًّا لِبِلَادِ أَبْعَدَ الْمَحَلِّ أَهْلَهَا وَفِي الْعَظْمِ شَيْءٌ فِي شَطَاةٍ صُدُوعُ ⁽⁸⁾

(1) تسمح الجاحظ في التعبير؛ فإن بيض النعام ليس مما يصطاد، بل هو مما يطلب ويبحث عنه. وكان العرب يطلبون بيض النعام في أفاحيصها. ومكانها بالنار. جاء في ثمار القلوب 462، عند الحديث عن (نار الصيد): «ويطلب بها أيضاً بيض النعام في أفاحيصها ومكانها».

(2) يعابث، من المعابثة، وهي الملاعبة. وفي الأصل: «يعاتب» محرفة.

(3) المناغة: المحادثة والملاعبة. و«المصباح» هي في ط، هـ: «المصباح» صوابه في ش.

(4) تغتر: تختدع؛ فالأسد يرى النار فيستعظمها فتشغله عن السابلة، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق. ط، ش: «تغتر»، صوابه في هـ.

(5) المتراكمة: المتكاثفة. ط، هـ: «المتراكم» تصحيحه من ش.

(6) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، كما في اللسان (رب) - عن الأصمعي - ومعجم الأدباء (259: 16) عن أبي عبيدة. ونسبه الحصري في زهر الآداب (177: 1) إلى حسان بن ثابت. والبيت منسوب في الكامل 485، 758، وكذا في شرح المفضليات 248 (عن الأصمعي) إلى المازني. قلت: المازني الذي عنياه هو زهير بن عروة بن جلهمة المازني، كما في الأغاني (387: 19)، أو عروة بن جلهمة، كما في اللسان. وقبله:

إذا اللّه لم يسق إلا الكرام فأسقى وجوه بني حنبل
أجش ملثا غزير السحاب هزير الصلاصل والأزمل
تكركره خضخضات الجنوب وتفرغه هزة الشمال

(7) الرباب، بالفتح: السحاب المتعلق.

(8) الحيا الخصب. وفي الأصل: «جنا». والمحل: الجذب وانقطاع المطر. والشطى: عظيم لاصق بالركبة. هـ: «شطاه». س: «وفي الفطم في شطاه صدوع». وأثبت ما في ط. ولعل صوابه: «وعى العظم حتى في شطاه صدوع»، أي وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق في شطاه. ووعى العظم: انجبر على عثم، أي التواء. وهو كناية عن الشدة. والبيت وسابقه في الزهرة 203.

بمنتضك^(١) عر^(٢) النَّشَاص كَأَنهَا جِبَالٌ عَلَيْهِنَّ النَّسُورُ وَقُوعٌ^(٣)
(استطراد لغوي)

وقال آخر:

وَضَعَ النَّعَامَاتِ الرَّجَالَ بَرِيدَهَا مِنْ بَيْنِ مَخْفُوضٍ وَبَيْنِ مَظْلَلٍ^(٤)
والنعائم في السماء^(٥). والنعائم والنعامتان من آلات البئر^(٦). و[النعامة^(٧)]: بيت
الصائد^(٨). وقال في مثل ذلك عروة بن مُرَّة الهذلي^(٩):
وَذَاتِ رَيْدٍ كَزَنْقِ الْفَاسِ مُشْرِفَةٍ طَرِيقَهَا سَرَبٌ بِالنَّاسِ مَجْبُوبٌ^(١٠)

- (١) هـ: «بمنتضك» ش: «بمصك» وكلها صور محرفة. ولعلها «معتنك» وأصله البعير يحبو حبواً ولا يقدر على السير. فيكون قد جعله معتنكاً لثقله وكثرة مائه.
- (٢) كذا بالعين المهملة. ولعلها: «غر».
- (٣) النشاص، بالفتح: السحاب المرتفع بعضه فوق بعض.
- (٤) النعامة: ظلة أو علم يتخذ من خشب، فربما استظل به وربما اهتدى به. المخصص (٥: ١٣٥)، والرجال هنا فاعل (رفع). والريد، بالفتح: الحرف الناتئ من الجبل. في الأصل: «برمدها»، وتصحيحه من المخصص. وشبيهه بلفظه قوله:

لا شيء في ريدها إلا نعامتها منها هزيم ومنها قائم باقي

و«مظلل» هي في الأصل «مضلل» وصوابه في المخصص.

- (٥) هي منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها في المجرة وتسمى الواردة، وأربعة خارجة تسمى الصادرة.
- (٦) النعامتان: خشبتان يضم طرفاهما الأعلىان ويركز طرفاهما الأسفلان في الأرض، أحدهما من هذا الجانب، والآخر من ذاك الجانب، يصقعان بحبل ويمد طرفا الجبل إلى وتدين مثبتتين في الأرض، أو حجرين، وتعلق القامة أي البكرة بين شعبتي النعامتين. قلت: فقد يضم إلى النعامتين ثالثة فيصرن نعام. في الأصل: «السر» وقد كشفت سر هذا التصحيف بما أثبت.
- (٧) ليست بالأصل.
- (٨) ط، هـ: «الصديد»، صوابه ما أثبت من ش.
- (٩) البيت الآتي منسوب في اللسان (سرب) إلى أبي خراش الهذلي. وعروة وأبو خراش أخوان، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهذلي، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون عدواً. أما عروة فقتل في الجاهلية ورثاه أبو خراش بأبيات ضادية، في الحماسة. وأما أبو خراش - واسمه خويلد بن مرة - فإنه أدرك زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهاجر إليه، وغزا مع المسلمين. ومات في زمن عمر. الأغاني (٢١: ٣٨-٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزانة (١١: ٤٠٠ سلفية).

- (١٠) الريد: ما شخص من الجبل: ط. «وذاث فرند» ش، هـ: «وذاث زند» صوابه ما أثبت من اللسان، وانظر البيت السابق. والزنق، بالتحريك: لضرورة الشعر. والمعنى أن ذلك الريد يشبه حد الفأس. ط، هـ: «بزلف» ش: «بدلف». وفي اللسان: «كزلق الرخ». وصواب الكلمة ما أثبت وأما كلمة «الرخ» في اللسان فصوابها «الزج». والأرض المشرفة: العالية تشرف على ما حولها. والطريق السرب - ككتف - : الذي يتتابع فيه الناس. في الأصل: «طويلها» تصحيحه من اللسان. والمجبوب. كأنه الممهّد من قولهم: سنام مجبوب، أي مقطوع. ط، ش: «مجنوب» صوابه في هـ. ورواية اللسان: «دعوب» بضم الدال، وهو المذلّل الواضح الذي يسلكه الناس.

لَمْ يَبْقَ مِنْ عَرَسِهَا إِلَّا نَعَامُهَا حالانٍ منهزمٌ منها ومنصوبٌ⁽¹⁾
(مسكن النعام)

وفي المثل: «ما يُجْمَعُ بين الأروى والنعام⁽²⁾»؛ لأنَّ الأروى تسكن الجبال ولا تُسهل⁽³⁾، والنعام تسكن السهل ولا ترقى في الجبال. ولذلك قال الشاعر⁽⁴⁾:

وَحَيْلٌ تَكَرَّدُسُ بِالْدَارِ عَيْنَ كمشي الوُعول على الظاهرة⁽⁵⁾
وقال كثير:

يَهْدِي مَطَايَا كَالْحَنِيِّ ضَوَامِرًا بنياط أغبر شاخص الأميال⁽⁶⁾
فَكَأَنَّهُ إِذْ يَغْتَدِي مُتَسَنِّمًا وَهْدًا فَوَهْدًا نَاعِقُ بَرِّئَالِ⁽⁷⁾

(1) العرس، بالفتح: حائط يجعل بين حائطي البيت الشنوي لا يبلغ به أقصاه ثم يسقف ليكون البيت أدفأ. والنعام: الظلة. حالان أي تلك النعام لها حالان فبعض أجزائها منهزم أي متكسر. تقول هزمت القرية فانهمت: إذا غمزتها فتطامنت. ومنصوب: أي قائم. انظر مثيل هذا البيت في حواشي الصفحة السابقة. في الأصل: «مصبوب» والوجه ما أثبت.

(2) نص المثل في الميداني (126:1) وكنايات الجرجاني 118 والدميري: «تكلم فجمع بين الأروى والنعام». وقالوا: أي تكلم بكلمتين مختلفتين. وفي اللسان: «ومن أمثالهم: من يجمع بين الأروى والنعام؟!». والأروى: جمع أروية، أو اسم جمع، وهي أنثى الوعل.

(3) أسهل: نزل في السهل من الأرض.

(4) هو مهلهل، كما في اللسان (ظهر، كدس) أو عبيد بن الأبرص، كما في مختصر تهذيب الألفاظ 171 واللسان (كدس). والبيت بدون نسبة في المقاييس (كدس).

(5) ط: «وتبلى» ش، هـ: «ونبل»، صوابه من الحيوان (191:6) والمخصص (69:10) واللسان. وتكرس: تمشي مشية المقيد. ط: «يكرس» ش، هـ: «مكرس»، صوابهما من سادس الحيوان. والرواية في المخصص واللسان والمختصر: «تكدس» أي تتكدس. والتكدس: أن يمشي الفرس كأنه مثقل. والدارع: لابس الدرع الحديدي. والظاهرة أعلى الجبل حيث يسكن الوعل. وفي الأصل: «الطاهر» صوابه من المخصص واللسان والمختصر. وانظر ما سيأتي في (191:6).

(6) الحنى: كغني: جمع حنية، وهي القوس. جعلها كالقسي في نحولها. وانظر الاستدراكات. ونياط المفازة: بعد طريقها. ط، ش: «نياط» صوابه في هـ. والأغبر: الطريق ذو الغبرة. شاخص: قائم. والأميال: جمع ميل، بالكسر، وهو المنار يبني للمسافر في أنشاز الأرض وأشرافها. وفي الأصل: «الأمثال». ولا وجه له، صوابه ما أثبت.

(7) تسنم الشيء: علاه. ش: «متنسماً». صوابه في ط، هـ. والوهد، بالفتح: الأرض المنخفضة. فمعنى تسنم الوهد: أشرف عليه من الأنشاز التي حوله. ط: «وهد فوهد»، ش، هـ: «وهدي» فوهدا صوابهما ما أثبت. وناثق: هو من نثق الراعي بالغنم: دعاها وصاح بها. ط: «ناطق» تصحيحه ش، هـ.

(شعر في التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى، في تشبيه النعام بما يتدلى من السحاب من قطع الرباب:

يَا هَلْ تَرَى بَرْقاً عَلَى الـ جَبَلَيْنِ يُعْجِبُنِي انْجِيَابُهُ (1)
مِنْ سَاقِطِ الْأَكْنَافِ ذِي رَجَلٍ أَرَبَ بِهِ سَحَابُهُ (2)
مِثْلَ النَّعَامِ مُعَلَّقاً لَمَّا زَقَا وَدَنَا رَبَابُهُ (3)
وقال وشبّه ناقته (4) بالظليم:

وَإِذَا أَطَافَ لِبَابِهِ بِسَدِيسِهِ (5) وَمَسَافِراً وَلَجَابَهُ وَتَزَيَّداً (6)
شَبَّهَتْهُ هَقْلاً يُبَارِي هَقْلاً رِبْدَاءَ فِي خَيْطٍ نَقَانِقٍ أُرْبداً (7)
وَذَكَرَ زَهِيرٌ (8) الظِّلْمَ وَأَوْلَادَهُ، حَتَّى (9) شَبَّهَ نَاقَتَهُ بِالظَّلِيمِ:

كَأَنِّي وَرَدْتُ فِي الْقِرَابِ وَنُمرُقي عَلَى خَاضِبِ السَّاقِينِ أَرَعَنْ نَقْنِقِ (10)

(1) يا هل: أي يا صاح هل. حذف المنادى، كما جاء في الكتاب: «ألا يا اسجدوا» في قراءة الكسائي، وكتوله:

يَالْعَنَةُ اللَّهُ وَالْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سَمْعَانِ مِنْ جَارٍ

برفع «لعنة». ورواية الديوان 189: «بل هل». والجبلا، هما جبلا طيء: أجأ وسلمى. وانجياه: انكشافه. ويروى: «انتصابه». وفي شرح الديوان: «الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتاً». ط، ش: «انجياه» تصحيحه من هـ والديوان.

(2) من ساقط الأكناف: أي من سحاب ساقط النواحي. وفي الأصل: «متساقط» و«الأكناف» هي في ش: «الأكناف» وصواب هذين التحريين من الديوان. والزجل، بالتحريك: الصوت. أرب به: أقام.

(3) معلّقاً، في موضع حال من النعام. وفي الأصل: «معلق» ووجهه ما أثبت من الديوان. وانظر شبّه هذا المعنى في البيت الذي سبق في ص 205، زقاً: صاح وفي اللسان: «وكل صائح زاق...» وقد تعدوا ذلك إلا ما لا يحس فقالوا: زقت البكرة ش. ط، هـ: «رقاً»، ولا وجه له، وأثبت ما في ش. ورواية الديوان: «لما دنا قرداً رباباً». القرد: المجتمع. والرباب: ما تدلى من السحاب.

(4) كذا: والوجه: «بعيره» أو «جملة». كما يفهم من الشعر. انظر الديوان 152.

(5) رواية الديوان: «وإذا يلوث لُغَامَهُ بِسَدِيسِهِ» و«أطاف لغامه».

(6) كذا في ط، هـ وفي ش: «ومسافر دلجا به»، وكلاهما محرف. ورواية الديوان: «ثنى فهبّ هبابه وتزَيَّداً».

(7) الهقل، بالكسر: الفتى من النعام. ط، ش: «شبهته صعلأ». والصعل، بالفتح: الطويل من النعام. ورواية الديوان: «وكأنه هقل يباري هقلة». والربداء: الرمادية اللون، أو السوداء. وروى في الديوان: «رمداء» أي رمادية اللون. والخيط، بالفتح والكسر: جماعة النعام. ط، ش: «نيط» هـ: «نيط» تصحيحه من الديوان. والنقناق: جمع نقنق ونقنقة، وهو الخفيف من النعام. في الأصل: «تعانق» والوجه من الديوان. و«أبرداً» صفة لخيط، وجر بالفتحة لوزن أفعّل. هـ والديوان: «أرمداً» وهما بمعنى.

(8) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير في قصة رواها أبو الفرج في 15: 141، وفي ديوان زهير 245 أن زهيراً وكعباً اشتركا فيها.

(9) لعلها: «حين»، أو: «حيث».

(10) الردف، بالكسر: الحقيبة ونحوها. والقرباب، بالكسر: غمد السيف. ويروى: «والفتان» وهو غشاء الرجل. والنمرق: ما يوضع فوق الرجل يقعد عليه الراكب. خاضب الساقين: عنى به ظليماً احمرت ساقاه. والنقنق، النافر أو الخفيف.

- ترامى به حبّ الصَّحاريّ وقد رأى
تحنُّ إلى مثل الحبابير جُثم
سَماوة قَشْرَاءِ الوظيفين عَوْهَقِ⁽¹⁾
لَدَى سَكَنٍ مِنْ قِيضِهَا المتفلّقِ⁽²⁾
تَحَطَّم عنها [قِيضُهَا] عَنْ خَرَاطِمِ
وَعَنْ حَدَقِ كَالنَّبْخِ لم يتفلّقِ⁽³⁾
النَّبْخِ⁽⁴⁾ : الجُدْرِيّ⁽⁵⁾ .

(النعامه فرس خالد بن نضلة)

وكان اسمُ فرس خالد بن نَضَلَة⁽⁶⁾ : «النَّعامَة» . قال :

- تَدَارَكَ إِرْحَاءَ «النَّعامَة» حَنْثَرًا وَدُودَانَ أَذْنَهُ إِلَيَّ مُكَبَّلًا⁽⁷⁾

(تشبيه مشي الشيخ بمشي الرئال)

وقال عروة بن الورد⁽⁸⁾ :

- أليسَ ورائي أن أدبَّ على العَصَا فيأمنَ أعدائي ويسأمني أهلي⁽⁹⁾

- (1) في الديوان والأغاني : و«تراخي» ، أي تناول . ط ، هـ : «وقد أرى» . وأثبت ما في ش ، والديوان والأغاني ، والسماوة : أعلى شخص الشيء . والقشراء : البيئة القشر ، وهو شدة الحمرة . أو القشراء : المتقشرة الساق لا ريش عليها . والوظيف : مستدق الساق . وفي ط ، ش : «الوظيفة» وهـ : «قشر الوظيفة» صوابه ما أثبت . والعوهق : الطويل : يستوي فيه المذكر والمؤنث . ط ، ش : «عيق» هـ : «عيق» محرفتان عما أثبت .
- (2) في الأصل : «ميل الجناحين» ، صوابه من الديوان والأغاني . والحبابير : جمع حبارى ، يعني فراخها . والجثم : الجائمة المقيمة في موضعها . والسكن : حيث تسكن . وفي الأصل : «عن بيضها» ، صوابه من الديوان والأغاني . والقيض : قشر البيض .
- (3) التكملة من الديوان والأغاني . وفي ط ، هـ : «خراطم أسيح» . والنبخ : الجدري . ش ، ط : «كالمخ» ، هـ : «كالمخ» ، صوابهما من الديوان والأغاني واللسان (نبخ) .
- (4) ش : «السح» ، ط ، هـ : «السيح» ، محرفتان .
- (5) في الأصل : «الحدور» ، تحريف ما أثبت .
- (6) خالد بن نضلة الأسدی ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر في يوم النصار إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير 1: 377 ، ش : «فضلة» صوابه في القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان 3: 250 ، 269 ، وبلوغ الأرب 2: 118 ، وقد قال البيت الآتي يذكر فيه أنه أسر حنثر بن الأضبظ ، ودودان بن خالد . شرح المفضليات 366 وبلوغ الأرب 2: 118 .
- (7) الإرخاء : شدة العدو . ط : «أحساء» . ش ، هـ : «أرحاء» ، والوجه ما أثبت ، كما في بلوغ الأرب . و«حنثراً» هي في الأصل : «جيداً» صوابه في بلوغ الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفي الأصل أيضاً : «أردته» صوابه ما أثبت . وفي بلوغ الأرب : «ودودان أدت في الحديد» . مكبلاً : مقيداً .
- (8) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صعلوك ، جواد . وكان يسمى عروة الصعاليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم .
- (9) يقول : أليس ورائي إن سالمت الناس ، وتركت مخاطر التصعلك ، أن يلحقني الكبر فأهون ويضجر مني أهلي؟! فهو يحتاج للتصعلك بما ترى . ش ، هـ : «على الصفا» ش : «ويأس بي» ، هـ : «ويأس أهاني» ، صواب ذلك في ط والديوان 103 .

رَهِيْنَةً قَعْرَ الْبَيْتِ كُلِّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ بِي الْوِلْدَانُ أَهْدِجُ كَالرَّأْلِ^(١)
 شَبَّ هَدَجَانُ^(٢) الشَّيْخِ الضَّعِيفِ فِي مَشِيَّتِهِ بِهَدَجَانِ الرَّأْلِ .
 وَقَالَ أَبُو الزَّحَفِ^(٣) :

أَشْكُو إِلَيْكَ^(٤) وَجَعاً بَرَكْبَتِي وَهَدَجَاناً لَمْ يَكُنْ فِي مَشِيَّتِي^(٥)
 كَهَدَجَانِ الرَّأْلِ حَوْلَ الْهَيْقَتِ^(٦)
 وَقَالَ آخَرُ ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّهُمَا حَمَلَ عَلَى صَاحِبِهِ :

أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعاً بِمَرْفَقِي^(٧) وَهَدَجَاناً لَمْ يَكُنْ فِي خُلْقِي
 كَهَدَجَانِ الرَّأْلِ حَوْلَ النَّقْنِقِ
 وَلَمْ يَفْضَحْهُ إِلَّا قَوْلُهُ :

أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعاً بِمَرْفَقِي
 لِأَنَّ الْأَوَّلَ حَكَى أَنَّ وَجْعَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَصِيبُ الشُّيُوخَ ، وَوَجْعَ الْمَرْفَقِ مِثْلُ وَجَعِ
 الْأُذُنِ ، وَضَرْبَانِ الضَّرْسِ ، لَيْسَ مِنْ أَوْجَاعِ الْكِبَرِ فِي شَيْءٍ .

(شعر فيه ذكر النعامة)

وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ ، وَذَكَرَ بَنِي نَعَامَةَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ - وَقَدْ كَانَ قَطْرِيُّ بْنُ الْفَجَاءَةِ يَكْنَى أَبَا نَعَامَةَ^(٨) :
 فَهَلْ يَمْنَعُنِي أَنْ أُسِيرَ بَبْلَدَةٍ نَعَامَةً ، مِفْتَاحُ الْمَخَازِي وَبَابُهَا

- (١) رهينة: أي ملازم لا يبرح. وهديج الشيخ في مشيته: قارب الخطو وأسرع من غير إرادة. والرأل: فرخ النعام.
- (٢) في الأصل: «وشبيه بهذا أن»، تحريف ما أثبت.
- (٣) أبو الزحف، سبقت ترجمته في (2: 111)، وفي الأصل: «أبو المرهف»، محرفة. والرجز في الشعراء 669 في ترجمة أبي الزحف. وقد نسب في نوادر أبي زيد 255 إلى (ابن غُلَقَةَ التَّيْمِيِّ)، برواية أخرى. وأراه رجلاً آخر اتفق خاطرا القائلين فيه. وهو بغير نسبة في أمالي القالي (1: 189)، ونسب في العقد (2: 52) إلى أعرابي.
- (٤) في العقد: «إلى الله».
- (٥) في الشعراء والنوادر والأمالي: «من مشيتي».
- (٦) الهيقة: النعامة الطويلة. وقد أراد: «الهيقة» فصير هاء التأنيث تاء في المرور عليها. في الأصل: «النقنق» ولا تتفق مع الرجز، وتصحيحه من اللسان (هديج، هيق) وسائر المصادر المتقدمة ما عدا العقد، فالرواية فيه أشد تحريفاً. وروى: «خلف» مكان «حول» في جميع المصادر ما عدا العقد.
- (٧) المرفق، كمنبر ومجلس: موصل الذراع في العضد.
- (٨) قطري، بالتحريك: نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان. وهي نسبة غير حقيقية؛ فإن مولده بلد يقال له الأعدان. والفجاءة كذلك لقب لأبيه، قالوا: قدم أهله فجأة فلقب بذلك. واسم قطري جعونة، واسم أبيه مازن. وأبو نعامة كنيته في الحرب، ونعامة فرسه، وكنيته في السلم أبو محمد. خرج قطري في زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نزاع مستمر طويل. وعثر به فرسه فاندقت فخذه فمات وجيء برأسه إلى الحجاج سنة 78، وفيه يقول الحريري في المقامة السادسة: «فقلدوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة». ابن خلكان والدميري وشرح التبريزي للحماسة.

وهجا دُرَيْدُ بن الصَّمَةِ رجُلًا فجعل البيضةَ الفاسدةَ مثلاً له، ثمَّ ألحق النَّسْرَ بأحرار الطَّيْرِ وكرامها - وما رأيتُهُمْ يعرفون ذلك لنسر - فقال:

فإنِّي على رَغَمِ الْعَذُولِ لَنَازِلٌ بحيثُ التَّقَى عيطُ وبيضُ بني بدر⁽¹⁾
أبَا حَكَمِ السَّوَاءِ لَا تَهْجُ وَأَضْطَجِعُ فهل أنتَ إن هاجيتَ إلّا من الخُضِرِ⁽²⁾
وهل أنتَ إلّا بَيْضَةٌ ماتَ فَرُخُهَا ثَوَّتَ في سُلُوخِ الطَّيْرِ في بلدٍ قَفِرِ⁽³⁾
حَوَاهَا بَغَاثٌ: شَرُّ طَيْرٍ علمتُها وسَلَاءٌ ليستَ من عِقَابٍ ولا نَسِرِ⁽⁴⁾

(استطراد لغوي)

ويقال للأنثى من ولد النعامة: قلووس؛ على التشبيه بالنعام من الإبل. وهذا الجمع⁽⁵⁾ إلى ما جعلوه له من اسم البعير، وإلى ما جعلوا له من الخفِّ والمنسم، والخرمة⁽⁶⁾، وغير ذلك. قال عنترة:

تأوى له قُلُوصُ النِّعَامِ كَمَا أَوَتْ حَزَقَ يَمَانِيَّةٌ لأَعْجَمَ طُمُطِمِ⁽⁷⁾
وقال شَمَّاخُ بن ضِرَارٍ⁽⁸⁾:

قلووس نَعَامٍ زَفُّهَا قَدْ تَمَوَّرَا⁽⁹⁾

(1) كذا. ولعله: «غيظ» أو «عيص» اسما قبائل.

(2) الخضر: اسم قبيلة. ط، ش: «الحصر» ه: «الحضر». ولعل صوابه ما أثبت.

(3) سلوخ: جمع سلخ، بالفتح، وهو ما يسلخه الطائر من ريشه، فهو يبطن به عشه ليضع فيه البيض. انظر ما سبق من القول في سلخ الطيور ص 224 ش: «شلوخ»، ولا وجه له لها.

(4) السلاء، كرمان: ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين.

(5) كذا. ولعلها: «يجمع».

(6) الخرمة، بالتحريك: سبق شرحها في ص 186، وفي الأصل: «الخزامة» محرفة.

(7) تأوى له: أي تلجأ إليه. والضمير عائد إلى الظليم، المفهوم من قوله قبل هذا البيت:

وكأنما أقص الإكام عشية بقريب بين المنسمين مصلم

وفي الأصل: «تأوى به»، صوابه من المعلقات واللسان (قلص). والقلووس الشابة من الرئال، أي فراخ النعام. والحزق: الجماعات. والمراد بها جماعات الإبل. لأعجم طمطم: أي لإهابة راعيها الأعجم الذي لا يفهم الكلام.

(8) يصف ناقته، من قصيدة له في ديوانه 26 - 34.

(9) الزف، بالكسر: صغار الريش. ش، ه: «زحها» محرفة. وتمور: سقط. وصدر البيت:

وقد أنعلتها الشمس نعلًا كأنه

(وصف الرئال)

ووصف لبيد الرئال فقال :

فَأَضَحَّتْ قَدْ خَلَّتْ إِلَّا عَرَاراً وَعَزَفًا، بَعْدَ أَحْيَاءٍ حِلَالٍ⁽¹⁾
وَحَيْطًا مِنْ خَوَاضِبٍ مُؤَلَفَاتٍ كَأَنَّ رِئَالَهَا وَرُقُ الْإِفَالِ⁽²⁾

(قول في بيت لحسان)

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه⁽³⁾ :

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَكَ فِي قُرَيْشٍ كِلَالُ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ⁽⁴⁾

وقد عاب عليه هذا البيت ناسٌ، وظنوا أنه أراد التباعد، فذكر شيئين قد يتشابهان من وجوه. وحسان لم يرد هذا، وإنما أراد ضَعْفَ نَسَبِهِ فِي قُرَيْشٍ، وأنه حينَ وَجَدَ أَدْنَى نَسَبٍ⁽⁵⁾ انتحل ذلك النسب.

(1) العرار، بكسر العين المهملة: صوت الظليم. يقال عرعر عراعرًا، وعار يعار معارة وعرايرًا. ط: «غرارًا»، صوابه في ش، هو واللسان (عرر). والعزف: صوت الرياح، وقد يجعله العرب بزعمهم صوت الجن. وفي الأصل: «عرفًا» تصحيحه من اللسان. وأحبال حلال: أي أقوام مقيمون متجاورون. ينعت تلك الديار بعد ما رحل عنها أهلها.

(2) الخيط بالفتح والكسر: جماعة النعام. والخواضب: الظلمان قد احمرت سوقها. مؤلفات: ألقت الرمل. وفي الأصل: «مؤلفات» صوابه من الديوان. ورئالها: فراخها. والورق: جمع أوراق، وهو ما لونه كلون الرماد. والإفال: جمع أفيل، كأفيل، وهو الفصيل من الإبل. وفي الأصل: «الإمال» بالميم، محرفة.

(3) يهجو أبا سفيان بن الحارث. والبيت أول أبيات أربعة في ديوانه 407 - 408 وبعده:

فإنك إن تمت إلى قريش كذات البوجائلة المرام
وأنت منوط بهم هجين كما نيط السرائح بالخدام
فلا تفخر بقوم لست منهم ولاتك كاللئام بني هشام

(4) الإل: القرابة. والسقب: ولد الناقة ساعة يولد. ط: «الفيل»، ش، ه: «السيف» صوابهما ما أثبت من الديوان، والمخصص (151:3) وأمالى القالي (41:1) والأضداد 346، والرواية فيها جميعاً: «من قريش» وهناك بيت آخر يشته بهذا البيت. وهو:

وأشهد أن إلك من قريش كإل الفيل من ولد الأثان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقول له لمعاوية: كما في الحيوان (1: 119، 7: 154) والخزانة (2: 518 بولاق). أو صاحبه يزيد بن مفرغ، كما في الشعراء 322، والموشع 273، أو هو عبد الرحمن بن حسان: كما في العقد (4: 182).

(5) كذا بالأصل، ولعلها: «سبب».

(النعام، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدق - وذَكَرَ الفَرَسَ الذي يقال له: «النعام»، وهو فرسُ الحارث بن عباد، التي يقول فيها:

قَرَّباً مَرَبِطَ النِّعَامَةِ مِئِّي لَقَحْتُ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنِ حِيَالٍ⁽¹⁾
وقولُ الفرزدق⁽²⁾:

تُريكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حَيَّةً⁽³⁾ كَرَامُ⁽⁴⁾ بَنَاتِ الحَارِثِ بِنِ عُبَادٍ
نِسَاءً أَبُوهنَّ الْأَغْرَ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْ الحُتِّ فِي أَجْبَالِهَا وَهَدَادٍ⁽⁵⁾
أَبُوهَا الَّذِي أَوَى النِّعَامَةَ بَعْدَمَا أَبَتْ وَاثِلٌ فِي الحَرْبِ غَيْرَ تَمَادٍ⁽⁶⁾
وقد مَدَحُوا بَنَاتِ الحَارِثِ بِنِ عُبَادِ هَذَا، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ⁽⁷⁾:

جَاءُوا بِحَارِشَةِ الضَّبَابِ كَأَنَّهُمْ جَاءُوا بِبَنَاتِ الحَارِثِ بِنِ عُبَادٍ⁽⁸⁾

- (1) عن حِيَالٍ، أي بعد حِيَالٍ. والحِيَالُ، بالكسر: ألا تحمل الناقة بولد. وقد قال الحارث هذا الشعر لمناسبة تجدها في (يوم قضة) من أيامهم.
- (2) يقوله للنوار زوجته، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد، فقالت له: تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين!
- (3) كذا رواية صدر البيت في الموشح 104 والأغاني (9:19) وروى: «أرتك» في الأغاني (8:89)، و«أراها» في الديوان 159، يقول لها: إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة الممضة حتى يظلم عليها نهارها. والعبارة مثل، كما جاء في قول طرفة (ديوان 65):

إِنْ تَنَوَّلَهُ فَقَدْ تَمْنَعَهُ وَتَرِيهِ النِّجْمَ يَجْرِي بِالظَّهْرِ

- (4) روى في الديوان والموشح والأغاني (8:89): «زحام». وللمرzbاني كلام في هذا اللفظ دقيق.
- (5) الحت، بالضم، وهداد: قبيلتان من الأزد. ط: «من الأزد في جاراتها وهداد». ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغاني (9:19) لكن في ش، هـ: «من الحب في إحالها»، وتصحيح هذا التحريف من الديوان.
- (6) أبوها، يعني أبا زوجته. و«أوى النعام» إشارة إلى قوله: قرباً مربط النعام. ط: «قاد النعام» ويظهر أيضاً أنه اعتمد من المصحح على رواية الأغاني (9:19). ورواية الديوان: «أدنى». والتمادي: اللجاجة. وواثل هو والد بكر وتغلب اللتين أشعلتا نار حرب البسوس، فكانت إحداهما تحارب الأخرى.
- (7) في (6:65): وقائلة هذا الشعر امرأة من بني مرة بن عباد. ونحوه في ثمار القلوب 239 - 240.
- (8) بحارشة الضباب: أي بامرأة تحرش الضباب، أي تصيدها. وقد عدت هذه حرش الضباب لؤماً ومسبة، ولكن بعض العرب لا يرى في ذلك شيئاً. انظر تفصيل هذا الخلاف في (6:47-70). أما بنت الحارث بن عباد فمثل في الكرم والشرف.

ويلحق^(١) هذا البيت بموضعه، من قولهم: باضَ الصَّيْفُ^(٢)، وباضَ القَيْظُ^(٣)، وقال مضرّس:

بَلْمَاعَةِ قَدْ بَاكَرَ الصَّيْفُ مَاءَهَا وباضت عليها شمسُه وحرائرُه^(٤)

(ابن النعمانة، فرس خُزَز بن لُوذَانَ)

وابن النعمانة: فرس خُزَز بن لُوذَانَ^(٥). وهو الذي يقول لامرأته حين أنكرت عليه إيثاره فرسه باللبن:

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءَ شَنْ بَارِدٍ إِنْ كُنْتُ سَائِلَتِي عِبَوْقًا فَادْهَبِي^(٦)
إِنِّي لَأُخْشَى أَنْ تَقُولَ خَلِيلَتِي^(٧) هَذَا غِبَارٌ سَاطِعٌ فَتَلَبَّبِ^(٨)
إِنَّ الْعَدُوَّ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي^(٩)

(١) الكلام من مبدأ هذا إلى نهاية بيت مضرّس ساقط من ش. وربما دل هذا على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء. وكلمة «بموضعه» تشير إلى ما سبق في ص 196 - 197.

(٢) في الأصل: «وهو هنا ط، ه: «السيف». وانظر ما سبق في 197.

(٣) في الأصل: «ومن باض القَيْظُ»، وكلمة «من» مقحمة.

(٤) لماعة: أي فلاة يلمع فيها السراب. ط: «بداعية» صوابه في ه، واللسان (حزر). وفي اللسان أيضاً: «قد صادف الصيف». والحرائر: جمع حرور، بالفتح، وهو الحر. وباضت الشمس: أخرجت كل حرها. ورواية اللسان: «فاضت».

(٥) خُزَز بزايين وبوزن عمر، ابن لُوذَانَ، يفتح اللام وبذال معجمة: شاعر قديم جاهلي، كما في الخزانة (3: 11 بولاق). وفي الأصل: «حزر»، صوابه في القاموس (خُزَز، لُوذ) والمؤتلف 102، والبيان (3: 317). ونسبة الشعر الآتي إلى خُزَز، مثلها في الخزانة والبيان وأمالي ابن الشجري (1: 260). ونسب إلى عنترة في المخصص (13: 206) والعقد (2: 256) وحماسة ابن الشجري 8 وأماليه (1: 261).

(٦) هو مثل صادق من عناية العرب بخيلهم، وإيثارهم لها على أنفسهم وعلى أزواجهم ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم. وقال في مثل هذا، الأعرج المعنى (الحماسة 1: 130):

أرى أم سهل ما تزال تفجع تلوم وما أدري علام توجع
تلوم على أن أمنح الورد لقحة وما تستوي والورد ساعة يفرع

أم سهل: امرأته. والورد: اسم فرسه. ولقحة: أي لبن ناقة لقحة. وما تستوي: أي ما تستوي امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب.

(٧) يقول لها: عليك بأكل العتيق، وهو يابس التمر، وبشرب الماء البارد الذي في القرية الخلق، ولا تتعرضي لغبوق اللبن، وهو شر به بالعشي؛ لأن اللبن خصصت به مهري الذي أنتفع به ويسلمني وإياك من الأعداء. وكذب كذا، وكذب عليك كذا: مثلاً غريباً من أمثلة الإغراء، لكنه جاء مسموعاً كثيراً في كلامهم. انظر اللسان (كذب) وأمالي ابن الشجري والمزهر (1: 225).

(٨) يعني بحليلته زوجته. ط، ش: «خليلي» وتصح بالتصغير وإرادة النداء وأثبت ما في ه والبيان واللسان (لب). ورواية ابن الشجري في الحماسة: «ظعيتي». والظعينة: المرأة. والغبار الساطع الذي تعني: هو ما يتطاير من جرى خيل العدو المغير. والتلبب: التحزم بالسلاح وغيره.

(٩) العدو، من الكلمات التي تقال للواحد والاثنين والجمع، والمثنى والمذكر، بلفظ واحد. روى ابن الشجري في الأمالي: «أن يأخذوك» وقال: «موضعه نصب بتقدير حذف الخافض، أي في أن يأخذوك». ثم قال: «قدفها بإرادتها أن تؤخذ مسببة، فلذلك قال: تكحلي وتخضبي».

ويكون مَرْكَبُكَ القعودَ وحِدْجَه وابنُ النِّعامةِ يومَ ذَلِكَ مَرْكَبِي⁽¹⁾

(شعر في النعمة)

وقال أبو كبير الهذلي:

وَضَعَ النِّعَامَاتِ الرِّجَالُ بِرِيدِهَا يُرْفَعْنَ بَيْنَ مُشْعَشَعٍ وَمُهْلَلٍ⁽²⁾

وقال ذو الإصبع العدواني:

ولي ابنُ عَمٍّ ما كان مِنْ خُلُقٍ مخالفٌ لي أَقلِيه ويقليني⁽³⁾

أَزْرَى بنا أَننا شالَتْ نِعامُنا فَخالني دُونَهُ بل خِلْتُهُ دُونِي⁽⁴⁾

وقال أبو دُوادٍ الإيادي في ذكر الصَّيْدِ، وذَكَرَ فَرَسَهُ:

وأخذنا به الضرار وقلنا بحقير بنانه أضمار⁽⁵⁾

فأتانا يسعى تَفَرُّشٌ أمَّ الـ بَيضٍ شَدًّا وقد تَعَالَى النهارُ⁽⁶⁾

غير جعف⁽⁷⁾ أوأبد ونعام ونعام خلالها أثوار

في حوال العقارب⁽⁸⁾ العمر فيها حين ينهضن⁽⁹⁾ بالصباح عذار

ثم قال:

يتكشفن من صرائع ستَّ قسّمت بينهنَّ كأس عَقَار

(1) أي يحملك الأعداء حين تسبين على القعود، وهو الفصل من الإبل. والحدج بالكسر: مركب من مراكب النساء. يقول: وأما أنا فأركب للقاء العدو فرسي المسمى بابن النعمة. وقيل: أراد بابن النعمة باطن القدم، وقيل أراد الطريق. وأول الثلاثة أصحابها.

(2) «وضع» هي في الأصل: «وقع» و«بريدها» هي في ط، ش: «بريدها» وفي هـ: «برمدها». وانظر ما أسلفت من التحقيق في 206، و«يرفعن» هي في الأصل: «يدفعن». والمشعشع: المتفرق فيه فرج. والمهلل: المتقوس. وانظر عجز البيت وشرحه فيما سبق ص 206.

(3) أي أبغضه ويبغضني.

(4) شالت نعمة القوم: تفرقت كلمتهم وذهب عزهم، أو لم يبق منهم إلا بقية. والبيتان من قصيدة في المفضليات 159 - 164.

(5) كذا جاء البيت محرفاً في الأصل. ش: «الضرا». هـ: «فلسنا» موضع «وقلنا». ش: «بخفر» موضع: «بحقير».

(6) أم البيض، عنى بها النعمة. والتفرش: أن ترفرف بجناحيها. في الأصل: «وأتى يبتغي تفرس»، صوابه في المعاني الكبير 775 واللسان والمقاييس (فرش).

(7) كذا بالأصل.

(8) كذا في ط. وفي ش، هـ: «في حوال القارب»، محرفتان.

(9) ش، هـ: «ينهض».

بين ربداء كالمظلة أفق وظليم مع الظليم حمار⁽¹⁾
ومهايين حربين ورئال وسيوب كأنه أوتار⁽²⁾

(شعر في تشبيه الناقة بالظليم)

ووصف علقمة بن عبدة ناقته، وشبهها بأشياء منها⁽³⁾ ثم أطنب في تشبيهه إياها بالظليم:

تلاحظ السوط شزراً وهي ضامرة كما توجس طاوي الكشح مؤشوم⁽⁴⁾
كأنها خاضب زعر قوائمه أجنى له باللوى شري وتنوم⁽⁵⁾
يظل في الحنظل الخطبان ينقفه وما استطف من التنوم مخدوم⁽⁶⁾
فوه كشق العصا لأياً تبينه أسك ما يسمع الأصوات مصلوم⁽⁷⁾
يكاد منسمه يختل مقلته⁽⁸⁾ كأنه حاذر للنخس مشهوم⁽⁹⁾

(1) ربداء: أي نعامة رمادية اللون. والمظلة: بالكسر والفتح، الكبير من الأخبية، وقد جاء مثل هذا في قول ذي الرمة ص 311:

شخت الجزارة مثل البيت سائره

وسياي مثله لذي الرمة ص 217، ط: «كالمصلة»، ش، هـ: «كالمظلة» صوابه ما أثبت. والأفق، بضميتين: الرائع، يقال للذكر والأنثى، وقد سكن الفاء للشعر.

(2) كذا في ش، هـ، وفي ط:

ومهايتين حرس ورئال وسيوف كأنها أوتار

والنصان محرفان. وفي المعاني الكبير 776 قطعة من البيت فقط «كأنه أوتار». بالشاء المثلثة. قال ابن قتيبة: «قيل هو الثوب الأبيض المحشو، وقيل: البرذعة».

(3) كذا. وقد تكون هذه الكلمة زائدة، وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط.

(4) نظر شزراً: أي بمؤخر عينه. ضامرة، بالزاي: أي ساكنة خائفة. ش، هـ: والديوان 130: «ضامرة» وما أثبت من ط، والمفضليات 399 أجود، والتوجس: التسمع للصوت الخفي. ش، هـ: «تزر»، محرف عما أثبت من ط، والديوان، والمفضليات. والموشوم: الذي في ذراعيه خطوط. وعنى به الثور الوحشي. ش، هـ: «مرشوم»، محرف.

(5) الخاضب: الظليم قد احمرت ساقاه. والزعر: القليلات الريش. هـ: «ذعر». مصحفة. روى في المفضليات: «قواده». والشري: الحنظل. والتنوم: نبت. وأجنى: أي أدرك وأمكن من جنيه. ش، هـ: «أحنى» صوابه في ط: والديوان وعيون الأخبار (2: 87) والمفضليات 399 حيث القصيدة.

(6) الخطبان: بالضم والكسر: جمع خطبانة بالضم، وهي الصفراء فيها خطوط خضر. في الأصل: «الخطبان» صوابه في الديوان والمفضليات واللسان (طف). ينقفه: يشقه ليستخرج لبه. واستطف: أي بدا للآخذ. والمخدوم: المقطوع هـ: «مخدوم» وأثبت ما في ط، ش والمفضليات. ورواية الديوان: «مخدوم» وهو المقطوع قطعاً وحياً.

(7) لأياً تبينه، أي لا تتبينه إلا بعد جهد ومشقة. ط: «لا يأتبينه». ش، هـ: «لأياًيبينه» صوابه من الديوان والمفضليات. والأسك: الأصم. والمصلوم: الصغير الأذنين أو المقطوعهما.

(8) المنسم، كمجلس: طرف خف النعامة. يختل مقلته: ينفذ فيها ويتنظمها.

(9) المشهوم: الفزع. ش، هـ: «موسوم». ش: «حازم النحيين» هـ: «حارم التبخر» تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات.

- حتى تذكّر بِيضَاتٍ وَهَيَّجَهُ
فلا تزيده في مشيه نَفَقٌ⁽²⁾
يَأْوِي إِلَى حِسْكِ زَعْرِ حَوَاصِلِهَا⁽⁴⁾
وَصَاعَةً كِعِصِي الشَّرْعِ جُؤْجُؤُهُ
حَتَّى تَلَاقَى وَقَرْنُ الشَّمْسِ مَرْتَفَعٌ
يُومِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضٍ وَنَقْنَقَةٍ
صَعْلٌ، كَأَنَّ جَنَاحِيهِ وَجُؤْجُؤُهُ
تَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَطْعَاءٌ خَاضِبَةٌ
- يَوْمٌ رَذَاذٍ، عَلَيْهِ الرِّيحُ مَغْيُومٌ⁽¹⁾
وَلَا الرِّفِيفُ دُوبِنَ الشَّدِّ مَسْثُومٌ⁽³⁾
كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَكْنَ جُرْثُومٌ⁽⁵⁾
كَأَنَّهُ بَتْنَاهِي الرُّوْضِ عُلْجُومٌ⁽⁶⁾
أُدْحِي عِرْسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومٌ⁽⁷⁾
كَمَا تَرَاطُنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ⁽⁸⁾
بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءٌ مَهْجُومٌ⁽⁹⁾
تَجِيبُهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ⁽¹⁰⁾

- (1) في المفضليات: «عليه الدجن». ه: «معتوم».
- (2) التزبد: الزيادة. والنفق، كفرح: المنقطع. ش: «لغوا». ش، ه: «ولا تزبد وفي مشيه»، صوابه في ط والمصدرين السابقين.
- (3) الزفيف: المشي السريع. دوين، تصغير دون: أي أقل. في الأصل. «مستوم» صوابه في المصدرين السابقين. ش، ه: «إلا الرفيف دون السك»، محرف.
- (4) الحسكل، كزبرج: الصغير من ولد النعام. ش، ه: «درحق» صوابهما: «دردق» في الديوان: «حرق».
- (5) الجرثوم: أصل الشجرة يجتمع إليه التراب. ش، ه: «إذا ركن مرثوم».
- (6) الوضاع: الذي يعدو وضعا. والوضع: عدو سريع من عدو الإبل. وقد زاد التاء للمبالغة، كما جاءت في علامة ونسابة. والشرع، بالكسر: جمع شرعة، وهي وتر القوس أو العود. والجؤجؤ: الصدر. والتناهي: جمع تنهية، وهي الأماكن المطمئنة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها. والروض: جمع روضة. والعلجوم: البعير الطويل المظلي بالقطران. ولعمري لقد دار علقمة على رأسه، فشبه ناقته بالظلم ثم عاد فشبه الظلم بالبعير، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه في الاستطراد. ش، ه: «وصاعد كقصي الترع» و«بتناهي الروس» صوابه ما أثبت من ط والمفضليات والديوان.
- (7) تلافي، بالفاء: أي تدارك. ش، والديوان: «تلاقي» صوابه في ط، ه والمفضليات واللسان (عرس). والأدحى: موضع بيض النعامة. وأراد بالعرسين الذكر والأنثى. ش: «أرحى عرينين» محرف. ومركوم: راكب بعضه بعضا. ه: «محجوم»، ولا وجه له.
- (8) يومي إليها: يشير. ش، ه: «يرحي» صواب هذه: «يوحي» كما في الديوان والمفضليات. والإنقاض: صويت مثل النقر. والنقنة: صوت كصوت الدجاجة للبيض. وتراطن الروم: تكلموا برطانتهم. ويصح أن يكون حذف من الفعل إحدى التاءين تخفيفاً، فيكون أصله: تتراطن. والأفدان: جمع فدن، بالتحريك، وهو القصر المشيد. ه: «أفرايها» ش: «أقرايها»، صوابهما في ط والديوان والمفضليات.
- (9) الصعل: الصغير الرأس. والجؤجؤ: الصدر. وخرقاء: أي ريح خرقاء لا تدوم على حال في هبوبها. المخصص (9: 87). وفي الكامل 449: «والخرقاء: التي لا تحسن شيئاً، فهي تفسد ما عرضت له»، وفي اللسان: «وقال المازني في قوله: أطافت به خرقاء: امرأة غير صناع، ولا لها رفق، فإذا بنت بيتاً أنهدم سريعاً». وتفسير ابن سيده أجود وأقرب. والمهجوم: المهذوم. وهو من صفة البيت الذي شبه به جناحي الظلم وجؤجؤه.
- (10) الهقلة: الفتية من النعام، أو الطويلة الخرقاء. ش، ه: «يحفه مقلّة» محرف. والسطعاء: الطويلة العنق. ش، ه: «صعاء» محرفة، والزمار، بالكسر: صوت أنثى النعام.

(رؤيا النعامة)

الأصمعيّ، قال: أخبرني رجلٌ من أهل البصرة قال: أرسل⁽¹⁾ شيخ من ثقيف ابنه فلاناً - ولم يحفظ اسمه - إلى ابن سيرين، فكلّمه بكلام، وأمّ ابنه هذا قاعدة، ولا يظنُّ أنّها تفيطن، فقال له: يا بنيّ اذهب إلى ابن سيرين، فقال له: رجلٌ رأى أنّ له نعامةً تطحن. قال: فقلت له، فقال: هذا رجلٌ اشترى جاريةً فحبّأها في بني حنيفة⁽²⁾. قال: فجئت أبي فأخبرته، فنافرته أمّي، وما زالت به حتى اعترف أنّ له جارية في بني حنيفة. وما أعرف هذا التأويل، ولولا أنّه من حديث الأصمعيّ مشهور ما ذكرته في كتابي.

(مسيلمة الكذاب)

وأما قول الشاعر الهذليّ في مسيلمة الكذاب، في احتياله وتمويهه وتشبيهه ما يحتال به من أعلام الأنبياء، بقوله:

ببيضه قارور ورأية شادن وتوصيل مقصوص من الطير جادف⁽³⁾

قال: هذا شعر أنشدناه أبو الزرقاء سَهْم الخثعمي، هذا [منذ⁽⁴⁾] أكثر من أربعين سنة. والبيت من قصيدة قد كان أنشدناها فلم أحفظ منها إلا هذا البيت.

فذكر أنّ مسيلمة طاف، قبل التنبّي، في الأسواق التي كانت بين دور العجم والعرب، يلتقون فيها للتسوّق والبياعات⁽⁵⁾، كنحو سوق الأبلّة، وسوق بقّة⁽⁶⁾، وسوق الأنبار، وسوق الحيرة.

قال: وكان يلتمس تعلّم الحيل والنيرجات⁽⁷⁾، واختيارات النجوم والمتنبئين. وقد كان

(1) ش، هـ: «أرسلني»، صوابه في ط.

(2) أي في بني حنيفة.

(3) الجادف من الطير: ما يطير وهو مقصوص، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه، كما يفعل الملاح بمجدافيه، وفي الأصل: «جائف»، ولا وجه له.

(4) ليست بالأصل.

(5) في اللسان: «تسوق القوم: باعو واشتروا». ش، هـ: «فيه» هـ: «للسوق»، محرفتان عما في ط، والبياعات: الأشياء التي يتبايع بها في التجارة.

(6) بقّة: اسم موضع قرب الحيرة كان ينزله جذيمة الأبرش. وفيه المثل: «بقّة خلفت الرأي». ط، هـ: «لقة» ش: «لقة»، صوابه من معجم البلدان.

(7) كذا في الأصل. قال صاحب القاموس: «والنيرنج، بالكسر: أخذ كالسحر وليس به»، وعقب عليه الشارح بقوله: هكذا في سائر النسخ. والمنقول عن نص كلام الليث: النيرج، بإسقاط النون الثانية. وجاء في المعارف 178: «وكان صاحب نيرنجات» فهما مذهبان في التعريب. وهو بالفارسية: «نيرنگ».

أَحْكَمَ حَيْلَ السَّدَنَةِ وَالْحَوَاءِ⁽¹⁾ وَأَصْحَابِ الرَّجْرِ وَالْخَطِّ⁽²⁾، وَمَذْهَبِ الْكَاهِنِ وَالْعَيَافِ⁽³⁾ وَالسَّاحِرِ، وَصَاحِبِ الْجَنِّ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ مَعَهُ تَابِعَهُ⁽⁴⁾.

قال: فخرَجَ وقد أَحْكَمَ من ذلك أموراً. فمن ذلك أَنَّهُ صَبَّ عَلَى بَيْضَةٍ مِنْ خَلٍّ قَاطِعٍ⁽⁵⁾ - وَالْبَيْضُ إِذَا أَطِيلَ إِنْقَاعُهُ فِي الْخَلِّ لَانَ قَشْرُهُ الْأَعْلَى، حَتَّى إِذَا مَدَدْتَهُ اسْتَطَالَ وَاسْتَدَقَّ وَامْتَدَّ كَمَا يَمْتَدُّ الْعِلْكُ، أَوْ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ ذَلِكَ - قال: فَلَمَّا تَمَّ لَهُ فِيهَا مَا حَاوَلَ وَأَمَّلَ، طَوَّلَهَا ثُمَّ أَدْخَلَهَا قَارُورَةً ضَبَقَةَ الرَّأْسِ، وَتَرْكَهَا حَتَّى جَفَّتْ وَبَسَّت. فَلَمَّا جَفَّتْ انضَمَّت، وَكَلِمَا انضَمَّت اسْتَدَارَتْ، حَتَّى عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا الْأُولَى. فَأَخْرَجَهَا إِلَى مُجَاعَةٍ⁽⁶⁾، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَهُمْ أَعرَابٌ، وَادَّعَى بِهَا أَعْجُوبَةً، وَأَنَّهَا جُعِلَتْ لَهُ آيَةٌ. فَأَمَّنَ بِهِ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مُجَاعَةٌ⁽⁷⁾، وَكَانَ قَدْ حَمَلَ مَعَهُ رِيشاً فِي لُونِ رِيشِ أَزْوَاجِ حَمَامٍ، وَقَدْ كَانَ يَرَاهُنَّ فِي مَنْزِلِ مُجَاعَةٍ مَقَاصِيصَ. فَالْتَفَتَ، بَعْدَ أَنْ أَرَاهُمُ الْآيَةَ فِي الْبَيْضِ إِلَى الْحَمَامِ، فَقَالَ لِمُجَاعَةٍ: إِلَى كَمْ تَعَذَّبَ خَلَقَ اللَّهُ بِالْقَصِّ؟! وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ لِلطَّيْرِ خِلَافَ الطَّيْرِ لَمَا خَلَقَ لَهَا أَجْنَحَةً، وَقَدْ حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ قَصَّ أَجْنَحَةِ الْحَمَامِ! فَقَالَ لَهُ مُجَاعَةٌ كَالْمَتَعَنَتِ: فَسَلِ الَّذِي أَعْطَاكَ فِي الْبَيْضِ هَذِهِ الْآيَةَ أَنْ يُنَبِّتَ لَكَ جَنَاحَ هَذَا الطَّائِرِ الذَّكَرِ السَّاعَةِ!

فقلت لسهم: : أما كان أجودَ من هذا وأشبهَ أن يقول: فَسَلِ الَّذِي أَدْخَلَ لَكَ هَذِهِ الْبَيْضَةَ فَمَ هَذِهِ الْقَارُورَةُ أَنْ يَخْرِجَهَا كَمَا أَدْخَلَهَا. قال: فقال: كَأَنَّ⁽⁸⁾ الْقَوْمَ كَانُوا أَعْرَاباً، وَمِثْلُ هَذَا

(1) السدنة: جمع سادن، وهو خادم الكعبة، أو خادم بيت الصنم. ش: «السدانة» صوابه في ط، هـ. والحواء: جمع حاوٍ. انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة في التنبيه الخامس من ص 156.

(2) الخط: ضرب من ضروب الكهانة، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلواناً، فيقول: اقعد حتى أخط لك. وبين يدي الحازي غلام له معه ميل له - أي قضيب - ثم يأتي إلى أرض رخوة، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالعجلة، لثلاث يحلقها العدد، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين، فإن بقي من الخطوط خطان فهما علامة قضاء الحاجة والنجاح، وإن بقي واحد كان ذلك أمانة للخيبة، وبينما الحازي يمحو يقول الغلام للتفاؤل: ابني عيان! أسرع البيان!.

(3) العياف، من العيافة، بالكسر: وهي زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها، وأصواتها وممرها.

(4) هـ: «تابعة»، أي جنية تتبعه.

(5) خل قاطع: أي شديد الحموضة.

(6) هو مجاعة، بضم الميم وتشديد الجيم، ابن مرارة بن سلمى الحنفي اليمامي، صحابي جليل، كان من رؤساء بني حنيفة، وأسلم ووفد. الإصابة 7716، وقد ذكره المرزباني في المعجم 472، وأثبت له الجاحظ بلاغة في البيان 90: 4. وذكر المرزباني أنه عاش إلى خلافة معاوية.

(7) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة، فلا تناقض. وكان مجاعة ممن أسره خالد بن الوليد يوم اليمامة، فوجهه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقال مجاعة من أبيات:

أترى خالداً يقتلنا اليوم م بذنب الأصيلفر الكذاب
لم ندع ملة النبي ولا نحد ن رجعنا فيها على الأعقاب

(8) ط، هـ: «كان»، وأثبت ما في ش.

الامتحان من مُجاعة كثير. وَلَعَمْرِي إِنَّ المتنبئ لِيُخدع^(١) ألفاً مثل قيس بن زهير^(٢)، قبل أن يخدع واحداً من آخر المتكلمين، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبار قيس فيما قيس بسبيله.

قال مسيلمة: فَإِن أنا سألتُ الله ذلك، فانتبه له حتى يطير وأنتم ترونه، أتعلمون أني رسول الله إليكم؟ قالوا^(٣): نعم. قال: فَإني أريد أن أناجي ربي، وللمناجاة خلوة، فانهضوا عني، وإن شئتم فأدخلوني هذا البيت وأدخلوه معي^(٤)، حتى أخرجهم إليكم الساعة وافي الجناحين يطير، وأنتم ترونه ولم يكن القوم سمعوا^(٥) بتغريز^(٦) الحمام، ولا كان عندهم باب الاحتياط في أمر المحتالين. وذلك أن عبيداً الكيس^(٧)، فإنه^(٨) المقدم في هذه الصناعة، لو منعوه السُّر والاختفاء. لَمَا وصل إلى شيء من عمله جلّ ولا ذق؛ ولكان واحداً^(٩) من الناس. فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذي قد هيأه، فأدخل طرف كل ريشة ممّا^(١٠) كان معه، في جوف ريش الحمام المقصوص، من عند المقطع والقص. وقصب^(١١) الريش أجوف، وأكثر الأصول جداً وصلاب. فلما وقى الطائر ريشه صار في العين كأنه برزؤن موصول الذنب، لا يعرف ذلك إلا من ارتاب به. والحمام بنفسه قد كان له أصول ريش، فلما غُرزَت تمت^(١٢) فلما أرسله من يده طار. وينبغي ألا يكون فعل ذلك بطائر قد كانوا قطوه^(١٣) بعد أن ثبت عندهم. فلما فعل ذلك ازداد من كان آمن به بصيرةً وآمن به آخرون لم يكونوا آمنوا به، ونزع منهم في أمره^(١٤) كل من كان مستبصراً في تكذيبه.

(١) ط: «يخدع».

(٢) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، كان يلقب بقيس الرأي؛ لجودة رأيه. وهو صاحب داحس التي راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء، فلما سبق قيس تنازعا وشبت نار حرب داحس والغبراء في الجاهلية.

(٣) في الأصل: «قال»، والوجه ما كتبت.

(٤) ط: «فأدخلوه هذا البيت وأدخلوني معه»، وأثبت ما في ش، هـ. ومؤداهما واحد.

(٥) ط: «يسمعوا»، وتصحيحه من ش، هـ.

(٦) تغريز الحمام: أي تغريز الريش في جناحه. وأصله من تغريز النخل، أي نقله من موضع إلى موضع، وهذا يقابل ما يعرف في اصطلاح زراع مصر بالشتل، بفتح الشين. ط: «بتغريز» هـ: «بتغريز»، وأثبت الصواب من ش.

(٧) كذا في الأصل. وفي أنساب ابن الكلبي من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيس. انظر تاج العروس (كيس).

(٨) ط: «فأته» ش: «فأته»، وصوابه في هـ.

(٩) ط: «واحد».

(١٠) ط: «كما»، وتصحيحه من ش، هـ.

(١١) قصب الريش: أنابيه. في الأصل: «قضب» محرفة.

(١٢) انظر التنبيه (٦) من هذه الصفحة.

(١٣) كذا في الأصل، بالطاء. وقد تكون: «قصوه».

(١٤) أي صار في مذهبه، وصار في نصرته.

قال: ثم إنه قال لهم - وذلك في مثل ليلة مُنْكَرَةِ الرِّيحِ مُظْلِمَةٍ في بعض زمان البوارح⁽¹⁾ - إِنَّ الْمَلِكَ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ إِلَيَّ⁽²⁾ والملائكة تطير، وهي ذوات أجنحة، ولمجيء الملكِ زَجْلٌ وخَشْخِشَةٌ⁽³⁾ وقعقة، فمن كان منكم ظاهراً فَلْيَدْخُلْ منزله؛ فَإِنْ مِنْ تَأَمَّلِ اخْتِطَفَ بَصْرَهُ! ثم صَنَعَ رَايَةً من رايات الصِّبْيَانِ التي تعمل من الورق الصِّينِيِّ⁽⁴⁾. ومن الكاغِدِ⁽⁵⁾، وَتُجْعَلُ لها الأذْنَابُ والأجنحة، وتعلّق في صدورها الجلالجل⁽⁶⁾، وترسّل يوم الرِّيحِ بالخيوط الطّوال الصّلاب.

قال: فبات القوم يتوقّعون نزولَ الملك، ويلاحظون السّماء، وأبطأ عنهم حتّى قام جلّ أهل اليمامة؛ وأُتِنَتْ⁽⁷⁾ الرِّيح وقويت، فأرسلها، وهم لا يروُنَ الخيوط، واللّيل لا يُبِينُ عن صورة الرّقّ⁽⁸⁾، وعن دقّة الكاغد. وقد توهّموا قبل ذلك الملائكة. فلمّا سمِعُوا ذلك ورأوه تصارّخوا وصاح: من صَرَفَ بَصْرَهُ ودخل بيته فهو آمن! فأصبح القوم وقد أطبّقوا على نصرته والدّفَع عنه. فهو قوله:

بَبَيْضَةٍ قَارُورٍ وَرَايَةٍ شَادِنٍ وتوصيلٍ مَقْصُوصٍ من الطيرِ جَادِفٍ⁽⁹⁾

فقلت لسهم⁽¹⁰⁾: يكون مثل هذا الأمر العجيب، فلا يقول فيه شاعرٌ، ولا يشيع به خبرٌ! قال: [أ⁽¹¹⁾] أو كلما كان في الأرض عجبٌ، أو شيءٌ غريبٌ، فقد وجب أن يشيع ذكره، ويقال فيه الشّعْر، ويجعل زمائه تاريخاً! أَلَسْنَا مَعَشَرَ العربِ نزعُمُ أنَّ كسرى أبرويز، وهو من أحرار فارس، من الملوكِ الأعظم، وسليلُ ملوك، وأبو ملوك، مع حَزْمِهِ ورأيه وكَمَالِهِ، خطبَ إلى الثُّعْمَانِ بن المنذر، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأته طِئْراً لبعض ولدٍ

(1) البوارح: الرياح الشدائد التي تحمل التراب، وخصها بعضهم بما كان منها في القبط.

(2) أي على وشك أن ينزل على.

(3) الخشخشة: صوت كصوت السلاح. هـ: «خشخشة» بمهملتين، وليس لها وجه.

(4) من خواص الورق الصيني النعومة والحسن والرفق والرقّة. انظر ثمار القلوب 431، قال: «وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبي سباه زياد بن صالح في وقعه أطلخ - سنة 134 - من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة، واستمرت العادة، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند». وجاء في فهرست ابن النديم 21 ليسك 31 مصر: «الورق الصيني ويعمل من الحشيش».

(5) الكاغد، بفتح الغين، كلمة فارسية أصلها صيني، بمعنى القرطاس الذي يكتب فيه. والكاغد لغة فيه. والقرطاس أيضاً معربة من اليوناني: Xxptnc، وتنطق: «خَازْطيس»، انظر الألفاظ الفارسية لأدي شير 136.

(6) الجلالجل: جمع جلجل، بجيمين، وهو الجرس الصغير. ش: «الخلاخل»، محرفة.

(7) أطنبت الرّيح إطناباً: اشتدت في غبار. اللسان والقاموس. والكلمة محرفة في الأصل فهي في ط: «طلبت»، وفي ش، هـ: «طابت». أما الأولى فظاهرة التحريف وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها، وهو «وقوت» إذ أن الرّيح الطيبة هي اللينة غير الشديدة.

(8) الرق، بالفتح، ويكسر: الصحيفة البيضاء.

(9) في الأصل: «جائف»، وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقها في ص 218 حيث أنشد هذا البيت.

(10) ش: «لهم» محرفة. وسيتّرجم الجاحظ «سهماً» في ص 224.

(11) ليست بالأصل.

كسرى، وهو عامله، ويسمّيه كسرى عبداً، وهو مع ذلك أَحْيَمِرَ أَقْيَشِرُ، إمّا من أشلاء قصيّ بن معد، وإما من عُرض لحم. وهو الذي قالوا: تَزَوَّجَ مومسةً - وهي الفاجرة؛ ولا يقال لها مومسة إلا وهي بذلك مشهورة - وعَرَفَها بذلك، وأقام عليها، وهُجِيَ بها ولم يَحْفَلُ بهجائهم. وممّا زاد في شهرتها قصّة المرقش ⁽¹⁾. وناكها قُرّة بن هُبيرة ⁽²⁾ حين سباهها. فعلم بذلك وأقام عليها، ثم لم يَرْضَ حتّى قال لها: هل مَسَّكَ؟ قالت: وأنت والله لو قَدَّرَ عليك لَمَسَّكَ! فلم يَرْضَ بها حتّى قال لها: صِفِيه لي. فوصفته حتّى قالت: كأنّ شعر خَدَيْهِ حَلَقُ الدُّرْع! وبال على رأسه خلف بن نواله الكناني عام حَجّ، ونَصَرَه عدي بن زيد بأحمق سَبَب ⁽³⁾. وحَطَبَ أخوه المنذر إلى عبيدة بين همام، فردّه أَفْبَحَ الرَّد، وقال ⁽⁴⁾:

أَتُونِي وَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا ⁽⁵⁾ وَقَدْ طَرَقُونِي بِأَمْرِ نُكْرٍ
لَأُكَيِّحَ أَيَّمَهُمْ مُنْذِرًا وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ حُرًّا لِحَرٍّ ⁽⁶⁾

ثم مع ذلك خطب إليه كسرى بعض بناته فرغب بها عنه، حتّى كان ذلك سبب هربه وعلة لقتله - فهل رأيت شاعراً في ذلك الزّمان مع كثرة الشعراء فيه، ومع افتخارهم بالذي ⁽⁷⁾ كان منهم في يوم جُلُولي ⁽⁸⁾ ويوم ذي قار، وفي وقائع المثنى بن حارثة، وسعد بن أبي وقاص - فهل سمعت في ذلك بشعرٍ صحيح طريف ⁽⁹⁾ المخرج، كما سمعته في جميع

⁽¹⁾ هو المرقش الأصغر، واسمه ربعة بن سفيان بن سعد بن مالك، أو عمرو بن حنظلة بن سعد بن مالك، وهو ابن أخي المرقش الأكبر. واسمه عمرو - أو عوف - ابن سعد بن مالك. والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً. والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر، أخت النعمان لا زوجته. وقصتهما في الأغاني (5: 183 - 184). وفيها يقول - من قصيدة مفضلية مطلعها (انظر المفضليات 244):

أَلَا يَا اسْلَمِي لَا صَرَمَ لِي الْيَوْمَ فَاطِمَا وَلَا أَبْدَأُ مَا دَامَ وَصْلُكَ دَائِمًا

⁽²⁾ قرة بن هبيرة، أحد بني قشير، وفد على الرسول ﷺ، وأسلم الإصابة 7010 .
⁽³⁾ نصره تنصيراً: أدخله في النصرانية. وانظر خبر تنصير عدي بن زيد للنعمان بن المنذر في الأغاني (2: 32 - 33).
⁽⁴⁾ البيتان بدون نسبة في الكامل 446 ليسك. ونسبا في اللسان (نكر) إلى الأسود بن يعفر.
⁽⁵⁾ ما بيتوا: أي ما دبروه وفكروا فيه ليلاً. هـ: «بيتوا»، محرفة.
⁽⁶⁾ جعل أخا المنذر عبداً، فقال: وهل يزوج الحر عبداً مثل أخي المنذر لحر مثل المرأة التي خطبها. في الأصل: «حرّاً بحر»، وصوابه من الكامل.

⁽⁷⁾ ش: هـ: «في الذي».

⁽⁸⁾ المعروف: «جلولاء» بالمد، لكنها قد قصرت في الشعر، فمنه قول القعقاع بن عمرو:

وَنَحْنُ قَتَلْنَا فِي جُلُولَا أَثَابِرَا وَمِهْرَانٍ إِذْ عَزَتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ

ويوم جلولاء الوقبة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتائب

قال ياقوت: «فقصّرها مرة ومدها أخرى». وهي طسوج من طساسيج السواد. وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة 16 وقتلوا منهم مائة ألف فيما يروون.

⁽⁹⁾ ش، هـ: «ظريف» بالمعجمة.

مفاخرهم ممّا لا يداني هذا المَفْخَرُ⁽¹⁾؟! ولقد خَطَبَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ⁽²⁾ إلى رجالٍ من نزار، من غير أهل البيوتات، رغبوا عنهم.

وأمّ النعمان سَلَمَى بنت الصّائغ⁽³⁾: يهوديّ من أنباط الشام، ثمّ كان نَجْلُهُ⁽⁴⁾ لِفِعْلٍ غير محمود.

وقد قال جَبَلَةُ بن الأيهم⁽⁵⁾، لحسان بن ثابت: قد دَخَلْتُ عليّ ورأيتني، فأين أنا من النعمان؟ قال: واللّه⁽⁶⁾

[فالنعمان⁽⁷⁾] مع هذه المثالب كلّها قد رَغِبَ بنفسه⁽⁸⁾ عن مصاهرة كِسْرَى، وهو من أنبىء الكسور⁽⁹⁾. وكما⁽¹⁰⁾ كان أَبْرُويزُ أَعْظَمَ خَطَرًا، كَانَتْ أَنْفَتُهُ⁽¹¹⁾ أَفْخَرَ لِلْعَرَبِ، وأدَلَّ على ما يدعون من العلوّ في النسب وكان الأمر مشهوداً ظاهراً، ومُرَدِّداً⁽¹²⁾ على الأسماع مستفيضاً. فإذا قد تهيأ أن يكون مثلُ هذا الأمر الجليل، والمفخر العظيم، والعربُ أَفْخَرُ الأُممِ، ومع ذلك قد أغفلوه - فشأنُ مسيلمةَ أحقُّ بأن يجوزَ ذلك عليه.

وأنشدني يوسفُ لبعضِ شعراءِ بني حَنيفَةَ، وكما⁽¹³⁾ يُسَمَّى مُسَيْلِمَةَ وَيُكْنَى أبا ثُمَامَةَ:

لهفي عَلَيْكَ أَبَا ثُمَامَةَ لهفي على رُكْنِي شَمَامَةَ⁽¹⁴⁾

(1) ط، ش: «المفتخر».

(2) ط، هـ: «إخوانه». ولم يفصل صاحباً القاموس والمصباح بين الاثنين، لكن جاء في اللسان: «وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء، والإخوة في الولادة».

(3) اسمه عطية، كما في الأغاني (9: 158)، وفي البيان (3: 246): «سلمى بنت عقاب».

(4) نجله، أي ولادته. ط، هـ: «بخله»، صوابه في ش.

(5) هو جبلة بن الأيهم الغساني، آخر ملوك الغساسنة بالشام. أسلم ثم تنصر في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحديثه مع حسان معروف. الأغاني (14: 2) والعمدة (2: 178) والخزانة (4: 297-203 سلفية). وفي الأصل: «خلف» محرف عما أثبت.

(6) في الكلام نقص، تقديره كما في الأغاني (14: 3): «... لقفاك خير من وجهه، ولشمالك خير من يمينه، ولأخمصك خير من رأسه، ولخطوك خير من صوابه، ولصمتك خير من كلامه. ولأملك خير من أبيه، ولخدمك خير من قومه». كما أن صاحب الحديث (في الأغاني) هو عمرو بن الحارث الأعرج، لاجبلة.

(7) ليست بالأصل.

(8) ش: «قد ترغّب بنفسه».

(9) الكسور: جمع كسرى: اسم لملك الفرس، معرب «خَسْرُو» أي واسع الملك. ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة، وكساسة، وأكاسر، انظر القاموس. وجاء في ش فقط: «الأكاسرة»، وكسرى الذي يعنيه الجاحظ، هو كسرى أبرويز. وانظر (7: 72).

(10) في الأصل: «وكلما».

(11) أي أنفة النعمان من مصاهرة كسرى. ط، هـ: «ألفته»، ش: «الفتنة» والأوضح ما أثبت.

(12) في الأصل: «وموروداً». ولا تتجه.

(13) أي كان مسيلمة.

(14) في المعارف 178: «على ركني شهامة».

كَمْ آيَةٍ لِأَبِيهِمْ⁽¹⁾ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَةٍ

وقد كتبنا قصته وقصة ابن التَّوَّاحَةِ (في كتابنا الذي ذكرنا فيه فصل ما بين النبي والمنتبي) وَذَكَّرْنَا جميعَ المنتبين، وشأن كل واحد منهم على حديثه، وبأي ضرب كان يحتال، وَذَكَّرْنَا جملة احتيالاتهم، والأبواب التي تدور عليها مخاريقهم⁽²⁾. فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ هذا الباب فاطلب هذا الكتاب؛ فإنه موجود

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبد القيس بن خُفَّافِ البُرْجُمِيِّ⁽³⁾، النُّعْمَانُ بن المنذر، في الجاهلية، وذكر ولادة الصائغ⁽⁴⁾ [له] فقال:

لَعَنَ اللَّهُ ثُمَّ ثَنَّى بِلَعْنِ ابْنِ ذَا الصَّائِغِ، الظُّلُومَ الْجَهُولَا⁽⁵⁾
يَجْمَعُ الْجَيْشُ ذَا الْأَلُوفِ وَيَغْزُو ثُمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ فَتِيلَا⁽⁶⁾

(سَهْمُ الحنفي)

وكان سَهْمُ الحنفي يلي طَبْرِسْتَانَ⁽⁷⁾، لمعن بن زائدة⁽⁸⁾، مع حادثة سنة يومئذ، وكان له مروءة وَقَدَّرَ في نفسه.

- (1) كذا. ورواية المعارف: «كم آية لك فيهم».
- (2) المخاريق: يراد بها تلك الألاعيب التي يلجأ إليهم المشعوذون. واحداها مخراق. قال التبريزي في شرح المعلقات 221: «قيل المخاريق: ما مثل بالشيء وليس به نحو ما يلعب به الصبيان». وانظر التنبيه والإشراف 240 س 19 والحيوان (1: 40).
- (3) عبد القيس بن خفاف البرجمي، نسبة إلى البراجم: قبيلة من تميم. شاعر جاهلي، وله خبران مع حاتم الطائي والنابعة الذيباني. والخبر الأول في الأغاني (7: 145-146). ومعجم المرزباني 325، وأما خبره مع النابعة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا هجاء في النعمان على لسان النابعة - وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما - فأفسد ذلك على النابعة أمره عند النعمان. الأغاني (9: 158). وقد ذكره المرزباني باسم (قيس) حيث ذكره في من اسمه قيس. والمعروف عبد القيس كما في الأغاني ونوادير أبي زيد 113، 114، 126، والمفضليات 383 والحماسة (1: 113). وفي الأصل: «عبد القيس خفاف»، بإسقاط «بن»، وصوابه ما أثبت. ويقال فيه أيضاً: «عبد قيس».
- (4) ط: «والده الصائغ»، ش: «ولادة الصائغ»، صوابهما في هـ.
- (5) روى ابن قتيبة في الشعراء 112، 117، «قيح الله». وروى هو وصاحب الأغاني (9: 158): «وارث الصائغ الجبان الجهولا».
- (6) يرزؤه: ينقصه. ط: «يرزء» ش: هـ: «يرز»، صوابهما ما أثبت من الأغاني. والفetil: الهنة التي في شق النواة. هـ، ش: «قليلًا». والأجود ما أثبت من ط والأغاني.
- (7) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة: بلاد جنوبي بحر طبرستان، المعروف أيضاً ببحر الخزر. انظر خريطة الممالك الإسلامية.
- (8) معن بن زائدة الشيباني، أحد أجواد العرب وفرسانهم. وكان في أيام بني أمية متقلداً في الولايات، ومنقطعاً إلى =

(كثرة الشعر وقلته في بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم، وشِدَّة بأسهم، وكثرة وقائعهم، وحَسَدِ العربِ لهم على دارهم وتخومهم وَسَطُ أعدائهم، حتى كأنهم وَحَدُّهُمْ⁽¹⁾ يعدلون بَكْرًا كلها - ومع ذلك لم تَرِ قبيلة قَطُّ أَقْلَ شعراً منهم. وفي إخوتهم عَجَلُ قَصِيدٍ وَرَجَزٍ، وشُعْرَاءُ وَرَجَّازُونَ. وليس ذلك لمكان⁽²⁾ الخِصْبِ وأنهم أهلُ مَدَرٍ، وأكَّالو تَمَرٍ⁽³⁾؛ لَأَنَّ الْأَوْسَ والخَزْرَجَ كذلك، وهم في الشعر كما قد علمت. وكذلك عبدُ القيس النَّازِلَةُ قَرَى البحرين⁽⁴⁾، فقد تعرفُ أَنَّ طَعَامَهُمْ أَطْيَبُ⁽⁵⁾ من طعام أهل اليمامة. وثَقِيفُ أَهْلُ دارِ نَاهِيكَ بها خِصْبًا وطِيبًا، وهم وإن كان شعْرُهُمْ أَقْلَ، فَإِنَّ ذلك القليلَ يَدُلُّ على طَبْعٍ في الشعر عَجِيب. وليس ذلك مِنْ قِبَلِ رِداءة الغذاء، ولا مِنْ قِلَّةِ الخِصْبِ الشَّاعِلِ والغِنَى⁽⁶⁾ عن النَّاسِ؛ وَإِنَّمَا ذلك عن قَدَرٍ ما قَسَمَ اللَّهُ لهم من الحظوظ والغرائز، والبلاد والأعراق مكانها.

وبنو الحارث بن كعب قبيلٌ شريفٌ، يجرون مَجَارِيَ ملوك اليمن، ومجاري ساداتِ أعراب أهلِ نَجْدٍ، ولم يكن لهم في الجاهليَّةِ كبيرُ حَظٍّ في الشعر. ولهم في الإسلام شعراءٌ مفلِّحُونَ.

وبنو بَدْرِ كانوا مُفَحِّمِينَ⁽⁷⁾، وكان ما أطلق الله به ألسنة العرب⁽⁸⁾ خيراً لهم من تصيير

= يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، أمير العراقيين، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس، وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر ما جرى، من محاصرة واسط، أبلى معن مع يزيد بلاءً حسناً. فلما قتل يزيد هرب معن خوفاً من المنصور، ثم دخل معن في شيعة المنصور وصار من خواصه. وقتل معن بسجستان، إذ كان والياً عليها، سنة اثنتين، أو ثمان وخمسين ومائة. ورثاه مروان بن أبي حفصة بمرثية، هي من عيون الشعر العربي. وفيات الأعيان والأغاني وتاريخ بغداد 7127.

(1) ط: «وأحدهم»، صوابه في ش، هـ.

(2) ط: «المكان»، صوابه في ش، هـ.

(3) أكَّالو تمر: أي لهم نخيل يأكلون تمرها. ط: «أكَّالو تمر»، وتصحيحه من ش، هـ.

(4) البحرين، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس. ط: «البحر»، والوجه ما أثبت من ش، هـ.

(5) في الأصل: «أخبث»، وهو عكس المراد.

(6) في الأصل: «والغنا».

(7) في القاموس: «المفحم كمكرم: العبي ومن لا يقدر يقول شعراً»، كذا جاءت العبارة.

(8) أي ما أطلق به ألسنة الشعراء في مديحهم، فمن ذلك قول حاتم الطائي (الأغاني 16: 104 والديوان 116):

إن كنت كارهة معيشتنا	هاتنا فحلي في بني بدر
جاورتهم زمن الفساد فنعد	م الحي في العوصاء واليسر
فسقيت بالماء النмир ولم	ينظر إلى بأعين خزر
الضاربين لدى أعنتهم	والطاعنين وخيلهم تجري
والخالطين نحيثهم بنضارهم	وذوي الغنى منهم بذى الفقر

وانظر مديح دريد بن الصمة لهم في 211.

الشعر في أنفسهم. وقد يَحْطَى (1) بالشعر ناسٌ ويخرج (2) آخرون، وإن كانوا (3) مثلهم أو فوقهم. ولم تُمدَح (4) قبيلةٌ في الجاهلية، من قُريش، كما مُدحت مخزوم. ولم يتهياً من الشاهد والمثل لمادح في أحدٍ من العرب، ما تهياً لبني بدر.

وقد كان في ولد زُرارة (5) لُصْلَبه، شعر كثير، كشعر لقيط (6) وحاجب (7) وغيرهما من ولده. ولم يكن لحذيفة ولا حصن، ولا عيينة بن حصن، ولا لحمل بن بدر - شعرٌ مذكور.

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبد العزيز بن مروان أخطى (8) في الشعر من كثير من خلفائهم. ولم يكن أحدٌ من أصحابنا، من خلفائنا وأئمتنا، أخطَ في الشعر من الرشيد (9). وقد كان يزيد بن مزيد (10) وعمه (11)، ممن أخطاه (12) الشعر. وما أعلم في الأرض نعمة بعد ولاية الله أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً.

(1) ط، هـ: «يحظا»، ش: «يخطأ»، صوابهما ما أثبت.

(2) كذا في ش، ط، وفي هـ: «يحرح»، وربما كانت: «يحد» أي يسوء حظه.

(3) ش، هـ: «كان»، صوابه في ط.

(4) ش، هـ: «بمدح».

(5) هو زُرارة بن عدس، بضمّتين، ابن زيد. جد جاهلي. بنوه بطن من بني دارم. وكان حكيماً من قضاة تميم.

(6) لقيط بن زُرارة، شاعر فارس من فرسانهم، وله خبر في يوم رحرحان، وكان من الرؤساء في يوم جيلة، وقتل في ذلك اليوم وجعل يقول عند موته:

يا ليت شعري عنك دختنوس إذا أتاك الخبر المرموس
أتحلق القرون أم تميمس لابل تميمس إنها عروس

دختنوس: بنته. وكان جيلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة. الأغاني (10: 19: 44). ط: «شعراء كلقيط»، ش: «شعراً كثيراً كشعر لقيط» هـ: «شعراً كثيراً لقيط»، وقد وجهت القول بما ترى.

(7) وكان حاجب بن زُرارة من رؤساء يوم جيلة. وقد عاش إلى أن وفد على الرسول ﷺ وأسلم وبعثه على صدقات بني تميم. وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم. ووفى به. الإصابة 1355، وانظر قصة (قوس حاجب) في بلوغ الأرب (1: 125) فهي ممتعة. وممن رهن من العرب قوسه أيضاً، سيار بن عمرو بن جابر الفزاري، احتمل للأسود بن المنذر دية ابنه الذي قتله الحارث بن ظالم، ألف بغير، وهي دية الملوك، ورهنت بها قوسه. انظر العقد (3: 311-312).

(8) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجيدة التي مدحه بها نصيب الشاعر، وكذا عبد الله بن قيس الرقيات. ط، ش: «أخطأ»، هـ: «أخطا»، صوابهما ما أثبت من العمدة (2: 148) حيث نقل عن الجاحظ نقلاً كاملاً.

(9) وأما هارون الرشيد فقد أطنب في مدحه أبو العتاهية، وإبراهيم الموصلي، وإسحاق الموصلي، ومروان بن أبي حفصة، والعتابي، وابن منذر، وأشجع السلمي، ومنصور النمري، ونصيب الأصغر وغيرهم. ط، ش: «أخطأ» هـ: «أحظأ». والوجه فيهما ما كتبت.

(10) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني: أمير شجاع، ندبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشاري الخارجي، فقتله وعاد إلى أرمينية، حيث كان والياً عليها. توفي سنة 185.

(11) عمه، هو معن بن زائدة الشيباني، الذي سبقت ترجمته في ص 224 - 225.

(12) حظي يزيد بن مزيد بمدح مسلم بن الوليد ومنصور النمري. ورثاه أبو موسى التيمي بمرثية سمعها الرشيد فبكى =

(الصَّمُّ من الحيوان)

تقول العرب: ضربان من الحيوان لا يسمعان الأصوات. وذلك عامٌ في الأفاعي والنعام. واعتدّ من ادّعى للنعام الصَّمَّ بقول علقمة:

فَوْهُ كَشَقَّ الْعَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنَهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَضْلُومٌ⁽¹⁾

قال⁽²⁾: ولا يصلح أن تكون «ما» في الموضع الذي ذكر⁽³⁾ لأن ذلك يصير كقول القائل: التمر حلو، والثَّلج بارد، والنَّار حارَّةٌ. [و⁽⁴⁾] لا يحتاج إلى أن يُخبر أن الذي يُسمع هذا الصَّوت؛ لأنه لا مسموعَ إلا الصَّوت.

قال خصمه: فقد قال علقمة بن عبدة:

حَتَّى تَلَا فِي وَقَرْنِ الشَّمْسِ مَرْتَفَعٌ أَدْحَى عِرْسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومٌ⁽⁵⁾

يُوحِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَتَقَنُّقَةٍ كَمَا تَرَا طَرْنٌ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ⁽⁶⁾

ثم قال:

تَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَفْعَاءُ خَاذِلَةٌ تَجِيبُهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ⁽⁷⁾

واحتج من زعم أنها تسمع، بقوله⁽⁸⁾:

وَصَحْمٌ صَتَامٌ بَيْنَ صَمْدٍ وَرَجَلَةٍ وَبَيْضٌ تُؤَامُ بَيْنَ مِثٍّ وَمِذْنَبٍ⁽⁹⁾

= بكاء اتسع فيه، حتى لو كانت بين يديه سكرجة لملاها من دموعه. الأغاني (18: 116 - 117). وأما عمه فقد حظى بمدح مروان بن أبي حفصة، ومطيع بن إياس، وعلى بن خليل، والحسين بن مطير، وغيرهم. في الأصل: «أخطأ»، صوابه ما أثبت. وأحظاه: جعله ذا حظوة.

(1) تقدم شرح هذا البيت في ص 216 هـ: «يبينه». ش: «أسد» هـ: «أشد» كل منهما بدل «أسك» محرف.

(2) القائل هو الجاحظ، ينقد البيت.

(3) ش: «في موضع الذي»، مع حذف كلمة «ذكر». ط: «في الموضع لذي ذكر»، صوابهما ما أثبت من هـ.

(4) ليست بالأصل.

(5) سبق شرح هذا البيت في ص 217، ش: «أرخی» هـ: «أرحى» محرفتان.

(6) سبق شرحه في ص 217، ش: «في أندائها». وهي صحيحة؛ فالأنداء: جمع النادي، وهو مجتمع القوم. انظر اللسان، هـ: «أبدائها»، محرفة عن سابقتها.

(7) سبق شرحه في ص 217، والسفعاء: السوداء. هـ: «صفعاء» ش: «صنعا»، محرفتان عما في ط، وخاذلة: مقيمة على ولدها.

(8) هو لبید. اللسان (صحح).

(9) الصحم: جمع أصحم، وهو ما في لونه غيرة، وقد عنى بها الحمير، كما في اللسان ط، هـ: «صخم» ش: «صخم» محرفتان. والصتام: جمع صتم بالفتح، وهو الغليظ الشديد، وفي الأصل: «صنام» بالنون. وفي اللسان. «صيام». وأثبت تصحيح ما في الأصل. و«صمد» بالفتح، و«رجلة» بالكسر: موضعان. وفي الأصل: «بين ضمير ورجله» تصحيحه من اللسان. وببيض تؤام: أي أزواج. والميث، بالكسر: جمع ميثاء، وهي الأرض السهلة، والمذنب، كمنبر: مسيل الماء.

متى مَا تَشَأْ تَسْمَعُ عِرَاراً بِقَفْرَةٍ يُجِيبُ زَمَاراً كَالْيَرَاعِ الْمُثْقَبِ⁽¹⁾
وقال الطَّرِمَّاحُ :

يدعو العِرَارُ بِهَا الزَّمَارَ كَأَنَّهُ أَلِمَّ تَجَاوُبُهُ النِّسَاءَ الْعُودُ⁽²⁾
قال : وَصَوْتُ النِّعَامَةِ الذَّكَرُ : العِرَارُ⁽³⁾ . وصوت الأنثى : الزَّمَارُ .
وَأَنشَدَ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ⁽⁴⁾ ، قَوْلَ أَسَامَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْهَذَلِيِّ⁽⁵⁾ :

تَذَكَّرْتُ إِخْوَانِي فَبِتُّ مُسَهَّداً كَمَا ذَكَرْتُ بَوّاً مِنَ اللَّيْلِ فَاقْدُ⁽⁶⁾
لِعَمْرِي لَقَدْ أَمَهَلْتُ فِي نَهْيِ خَالِدٍ عَنِ الشَّامِ إِمَّا يَعْصِيكَ خَالِدُ⁽⁷⁾
وَأَمَهَلْتُ فِي إِخْوَانِهِ فَكَأَنَّمَا تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمُشَرَّدُ⁽⁸⁾

وقال الذي زعم أنها تسمع : فقد قال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: 23] ، ولو عَنَى أَنَّ عَمَاهُمْ كَعَمَى الْعُمَيَّانِ ، وَصَمَمَهُمْ كَصَمَمِ الصُّمَّانِ ، لَمَا قَالَ : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْرَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24] ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كَقَوْلِهِ : ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ أَلْمَوْقَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مُدْبِرِينَ﴾ [الروم: 52] . وكيف تُسْمِعُ الْمُدْبِرَ عَنْكَ ! وَلِذَلِكَ يُقَالُ :
﴿إِنَّ الْحُبَّ يُعْمِي وَيُصِمُّ﴾ . وقد قال الهذلي :

تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمُشَرَّدُ⁽⁹⁾

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنَّهْيِ ، وسكت - كان أبلغَ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مُدْبِرِينَ﴾ . قال الرَّاجِزُ :

- (1) العِرَارُ ، بالكسر : صباح الظليم . وفي الأصل : «عواراً» محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام . في الأصل : «تجيب زماراً» ، صوابه ما أثبت وسيعاد البيت في ص 238 .
- (2) يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما في شرح الديوان 89 ، وفي الأصل : «العوار» صوابها في الديوان . والألم : الذي أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع - كلاهما كفرج - وفي الأصل : «أيم» ، تصحيحه من الديوان .
- (3) في الأصل : «العوار» محرفة .
- (4) في الأصل : «الذي زعم الهذلي أنها لا تسمع» . وكلمة «الهذلي» مقحمة بلا ريب .
- (5) ذكره المرزباني في معجمه وقال : مخضرم . الإصابة 442 .
- (6) مسهد : من السهاد ، وهو الأرق . والبو : ولد الناقة . والفاقد : التي فقدت ولدها . ش : «ذكر برأ» هـ : «ذكرت برأ» ط : «ذكرت برداً» وفي الجميع : «فاقداً» بالنصب ، وكل ذلك تحريف ، صوابه ما أثبت موافقاً ما في بقية أشعار الهذليين (2: 106) .
- (7) في الأصل : «خالداً» ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفي الأصل أيضاً : «إلى الشام» ، تصحيحه من اللسان (مهمل) وبقية أشعار الهذليين . وأول البيت في هـ : «واني قد أمهلت» ، وأمهلته : بالغت . يقول : إن عصاني فقد بالغت في نهيه .
- (8) تسمع : أي أصغى ليسمع . ويروى : «يُسْمَعُ» . والنعام المشرد لا يصغى إلا ريثما يشرد ، وذلك لنفوره وتوحشه . في الأصل : «المشردا» ، وصوابه ما أثبت .
- (9) في الأصل : «المشردا» ، وانظر التنبيه السابق .

رِدِي رِدِي وَرَدَ قَطَاةٍ صَمًّا⁽¹⁾ كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا⁽²⁾
 أي لأنها [لا⁽³⁾] تسمع صوتاً يثنيها ويردّها⁽⁴⁾. وأنشد قول الشاعر:
 دَعَوْتُ خُلَيْدًا دَعْوَةً فَكَأَنَّمَا⁽⁵⁾ دعوت به ابن الطّود أو هو أسرع
 والطّود: الجبل. وابنه: الحجر الذي يتدهده⁽⁶⁾ منه، كقوله⁽⁷⁾:
 كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ⁽⁸⁾ مِنْ عَلٍ
 وقال الرّاجز:

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرَ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ⁽⁹⁾ بَصِيرِ الْأُخْرَى وَأَصَمِّ الْأُذْنَيْنِ⁽¹⁰⁾
 كأنّه كان في ذلك المنهل بيران⁽¹¹⁾، والآبار أعين، فَعَوَّرْتُ إِحْدَى الْبَيْرَيْنِ⁽¹²⁾ وترك
 الأخرى.

وقوله: «أَصَمِّ الْأُذْنَيْنِ» لِمَا⁽¹³⁾ أَنْ كَانَ عِنْدَهُ⁽¹⁴⁾ فِي الْأَرْضِ فَضَاءً وَخَلَاءً⁽¹⁵⁾، حيث لا
 يسمع فيه صوت، جعله أَنْ⁽¹⁶⁾ كان لا يسمع صوتاً أصمّ؛ وإن كان ذلك لفقد الأصوات.

(1) يخاطب ناقته. والرجز في الوساطة 301 حيث استشهد به على أن الممتني سرق منه قوله:

ورود قطا صم تشابحن في ورد

وانظر الاستدراكات.

(2) الكدرية: واحدة الكدري، وهو ضرب من القطا غبر الألوان، رقص الظهور، صفر الحلق، ش، هـ: «كدرية»،
 تحريف طيب، صوابه في ط والوساطة واللسان (صمم) وشرح محب الدين أفندي لشواهد الكشاف. استشهد به
 الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِبِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَكَا﴾ [مريم: 86].

(3) ليست بالأصل، وبها يستقيم الكلام.

(4) وفي اللسان: «لسكك أذنيها». وقيل لصممها إذا عطشت، ووجهه محب الدين أفندي بأنها لا تسمع صوت
 القانص حتى تنفر. وهو تعليل جيد.

(5) في اللسان (مادة طود): «جليداً». وفي أساس البلاغة: «كليياً» ش، ط: «وكانما»، وأثبت ما في هـ واللسان
 والأساس.

(6) يتدهده: يتدحرج. ش، هـ: «يمد هذا»، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن «يتدهدى»، وهي لغة في يتدهده.

(7) هو امرؤ القيس، من معلقته. وصدرة:

مكر مفر مقبل مدبر معاً

(8) ط: «السيد»، وهو على الصواب في ش، هـ.

(9) المنهل: منزل السفار على الماء. أعور إحدى العينين: أي فيه بثران غاضت إحداهما.

(10) بصير الأخرى: أي أن البئر الأخرى بها ماء. وفي الأصل «بصيرة» تصحيحه من اللسان (عور). والرواية فيه:
 «بصير أخرى». وأصم الأذنين: أي ليس يسمع فيه صدى الصوت. في الأصل: «أصم» بدون واو، وهي
 ضرورة لوزن الشعر. والبيت من مشطور السريع.

(11) كذا جاءت في الأصل، بتسهيل الهمزة. (12) كذا بالتسهيل.

(13) ط: «لا»، وصوابه في ش، هـ. (14) أي عند المنهل.

(15) في الأصل: «فضل وخال»، وصوابه ما أثبت.

(16) أي لأن. وحذف الجار مطرد في مثل هذا. ط: «إذ»، وأثبت ما في ش، هـ.

(شاهد من الشعر لسمع النعامة)

قال: وقد قال الحارث بن حلزة^(١) قولاً يدلُّ على أنها تسمع^(٢) حيث قال:

ولقد أَسْتَعِينُ يوماً على الهـ مَّ إذا خَفَّ بالثَّوِيَّ الثَّوَاءُ^(٣)
بزفوفٍ كأنها هَقْلَةٌ أ مُ رِئَالٍ دَوِيَّةٌ سَفْعَاءُ^(٤)
ثمَّ قال:

أَنَسْتُ نَبَأَةً وَأَفْرَعَهَا الْقَنْدَ اص عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ^(٥)
فَتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الْمَشِّ ي مَنِناً كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ^(٦)

ولو قال: «أَفْرَعَهَا» الْقَنَاصُ^(٧) ولم يقل: «أَنَسْتُ نَبَأَةً» - والنبأَةُ الصَّوت - لكان لَكُم في ذلك مَقَال^(٨).

(شعر في معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس:

وَصُمُّ صِلَابٍ مَا يَقِينُ مِنَ الْوَجَى كَأَنَّ مَكَانَ الرَّدْفِ مِنْهُ عَلَى رَالٍ^(٩)

(١) الحارث بن حلزة، شاعر جاهلي من بني يشكر. والأبيات الآتية من معلقته المشهورة، التي قال فيها أبو عبيدة: «أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة، ثلاثة نفر: عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة بن العبد».

(٢) في الأصل: «لا تسمع»، وهو خلاف المراد.

(٣) الثوي: المقيم. والثواء، هكذا جاءت بالأصل، والصواب: «النجاء»، وهي السرعة وأما «الثواء» فهي قافية لمطلع المعلقة:

أَذْنَتْنَا بَبَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

(٤) زفوف، بالفتح: أي ناقة سريعة. والهقلة: النعامة. والرئال: أولادها. دوية: منسوبة إلى الدو، وهي الأرض المترامية الأطراف. والسفعاء: السوداء. ش: «صنعاء» ه: «صفعاء» محرفتان. ورواية المعلقات: «سقفاء» أي عالية.

(٥) أنست نبأة: أحست صوتاً خفياً.

(٦) قال التبريزي: «خلفهن: خلف الإبل؛ لأن الناقة الموصوفة، تسير مع غيرها، فحمل الضمير على المعنى». والمنين، بالفتح: الغبار الدقيق. و«إهباء» روى بالفتح: بمعنى الغبار المرتفع في الجو. وروى بالكسر: مصدر أهى يهبي إهباء: أثار التراب.

(٧) في الأصل: «أفزع»، وهو مخالف لنص الشعر السابق.

(٨) في الأصل: «فقال»، والوجه ما أثبت.

(٩) يقول: ولذلك الفرس حوافر صم صلاب ما يضعفن في سيرهن من الوجى. والوجى: أن يجد الفرس في حافره وجعاً يشتكيه، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره. ط، ش: «تعين» ه: «تعين»، صوابهما من الديوان 66 واللسان (وقى). ط: «الوجا» ش، ه: «الرحا» صوابهما من المصدرين السابقين. والردف: الذي تردفه، ومكانه الذي يقعد فيه يسمى القطة، ويستحب إشرافها؛ فلذلك شبهها بعجز الرأل. والرال، أصله الهمز، وخففه لمكان القافية. وقبل البيت:

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال

وإنما يعني أنها مُصَمِّتَةٌ غير جَوَّاء . وقال الآخر :
 قُلْ مَا بَدَّلَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حَلَمِي أَصَمُّ وَأَذْنِي غَيْرَ صَمَاءٍ
 يريد أن حلمه ليس بسخيف متخلخل ، وليس بخفيف سارٍ ، ولكنه مصمت . وقال
 الشاعر :

وَأَسْأَلُ^(١) مِنْ صَمَاءٍ ذَاتِ صَلِيلٍ

وإنما يريد أرضاً يابسة ، ورملة نَشَافَةً ، تسأل^(٢) الماء : أي تريده وتبتلعه ؛ وهي في ذلك
 صماء .

(ذكر الصَّم في القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُم لَّا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 18] وذلك على المثل .
 وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُم لَّا يَعْقِلُونَ﴾
 [البقرة: 171] . وذلك كله على ما فسرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا
 صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: 73] ، وقال أيضاً : ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا
 يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء: 45] .

(شعر في معنى الصمم)

وقال عنترة :
 ظَلَّلْنَا نَكْرَ الْمَشْرِفِيَّةِ فِيهِمْ وَخُرْصَانَ صُمِّ السَّمْهَرِيِّ الْمُثَقَّفِ^(٣)
 وقال العجير السلولي :
 وَقَدْ جَذَبَ الْقَوْمَ الْعَصَائِبَ مُؤَخَّرًا ففِيهِنَّ عَنْ صَلْعِ الرِّجَالِ حُسُورٌ^(٤)

(١) ش ، هـ : «وَأَسْأَلُ» ، صوابها في ط ، وهي من السؤال ، كما سيأتي في شرح الجاحظ . وكما في اللسان . وصدر
 البيت في اللسان :

أَجَلٌ لَّا ، وَلَكِنْ أَنْتَ الْأَمُّ مَنْ مَشَى

(٢) ط ، هـ : «تسأل» ، صوابه في ش .

(٣) المشرفية : ضرب من السيوف ، منسوب إلى مشارف الشام . . والخرصان ، بالكسر والضم : جمع
 خرص بالضم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسّمهري من الرماح : هو الصليب العود .
 والمثقف : المعدل المسوى بالثقاف . هـ : «المثقف» تحريف ، صوابه في ش ، هـ والديوان 161 ،
 والرواية فيه :

فَظَلَّلْنَا نَكْرَ الْمَشْرِفِيَّةِ فِيهِمْ وَخُرْصَانَ لَدُنِ السَّمْهَرِيِّ الْمُثَقَّفِ

(٤) حُسُور : انكشاف .

- فَظَلَّ رِدَاءَ الْعَصَبِ مُلْقَى كَأَنَّهُ
لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ صَلَقْنَا
وَقَالَ زَهِيرٌ (3):
- لَيْتَنِي خُلِقْتُ لِلْأَبَدِ
لَا تَشْكِي (5) شَرَّ جَارَتِهَا
وَقَالَتْ جُمْلُ بِنْتُ جَعْفَرٍ:
- بَنِي جَعْفَرٍ لَا سَلَمَ حَتَّى نَزُورَكُمُ
وَحَتَّى تَرَوْا وَسْطَ الْبُيُوتِ مُغِيرَةً
تَبِينُ لِذِي الشَّكِّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ دَرَى
وَقَالَ دَرِيدٌ:
- مَتَى كَانَ الْمَلُوكُ لَكُمْ قَطِينًا (9)
عَلَى وَلايَةِ صَمَاءٍ مَنِي (10)

- (1) العصب، بالفتح: ضرب من البرود. وفي الأصل: «نداء العصب»، صوابه من مجالس ثعلب 593، والسلى بالتحريك: الجلد التي يكون بها الولد. وتكتب بالياء. وفي الأصل بالألف. والعقير: التي عقرت، أي قطعت قوائمها. وفي الأصل: «عقور» صوابه من المجالس. وفي البيت إقواء.
- (2) يقول: لو أن تلك الصخور سمعن صوتنا الشديد في تلك الحرب، لرحن وقد تشقت أعراضهن. والأعراض: الجوانب والنواحي. ورواية الأغاني (11: 150):
- لَوْ أَنَّ الْجِبَالَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ وَقَعَهَا
لَعَدَنَ وَقَدْ بَانَتْ بِهِنَ فُطُورُ
- (3) والبيتان ليسا في ديوان زهير.
- (4) كبِد، بفتح فكسر: اسم جبل. في الأصل: «كبدي»!
- (5) في الأصل: «تشتكي»، وبذلك ينكسر الوزن؛ إذ البيت من بحر المديد.
- (6) الرديني: الرمح المنسوب إلى امرأة تدعى ردينة، كانت هي وزوجها سمهر يقومان القنا بخط هجر. وعنت بالأبيض: السيف. والأثر، بالفتح: فرند السيف. ط، ش: «أشر»، هـ: «أسر» صوابهما ما أثبت.
- (7) مغيرة: أي خيلا مغيرة هاجمة بأربابها، ط: «خاشية الذعر». وأثبت صوابه من ش، هـ: وللعرب مجاز في مثل هذا. يقولون: حشي الرجل غيظاً، وكبراً، كما قال المرار:
- وَحَشَوْتُ الْغَيْظَ فِي أَضْلَاعِهِ
فَهُوَ يَمْشِي حَظْلَانًا كَالنَّقَرِ
- وكما قال المسعودي:
- وَلَا تَأْنِفَا أَنْ تَرْجِعَا فَتَسْلَمَا
فَمَا حَشَى الْإِنْسَانُ شَرًّا مِنَ الْكَبْرِ
- (8) تبين: تظهر هي. والوقر، بالفتح: ثقل الأذن، أو ذهاب السمع كله.
- (9) القطين: تبع الرجل ومماليكه وخدمه.
- (10) كذا جاء هذا الشطر.

(مثل وحديث في الصمم)

ومن الأمثال قولهم: «صَمَّتْ حَصَاةُ بَدَمٍ»⁽¹⁾، قال: فأصله أنْ يكثرَ القتلُ وسفكُ الدِّماءِ، حتَّى لو وَقَعَتْ حَصَاةٌ على الأرض لم يُسَمَّعَ لها صوتٌ؛ لأنها لا تلتقي صلابَةً الأرض.

وقد جاء في بعض الحديث: «إذا كانت تلك الملاحِمُ بَلَغَتِ الدِّماءُ الثُّنَّ»⁽²⁾، يعني ثُنَّ⁽³⁾ الخيل، وهو الشَّعر الذي خلف الحافر.

(صمت السيف)

وقال الزُّبير بن عبد المطلب⁽⁴⁾:

وَيُنْبِي نَخْوَةَ الْمُخْتَالِ عَنِّي جُرَّازُ الْحَدِّ ضَرِبَتْهُ صَمُوتٌ⁽⁵⁾
لَأَنَّ السَّيْفَ إِذَا مَرَّ فِي الْعِظَمِ مَرًّا⁽⁶⁾ سَرِيعاً لَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتٌ - كَانَ فِي مَعْنَى الصَّامِتِ⁽⁷⁾.

(1) يضرب مثلاً في الإسراف في القتل وكثرة الدم. الميداني (1: 359).

(2) الثنن، بضم الثاء وفتح النون: جمع ثنة، بضم الثاء وتشديد النون؛ الشعرات التي في مؤخر رسغ الدابة. ط، هـ: «السن»، ش: «السن»، صوابهما ما أثبت، موافقاً لما جاءت في أمثال الميداني في أثناء الكلام على المثل السابق. وانظر: «بلغت الدماء الثنن» في أمثال الميداني (1: 83). والملاحم: جمع ملحمة، بالفتح، وهي الحرب ذات القتل الشديد.

(3) ط، هـ: «سن»، ش: «بين» محرفتان. وانظر التنبيه السابق.

(4) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف؛ سيد كريم وشاعر محسن. وكان من رجال قريش في الجاهلية. وهو أكبر أعمام الرسول الكريم ﷺ العشرة وهو القائل:

ولولا الحمس لم يلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا

المؤتلف (130 - 131) والمعارف 52 والروض الأنف (1: 78).

(5) ينبى: يبعد. ونخوة المختال: تكبر المتكبر وتعظمه. وسيف جراز الحد، بضم الجيم ماضيه ونافذه. وانظر ما سيأتي في (6: 281). ورواية اللسان (صمت):

وينفي الجاهل المختال عني رفاق الحد ضربته صموت

وأنشده عن ثعلب على هذه الصورة:

ويذهب نخوة المختال عني رقيق الحد ضربته صموت

(6) ط، ش: «مر»، صوابه في هـ.

(7) وقيل: لرسوبه في الضريبة، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم انظر اللسان.

(شعر في مجاز الصمم)

وقال ابن ميادة:

متى أدع في قيس بن عيلان خائفاً إلى فزع تركب إليّ خيولها⁽¹⁾
بلمومة كالطود شهباء فيلق رداح يصم السامعين صليلها⁽²⁾

لأن الصوت إذا اشتد جداً لم يفهم معناه، إن كان صاحبه أراد أن يخبر عن شيء. ومتى كثرت الأصوات صارت وعى⁽³⁾، ومنع بعضها بعضاً من الفهم. فإذا لم يفهمها⁽⁴⁾ صار في معنى الأصم، فجاز⁽⁵⁾ أن يسمى باسم الأصم. وعلى ذلك قال الأضبط بن قريع، حين آذوه⁽⁶⁾ بنو سعد فتحول من جوارهم في آخرين فأذوه، فقال: «بكل واد بنو سعد⁽⁷⁾».

وقال جران العود:

وقالت لنا والعيس صعر من البرى وأخافها بالجندل الصم نقذف⁽⁸⁾

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذي ينكر صمم شيء من الخلق: اعتللت في صمم النعام بقول زهير:

[أصك مُصلّم الأذنين أجنى له بالسّي تئوم وآء⁽⁹⁾]

ويقول أوس بن حجر:

- (1) المراد بالخيول هنا الفرسان الذي يركبون الخيول. ومنه في الحديث: «يا خيل الله اركبي». انظر البيان (2: 27).
- (2) يصح أن تقرأ «تركب» بالبناء للمفعول فلا يكون فيها مجاز.
- (3) ملمومة: أي كتيبة عظيمة مجتمعة. والطود: الجبل العظيم. والشهباء: البيضاء، لما فيها من بياض السلاح. والكتيبة الفيلق: الكثيرة السلاح. والرداح، بالفتح: الكثيرة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها.
- (4) الوغى: الصوت والجلبة في الحرب. ط، ش: «رغاء»، وإنما الرغاء، بالضم: صوت ذوات الخف. هـ: «وعا»، صوابهما ما أثبت.
- (5) ش: «نفهمها»، صوابه في ط، هـ.
- (6) ش، هـ: «لجاز»!
- (7) كذا في ش، هـ. على لغة أكلوه البراغيث. ط: «آذاه».
- (8) سبق المثل في (1: 246) و(3: 59).
- (9) العيس، بالكسر: الإبل الخالصة البياض. صعر من البرى: موائل من جذب البرى: جمع برة، وهي الحلقة توضع في أنف البعير. والجندل: الحجارة.
- (9) هذا البيت ليس بالأصل. وبه يلتزم الكلام ويتم. وقد أثبتته اعتماداً على ما سيأتي في ص 236.

وَيَنْهَى ذَوِي الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلتَّعَامِ الْمَخْرَمِ⁽¹⁾

يريد حَرْقَ⁽²⁾ أنفه، وهو في موضعِ الخَرَمَةِ⁽³⁾ من البعير.

وأما قوله: «وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلتَّعَامِ» فإنما خَصَّ بذلك التَّعَامَ لَأَنَّهَا تَجْمَعُ الشَّرُودَ وَالتَّنَارَ، إِلَى الْمُوقِ وَسُوءِ الْفَهْمِ. ولو قال: وأرفع صوتي للحمير والدَّوَابِّ لكان كذلك. والمصلمة: السُّكَّ التي ليس لآذانها حَجَم.

(رد عليه)

قال: [قول⁽⁴⁾] الذي زعم أنها ليست بصماء لا يجوز؛ لأنَّ الدَّوَابَّ تسمع وتفهم الزَّجْرَ، وتجب الدُّعاء. بل لو قال: وأرفع صوتي للصخور والحجارة، كان صواباً، وكان لِرَفْعِ صوته معنى؛ إذ⁽⁵⁾ كان الرَّفْعُ والوَضْعُ⁽⁶⁾ عند الصُّخُورِ سَوَاءً. وليس كذلك الدَّوَابُّ. ولو كان إنما جعله مصلماً، وجعل آذان التَّعَامِ مصلومة؛ لأنه ليس لآذانها حَجَم فالتَّعَامُ كله كذلك إِلَّا الْخَفَاشَ⁽⁷⁾. وكلُّ شيءٍ يبيض من الحيوان فليس لها حَجَم آذان. ففي قَصْدِهِمْ بهذه الكلمة إلى التَّعَامِ، بين جميع ما ليس لآذنيه حَجَم، دليلٌ على أن تأويلكم خطأ. قال عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدَةَ:

فُوهُ كَشَقَّ الْعَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنُهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ⁽⁸⁾

وقالت كَبْشَةُ بِنْتُ مَعْدِيكَرِبٍ⁽⁹⁾:

(1) المراد بالأحلام هنا، الأبواب والعقول. وفي اللسان: «والمخزم من نعت النعام، قيل له مخزم لثقب في منقاره». وعجز البيت في المقاييس (خزم).

(2) في الأصل: «عرض». وانظر التنبيه السابق.

(3) في موضع الخرمة، أي ذلك الخرق بمكانة الخرمة، شبيه بها. والخرمة، بالتحريك، سبق شرحها في ص 186، في الأصل: «الخرامة». ولا تصح، فإن الخرامة هي الحلقة التي توضع في الخرمة. وانظر ما سبق في ص 186.

(4) ليست بالأصل. وبمثلها يستقيم الكلام.

(5) في الأصل: «إذ لو». وكلمة «لو» لا وجه لوجودها.

(6) أي رفع الصوت ووضعه. والوضع بمعنى التخفيض.

(7) ش: «لا الخفاش» ط: «الألفاش». وأثبت الوجه من هـ.

(8) كذا على الصواب في هـ. وفي ش: «لأياً يبينه»، و ط: «ألا يأتينيه» وسبق شرحه في 216، وإنشاده كذلك في 227.

(9) كبشة، هي أخت عمرو بن معديكرب. وكذلك جاءت النسبة في حماسة أبي تمام (71: 1) والبحثري 30 وأمثالي القالي (2: 226، 3: 190) والشعراء 335 والخزانة (3: 77 بولاق). ونسبت في لباب الآداب 182 إلى ريحانة أخت عمرو بن معديكرب. قال التبريزي: «كبشة اسم مرتجل علماً. وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لا مؤنث له من لفظه، إنما هي نعجة». وقد قالت الشعر حينما قتل أخوها عبد الله، ولم يأخذ عمرو بثأره، بل أخذ دية أخيه، فغضبت هي وقالت الشعر تحضضه على الأخذ بالثأر، في أسلوب حسن بديع.

- وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ أَلَّا تَغْلُوا لَهُمْ دَمِي (1)
 وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالاً وَأَبْكَراً وَأُتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مُظْلِمٍ (2)
 جَدَعْتُمْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْفَ قَوْمِكُمْ (3) بَنِي مَازِنٍ أَنْ سَبَّ رَاعِي الْمَخْزَمِ
 فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَثَارُوا لِأَخِيكُمْ فَمَشُوا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمَصْلَمِ (5)
 فلو كانت إنما تريد أنه ليس لمسامعها حجم، كانت الدنيا لها مُعرضة. وقال عنتره:
 وَكَأَنَّمَا أَقْصَى الْإِكَامِ عَشِيسِيَّةٌ بِقَرِيبٍ بَيْنَ الْمُنْسَمِينَ مُصْلَمٍ (6)
 تَأْوِي لَهُ حِزْقُ النَّعَامِ كَمَا أُوتِ حِزْقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمِ طَمْطَمٍ (7)
 ولو كان عنتره إنما أراد عدم الحجم، لقد كانت الدنيا له مُعرضة. وقال زهير:
 بَارِزَةُ الْفَقَارَةِ لَمْ يَخْنَهَا قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءُ (8)
 كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظَّلْمَانِ جُوجُؤُهُ هَوَاءُ (9)

- (1) تغلوا: تخونوا. كذا جاءت الرواية في هـ. وفي ش: «ألا تغلوا» محرفة. وفي ط: «لا تغلوا»، ومعناه لا تأخذوا بدل دمي عقلاً. والعقل، بالفتح: الدية. وهي رواية الحماسة وأمالى القالي (226: 2) ولباب الأداب. وروى في الأمازي (190: 3): «ألا تغلوا». وفي حماسة البحرى: «ألا يعلوا» تحريف رواية هـ.
 (2) الإفال: جمع أفيل، وهو من أولاد الإبل ما أتى عليه سبعة أشهر أو ثمانية، والأبكر: جمع بكر بالفتح، وهو ولد الناقة. وصعدة: مخلاف من مخاليف اليمن. وجعلت قبره مظلماً لما يزعمون من أن المقتول إذا ثاروا به أضاء قبره، فإن أهدر دمه أو قبلت ديتة أظلم. التبريزي. وإنما ذكرت الإفال والأبكر، والديات لا تكون منها، لما أرادت من معنى تحقير الدية.
 (3) جدعتم: قطعتم. أنف: جمع أنف. والمراد: أذلتهم قومكم. ورواية الأمازي: «قومه»، وفي الخزائنة: «سيد قومهم».
 (4) بني مازن، أي يابني مازن. والمخزم، كذا جاء هنا بإعجام الخاء والزاي. وكذا في الأمازي. لكن ضبطه صاحب الخزائنة بتشديد الزاي المفتوحة والحاء قبلها مهملة ومهما يكن فهو، كما قالوا: رجل من بني مازن، كان له عبد يرضى، وجلس عبد الله مع بني مازن فشرب، فتغنى ذاك العبد الحبشي بشعر، فيه تشبيب بامرأة من بني زبيد، فلطمه عبد الله وسبه، فنادى الحبشي: يا لمازن! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه. عن الأمازي والأغاني (32: 14). والرواية في الأغاني:

أَيَقْتُلُ عَبْدُ اللَّهِ سَيْدَ قَوْمِهِ بَنُو مَازِنٍ أَنْ سَبَّ رَاعِي الْمَخْزَمِ

- (5) هـ: «لم تتلدوا» محرفة. وروى: «لم تثاروا واتديتم» و: «لم تقتلوا واتديتم». و: «لم تثاروا بأخيك». يقول: كأنما أكسر الإكام بظلم قريب بين المنسمين. والمنسم، كمجلس: الظفران المقدمان في الخف. وقرب المنسمين مما يجعل الخف صلباً. و«بين» تقرأ بالجر. ورواها بعض اللغويين بالنصب على تقدير «ما»، وهو وجه ضعيف.
 (7) سبق شرح هذا البيت في ص 211.
 (8) الفقارة، بالفتح: واحدة فقار الظهر، بالفتح أيضاً. أرزة: متداخلة مدمجة. ش: «ببارزة»، هـ: «الفقاوة لم يجبها»، صوابه في ط وديوان زهير 67 واللسان أرز، قطف، خلاً والمخصص (7: 162). والمقصود 38، والقطاف: اسم من قطفت الدابة تقطف - من بابي ضرب ودخل - : أساءت السير وأبطأت. والخلاء، بالكسر: مصدر خلأت الناقة تخلأ: حرنت من غير علة.
 (9) جوجؤه هواء: أي صدره فارغ لا قلب فيه، فهو كالمذعور يسرع العدو هرباً.

أَصَكَ مُصَلِّمِ الْأَذْنَيْنِ، أَجْنَى لَهُ بِالسَّيِّ تَنْوُمٌ وَآءٌ⁽¹⁾
(رد منكر صمم النعام)

قال القوم: فَإِنَّا لَا نَقُولُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْعَرَبَ فِي أَمْثَالِهَا تَقُولُ: إِنَّ النَّعَامَةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ فَقَطَعُوا أَذْنَيْهَا⁽²⁾. لِيَجْعَلُوهَا مِثْلًا فِي الْمُوقِ وَسُوءِ التَّدْبِيرِ. فَإِذَا ذَكَرَ الشَّاعِرُ الظَّلِيمَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مُصَلِّمِ الْأَذْنَيْنِ، فَإِنَّمَا يَرِيدُ هَذَا الْمَعْنَى. فَكَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ قَوْلُهُمْ: مُصَلِّمِ الْأَذْنَيْنِ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ صَكَّاءَ. وَسَوَاءٌ قَالَ صَكَّاءَ، أَوْ قَالَ نَعَامَةً، كَمَا أَنَّهُ سَوَاءٌ قَالَ خُنْصَاءَ أَوْ قَالَ مِهَاءَ وَنَعَجَةً وَبَقْرَةً وَظَبِيَّةً؛ لِأَنَّ⁽³⁾ الظُّبَاءَ وَالْبَقَرَ كُلُّهُمَا فُطُسٌ خُنْسٌ. وَإِذَا سَمَّوْا امْرَأَةً خُنْصَاءَ فَلَيْسَ الْخُنْسَ وَالْفُطُسَ يُرِيدُونَ، بَلْ كَانَهُمْ قَالُوا: مِهَاءٌ وَظَبِيَّةٌ. وَلِذَلِكَ قَالَ الْمَسِيَّبُ بْنُ عَلَسٍ⁽⁴⁾ فِي صِفَةِ النَّاقَةِ:

صَكَّاءَ ذُعْلَبَةٍ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا حَرَجٌ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهَا هِلْوَاعٌ⁽⁵⁾
فَتَفْهَمُ هَذَا الْبَيْتَ، فَإِنَّهُ قَدْ أَحْسَنَ فِيهِ جَدًّا.

وَالصَّكَاءُ فِي النَّاسِ، وَالْأَصْطِكَاءُ فِي رَجُلِي النَّاقَةِ عَيْبٌ⁽⁶⁾. فَهُوَ لَمْ يَكُنْ لِيَصِفْهَا بِمَا فِيهِ عَيْبٌ⁽⁷⁾، وَلَكِنَّهُ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ قَوْلِهِ [صَكَّاءَ]، وَبَيْنَ قَوْلِهِ⁽⁸⁾ [نَعَامَةً]⁽⁹⁾، وَكَذَلِكَ لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ قَوْلِهِمْ: أَعْلَمَ، وَبَيْنَ قَوْلِهِمْ: بَعِيرٌ⁽¹⁰⁾. قَالَ الرَّاجِزُ:

إِنِّي لَمِنْ أَنْكَرٍ أَوْ تَوْسَمَا أَخُو خَنَائِرٍ يَقُودُ الْأَعْلَمَا⁽¹¹⁾

(1) الأصك: المتقارب العروقيين. وأجنى الشجر: أدرك. والتنوم والآء: نبتان.

(2) انظر ما سبق في 188.

(3) من مبدأ: «قال صكاء» إلى هنا، ساقط من هـ.

(4) المسيب، كمعظم، بدا ضبطه صاحب القاموس والأنباري في شرح المفضليات 92، جاء فيها: قال مؤرج: إنما لقب زهير بن علس بالمسيب، حين أوعد بني عامر بن ذهل، فقالت له بنو عامر بن ضبيعة: قد سيبناك والقوم! وضبطه صاحب الخزانة بصورة اسم الفاعل. واسمه زهير بن علس كما تقدم. وهو جاهلي لم يدرك الإسلام. انظر الخزانة (3: 217 سلفية).

(5) الذعلبة، بكسر الذال واللام: الناقة السريعة. والحرج: الجسيمة الطويلة. والهلواع: ذات النزق والخفة. وهكذا ورد البيت في الأصل: وصواب إنشاده، كما في اللسان (هلع) والمفضليات 16:

صكاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع

إذ أن جسامتها وطولها ونزقها، إنما تبين عند الاستقبال. وقبل هذا البيت:

فتسل حاجتها إذا هي أعرضت بخميصة سرح اليدين وساع

(6) كذا في ط. وفي ش: «واصطكاك رجلي الناقة». وفي هـ: «واصطكاك رجل الناقة». وهذه محرفة.

(7) كذا على الصواب في ط، ش. وفي هـ: «فلو لم يكن يصفها». إلخ.

(8) ليست هذه الزيادة بالأصل. وبها يلتئم الكلام.

(9) هذه ساقطة من ش.

(10) في الأصل: «نعم». تحريف، انظر له السطر الأول في الصفحة التالية.

(11) الخنائير: الدواهي. والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى في (6: 264).

كأنه يقول: يقودُ بعيراً. وهو كقول عنترة:

وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مَجْدَلًا تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ⁽¹⁾

(رَدُّ مَدْعِي الصَّمَم)

فقال مَنْ ادَّعى لِلنَّعَامِ الصَّمَم: أَمَا قولكم: من الدَّلِيل على أن النِّعَامَة تسمعُ قولَ الشاعر:

تَدْعُو النَّعَامُ بِهِ الْعِرَارُ⁽²⁾

وقوله:

مَتَى مَا تَشَأْ⁽³⁾ تَسْمَعُ عِرَارًا بِقَفْرَةٍ يَجِيبُ زِمَارًا كَالِإِرَاعِ الْمُثَقَّبِ

وقوله⁽⁴⁾:

أَنْسَتْ نَبَأَهُ وَأَفْرَعَهَا الْقَنْدَ صُصْ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ

فليس ذلك أراد. وقد يراك الأخرسُ من الناس - والأخرسُ أصمٌ - فيعرف ما تقول، بما يرى من صورة حَرَكَتِكَ⁽⁵⁾، كما يعرف معانيك من إشارتك، ويدعوك ويطلبُ إليك بصوتٍ؛ وهو لم يسمع صوتك قطُ فيقصدُ إليه، ولكنه يريد تلك الحركة، وتلك الحركة تولد الصوت، أَرادَه هو أو لم يردَه⁽⁶⁾. وَيُضْرَبُ فيصيح، وهو لم يقصدُ إلى الصياح، ولكنه متى أدار لسانه في جَوْبَةٍ⁽⁷⁾ الفم بالهواء الذي فيه. والتنفس الذي يُحْضِرُه جُمَاعُ الفم⁽⁸⁾، حَدَثَ الصوت. وهذا إنما غايته الحركة فيعرف صورة تلك الحركة. والأخرس يرى⁽⁹⁾ الناس يصقُّون بأيديهم، عند دعاء إنسانٍ، أو عند الغضب والحد⁽¹⁰⁾، فيعرف صورة تلك الحركة؛ لطول ترددها على عينيه، كما يعرف سائر الإشارات، وإذا تعجَّبَ ضربَ يديه كما يضربون. فالنِّعَامَة تعرف⁽¹¹⁾ صورة إشارة الرُّثْلان وإرادتها، فتعقل⁽¹²⁾ ذلك، وتجاوبها بما تعقل

(1) انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقده في (3: 168) هـ: «وخليل» بالخاء المعجمة.

(2) سبق البيت بتمامه في 228 برواية أخرى.

(3) في الأصل: «متى تأتينا». وصوابه مما سبق في 228.

(4) هو الحارث بن حلزة البشكري، من معلقته، وانظر ص 230.

(5) في الأصل: «حركة».

(6) ش، هـ: «أم لم يردَه».

(7) الجوبة: الحفرة. والمراد باطن الفم. ش: «حوجة». ط، هـ: «جوحة»، وأثبت ما سبق في مثل هذا الموضع في

(76: 1) مطابقاً لما في نسخة كوبريلي.

(8) الجماع، كرمان: مجتمع الأصل.

(9) ط: «والأخرس من يرى». هـ: «والآخر من يرى»، صوابهما ما أثبت من ش.

(10) الحد، بفتح الحاء: الحدة والغضب. وفي الأصل، «الجد» بالميم، محرف.

(11) ط: «تعرق»، صوابه في ش، هـ. (12) ش: «فتنفل»، صوابه في ط، هـ.

عنها من الإشارة [والحركة]، وغدت⁽¹⁾ لحركتها أصواتٌ ولو كانا يسمعان لم تزد حالهما⁽²⁾ في التفاهم على ذلك.

(شَمُّ النعامة)

والعرب تقول: «أَشْمُ مِنْ نَعَامَةٍ» و: «أَشْمُ مِنْ ذَرَّةٍ». قال الرَّاجز:

أَشْمُ مِنْ هَيْتِي وَأَهْدَى مِنْ جَمَلٍ⁽³⁾

وقال الجَرْمَازِيُّ، في أرجوزته:

وهو يَشْتَمُّ اشْتِمَامَ الْهَيْتِ⁽⁴⁾

قال: وأخبرنا ابنُ الأعرابي أن أعرابياً كلم صاحبه، فراه لا يفهم عنه ولا يسمع كلامه فقال: «أَصْلَخُ كَصَلَخِ⁽⁵⁾ النَّعَامَةِ!»

(شَمُّ الفرس والذئب والذَرَّ)

وقد يكون الفَرَسُ في الموكب وخلفه، على قابِ غَلوتين، حَجَرٌ أو رَمَكَةٌ⁽⁶⁾، فَيَتَحَصَّنُ⁽⁷⁾ تحتَ رَاكِبِهِ، من غير أن تكونَ صَهْلَتٌ. والذَّئْبُ يَشْتَمُّ ويستروح مِنْ مِيلٍ، والذَّرَّةُ تَشْتَمُّ ما ليس له رِيحٌ، مما لو وضَعْتَهُ على أَنْفِكَ ما وَجَدْتَ لَهُ رائحةً وإن أَجَدْتَ التَّشْمُّمَ، كَرَجُلِ الجَرَادَةِ تَنْبِذُهَا⁽⁸⁾ من يدك في موضع لم ترفيه ذَرَّةً قَطً، فلا تلبث أن ترى الذَّرَّ إليها كالخيط الأسود الممدود. وقال الشاعر، وهو يصف استرواح الناس:

وجاءَ كَمِثْلِ الرَّألِ يَتَبِعُ أَنْفَهُ لِعَقْبِيهِ مِنْ وَقَعِ الصُّخُورِ قَعَاقُعُ⁽⁹⁾

(1) ش: «ويحدث».

(2) ش: «حالتهما».

(3) سبق هذا البيت في 74، والهيئ، بالفتح: الظليم. وأهدى، من الهداية. وذاك أنه يعرف مكان من الماء في الصحراء، فيتجه إليها بنفسه.

(4) سبق البيت في 74.

(5) الصلخ، بالتحريك، الصمم وذهاب السمع. والوصف منه أصلخ. قال:

لو أبصرت أبكم أعمى أصلخاً إذا لسمى واهتدى أني وخی

وفي اللسان: «وإذا دعى على الرجل قيل: صلخاً كصلخ النعامة!». ط: «أصلم كصلم»، صوابه في ش، هـ.

(6) الحجر، بكسر الحاء: الأنثى من الخيل. والرمكة، بالتحريك: البرذونة تتخذ للنسل.

(7) يتحصن: تبدو منه أمارات الذكورة. وقد سبق نحو هذا التعبير في (2: 82 س3). ط، ش: «فيشخص»، وليس بذلك. والأوفق ما أثبت من هـ والبيان (2: 257).

(8) نبذ، من باب رمى: بمعنى ألقى ورمى. ط، هـ: «ينفذه»، صوابه في ش وفي أمثال الميداني (1: 351) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك.

(9) الرأل: فرخ النعام. هـ: «لعقيبه» محرفة.

فَإِنَّ الرَّأْلَ يَشْتُمُ^(١) رائحة أبيه وأمه والسَّبُعِ وَالْإِنْسَانِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ. وَشَبَّهَ بِهِ رَجُلًا جَاءَ يَتَّبِعُ الرِّيحَ فَيَشْتُمُ.

(استطراد لغوي)

وقال الآخر:

والمِراءُ لَمْ يَغْضَبْ لِمَطْلَبِ أَنْفِهِ أَوْ عَرْسِهِ لَكَرِيهَةٍ لَمْ يَغْضَبِ^(٢)

ومَطْلَبُ أَنْفِهِ: فَزَجُّ أُمِّهِ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ إِذَا تَمَّتْ أَيَّامُهُ فِي الرَّحِمِ، قَلَّا مَكَانَهُ^(٣) وَكَرِهَهُ، وَضَاقَ بِهِ مَوْضِعُهُ، فَطَلَبَ بِأَنْفِهِ مَوْضِعَ الْمَخْرَجِ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْكَرْبِ، حَتَّى يَصِيرَ أَنْفُهُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَمِ الرَّحِمِ، يَلْقَاءُ فَمَ الْمَخْرَجِ. فَالْأَنَاءُ^(٤) وَالْمَكَانُ يَرْفَعَانِهِ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ، وَالْوَلَدُ يَلْتَمِسُ تِلْكَ الْجِهَةَ بِأَنْفِهِ وَلَوْلَا أَنَّهُ يَطْلُبُ الْهَوَاءَ مِنْ ذَاتِهِ، وَيَكْرَهُ مَكَانَهُ مِنْ ذَاتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى عَالَمٍ آخَرَ خِلَافَ عَالَمِهِ الَّذِي رُبِّيَ فِيهِ، لَمَاتَ؛ كَمَا يَمُوتُ السَّمَكُ إِذَا فَارَقَهُ الْمَاءَ. وَلَكِنَّ الْمَاءَ لَمَّا كَانَ قَابِلًا لَطَبَاعِ السَّمَكِ [غَاضِيًا]^(٥) لَهَا، وَالسَّمَكُ^(٦) مَرِيدًا لَهُ، كَانَ فِي مَفَارِقَتِهِ لَهُ عَطْبُهُ، وَكَانَ فِي مَفَارِقَةِ الْوَلَدِ لِحُوفِ الْبَطْنِ وَاعْتِنَائِهِ فَضْلَاتِ الدَّمِ، [مَالًا يَنْقُضُ]^(٧) شَيْئًا مِنْ طَبَاعِهِ وَطَبَاعِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ لَهُ مَرَّةً مَسْكَنًا، فَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ:

والمِراءُ لَمْ يَغْضَبْ لِمَطْلَبِ أَنْفِهِ أَوْ عَرْسِهِ لَكَرِيهَةٍ لَمْ يَغْضَبِ^(٨)

يقول: متى لم يَحْمِ فَرْجُ أُمِّهِ وَامْرَأَتِهِ، فَلَيْسَ مِمَّنْ يَغْضَبُ مِنْ شَيْءٍ يُؤْوِلُ إِلَيْهِ.

(١) ش: «يشم».

(٢) كذا جاء. وروى صدره في كنايات الجرجاني 27: «من كان لا يغضب لمطلب أنفه»، وكنايات الشعالي 7: «وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه»، واللسان (أنف): «وإذا الكريم أضاع موضع أنفه». وعجزه عند الجرجاني «من أمه أو عرسه»، والشعالي: «أو عرسه لكريهة» أي كما عند الجاحظ. واللسان: «أو عرضه لكريهة».

(٣) قلاه، كرماء ورضيه، قلى وقلاء ومثلية: أبغضه وكرهه غاية الكراهة.

(٤) الأناء، بالفتح: أن يحين الشيء.

(٥) ش: «عارياً» صوابه في هـ.

(٦) الزيادة من ش، هـ.

(٧) ليست بالأصل. وبمثلها يتم الكلام.

(٨) سبق هذا البيت، وموضع عجزه في كل من ط، هـ كلمة: «البيت».

(قول المتكلمين في صمم الأخرس)

وزعم المتكلمون أنَّ الأخرس أصم، وأنه لم يوت من العجز عن المنطق لشيء في لسانه، ولكنه إنما أوتي في ذلك؛ لأنه حين لم يسمع صوتاً قط، مؤلفاً أو غير مؤلف، لم يعرف كيفيته فيقصد إليه. وأنَّ جميع الصم ليس فيهم مُصمَّت⁽¹⁾، وإنما يتفاوتون⁽²⁾ في الشدة واللين؛ فبعضهم يسمع الهدّة والصّاعقة، ونهيق⁽³⁾ الحمار إذا كان قريباً منه، والرّعد الشّديد، لا يسمع غير ذلك. ومنهم من يسمع السرار⁽⁴⁾، وإذا رفعت له الصّوت لم يسمع. ومتى كلمته وقرّت الشكاية⁽⁵⁾ في أذنه، فهم عنك كلّ الفهم. وإن تكلمت على ذلك المقدار في الهواء، ولم يكن ينفذ في قناة تحصره وتجمعه، حتّى تُؤدّيّه إلى دماغه - لم يفهمه. فالأصم في الحقيقة إنما هو الأخرس، والأخرس إنما سُمّي بذلك على التشبيه والقراية. ومتى ضرب أصم من النَّاس إنساناً أو شيئاً غيره، ظنَّ أنه لم يبالغ، حتّى يسمع صوت الضربة. قال الشاعر⁽⁶⁾:

أشار بهم لمع الأصم فأقبلوا عرّانين، لا يأتيه للنصر مُحلب⁽⁷⁾
وقال الأسدّي:

وأوصيكم بطعان الكمّة فقد تعلمون بأن لا خلوداً⁽⁸⁾
وضرب الجماجم ضرب الأصم ثم حنظل شابة يجني الهبيدا⁽⁹⁾

(1) مصمت: أي تام الصمم خالصة.

(2) في الأصل: «يتقاربون».

(3) ط، هـ: «ونعيق»، وإنما النعيق للغراب والبوم. وصوابه في ش.

(4) السرار، بالكسر: مصدر ساره يساره: حدثه في أذنه.

(5) كذا في ط، وفي ش: «وطرت السكابة»، هـ: «وطرت الشكاية».

(6) هو بشر، كما في اللسان (صمم). يعني بشر بن أبي خازم. وهو شاعر جاهلي قديم. وبشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة. وخازم بالخاء والزاي المعجمتين. الخزانة (4: 336 سلفية).

(7) في اللسان: «ويقال للنذير إذا أُنذر قوماً من بعيد، وألمع لهم بثوبه: لمع بهم لمع الأصم. وذلك أنه لما كثر إلماعه بثوبه كان كأنه لا يسمع الجواب، فهو يديم اللمع». وعرّانين الناس: وجوههم وسادتهم وأشرفهم، مأخوذ من عرنين الأنف، وهو رأسه. والمحلب: من يعين المرء من غير قومه. يقول: هو لا يعينه أحد من غير قومه. في الأصل: «محلب» وتصحيحه من اللسان (حلب). ويروى أيضاً: «محلب» بالجيم، كما في اللسان (صمم) وفي اللسان (حلب): «وأجلبه: أعانه». والرواية بالحاء المهملة أجود وأصح وقبل البيت:

وينصره قوم غضاب عليكم متى تدعهم يوماً إلى الروع يركبوا

(8) رواية اللسان (صمم): «فأوصيكم». وقبل هذا البيت:

فأبلغ بني أسد آية إذا جئت سيدهم والمسودا

(9) وضرب الجماجم: أي وأوصيكم بضرب رؤوس الأعداد. والأصم الذي عنى، هو الظليم من النعام. وشابة: موضع بنجد. وفي الأصل: «شأنه»، وصوابه من اللسان (شوب وصمم). والهبيد: حب الحنظل، وهو أحب طعام إليه. وفي الأصل: «الوليدا» وهو تحريف. وفي اللسان: «هبيدا».

وقال الهذلي⁽¹⁾ :

فَالطَّعْنُ شَغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرْبُ الْمُعْوَلِ تَحْتَ الدَّيْمَةِ الْعَصْدَا⁽²⁾

وإنما جعله تحت الدَّيْمَةِ ؛ لأنَّ الأغصانَ والأشجارَ تصير ألدنَّ وأعلَّك، فيحتاج الذي يضرب تلك الأصولَ قبل المطر، إلى عشرِ ضَرْبَاتٍ حتَّى يقطع ذلك المضروب؛ فإذا أصابه المطرُ احتاج إلى أكثر من ذلك.

(تحقيق معنى شعري)

وأنشدني يحيى الأغر⁽³⁾ :

كَضَرْبِ الْقِيُونِ سَبِيكَ الْحَدِيدِ يَوْمَ الْجَنَائِبِ ضَرْباً وَكِيداً⁽⁴⁾

فلم أعرفه؛ فسألْتُ بعضَ الصَّياقلة فقال: نعم، هذا بيِّنٌ معروف. إذا أَخْرَجْنَا الحديدَ من الكِيرِ في يومِ شَمَالٍ⁽⁵⁾، واحتاجت في القطع إلى مائة ضربة، احتاجت في قطعها يومَ الجنوبِ إلى أكثر من ذلك، وإلى أشد من ذلك الضَّرب؛ لأنَّ الشمالَ يُبَسِّسُ ويقصِّف، والجنوبَ يَرطِبُ ويلدِّن.

(الأخرس)

والإنسان أبداً أَخْرَسُ، إذا كان لا يسمع ولا يتبيَّن الأصوات التي تخرج من فيه، على معناه⁽⁶⁾. ويقال في غير الإنسان، على غير ذلك. قال كثير:

(1) هو عبد مناف بن ربع الجربي، شاعر جاهلي من شعراء هذيل. و(ربع) بكسر الراء بعدها باء موحدة ساكنة. والجربي، كقرشي: نسبة إلى جريب، كقريش، وهو بطن من هذيل. والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادي في الخزانة (3: 172 بولاق) وهي اثنا عشر بيتاً. وقد نسب صاحب العمدة: (1: 201) البيت إلى أبي كبير الهذلي. وليس بذلك. وقد نسبته العسكري في ديوان المعاني (2: 55) إلى عبد مناف بن ربعي. صوابه «ربع» كما في الخزانة واللسان (شغشغ، هقع، عول، عضد)، وفي اللسان (عول): «قال ابن بري: الصحيح أن البيت لمساعدة بن جؤية الهذلي».

(2) الشغشغة بغينين معجمتين: تحريك السنان في المطعون ليتمكن منه. وفي الخزانة: «شفشفة»، وفي الأصل وديوان المعاني: «شعشعة»، وهما تحريف ما أثبت من اللسان والمخصص (5: 135) والعمدة. والمعجمة: شدة الحرب والجد في القتال. والمعجمة أيضاً: الدمشقة، وهي عمل في عجل. ط، هـ: «مقمة» وأثبت ما في ش. والرواية في جميع المصادر: «هقعة». والهيعة: صوت السيوف. والمعول، بكسر الواو المشددة: الذي يتخذ العالة، وهي شجر يقطعه الراعي أو الرامي فيستظل به من المطر. العضد، بالتحريك: ما قطع من الشجر.

(3) هـ: «الأعز».

(4) القيون: جمع قين، بالفتح، وهو الحداد. والجنائب: جمع جنوب، وهي الرياح التي تقابل الشمال. والوكيد: الشديد الصائب.

(5) أي يوم ريح شمال.

(6) أي على المعنى الحقيقي للأخرس.

أَلَمْ تَسْأَلِي يَا أُمَّ عَمْرٍو فَتُخْبِرِي سَلِمْتَ وَأَسْقَاكَ السَّحَابُ الْبَوَارِقُ
بُكْيَا لَصَوْتِ الرَّعْدِ خُرْسٌ رَوَائِح ونعق ولم يُسْمَعْ لهن صواعق⁽¹⁾

وتقول العرب: «مازلت تحت عين خرساء». والعين: السحابة تبقى أياماً تمطر. وإذا كثر ماؤها وكثف، ولم يكن فيها مخارق لم تمدح ببرق⁽²⁾.

(سرعة الضوء وسرعة الصوت)

ومتى رأيت البرق سَمِعْتَ الرَّعْدَ بعدُ. والرَّعْدُ يكون في الأصل قبله ولكنَّ الصَّوْتُ لا يصل إليك في سرعة البرق؛ لأنَّ البارق والبصر أشدُّ تقارباً من الصَّوْتِ والسَّمْعِ. وقد ترى الإنسان، وبينك وبينه رخله فيضرب بعصاً إمّا حَجَراً، وإمّا دَابَّةً، وإمّا ثوباً، فترى الضَّرْبَ⁽³⁾ ثمَّ تمكثُ وقتاً إلى أن يأتِكَ الصَّوْتُ.

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوّت السَّحَابَةُ لم تبشّر بشيءٍ، و[إذا⁽⁴⁾] لم يكن لها رَرْزٌ⁽⁵⁾ سمّيت خُرْسَاءً.

(الصخرة الصماء)

وإذا كانت الصَّخْرَةُ في هذه الصِّفَةِ سمّيت صماءً. قال الأعشى:
وإذا تجيء كَتِيبَةً مَلْمُومَةً مَكْرُوهَةً يَخْشَى الْكَمَاءُ نَزَالَهَا
وعلى غير هذا المعنى قال كثير:
كَأَنِّي أَنَا دِي صَخْرَةٌ، حِينَ أَعْرَضْتُ، من الصَّمِّ لو تمشي بها الْعُصْمُ زَلْتُ
ومن هذا الشَّكْل قولُ زهير:
وَتَنُوفَةٌ عَمِيَاءٌ لَا يَجْتَازُهَا إِلَّا الْمَشِيعُ ذُو الْفَوَادِ الْهَادِي⁽⁶⁾

(1) هـ: «روامج» بدل: «روائح». ونعق، كذا وردت. وانظر ديوان كثير (1: 140).

(2) انظر الاستدراكات.

(3) ش: «الضربة».

(4) ليست بالأصل.

(5) الرز، بالكسر: الصوت تسمعه من بعيد، أو الصوت مطلقاً.

(6) المشيع، بفتح الياء المشددة: الشجاع؛ لأن قلبه لا يخذه، فكأنه يشيعه. والفؤاد الهادي: المهتدي، أو الذي يهدي صاحبه.

قَفَرُ هَجَعْتُ بِهَا، وَلَسْتُ بِنَائِمٍ، وَذِرَاعُ مُلْقِيَةِ الْجِرَانِ وَسَادِي⁽¹⁾
وَوَقَعْتُ بَيْنَ قَتُودِ عُنُسٍ ضَامِرٍ لَحَاطَةِ طِفْلِ الْعَشِيِّ سِنَادٍ⁽²⁾
فَجَعَلَ التَّنَوُّفَةَ عَمِيَاءَ⁽³⁾، حِينَ لَمْ تَكُنْ بِهَا أُمَارَاتٍ.

(الزَّيَابَةُ)

وَدَابَّةٌ يُقَالُ لَهَا الزَّيَابَةُ⁽⁴⁾، عَمِيَاءُ [صَمَاءُ]⁽⁵⁾، تَشْبَهُ الْفَأْرَةَ، وَلَيْسَتْ بِالْخُلْدِ؛ لِأَنَّ الْخُلْدَ أَعْمَى وَلَيْسَ بِأَصَمٍّ. وَالزَّيَابُ⁽⁶⁾ يَكُونُ فِي الرَّمْلِ. وَقَالَ الشَّاعِرُ⁽⁷⁾:

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الْآذَانَ رَعْدًا⁽⁸⁾

(الأعمى من ولد الحيوان)

وَكُلُّ مَوْلُودٍ فِي الْأَرْضِ يُوَلَّدُ أَعْمَى، إِنْ كَانَ تَأْوِيلُ الْعَمَى⁽⁹⁾ أَنَّهُ لَا يُبْصِرُ إِلَّا بَعْدَ أَيَّامٍ. فَمِنْهُ مَا يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ بَعْدَ أَيَّامٍ كَالْجُرُودِ⁽¹⁰⁾؛ إِلَّا أَوْلَادَ الدَّجَاجِ؛ فَإِنَّ فَرَارِيحَهَا تَخْرُجُ مِنَ الْبَيْضِ كَاسِيَّةٍ كَاسِبَةٍ.

(1) قفر، يقال أرض قفر، ومفازة قفر وقفرة أيضاً. فهي مما يوصف به المؤنث، صفة لتنوفة. والهجوم، هنا، بمعنى الاضطجاع، نوماً كان، أو غير نوم. المخصص (104:5). وملقية الجران، عنى بها ناقته. أَلْقَتْ جَرَانَهَا: وضعت باطن عنقها على الأرض، تستريح بذلك. ومثل هذا البيت في معناه قول الآخر (الخرانة 480:4 بولاق):

يَا رَبِّ سَارِبَاتٍ مَا تَوَسَّدَا إِلَّا ذِرَاعَ الْعُنُسِ أَوْ كَفَ الْيَدَا

(2) القتود: جمع قنذ، بالتحريك، وهو أداة الرحل. والعنس، بالفتح وبالنون الساكنة: الناقة الصلبة. ووقعت، هنا، كأنه من الوقعة، بالفتح: وهي النوم في آخر الليل. وطفل العشى: آخره عند غروب الشمس واصفرارها. وإنما تكثر اللحن في ذلك الوقت لما يداخلها من الحنين إلى ولدها، فتتجمل الأوبة ويظهر نشاطها. والسناد، بالكسر: الشديدة الخلق، قال ذو الرمة:

جَمَالِيَّةٌ حَرَفٌ سِنَادٌ بِشَلْهَا وَظِيْفٌ أَزَجَ الْخَطُوْظَ مَآنَ سَهْوَقِ

وفي الأصل: «سنادي»، والوجه ما أثبت.

(3) في الأصل: «عيباً»، تحريف.

(4) الزباب بفتح الزاي، بعدها باء موحدة. ط، ش: «الزبابة» ه: «الذبابة»، صوابهما ما أثبت.

(5) ليست بالأصل. وأثبت ما تقتضيه المقارنة الآتية.

(6) ط، ه: «الذباب»، صوابه في ش.

(7) هو الحارث بن حلزة، كما في عيون الأخبار (95:2-96): واللسان (زيب).

(8) أي لا تسمع آذانهم صوت الرعد. والبيت محرف في الأصل ش، ه: «فهو رباب» ط: «فهو ذباب»، وفي الجميع: «لا يسمع» وه: «الأذائل» مكان: «الآذان» وأثبت صحة الرواية من الحيوان (176:5) وعيون الأخبار واللسان.

(9) ش: «أعمى». ه: «لعمي» وهذه محرفة. وأثبت ما في ط.

(10) الجرو، مثلثة: ولد الكلب والأسد والسياب. ط، ه: «كالجرذ» ش: «كالحرذ»، صوابهما ما أثبت. وفي (162:2): «وجرو الكلب يكون أعمى عشرة أيام وأكثر. وقد يعرض شبيهه بذلك لكثير من السباع».

(شعر فيه معجون)

وقال أبو السَّمُقْمَق - وجعل الأثر أعمى أصمَّ على التشبيه - فقال :
 فسَلَّم عليه فاتِرَ الطَّرْفِ ضاحِكاً وصوت له بالحارث بن عبادٍ
 بأضلعٍ مثل الجِرْوِ جَهْم غَضَنَفَرٍ مُعَاوِدِ طَعْنِ جَائِفٍ وسِنَادٍ⁽¹⁾
 أصمَّ وأعمى يُنْغِضُ الدَّهْرَ رَأْسَهُ يسير على مِيلٍ بغير قيادٍ⁽²⁾

(قول لمن زعم أن النعامة تسمع، ورد عليه)

[وقال] مَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّعَامَةَ تَسْمَعُ : يدلُّ على ذلك قول طَرْفَةَ :
 هَلْ بِالدَّيَارِ الْغَدَاةُ مِنْ خَرَسٍ أَمْ هَلْ بِرَبْعِ الْجَمِيعِ مِنْ أَنْسٍ⁽³⁾
 سَوَى مَهَاةٍ تَقْرُو أَسْرَتَهُ وَجُوذِرٍ يَرْتَعِي عَلَى كُنُسٍ⁽⁴⁾
 أَوْ خَاضِبٍ يَرْتَعِي بِهِ قَلَّتِهِ مَتَى تَرُعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ⁽⁵⁾
 فقد قال طَرْفَةُ كما ترى :

متى ترعُها الأصوات يهتجس

وقال الآخر : جوابنا في هذا هو جوابنا فيما قبله .

(فكاهة)

وروى الهيثم بن عديّ، وسمعه بعض أصحابنا من أبي عبيدة، قال : تضارط أعرابيان

-
- (1) الطعن الجائف : الذي يصل إلى الجوف .
 (2) أنغض رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . في الأصل : « ينفض » بالفاء، وأراها محرفة . ط، ش : « على مهل »، وأثبت ما في هـ، وهو أجود .
 (3) الأنس، بالتحريك : الحي المقيمون . ش : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .
 (4) المهواة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر، بالكسر، وهو من الوادي : أفضل موضع فيه .
 والجوذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز لغتان : الجوذر بضم الجيم والذال، وبضم الجيم وفتح الذال .
 وانظر سائر اللغات في القاموس . والكنس، بضمتين : جمع كناس، بالكسر، وهو بيت الوحش
 كما في فقه اللغة 304 طبع الحلبي . وفي شرح التبريزي للمعلقات 130 : « وهو شيء يتخذ
 الظباء، تجذب أغصان الشجرة، فتقع إلى الأرض، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل
 تستظل به » .
 (5) الخاضب : الظليم احمرت ساقاه . يرتعي بهقلته : يرعى مع أنثاه الفتية . يهتجس : في القاموس : « هجسه : رده عن
 الأمر فانهجس » . ونحوه في اللسان . فلعل يهتجس وينهجس فعلان مطاوعان لهجسه، وإن لم تذكر المعاجم
 أولهما .

عند خالد بن عبد الله^(١)، أحدهما تميمي والآخر أزدئي، فصرط الأزدئي صرطة ضئيلة، فقال التميمي:

حَبَقْتُ عَجِيفاً مُحْتَلاً وَلَوْ أَنَّنِي حَبَقْتُ لَأَسْمَعْتُ النَّعَامَ الْمَشْرَداً^(٢)
فَمَرَّ كَمَرُ الْمَنْجَنِيْقِ وَصَوْتُهُ يَبْذُ هَزِيمَ الرَّعْدِ، بَدْءاً عَمَرِداً^(٣)

(مَنْ لَقَبَهُ: نَعَامَةٌ)

وزعم أبو عمرو الشَّيباني عن بعض العرب، أنَّ كلَّ عربيٍّ [وأعرابيٍّ] كان يلقَّب نعاماً، فإنما يلقَّب بذلك لشِدَّةِ صَمَمِهِ، وأَنَّهُ سَأَلَهُ عن الظليم: هل يسمع؟ فقال: يَعْرِفُ بأنفه وعينه، ولا يحتاج معهما إلى سَمْعٍ. وَأَنشَدَنِي:

فَجِئْتُكَ مِثْلَ الْهَقْلِ يَشْتُمُ رَأْلَهُ وَلَا عَرَفَ إِلَّا سَوْفَهَا وَشَمِيمُهَا^(٤)

وزعم أنَّ لَقَبَ بيهس^(٥) نعاماً، وأَنَّهُ لَقَّبَ بذلك لأنه كان في خلق نعاماً، وكان شديد الصَّمَمِ مائِثاً^(٦). فَأَنشَدَ لَعْدِيَّ بن زَيْد^(٧):

وَمِنْ حَذَرِ الْأَيَّامِ مَاحِزٌّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ^(٨)
نَعَامَةٌ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمَ رَهْطُهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ

(١) هو خالد بن عبد الله القسري.

(٢) العجيف: المهزول. ولم يذكر في اللسان والقاموس بمادة (عجف). والمحثل، بالحاء المهملة بعدها مثناة مفتوحة: الهزيل. وفي الأصل: «مجتلاً» محرف.

(٣) المنجنيق، وتكسر الميم: آلة ترمى بها الحجارة، مؤنثة وقد تذكر، فارسيته: من جه نيك، أي أناما أجودني. يبذ: يغلب ويفوق. وهزيم الرعد: صوته. والبدء، بالفتح: أصل معناه السيد والشاب العقال. وبدءاً: حال ثانية من ضمير «مر». ط، ش: «بدء» هـ: «بداء» محرفتان عما أثبت. والعمرد، كعملس: الطويل. وانظر نحو هذا المعنى في (6: 303).

(٤) العرف، بالفتح: الريح طيبة أو غير طيبة. والسوف، بالفتح: الشم. وفي ط، هـ: «شوءها» ش: «ثوءها». وهما كلمتان محرفتان لا تنبضان بمعنى. والوجه ما أثبت.

(٥) بيهس: رجل من بني فزارة بن ذبيان. وله حديث وقصة في الأغاني (21: 122-124)، ونقلها عنه صاحب الخزنة في (4: 272-273 بولاق). وذكره الميداني في مثل: «تكل أرامها ولدأ».

(٦) مائثاً: أي أحمق. والموق بالضم والفتح: الحقيق. هذا. وقد زعم أبو الفرج أنه إنما سمى نعاماً بقوله:

فَلَأَطْرُقَنَّ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامٌ وَأَبْرُكَنَّ بِرُكَّةَ النَّعَامَةِ

(٧) الحق أن قائل الشعر هو المتلمس الضبعي، من قصيدة في ديوانه المخطوط، وكما في الأغاني وحماسة أبي تمام (1: 268) والبحري 19 وأمثال الميداني (1: 138، 216). ومروج الذهب (1: 292) والخزنة، ومعاهد التنصيص (1: 284). وقد ذكر الجاحظ البيتين في البيان (4: 17) ولم ينسهما.

(٨) قصة قصير متداولة في الكتب. وانظر المراجع المتقدمة. واسمه قصير بن سعد اللخمي. ورواية البيان: «ولاقي الموت بالسيف»، والمروج، والأغاني، والخزنة، والميداني «ورام الموت». رام: طلب.

وقال المتنخل الهذلي⁽¹⁾، وذكر سيفاً:

مُنْتَخَبُ اللَّبِّ لَهُ ضَرْبَةٌ خَذْبَاءُ كَالْعَطِّ مِنَ الْخِذْعِلِ⁽²⁾

يقول: هذا السيف أهوج لا عقل له. والخذب⁽³⁾ في هذا الموضع: الهوج⁽⁴⁾، وتهاوي الشيء لا يتمالك. ويقال للسيف: لا يبالي ما لقي.

(شعر في النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى في غير هذا الباب:

كَحَوْصَلَةِ الرَّأْلِ فِي جَرِيهَا إِذَا جَلَيْتَ بَعْدَ إِفْعَادِهَا⁽⁵⁾

«كحوصلة الرأل» يصف الخمر بالحمرة. جليت: أخرجت؛ وهو مأخوذ من جلوة العروس القاعدة، إذا قعدت عن الطلب⁽⁶⁾. ومثله في [غير⁽⁷⁾] الخمر قول علقمة:

تَأْوِي إِلَى حِسْكِ خُمْرِ حَوَاصِلِهِ كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَّكْنَ جُرْثُومَ⁽⁸⁾

وقال الأخنس بن شهاب⁽⁹⁾:

تَظَلُّ بِهَا رُبْدُ النَّعَامِ كَأَنَّهَا إِمَاءٌ تُزَجِّي بِالمَسَاءِ حَوَاطِبُ⁽¹⁰⁾

تُزَجِّي: تدفع⁽¹¹⁾؛ وذلك أنه يثقل حملها فتمشي مشية النعام.

(1) المتنخل، بكسر الخاء المشددة، اسم فاعل من تنخل، لقب مالك بن عويمر الهذلي شاعر من شعراء هذيل. وهو جاهلي كما في الخزانة (4: 110 سلفية). وفي الشعراء من يقال له: «المتنخل السعدي» ذكره الأمازي في المؤلف 179.

(2) منتخب اللب: أي منتزع العقل، فهو في هوجه كالمجنون، ورواية اللسان: (خذعل): «تنتخب اللب». والخدباء، بفتح الخاء: الهوجاء. وفي الأصل «خدباء»، تصحيحه من اللسان. كالعط من الخدعل: أي كالشق من ثوب الخدعل وهو بكسر الخاء والعين: المرأة الحمقاء، أو ثياب من أدم يلبسها الرعن لتتحمّل عبثهم وحمقهم. ط، هـ: «الخدعل» صوابه بالذال، كما في ش، واللسان.

(3) في الأصل: «الحذب» بالحاء، صوابه بالمعجمة.

(4) الهوج، بالتحريك: الحمق والرعونة. هـ: «الهدج» صوابه ما أثبت من ش، ط.

(5) في جريها: أي عند سيلانها وتدفعها من فم الدن. والرأل: فرخ النعام. وحوصلته حمراء؛ لتجردها من الريش.

(6) أي عن أن يطلبها الأزواج.

(7) ليست بالأصل، ولا يصح الكلام بدونها.

(8) سبق هذا البيت وشرحه في ص 217.

(9) الأخنس بن شهاب، شاعر جاهلي قبل الإسلام بدهر. الخزانة (3: 169 بولاق). نقلاً عن شرح المفضليات 410.

(10) الريد: جمع أريد وربداء، وهو ما في لونه غبرة. والإماء: جمع أمة، بالتحريك وهي المملوكة، والحواطب: اللاتي يجمعن الحطب. وخص المساء؛ لأن الإماء المحتطبات يرجعن فيه إلى أهاليهن وقد أعيين، فهن يمشين على تودة. انظر شرح المفضليات. ورواية المفضليات: «بالعشي» مكان: «بالمساء».

(11) في الأصل: «ترفع»، صوابه من اللسان وشرح المفضليات 411، ويروى: «تَزَجِّي» بنزع إحدى التاءين.

وقال الرَّاجِزُ^(١):

وَإِذَا الرِّيحُ تَرَوَّحَتْ بِعَاشِيَةٍ رَتَكَ النُّعَامُ إِلَى كَثِيفِ الْعَرْفَجِ^(٢)
وَالرَّتْكَ: مَشْيٌ سَرِيعٌ. يَقُولُ تَبَادَرُ إِلَى الْكَثِيفِ^(٣) تَسْتَرُّ بِهِ^(٤) مِنَ الْبَرْدِ. وَقَالَ:
رَتَكَ النُّعَامَةِ فِي طَرِيقِ حَامٍ^(٥)

(استقبال الظليم للريح)

وَلَيْسَ لِقَوْلٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الظِّلِمَ إِذَا عَدَا اسْتَقْبَلَ الرِّيحَ [وإنما ذلك مخافة أن تكون الرِّيحُ من خلفه فتَكَبَّتْهُ^(٦) - معنًى؛ لأنَّنا نجدُهم يصفون جميع ما يستدعونهُ^(٧) باستقبال الرِّيحِ]. قَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ، يَصِفُ الثَّوْرَ:

مَسْتَقْبِلُ الرِّيحِ يَهْفُو وَهُوَ مَبْتَرِكٌ لِسَانُهُ عَنْ شِمَالِ الشَّدَقِ مَعْدُولٌ^(٨)
وَوَصَفَ الذَّيْبَ طُفِيلَ الْغَنَوِيِّ، فَقَالَ:

(١) كَذَا، وَصَوَابُهُ: «الشاعر». وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ الْيَشْكِرِي، مِنْ قَصِيدَةِ مَفْضِلِيَّةِ 255 أَوَّلُهَا:

طَرَقَ الْخِيَالَ وَلَا كَلِيلَةَ مَدْلَجٍ سَدَكَا بِأَرْحَلِنَا وَلَمْ يَتَمَرَّجْ

(٢) كَذَا أَنْشَدَ الْجَا حِظْ هَذَا الْبَيْتِ. وَتَفْسِيرُهُ الْآتِي يَشْهَدُ لَصِحَّةِ هَذَا النَّصِّ عِنْدَهُ هُوَ، وَكَذَا صِحَّةُ مَا ضَبَطْتُ بِهِ الْبَيْتَ. لَكِنْ صَوَابُ الرِّوَايَةِ وَالضَّبْطُ، هُوَ كَمَا فِي الْمَفْضِلِيَّاتِ 526:

وَإِذَا اللَّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَاشِيَةٍ رَتَكَ النُّعَامَ إِلَى كَثِيفِ الْعَرْفَجِ

وَبَعْدَهُ:

الْفَيْتَيْنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ الْمُذْمَجِ

اللَّقَاحُ: الْإِبِلُ، وَأَحَدُهَا لَقُوحٌ، بِالْفَتْحِ. تَرَوَّحَتْ بِعَاشِيَةٍ: سَارَتْ فِي آخِرِ النَّهَارِ رَاجِعَةً إِلَى مَأْوَاهَا. رَتَكَ النُّعَامَ: أَيُّ مِثْلِ رَتَكَ النُّعَامَ. وَالرَّتْكَ، بِالْفَتْحِ وَالتَّحْرِيكِ: مَقَارِبَةُ الْخَطْوِ. وَالْكَثِيفُ: الْمَلْتَفُ. وَأَمَّا الْكَثِيفُ، بِالنُّونِ، فَهُوَ حَظِيرَةٌ تَعْمَلُ مِنْ شَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهَا الْإِبِلُ. وَالْعَرْفَجُ: شَجَرٌ.

(٣) ش: «الكتيف» محرف، وفي الكلام نقص، لعله «الكتيف من العرفج».

(٤) ش: «تستر به». ولعلها صحيحة. وقالوا: انسرب الوحشي: دخل في كناسه.

(٥) طريق حام: أي حمي رمله مما ضربت فيه الشمس. وهو أشد لرتك النعامة.

(٦) تكبته: تصرعه لوجهه، كبته يكبته فانكب. وممن ذهب هذا المذهب شارح ديوان طفيل ص 23 قال: «وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح، لأنها إذا استدبرتها كسعتها وألقتها».

(٧) كَذَا بِالْأَصْلِ. وَلَعَلَّهَا: «يَسْتَسْرِعُونَهُ»، أَيُّ يَعْدُونَهُ سَرِيعاً. وَقَدْ عَلَّلَ الْأَمْرَ صَاحِبُ اللِّسَانِ بِقَوْلِهِ: «وَامْتَخَرُ الْفَرَسَ الرِّيحَ وَاسْتَمَخَرَهَا: قَابَلَهَا بِأَنْفِهِ؛ لِيَكُونَ أَرْوَحَ لَهُ».

(٨) يَهْفُو: يَشْتَدُّ عَدُوهُ. قَالَ بَشَرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ يَصِفُ فَرَساً:

يُشْبِهُ شَخْصَهَا وَالْخَيْلُ تَهْفُو هُمْوًا ظِلَّ فَخَاءِ الْجَنَاحِ

وَإِبْتَرَكُ: انْتَحَى عَلَى أَحَدِ شِقَيْهِ فِي عَدُوهِ. ط، ه: «مشتبك» ش: «مشتبك» صوابهما من المفضليات 140. وَالشَّدَقُ هِيَ فِي ش: «السَّدَق» ه: «السَّدَف» صوابهما في ط والمفضليات. وَأَوَّلُ الْبَيْتِ فِي كُلِّ مَنْ ط، ه: «يَسْتَقْبِلُ» وَأَثْبَتَ رِوَايَةَ ش وَالْمَفْضِلِيَّاتِ.

كسِيدِ الْغَضَا الْعَادِي أَضْلَّ جَرَاءَهُ عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلِ الرِّيحِ يَلْحَبُ⁽¹⁾
(استطراد)

وَيُلْحَقُ⁽²⁾ بموضع ذِكْرِ الضَّرْبِ الشَّدِيدِ، قولهم في المثل: «ضَرْبَتَاهُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ». قال أبو حية:

جَدِيرُونَ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْ يَخْضِبُوا الْقَنَا وَأَنْ يَتْرَكُوا الْكَبْشَ الْمَدَجَّ ثَاوِيًا⁽³⁾
ضَرْبَتَاهُمْ ضَرْبَ الْحَسَامَا غَرَائِبَ وَإِذَا جَاءَكَ عَطَاشًا لَعَسَا حَرَارًا ضَوَارِيًا⁽⁴⁾
وإذا جاءت عطاشاً قد بلغ منها العطش واليُسُّ، قيل: جاءت تصل أجوافها صليلاً.
قال الراعي:

فَسَقَوْا صَوَادِي يَسْمَعُونَ عَشِيَّةً لِلْمَاءِ فِي أَجَوِفِهِنَّ صَلِيلًا
قال: وأنشدنا أبو مَهْدِيَّة، لمزاحم العُقَيْلِي⁽⁵⁾:
عَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ ظَمُّهَا تَصِلُ، وَعَنْ قَيْضٍ بَزِيْرَاءَ مَجْهَلٍ⁽⁶⁾
قال: الزَّيْرَاءُ⁽⁷⁾: المكان الغليظ.

(1) السيد، بالكسر: الذئب. والغضا: نبت تلجأ إليه الذئاب. وذئاب الغضا أخبث الذئاب. ط: «العاوي» ه: «العاري»، صوابهما في ش. ورواية الديوان: «الغادي». أضل جراءة: فقد أولاده، فهو يسرع في عدوه مجتهداً ليبحث عنها. والشرف: الأرض العالية. ورواية الديوان: «علاً شرفاً». يلحِب: يمر مرأً سريعاً، وفي الأصل: «يلهث». صوابه ما أثبت. والبيت من قصيدة بائنة لطيف، أولها:

تَأْوُبْنِي هَمٌّ مِنَ اللَّيْلِ مُنْصِبٌ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَا أَكْذِبُ
وهو قد نعت بالبيت الذي أنشده الجاحظ فرساً شبهه بالذئب. وقبل البيت:

كَأَنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَلِجَامِهِ سَنًا ضَرَمَ مِنْ عَزْفِجٍ يَتْلَهُبُ

(2) الكلام من هنا إلى قوله في الصفحة الآتية: «وزعم ابن أبي العجوز»، استطراد من الجاحظ لا علاقة له بالكلام السابق.
(3) القنا: الرماح. يخضبونها: أي بدماء الأعداء. والكبش: القائد، أو الرئيس المدجج: ذو السلاح. ثاوياً: مقتولاً. ه: «الكيس» ش: «الكبش» ش، ه: «المحدد» مكان: «المدجج»، ه: «قاوياً». وصواب رواية البيت من ط.
(4) هذا البيت ساقط من ش، ه: «وإذا جاءت». وهو كلام محرف مشياً، لم أجد له مرجعاً يعين على تحقيقه.
(5) هو مزاحم بن عمرو، شاعر بدوي إسلامي، صاحب قصيد ورجز، كان في زمن جرير والفرزدق، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه. الأغاني (17: 150).
(6) أي أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء، فطارت لذلك عند تمام ظمئها. والظم، بالكسر: ما بين الشربين أو الوردتين. وروى في الكامل والمخصص (14: 57): «تم خمسها». وهو بالكسر: ورود الماء في كل خمسة أيام. قال أبو حاتم: ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام، إنما هذا للإبل لا للطير، ولكنه ضربه مثلاً.

ابن السيد في الاقتضاب 248، وقد تكلم كثير من العلماء في هذا البيت، في دخول: «من» على «على». انظر أدب الكاتب 383 وابن سيده (14: 57) والبغداد (4: 253 بولاق) واللسان (صلل). ط: «يعدما» تحريف. والقيض، بالفتح: قشر البيضة الأعلى. والزيراء، بالكسر والفتح: ما غلظ من الأرض. ه: «عن قبض بزيراء» محرف. قال أبو حاتم: قلت للأصمعي: كيف قال: غدت من عليه، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلاً، لا غدوة؟ فقال: لم يرد الغدو، وإنما هذا مثل للتعجيل. والعرب تقول: بكر إلى العشية، ولا بكر هناك.
(7) ه: «الزيراء»، محرف.

وقال آخر ⁽¹⁾ :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمَّ حَسَّانَ أَنَّنِي إِذَا عَبْرَةٌ نَهَنَتْهَا فَتَجَلَّتْ ⁽²⁾
رَجَعْتُ إِلَى صَدْرٍ كَجِرَّةٍ حَنْتَمَ إِذَا قُرِعَتْ صِفْراً مِنَ الْمَاءِ صَلَّتْ ⁽³⁾

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الحوَّاء)

وزعم ابن أبي العجوز الحوَّاء، أَنَّ الْأَفَاعِيَّ صُمَّ، فَلِذَلِكَ لَا تَجِيبُ الرُّقَى، ثُمَّ زَعَمَ لِي فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ⁽⁴⁾ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورَ، أَرَادَ امْتِحَانَ رُقَى حَيَّةٍ ⁽⁵⁾ وَأَنْ يَتَعَرَّفَ صَحَّتَهَا مِنْ سُفْمِهَا، وَأَنَّهُ أَمَرَ ⁽⁶⁾ فَصَاغُوا لَهُ أَفْعَى مِنْ رِصَاصٍ، فَجَاءَتْ وَلَا يَشْكُ النَّظَرُ فِيهَا؛ وَأَنَّهُ أَمَرَ ⁽⁷⁾ بِالزَّاقِهَا فِي مَوْضِعٍ مِنَ السَّقْفِ؛ وَأَنَّهُ أَحْضَرَهُ وَقَالَ [لَهُ]: إِنَّ هَذِهِ الْأَفْعَى قَدْ صَارَتْ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَقَدْ كَرِهَتْهَا لِمَكَانِهَا؛ فَإِنْ اخْتَلَّتْ لِي بِرُقِيَّةٍ، أَوْ بِمَا أَحْبَبْتُ ⁽⁸⁾ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ. قَالَ: إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْذَهَا هَرَبْتُ ⁽⁹⁾ وَلَكِنْ أَرْقِيهَا حَتَّى تَنْزِلَ! فَرَقَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا لَا تَتَحَرَّكُ زَادَ فِي رَفْعِ صَوْتِهِ وَأَلْقَى قِنَاعَهُ، فَلَمَّا رَأَاهَا لَا تَتَحَرَّكُ نَزَعَ عِمَامَتَهُ وَزَادَ فِي رَفْعِ صَوْتِهِ، فَلَمَّا رَأَاهَا لَا تَتَحَرَّكُ نَزَعَ قَلَنْسُوتَهُ وَزَادَ فِي رَفْعِ صَوْتِهِ. فَلَمَّا رَأَاهَا لَا تَتَحَرَّكُ نَزَعَ ثِيَابَهُ، وَزَادَ فِي رَفْعِ صَوْتِهِ ⁽¹⁰⁾، حَتَّى أَزْبَدَ ⁽¹¹⁾، وَتَمَرَّعَ فِي الْأَرْضِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ سَالَ ذَلِكَ الرِّصَاصُ وَذَابَ، حَتَّى صَارَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَأَقْرَعَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَنْصُورُ بِجُودَةٍ رُقِيَّتِهِ.

فَقُلْتُ لَهُ: وَيْلَكَ! زَعَمْتَ قُبَيْلُ أَنَّ الْأَفَاعِيَّ لَا تَجِيبُ الرُّقَى؛ لِأَنَّهَا لَا تَسْمَعُ، وَهِيَ حَيَوَانٌ، ثُمَّ زَعَمْتَ أَنَّهَا أَجَابَتْ، وَهِيَ جَمَادٌ!!

(1) هو عمرو بن شأس، كما في اللسان (حنتم) والأغاني (10: 61). وعمرو بن شأس شاعر مخضرم، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير. شرح التبريزي للحماسة (1: 149 بولاق).

(2) أم حسان هي زوجته. والعبرة، بالفتح: الدمعة. نهنتها: كفها. تجلت: ظهرت. وفي الأغاني: «فتخلت»، والأولى أقوى وأطيب.

(3) الحنتم: جزار خضر تضرب إلى الحمرة، وقد يقال للخزف كله حنتم. انظر اللسان والنهاية. صفرأ من الماء: خالية منه. وجعل صدره كالجرة من الحنتم، في صلابتها وشدتها.

(4) بدل هذا الكلام من أول الفقرة في ش: «زعم ابن أبي العجوز في ذلك المجلس».

(5) ش، هـ: «جده» ط: «جد»، صوابهما ما أثبت. وانظر السطر 16.

(6) ط، هـ: «فأمرهم».

(7) ط، هـ: «تم أمر».

(8) ط، هـ: «أحست»، صوابه في ش.

(9) ش: «فعلت».

(10) الكلام من مبدأ: «وألقى قناعه» إلى هنا ساقط من ش.

(11) ط، ش: «أزبد». هـ: «أزيد»، صوابهما ما أثبت. وأزيد بمعنى ظهر منه الزبد على جانبي الشفتين.

(شعر وخبر في نفار النعامة)

وقال الشاعر:

وربداء يكفيها الشميم ومالها سوى الرئد من أنس بتلك المجاهل

يخبر أن النعامة لا تستأنس بشيء من الوحش، وأن الشم يغنيها في فهم ما تحتاج إليه. وهي مع ذلك إذا صارت إلى دور الناس، فليس معها من الوحشة منهم، على قدر ما يذكرون. وفي الوحش ما يأنس، وفيها⁽¹⁾ ما لا يأنس. وقال كثير:

فأفسمت لا أنساك ما عشت ليلة وإن شحطت دار وشط مزارها⁽²⁾وما استن رقراق السراب وما جرث بيض الربا أنسيها ونوارها⁽³⁾ووصف بلاداً قفراً⁽⁴⁾ غير مأنوسة فقال:ما ترى العين حولها من أنيس قريبها غير رابدات الرئال⁽⁵⁾

خصها بالذكر؛ لأنها أنقر وأشرد، وأقل أنسا من جميع الوحش.

وقال الأحيمر⁽⁶⁾: كنت آتي الظبي حتى أخذ بذراعيه؛ وما كان شيء من بهائم الوحش ينكرني إلا النعام⁽⁷⁾. وأنشد قول ذي الرمة:

(1) ش: «ومنها».

(2) شحطت: بعدت. وشط مزارها: بعد.

(3) استن السراب: اضطرب. والسراب، كسحاب: ما يرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به، وهو يبدو في الفلوات فيخدع السفر يظنونه ماء. وفي الكتاب: ﴿كَرَّابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَوْجَ إِذَا جَاءَهُ لَوْ يَجِدُهُ شَيْئًا﴾ [النور: 39]. وقد علله العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية، فتظهر صورة السماء في صفحة الأرض، أو تبدو صورة النخيل البعيدة، في وضع مقلوب يخدع الناظر، فيحسبها ظلالاً مرتسمة في ماء. والأنسى من الحيوان، يقال بفتح الهمزة والنون، نسبة إلى الأنس والأنسة بالتحريك في كل منهما بمعنى الائتناس. ويقال بكسرهما نسبة إلى الإنسان، بالكسر، وهم بنو آدم. ويقال بضمهما نسبة إلى الأنس، بالضم، وهو ضد الوحشة. وأول هذه اللغات أضعفها. وقد أعاد الضمير في «أنسيها» إلى الحيوان، ولم يذكره، ولكنه مفهوم ضمناً. والنوار، بالفتح: النافر الذي لا يستأنس من الحيوان. والرواية في ديوان كثير (1: 91): «وحشيها ونوارها».

(4) ش: «أقفاراً».

(5) الرابدات: المقيمات. ربد ربوداً: «أقام». والرئال: جمع رأل، بالفتح، وهو ولد النعام. وفسرت «الرابدات» في شرح ديوان كثير (1: 148) بأنها «صفة بمعنى الربد جمع ربداء، وهي التي في سوادها نقط بيض أو حمر». ولعل ما فسر به أقرب إلى الاشتقاق. فليس في المعاجم التي بأيدينا «رابد» بمعنى «أربد».

(6) سبقترجمته في (1: 112). والخبر في العقد (4: 238) وعيون الأخبار (2: 88).

(7) كذا أورد الجاحظ الخبر مقتضباً، وهو بتمامه، كما في عيون الأخبار (2: 88): «كنت حين خلعتني قومي، وأطل السلطان دمي؛ وهربت وترددت في البوادي ظننت أنني قد جزت نخل وبار، أو قريب منها، وذلك أنني كنت أرى النوى في رجع الذئاب. وكنت أغشى الأطباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني؛ لأنها لم تر أحداً قبلي. وكنت أمشي إلى الظبي السمين فأخذه؛ وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش؛ إلا النعام؛ فإني لم أره قط إلا نافراً فرعاً».

وكلَّ أَحَمَّ المَقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ أَخُو الْإِنْسِ مِنْ طُولِ الْخَلَاءِ الْمَغْفَلِ⁽¹⁾

(نفار الوحش وهربها من الصحارى)

يدلّ على ذلك في قَدْرِ ما شاهدنا أَنهم يخرجون إلى الصَّحَارَى الْأَغْفَالِ⁽²⁾، التي لم يُدْعَر صَيْدُهَا، وَلَا يَطُوهَا النَّاسُ، فَيَأْتُونَ الْوَحْشَ فَوْضَى هَمَلًا، وَمَعَهُمْ كَلَابُهُمْ وَفَهُودُهُمْ تَتَلَوَّى⁽³⁾ بِأَيْدِيهِمْ، فَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَوْ كَانُوا ابْتَدَءُوا الصَّيْدَ مِنْ جِهَتِهَا لَأَخَذُوا مَا أَخَذُوا. فَإِذَا نَفَرَتْ وَحُوشُ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَمَرَّتْ بِالْأَرْضِ الْمِجَاوِرَةِ لَهَا، نَفَرَتْ سُكَّانُ تِلْكَ الْأَرْضِ مَعَ هَذِهِ النَّوَافِرِ، وَلَا تَعُودُ تِلْكَ الصَّحَارَى إِلَى مِثْلِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، مِنْ كَثَرَةِ الْوَحْشِ حِينَئِذٍ. وَمَتَى لَمْ تَنْفَرِهَا الْأَعْرَابُ بِالْكَلابِ وَالْقَسِيِّ، وَنَضَبِ الْحَبَائِلِ، رَتَعَتْ بِقُرْبِهِمْ، ثُمَّ دَنَتْ مِنْهُمْ أَوَّلًا فَأَوَّلًا، حَتَّى تَطَأَ أَكْنَافَ بَيْوتِهِمْ. وَهِيَ الْيَوْمَ فِي حَيْرٍ⁽⁴⁾ الْمَعْتَصِمِ بِاللَّهِ⁽⁵⁾ وَالْوَاتِقِ بِاللَّهِ⁽⁶⁾ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ.

(هجرة الطَّيِّاءِ إِلَى النَّاسِ)

وخبَّرني إبراهيمُ بْنُ السَّنْدِيِّ⁽⁷⁾ قَالَ: خَبَرَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ عَيْسَى، وَصَالِحُ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ، أَنَّ خَالِدَ بْنَ بَرْمَكٍ، بَيْنَا هُوَ عَلَى سَطْحٍ مِنْ سَطُوحِ الْقُرَى مَعَ قَحْطَبَةٍ⁽⁸⁾،

(1) أَحَم: أسود. والمقلة، بالضم: حدقة العين لا وأراد به الظبي. والخلاء المغفل: الذي لا علامة فيه ولا أثر. وضبط «كل» بالنصب؛ لأن قبل البيت كما في الديوان 505:

دعت مية الأعداد فاستبدلت بها
وبعده سبعة أبيات، ثم:

وكل موشاة القوائم نعجة
لها ذرع قد أحرزته ومطفل
تربيع له ريع الهجان وأقبلت
لها فرق الأجال من كل مقبل

ثم البيت: «وكل أحَم المقلتين».

(2) الأغفال: التي لا علامة فيها ولا أثر.

(3) ش: «ملوى»!

(4) الحير، بالفتح: البستان، أو الموضع المظمئن الوسط المرتفع الحروف. ومثله الحائر. جاء في اللسان: «وبالبصرة حائر الحجاج، معروف، يابس لا ماء فيه. وأكثر الناس يسميه الحير، كما يقولون لعائشة: عَيْشَةُ.

يستحسنون التخفيف وطرح الألف». في ط، ش: «حيز» ه: «حد» وصاحبهما ما أثبت.

(5) المعتصم بالله، هو محمد بن هارون الرشيد، بويع بالخلافة سن 218 بعد وفاة المأمون، وهو فاتح عمورية. وأول من أضاف من الخلفاء اسمه إلى اسم الله تعالى. توفي بسامرا سنة 227.

(6) الوائق بالله، هو هارون بن محمد بهارون الرشيد، فهو ابن المعتصم. ولى بعد أبيه سنة 227 وتوفي بسامرا 232.

(7) هو إبراهيم بن السندي بن شاهك، يروي عنه الجاحظ كثيرا. وأبوه السندي بن شاهك، كان يلي الجسرين ببغداد للرشيد. انظر الجهشياري 236 - 237، وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه «مولى أمير المؤمنين». الرسائل 47 ساسي.

(8) هو قحطبة بن شبيب الطائي صاحب أبا مسلم الخراساني وكان شريكه في إقامة الدعوة العباسية بخراسان، وقاد جيوش أبي مسلم فكان مظفراً، غرق في الفرات سنة 132 حين ابتدأت الخلافة العباسية. ه: «قرطبة» محرفة. وقحطبة، بفتح القاف والطاء.

وهم يتغذون^(١)، وذلك في بعض منازلهم^(٢)، حين فصلوا من خُراسان إلى الجبل. قال: وبين قحطبة وبين الأعداء مسيرة أيام وليال. قال: فبينما خالد يتغذى معه وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير، وحين علّقوا على دوابهم^(٣)، ونصبوا قُدورهم، وقربوا سُفَرهم^(٤).

قال: فنظر خالد إلى الصّحراء، فرأى أقاطيع الطّباء قد أقبلت من جهة الصّحاري، حتى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبة: أيّها الأمير! ناد في الناس: «يا خيل الله اركبي^(٥)»؛ فإنّ العدو قد حثّ إليك السير، وعامة أصحابك لن يسرجوا ويُلجموا قبل أن يروا سرعان الخيل^(٦). فقام قحطبة مذعوراً، فلما لم ير شيئاً يرّوعه، ولم ير غباراً قال لخالد: ما هذا الرأي! قال: أيّها الأمير! لا تتشاغل بي وبكلامي، وناد في الناس^(٧)، أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت، فارقت^(٨) مواضعها حتّى خالطت الناس؟! إنّ وراءها جمعاً عظيماً^(٩)! قال: فو الله ما ألجموا وأسرجوا^(١٠) حتّى رأوا ساطع الغبار، ولا تلبّسوا^(١١) وتسلّحوا حتّى رأوا الطليعة^(١٢). فما التأموا حتّى استوى أصحاب قحطبة على ظهور خيولهم. ولولا نظرة خالد بن برمك وفراسته، لقد كان الجيش اصطلم^(١٣).

(١) أي يتناولون الغداء، بالفتح، وهو طعام الغدوة، بالضم، وهي البكرة، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس. ش: «يتغذون» بالذال المعجمة.

(٢) بعد هذا في ش: «وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير»، وهو كلام مقحم سيأتي في موضعه قريباً.

(٣) في اللسان: «والعليق: القضيض يعلق على الدابة. وعلقها: علق عليها» والقضيض: الشعر. ولا تزال هذه العبارة حية عندنا في مصر، يستعملها سواس البهائم. ه: «علفوا على دوابهم» محرفة.

(٤) السفر: جمع سفرة، بالضم، وهي طعام المسافر، وتقال لتلك التي تبسط ويؤكل عليها، والتي يوضع فيها طعام المسافر.

(٥) روى الجاحظ هذا الحديث في أول ما اختاره «من كلام الرسول ﷺ»، مما لم يسبقه إليه عربي، ولم يشاركه فيه عجمي، ولم يدع لأحد، ولا ادعاه أحد، مما صار مستعملاً ومثلاً سائراً. البيان (١٥: ٢).

(٦) سرعان الخيل، بالتحريك، ويسكن: أوائلها. وفي الأصل: «وغاية أصحابك أن يسرجوا»، صوابه من ابن أبي الحديد (٣: ٤١٣).

(٧) كذا في ه. وفي ش: «ناد في الناس» بإسقاط الواو. ط: «ونادى في الناس» محرفة.

(٨) كذا بدون ذكر الواو قبله، على الاستتفاف. وفي ابن أبي الحديد بالواو.

(٩) ش: «فظيعاً». وفي ابن أبي الحديد: «وإن وراءها لجمعاً كثيفاً».

(١٠) أي وضعوا اللجم والسروج على الخيل.

(١١) تلبسوا، لبسوا ثياب الحرب.

(١٢) طليعة الجيش: أولهم. ش: «الطلبة».

(١٣) اصطلم الجيش، بالبناء للمفعول: أبيد، واستؤصل.

(قصة في قوة الشم)

وكان إبراهيم [بن⁽¹⁾] السندي يحدثنا من صدق حس أبيه في الشم، بشيء، ما يحكى مثله إلا عن السباع والذّر والنّعام. وزعم أن أباه قال ذات يوم: أجد ريح بول فأرة! ثم تشمّم وأجال أنفه في المجلس، فقال: هو في تلك الزاوية! فنظروا فإذا على طرف البساط من البلب بقدر الدرهم، أو أوسع شيئاً، فقصوا أنه بول فأرة.

قال: وشهدته مرّة وأشرطه⁽²⁾ قيام على رأسه في السماطين⁽³⁾، فقال: أجد ريح جورب عفن مئتن! فتشمّمنا بأجمعنا، فلم نجد شيئاً، ثم تشمّم وقال: انزعوا خفّ ذاك. فنزعوا خفّه، فكلّمنا مدّ النازع له شيئاً بدا من لفافته. فما زال الثنن يكثف ويزداد، حتّى خلع خفّه ونزعه من رجله، فظهر من ثنن لفافته ما عرف به صدق حسّه. ثم قال: انزعوا الآن أخفافكم بأجمعكم، فلا بدّ من ألا يكون في جميع اللّفاف مئتن غير لفافته، أو تكون لفافته أنتنها؛ فنزعوا، فلم يجدوا في جميعها لفافة متنته غيرها. وأنشدوا:

غزا ابن عمير غزوة تركت لنا ثناء كنن الجورب المتخرق⁽⁴⁾

(أقوى درجات التشمم)

وليس الذي يحكى من صدق الحس في الشم - عن بعض الناس، وعن النّعام والسباع، والفأر والذّر، وضروب من الحشرات - من شكل ما نطق⁽⁵⁾ به القرآن العظيم، من شأن يعقوب ويوسف عليهما السلام حين يقول تعالى: ﴿قَالَ أَبُوهُمَ إِنَّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونْ﴾ * قَالُوا تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿[يوسف: 94-95]. وكان هذا من يعقوب بعد أن قال يوسف عليه السلام: ﴿أَذْهَبُوا بِمِصْصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: 93]. ولذلك قال: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ

(1) ليست بالأصل. وانظر ما سبق في التنبيه السابع من ص 252.

(2) الأشرط: الحرس، مثله ما جاء في قول حسان (اللسان: شرط):

في ندامي بيض الوجوه كرام نبهوا بعد هجعة الأشرط

(3) السماطين: مثني سباط، بالكسر، وهو الصف من الناس.

(4) ابن عمير هذا، اسمه عبد الله بن عمير، كما سبق في (1: 174). وفيه وفي ثمار القلوب 486: «تركت له».

ورواية الوساطة 299: «لها» والثناء، بتقديم المثلثة: ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم، وخص به بعضهم المدح، ورواية الوساطة وثمار القلوب: «الجور المتمزق».

(5) كذا في ش: وفي ط، ه: «مما نطق».

أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْقِدُونِ ﴿ [يوسف: 94]، ثُمَّ قَالَ: ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴿ [يوسف: 96].

وإنما هذا علامة ظهرت له خاصة؛ إذ كان النَّاسُ لا يشتُمون أرواح أولادهم⁽¹⁾ إذا تباعدوا عن أنوفهم، وما في طاقة الحصان الذي يجد رِيحَ الجحر ممَّا يجوز الغلوتين والثلاث⁽²⁾. فكيف يجد الإنسان وهو بالشَّام رِيحَ ابنه في قميصه، ساعة فصل من أرض مصر؟! ولذلك قال: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ [يوسف: 96].

(بعض المجاعات)

وقد غَبَر موسى وهو يَسِيرُ أَرْبَعِينَ عَامًا⁽³⁾، لا يذوق ذَوَاقًا⁽⁴⁾. وجاع أهل المدينة في تلك الحُطْمَةِ⁽⁵⁾، حتى كان أصحاب رسول الله ﷺ يشدُّون الحَجَرَ على بُطُونِهِمْ، من الجُوع والجَهْد. وكان النبي ﷺ، وعلى آله الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ - يقول: «إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ، إِنِّي آيْتُ عِنْدَ رَبِّي، يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي».

(حِجَاجٌ فِي ذَبْحِ الْحَيَوَانِ وَقَتْلِهِ)

وَرَجَالٌ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ، يُظْهِرُونَ التَّقَدُّرَ مِنَ الصَّيْدِ؛ وَيَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ،

-
- (1) الأرواح، هنا: جمع رِيح، بالكسر، وهي بمعنى الرائحة.
 - (2) أي ولا يشتُمون ما في طاقة الحصان.. إلخ. والحجر: بالكسر: أنشئ الخيل. يجوز: يزيد. والغلوة، بالفتح: قدر رمية بسهم، وانظر ما سبق من الكلام على تشم الحصان في 239 وكذا (81:2).
 - (3) غبر: مكث. ش، هـ: «وهو يسرى». والوجه ما أثبت من ط. والسرى لا يكون إلا بالليل. و«عاماً» صوابه «يوماً». انظر الاستدراكات.
 - (4) الذواق، بالفتح: المأكول والمشروب. وفي الحديث: «لم يكن يذم ذواقاً» فعال بمعنى مفعول من الذوق، يقع على المصدر والاسم. وما ذقت ذواقاً: أي شيئاً.
 - (5) الحطمة، بالفتح والضم: الجذب والسنة الشديدة، كأنها تحطم كل شيء. وكان النبي ﷺ، قد دعا على مضر فقال: اللَّهُمَّ اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسني يوسف. فتتابع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين، حتى أكلوا القد والعظام والعلhez. فنال ذلك الجذب رسول الله ﷺ وأصحابه، وبدعائه عوقبوا، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع. تأويل مختلف الحديث 269، 318، والتجريد الصريح للزبيدي (71:1) وثمار القلوب 37، وفي صحيح البخاري: «فأخذتهم سنة حصت كل شيء». عمدة القاري (27:7 - 28). وقد كان هذا الأمر في مكة قبل الهجرة، لا في المدينة كما ذكر الجاحظ. عمدة القاري (46:7 س 13).

وإنَّ أصحاب الصَّيْدِ لَتُؤَدِّيهِمُ الضَّرَاوَةُ التي اعترتهم مِنْ طُرُقِ الطَّيْرِ فِي الْأَوْكَارِ، وَنُصِبِ الْحَبَائِلِ لِلظُّبَاءِ؛ التي تنقطع عن الخَشْفَانِ^(١) حتى تموتْ هُزْلاً وَجُوعاً، وإشلاء السِّبَاعِ على بهائم الوحش وَتَسْلِمُ^(٢) أهلها إلى القَسْوَةِ، وإلى التَّهَاوُنِ بدماء النَّاسِ. والرَّحْمَةُ شَكْلٌ واحد. وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْكَلْبَ لَمْ يَرْحَمْ الطَّيْرَ وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الطَّيْرَ لَمْ يَرْحَمْ الْجَدْيَ، وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْعُصْفُورَ لَمْ يَرْحَمْ الصَّبْيَ. وصغارُ الأمورِ تُؤَدِّي إلى كبارها. وليس ينبغي لأحدٍ أَنْ يتهاوَنَ بشيءٍ مما يؤدي إلى القَسْوَةِ يوماً ماً. وأكثرُ ما سمعت هذا الباب، مِنْ ناسٍ من الصُّوفِيَّةِ، ومن النَّصَارَى؛ لمضاهاة النَّصَارَى سَبِيلَ الزَّنَادِقَةِ، في رفضِ الذَّبَائِحِ، والبُعْضِ لإِراقة الدِّمَاءِ، والزُّهْدِ فِي أَكْلِ اللَّحْمَانِ.

وقد - كان يَرْحَمُكُ اللَّهُ - على الزَّنْدِيقِ أَلَّا يَأْتِيَ ذَلِكَ فِي سِبَاعِ الطَّيْرِ، وَذَوَابِّ الْأَرْبَعِ مِنَ السِّبَاعِ. فَأَمَّا قَتْلُ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ، فَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمُ الْبَتَّةَ أَنْ يَقْنُوا فِي قَتْلِهِمَا طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَخْلُو مَنْ أَنْ تَكُونَ شَرّاً صِرْفاً، أَوْ يَكُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَعْمُوراً بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ. وَالشَّرُّ شَيْطَانٌ وَالظُّلْمَةُ عَدُوُّ الثُّورِ. فَاسْتِحْيَاءُ الظُّلْمَةِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى إِمَاتَتِهَا، لَا يَكُونُ مِنْ عَمَلِ الثُّورِ. بَلْ قَدْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ رَحْمَةُ الثُّورِ لَجَمِيعِ الْخَلَائِقِ وَالنَّاسِ، إِلَى اسْتِنْقَاذِهِمَا مِنْ شُرُورِ الظُّلْمَةِ. وَكَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَسَنًا فِي الْعَقْلِ اسْتِحْيَاءُ الثُّورِ وَالْعَمَلُ فِي تَخْلِيصِهِ وَالدَّفْعُ عَنْهُ - فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَتْلُ الظُّلْمَةِ وَإِمَاتَتُهَا، وَالْعَوْنُ عَلَى إِهْلَاكِهَا، وَتَوْهِينِ أَمْرِهَا - حَسَنًا.

وَالْبَهِيمَةُ الَّتِي يَرَوْنَ أَنْ يَدْفَعُوا عَنْهَا أَيْضاً مَمْرُوجَةً^(٣)، إِلَّا أَنْ^(٤) شَرَّهَا أَقْلٌ. فَهَمُ إِذَا اسْتَبَقَوْهَا فَقَدْ اسْتَبَقُوا الشُّرُورَ الْمَخَالِطَةَ لَهَا. فَإِنْ زَعَمُوا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَازَ لَهُمْ؛ لِأَنَّ الْأَغْلَبَ عَلَى طِبَاعِهَا الثُّورَ فَلْيَغْتَفِرُوا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِدْخَالَ الْأَذَى عَلَى قَلِيلٍ مَا فِيهَا مِنْ أَجْزَاءِ الشَّرِّ^(٥) كَمَا اغْتَفَرُوا مَا فِي إِدْخَالِ الرُّوحِ

(١) الخشفتان: جمع غريب للخشف، بتثنية الخاء، وهو ولد الظبية عند ما يتحرك للمشي. ولم أر هذا الجمع في معجم، وجمعه في اللسان والقاموس على «خشفة» بكسر ففتح.

(٢) أي، وتستسلم الضراوة، في الأصل: «تسلم» بدون واو. والمراد بالسباع هنا الحيوان المفترس من الوحش والطيور، كالكلاب والفهود والبزاة.

(٣) أي ممزوج فيها الخير بالشر.

(٤) ش: «لأن»، صوابه في ط، هـ.

(٥) في الأصل: «الخير»، والصواب عكسه، كما يقتضي الكلام.

والسرور^(١) على ما في البهيمة من أجزاء الظلمة لدفعهم عن البهيمة؛ إذ كان أكثر أجزائها من الثور. وإنما ذكرت ما ذكرت؛ لأنها قالوا: الدليل على أن الذي أنتم فيه، من أكل الحيوان كل يوم من^(٢) الذبائح، مكروه عند الله، أنكم لم تروا قط ذبأحي^(٣) الحيوان ولا قتالي^(٤) الإنسان، ولا الذين لا يقتاتون إلا اللحمان يفلحون^(٥) أبداً. ويستغنون^(٦)؛ كنحو صيادي السمك وصيادي الوحش^(٧) وأصناف الجزارين والقصابين، والشوائين والطهائين والفهادين^(٨) والبيازرة^(٩) والصقارين والكلابين؛ لا ترى أحداً منهم صار إلى غنى ويُسّر، ولا تراه أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً^(١٠)، وعلى حالٍ مشبهة بحاله الأولى. وكذلك الجلادون، ومن يضرب الأعناق بين يدي الملوك. وكذلك أصحاب الاستخراج^(١١) والعذاب، وإن أصابوا الإصابات، وجميع أهل هذه الأصناف. نعم وحتى ترى بعضهم وإن خرج نادراً خارجياً، ونال منهم ثروة وجاهاً وسلطاناً، فيما أن يُقتل، وإما أن يُغتصب^(١٢) نفسه بميتة عاجلة، عند سروره بالثروة؛ أو يبعث الله عليه المحق^(١٣) فلا يئمو له شيء، وإما ألا يجعل من نسلهم عقياً مذكوراً، ولا ذكراً

(١) الروح، بالفتح: الرحمة. و«السرور» هي في أصلها «السرور» مصحفة.

(٢) ط، هـ: «ومن». والوجه حذف الواو كما في ش.

(٣) هـ: «ذبائح» محرقة. ط: «ذابح» وأثبت ما في ش لملاءمته نسج الكلام.

(٤) ط فقط: «قتال».

(٥) ش، هـ: «لا يفلحون». والوجه إسقاط «لا» كما في ط.

(٦) في الأصل: «ولا يستغنون».

(٧) جاءت كلمة «صياد» في الموضعين: «صيادي» بحذف الباء الآخرة والوجه إثباتها.

(٨) الفهاد: الذي يصطاد بالفهد، ذاك الحيوان.

(٩) البيازرة، بتقديم الزاي: جمع بيزار. وبيزار: معرب بازيار، الفارسية، وهو القائم بأمر البازي.

انظر الصحاح واللسان. ط: «البيازة» هـ: «البيازرة» ش: «البيازرة»، محرفات عما أثبت. وقد

جاءت على الصواب في ص 261.

(١٠) المحارف، بفتح الراء: المحدود المحروم.

(١١) انظر للاستخراج، وهو استصفاء أموال المختلسين، حواشي البيان 2: 43، 166.

(١٢) ط، هـ: «يغصب»، وأثبت ما في ش.

(١٣) المحق، بالفتح: النقصان، وذهاب البركة. ش: «المحو».

نبيهاً وَذُرِّيَّةً طَيِّبَةً مثل الحَجَّاج بن يوسف، وأبي مسلم^(١)، ويزيد بن أبي مسلم^(٢) ومثل أبي الوعد^(٣)، ومثل رجالٍ ذكروهم لا نحبُّ أن نسميهم.

قال: فَإِنَّ هَؤُلَاءَ مع كثرة الطَّرُوقَةِ^(٤) وظُهُورِ القُدْرَةِ، مع كثرة الأنسال، قد قَبَّحَ اللَّهُ أَمْرَهُمْ، وَأَخْمَلَ أولادهم، فهم بين مَنْ لَمْ يُعْقِبْ، أو بَيْنَ مَنْ هُوَ فِي معنى مَنْ لَمْ يُعْقِبْ.

فقلت للنَّصَارَى بدياً: كيف كان النَّاسُ أَيَّامَ الْحُكْمِ بما في التَّوْرَةِ أَيَّامَ^(٥) موسى ودَاوُدَ، وهما صاحبا حُرُوبٍ وَقَتْلٍ، وَسِبَاءٍ وَذَبَائِحٍ؟! نعم حتى كان القُرْبَانُ كُلُّهُ أو عَامَّتُهُ حيواناً مذبوحاً، لذلك سَمَّيْتُم بيت المَذْبَحِ. وَلَسْنَا نَسْأَلُكُمْ عن سِيَرَةِ النَّصَارَى اليومَ، وَلَكِنَّا نَسْأَلُكُمْ عن دين موسى وَحُكْمِ التَّوْرَةِ، وَحُكْمِ صاحب الزَّبُورِ. وما زالوا عندكم إلى أن أنكروا رُبُوبِيَّةَ المسيح، على أَكْثَرِ من حالنا اليوم في الذَّبَائِحِ. وأنتم في كثيرٍ من حالاتكم تُغْلَوْنَ علينا السَّمَكَ حَتَّى نَتَوَخَّى أَيَّاماً بأعيانها، فلا نشترى السَّمَكَ إِلَّا فيها؛ طلباً للإمكانِ والاسْتِرْخَاضِ وهي يومُ الخميس، ويومُ السبت ويومُ الثَّلَاثاءِ؛ لأنَّ شراءكم في ذلك اليوم يَقِلُّ. على أَنَّكُمْ تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبَائِحِ في أَيَّامِ الْفِصْحِ^(٦) وهل تَدْعُونَ أَكْلَ الحيوانِ إِلَّا أَيَّاماً معدودةً، وساعاتٍ مَعْلُومَةٍ؟! فإذا كانت الْجُرْفَةُ وَالْمَحَنُ إِنَّمَا لَزِمَا الْقَصَابِينَ وَالْجَزَارِينَ والشَّوَّائِينَ، وَأَصْنَافَ الصَّيَّادِينَ، من جهة العقوبة - فأنتم شركاء صَيَّادِي السَّمَكِ خَاصَّةً؛ لأنَّكُمْ آكَلُ الْخَلْقِ له، وأنتم أيضاً شُرَكَاءُ الْقَصَابِينَ في

(١) يعني أبا مسلم الخراساني. وهو عبد الرحمن بن مسلم، القائد المشهور، الذي قام بتأسيس الدولة العباسية، توفي سنة 137 وله من العمر سبع وثلاثون سنة، قتله أبو جعفر المنصور.

(٢) يزيد بن أبي مسلم، هو يزيد بن دينار الثقفي، كان مولى الحجاج بن يوسف وكاتبه، ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك. وقال الوليد في شأنه: مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً!». قتل يزيد سنة 102، وفيات الأعيان (2: 276 - 277). وفي ش، ط: «يزيد بن مسلم». هـ: «زيد بن مسلم»، صوابهما ما أثبت. وسيأتي على الصواب في ص 261.

(٣) كذا جاء. ولم أجد له تعريفاً.

(٤) الطروقة، بالفتح: المرأة، والزوجة.

(٥) ش: «وأيام».

(٦) الفصح، بالكسر: عيد للنصارى. انظر القاموس وبلوغ الأرب. (1: 357). والتنبيه والإشراف 108، 123 والاستدراكات.

عامّة الدّهر. فلا أنتم تدّيون للإسلام فتعرفوا ما عليكم ولكم، وفضل⁽¹⁾ ما بين الرّحمة والقسوة، وما الرّحمة، وفي أيّ موضع يكون ذلك القتل رحمة؟ فقد أجمعوا على أنّ قتل البعوض إحياء للجميع، وأنّ إصلاح النّاس في إقامة جزاء الحسنة والسيئة. ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: 179]⁽²⁾.

والقود حياّة. وهذا شيء تعمل به الأمم كلها، غير الزنادقة. والزنادقة لم تكن قطّ أمة، ولا كان لها ملك ومملكة، ولم تزل بين مقتول وهارب ومنافق. فلا أنتم زنادقة. ولا ينكر لمن كان ذلك مذهبه أن يقول هذا القول. فأنتم لادهرية⁽³⁾، ولا زنادقة، ولا مسلمون؛ ولا أنتم راضون بحكم الله أيام التّورة. فإن كان هذا الحكم قد أمر الله به - وهو عدل - فليس بين الزمانين فرق.

وبعد فإنّا نجدكم تأكلون السمك أكلاً ذريعاً، وتتقدرون من اللّحمان! أفلاًنّ السمك لا يألّم القتل.، أم لأنّ السمك لما قتلتّموه بلا سيكين لم يحسّ⁽⁴⁾ قتله؟! فالجميع حيوان، وكلّ مقتول يألّم، وكلّ يحسّ، فكيف صار أكل اللّحم قسوة، وأكل السمك ليس بقسوة؟! وكيف صار ذبح البهائم قسوة، ولا تكون تفرقة ما بين السمك والماء حتّى تموت⁽⁵⁾ قسوة! وكيف صار ذبح الشاة قسوة وصيد السمك بالسنانير المذربة المعقفة⁽⁶⁾ ليس لها شعائر تخالف العقاف المنصوص⁽⁷⁾ في جهاتها. وكيف وهي وإن لم تنشب في أجوافها، وتقبض على مجامع أرواحها، لم تقدّر على أخذها؟! وكيف صار وجء اللّبة⁽⁸⁾ من الجزور

(1) فصل: أي فرق. في الأصل: «فضل»، وهو تصحيف يتكرر.

(2) هـ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ﴾ [البقرة: 179]، وهو سهو من الكاتب.

(3) سبق شرح هذه الكلمة في ص 46.

(4) ط: «يحسن»، صوابه في ش، هـ.

(5) المراد بالتفرقة الصيد. تموت: أي تموت السمك. ش فقط: «يموت» بالياء وكل جائز.

(6) المذربة: المحددة، والمعقفة: الملوية.

(7) كذا جاءت العبارة محرفة في الأصل. بيد أنه في ط: «العقاب» مكان «العقاف».

(8) وجء اللّبة: طعنها بالسكين، واللّبة، بالفتح: المنحر، أي موضع النحر. ش، هـ: «وحاء»،

ولم أجد هذه إلا بمعنى لا يلائم هذا الموضع. ط: «وجأ» محرفة. ط: «اللّبة»، صوابهما في ش، هـ.

أَقْسَى مِنْ ضَرْبِ النَّبَائِلِ ^(١)؟! أَمْ كَيْفَ صَارَ طَعْنُ الْعَيْرِ ^(٢) بِالرُّمَحِ، وَنَصَبُ الْحَبَائِلِ لِلظُّبَاءِ، وَإِرْسَالُ الْكِلَابِ عَلَيْهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ النَّبَائِلِ ^(٣) فِي ظَهْرِ السَّمَكِ؟! وَلَا تَنْتَكُمُ تَكْثُرُونَ قَوْلَكُمْ: لَا نَأْكُلُ شَيْئاً فِيهِ دَمٌ أَيَّامَ صَوْمِنَا، فَلِلْسَمَكِ دَمٌ، وَلَا بَدَّ لِجَمِيعِ الْحَيَوَانِ مِنْ دَمٍ أَوْ شَيْءٍ يُشَاكِلُ الدَّمَ، فَمَا وَجْهُ اعْتِلَالِكُمْ بِالْدَّمِ؟! أَلَا ^(٤) كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ دَمٌ فَهُوَ أَشَدُّ أَلَمًا؟ فَكَيْفَ نَعْلَمُ ذَلِكَ؟ وَمَا ^(٥) الدَّلِيلُ عَلَيْهِ؟ فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي بَابِ التَّعَبُّدِ وَالْمُضْلَحَةِ، لَا فِي بَابِ الْقِيَاسِ وَالرَّحْمَةِ وَالْقِسْوَةِ، فَهَذَا بَابٌ آخَرٌ. إِلَّا أَنْ تَدَّعُوا أَنَّ ذَوَاتِ الدِّمَاءِ ^(٦) أَقْوَى لِلْأَبْدَانِ، وَأَشْرُ ^(٧) لِلنَّفُوسِ، فَأَرَدْتُمْ بِذَلِكَ قَلَّةَ الْأَشْرِ وَضَعْفَ الْبَدَنِ. فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَعْنَى مُسْتَبِينًا فِي آكِلِي السَّمَكِ مِنَ الْبَحْرِيِّينَ ^(٨). وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ مُلَازِمَةِ الْحِرْفَةِ لَهُؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ نَزَلَتْ صِنَاعَتُهُ، وَدَقَّ خَطَرُ تِجَارَتِهِ، كَذَلِكَ سَبِيلُهُ.

وَأَحَلُّ الْكَسْبِ كُلَّهُ وَأَطْيَبُهُ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ سَقْيُ الْمَاءِ، إِمَّا عَلَى الظَّهْرِ، وَإِمَّا عَلَى دَابَّةٍ. وَلَمْ أَرِ سَقَاءً قَطُّ بَلَغَ حَالَ الْيَسَارِ وَالثَّرْوَةِ. وَكَذَلِكَ ضَرَابُ اللَّبَنِ، وَالطَّيَّانُ وَالْحَرَاثُ. وَكَذَلِكَ مَا صَغُرَ مِنَ التَّجَارَاتِ وَالصَّنَاعَاتِ. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْأَمْوَالَ كَثِيرًا مَا تَكُونُ عِنْدَ الْكُتَّابِ، وَعِنْدَ أَصْحَابِ الْجَوْهَرِ، وَعِنْدَ أَصْحَابِ الْوَشْيِ وَالْأَنْمَاطِ ^(٩)، وَعِنْدَ الصَّيَّارِفَةِ وَالْحَنَاطِينَ ^(١٠)، وَعِنْدَ الْبَحْرِيِّينَ

(١) كذا في ط، هـ. وفي ش: «التبائل» بهذا الإهمال.

(٢) العير، بالفتح: الحمار الوحشي.

(٣) كذا. ولعلها: «النبال»: جمع نبل، بمعنى السهام.

(٤) في الأصل: «ألا أن».

(٥) في الأصل: «وأما».

(٦) يعني بذوات الدماء: ما سوى السمك. وفي الأصل: «دواب الماء».

(٧) أشر: أفعل من الأشر بالتحريك، وهو المرح والنشاط. في الأصل: «أسر» وانظر السياق.

(٨) في الأصل: «في أكل السمك من البحرين»، محرفة.

(٩) الأنمط: ضرب من البسط.

(١٠) الحنط: بائع الحنطة، وهي بالكسر: البر.

والبصريين ^(١) والجلابُ أبدأ ^(٢)، والبيازرة ^(٣) أيسر ممَّن يبتاع منهم. وجُمِلُ الأموالِ حقٌّ ^(٤) بأن تُربحَ الجُمْلُ مِن تفاريق الأموال. وكذلك سبيل القصاب والجزار، والشَّوَاء، والبازيار ^(٥)، والفهاد.

وأما ما ذكرتم من انقطاع نسلِ القُساة، وخمول ^(٦) أولادهم، كانقطاع نسلِ فرعون، وهامان، ونمرود ^(٧)، وبُخْت نَصْر ^(٨)، وأشباههم، فإنَّ الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: 7]. وإن شئتم أن تعدوا من المذكورين بالصلاح أكثرَ من هؤلاءِ ممَّن كان عقيماً أو كان ميناثاً ^(٩)، أو يكون ممَّن نبت لهم أولادٌ سوءٌ عقوهم في حياتهم، وعرضوهم للسبِّ بعد موتهم - لو جدتموهم. وعلى أني لم أنصب نفسي حرباً للحجاج ^(١٠) بن يوسف، ويزيد بن أبي مسلم ^(١١)، أتحرى بهما ^(١٢)، وهما عندي من أهل النَّار. ولكنني عرفتُ مغزاكم. وعلى أنكم ليسَ القصابينَ أرذتم، ولكيكنكم أرذتم دينَ المسلمين. وقد خرجَ الحجاجُ من الدنيا سليماً في بدنه، وظاهرٍ نعمته، وعليَّ مرتبته من الملك، ومكانه من جوازِ الأمرِ والنهي ^(١٣). فإن كان الله عندكم سَلَمُهُ وعاقبَ أولاده، وكان ذلك دينكم فإنَّ هذا قولٌ إن خاطبتم به الجبرية ^(١٤) فعسى أن تتعلقوا منهم بسبب،

(١) كذا.

(٢) المراد بالجلاب: من يجلبون الرقيق والعييد للتجارة فيها. و«أبدأ» كذا في الأصل، وقد تكون صحيحة. أو لعلها «أثري» من الثراء، وهو الغنى واليسر.

(٣) سبق الكلام على البيازرة في ص 257.

(٤) هي صحيحة. يقال: هو حق بكذا، أي جدير به. انظر القاموس.

(٥) البازيار: من يتعهد البازي ويعتني به. وفي الأصل: «البازياز» مصحفة.

(٦) الكلام من مبدأ: «وجمل الأموال حق» إلى هنا، ساقط من هـ.

(٧) نمرود، بالضم: جبار من الجبابرة، ظهر إبراهيم عليه السلام في زمنه. وانظر الاستدراكات.

(٨) هو ذاك الطاغية المشهور الذي خرب بيت المقدس. ولى ملك بابل سنة 606 قبل الميلاد.

(٩) كذا بالياء، وأصلها الهمز، والمثنى: من لا يولد له إلا الإناث.

(١٠) الحرب: المحارب. ولعله يريد بذلك: مدافعاً عن الحجاج، وانظر ما سبق في 258.

(١١) سبقت ترجمته في ص 258.

(١٢) كذا بالأصل. ولعله: «أتحدى بهما»، فيكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما، أو يدافع عنهما.

(١٣) جواز الأمر والنهي: نفوذهما.

(١٤) الجبر، هو نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى. والجبرية أصناف. فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة. فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل، وسمى ذلك كسباً، فليس بجبري، والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والإحداث استقلالاً - جبرياً. الملل والنحل (1: 108).

فَأَمَّا مَنْ صَحَّحَ الْقَوْلَ بِالْعَدْلِ^(١) فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَطَأِ الْفَاحِشِ الَّذِي لَا شَبَهَةَ فِيهِ .

(شعر في القانص وفقره)

وكان مما أنشدوا من الدليل على أن القانص لا يزال فقيراً - قول ذي الرمة :

حَتَّى إِذَا مَالَهَا فِي الْجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ شَمْسُ النَّهَارِ شُعَاعاً بَيْنَهَا طَبَبٌ^(٢)
وَلَا حَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ بِنُقْبَتِهِ كَأَنَّهُ حِينَ يَغْلُو عَاقِرًا لَهَبٌ^(٣)
هَاجَتْ بِهِ جُوعٌ طَلَسَ مُحْصَرَةً شَوَازِبٌ لَاحَهَا التَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ^(٤)
جُرْدٌ مُهَرَّتُهُ الْأَشْدَاقُ ضَارِيَةً مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْعَذَبُ^(٥)

(١) يعني المعتزلة، وهم يسمون أهل العدل، يقولون: إن الله منزه أن يضاف إليه شر وظلم، وفعل هو كفر ومعصية؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً، كما لو خلق العدل كان عادلاً. الملل والنحل (١: 56).

(٢) لها: غفل. يعني ثوراً وحشياً، والجدر، بالفتح: نبت رملي. والشعاع، بالضم: ضوء الشمس الذي تراه عند ذورها كأنه الحبال أو القضبان مقبلة عليك. والطب، كعنب: جمع طبة، بالكسر، وهي الطريقة من طرائق الشعاع. وأصل الطبّة السير الذي يخرز به. ش: «إذا رابها» ه: «إذا نانها»، محرفتان صوابهما في ط والديوان 23، وجمهرة أشعار العرب 183، واللسان (طبب). ش، ه: «في الخدر وانحدرت» تصحيحه من الديوان واللسان. وفي اللسان: «وانحدرت» محرفة. ط، والجمهرة: «بالجدر» وهي صحيحة. ش، ط: «قنب» ه: «طنب»، صوابهما في الديوان والجمهرة واللسان.

(٣) لاح: ظهر، وأشرق. ش، ه: «ناب» محرفة. وأثبت ما في ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب). والأزهر: الأبيض. وأراد به الصبح. والنقبة، بالضم: اللون في الجمهرة: «معروف بنقبتة». يعلو عاقراً: أي يرتفع في رملة لا تنبت شيئاً، شبهت بالعافر من الناس: الرجل والمرأة اللذين لا يلدان. وقد شبه الصبح بلهب النار. جاء في جمهرة أشعار العرب: «منهم من يقول إنه يعني الفجر، ومن يقول إنه يعني به الثور». قلت: ممن جعله يعني الثور صاحب اللسان، فإنه قال: «يصف ثوراً».

(٤) يقول: أولعت بذاك الثور كلاب جائعة، في لونها غبرة إلى سواد، قد ضممت خواصرها. ط وجمهرة أشعار العرب: «هاجت به عوج» وفي الجمهرة والديوان: «زرق مخصرة». والشاذب، بالزاي: الضامر اليابس. ش: «شواذب» بالذال، مصحفة. لاحها: هزلها وغيرها. والتقريب والخبب: ضربان من العدو. وفي الديوان: «التغريث والجنب». التغريث: التجويع. والجنب بالتحريك: أن يشتد عطش الحيوان حتي تلزق رثته بجنبه. وأصله في الإبل.

(٥) جرد: جمع أجرد، وهو القليل الشعر. وفي الديوان واللسان (عذب): «غضف». مهرة الأشداق: واسعتها. والسراحين: الذئاب، واحدها سرحان، بالكسر. والعذب: سيور تشد في أعناق الكلاب، واحدها عذبة، بالتحريك.

- وَمُطَعَمُ الصَّيْدِ هَبَالٌ لِبُغْيَتِهِ أَلْفَى أَبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ⁽¹⁾
 مَقْرَعٌ أَطْلَسُ الْأَطْمَارِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الضَّرَاءُ وَإِلَّا صَيْدَهَا نَشَبُ⁽²⁾
 فَانصَاعَ جَانِبَهُ الْوَحْشِيِّ وَانْكَدَرَتْ يَلْحَبْنَ لَا يَأْتَلِي الْمَطْلُوبُ وَالطَّلَبُ⁽³⁾

قال: فجعله كما ترى مقرعاً أطلس الأطمار، وخبر أن كلابه نشبه، وأنه ألفى أباه ذلك. وأنشدوا في ذلك قول الآخر:

- وَأَعْصَمُ أَنْسَتُهُ الْمَنِيَّةُ نَفْسَهُ رَعَى النَّبْعَ وَالظِّيَّانَ فِي شَاهِقٍ وَغَرٍ⁽⁴⁾
 مَوَارِدُهُ قَلَّتْ تَصَفُّقُهُ الصَّبَا بَنِيْقٌ مُزِلٌّ، غَيْرُ كَذِرٍ وَلَا نَزِرٍ⁽⁵⁾
 قَرْنُهُ السَّحَابُ مَاءَهَا، وَتَهَدَّلَتْ عَلَيْهِ عُصُونٌ دَانِيَاتٌ مِنَ السَّمْرِ⁽⁶⁾

(1) مطعم الصيد: أي رجل طعمته وحرفته الاصطياد، فهو مرزوق منه. ومطعم، بضم الميم وفتح العين، قال امرؤ القيس:

مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهِ

هبال، من الاهتبال، وهو سرعة الأخذ. والبغية، بالضم: الطلبة. والطلبة بفتح، فكسر: ما يطلبه المرء. ش، هـ: «هناك لنقيته» محرفة. وفي جمهرة أشعار العرب: «هباش لبغيته»، ألفى أباه، يقول: هو صائد ابن صائد، فذاك أمهر له.

(2) مقرع: خفيف الشعر. أطلس: أغبر. والأطمار: جمع طمر بالكسر، وهو الثوب الخلق البالي، والضراء بالكسر: جمع ضرر بالكسر أيضاً، وهو الضاري. عنى بها الكلاب. وصيدها: أي ما تصيده الكلاب من الوحش. والنشب، بالتحريك: المال.

(3) انصاع: ذهب سريعاً. جانبه: أي على جانبه. والجانب الوحشي: الأيمن من الدابة، وقيل الأيسر. انكدرت: أي انقضت. وضميره للكلاب. يلحبن: يسلكن طريقاً لاجباً ممهداً. أو يمررن مرأً سريعاً. لا يأتلي: أي لا يترك جهداً ولا يخفض من جريه. والمطلوب، عنى به الثور. والطلب، بالتحريك: جمع طالب، وهو من نادر الجمع. وقد أراد به الكلاب. ش، هـ: «واتصلت بحيث لا يابأ» تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار العرب، واللسان (صوغ، لحب، طلب).

(4) أعصم: يعني وعلاً بإحدى يديه بياض. ش: «وأعظم» مصحفة. أنسته المنية نفسه، أي أعماه قدر الموت عن الحذر. والنبع والظيان: من أشجار الجبال. وفي الأصل: «النبت والظيان» محرف.

(5) القلت: نفرة في الجبل تمسك الماء. تصفقه: تضربه. والصبأ: ريح شرقية. والنيق، بالكسر: أعلى موضع في الجبل. مزل: تزلق عليه الأقدام ولا تثبت. ش: «مرك». وغير كدر، صفة للقلب. وقد أسكن الدال للشعر.

(6) تهدلت: تدلت. والسمر: نبات، وهو بضم الميم. وأسكنها للشعر.

- أُتِيحَ لَهُ طُلُحٌ إِزَاهُ بِكَمِّهِ هَتُوفٌ وَأَشْبَاهُ تُخَيِّرُنْ مِنْ حَجَرٍ (1)
 أَبُو صَبِيَّةٍ لَا يَسْتَدِرُّ إِذَا شَتَا لَقُوحًا، وَلَا عَنَزَا، وَلَيْسَ بِذِي وَفْرِ (2)
 لَهُ زَوْجَةٌ شَمْطَاءٌ يَذْرُجُ حَوْلَهَا فَطِيمٌ تَنَاجِيهِ، وَآخِرُ فِي الْحَجَرِ (3)
 مُشَوَّهَةٌ لَمْ تَعْبَ طَيِّبًا وَلَمْ تَبْتَ تَقْتَرِ هَنْدِيًّا بَلِيلٍ عَلَى جَمْرِ (4)
 مُحَدَّدَةُ الْعَرْقُوبِ ثَلَمَ نَابِهَا تَعَرَّقُهَا الْأَوْدَارُ مِنْ فَقَرِ الْحَمْرِ (5)
 مَسْفَعَةُ الْخَدَّيْنِ، سَوْدَ دِرْعَهَا تَقْدُرُهَا بِاللَّيْلِ، وَالْأَخْذُ بِالْقَدْرِ (6)

(1) أُتِيحَ لَهُ: أي قدر. والطلح، بالكسر: المعبي. أراد صائداً. وإزاه: أي سبب عيشه. والإزاء، بكسر الهمزة والمد، وقصره للشعر. في الأصل: «أزاه» مصحفة والهتوف: القوس المرنة المصوتة. قال الشنفرى:

هتوف من الملس المتون يزيناها رصائع قد نيطت إليها ومحمل
 وقال الشماخ:

هتوف إذا ما جامع الطيبي سهمها وإن ريع منها أسلمته النوافز
 ط، ش: «خنوف» ه: «حتوف» صوابهما ما أثبت. وأشباه. أي سهام متشابهة طبعت على
 غرار واحد. وحجر، بالفتح: قصبة اليمامة، تنسب إليها السهام والنصال، قال الراعي:
 توخى حيث قال القلب منه بحجري ترى فيه اضطماراً
 أي نصل منسوب إلى حجر. أبو حنيفة: «وحدات حجر مقدمة في الجودة». وقال رؤبة:

حَتَّى إِذَا تَوَقَّعْتُ مِنَ الزَّرْقِ حَجْرِيَّةً كَالْجَمْرِ مِنْ سَنِ الدَّلَقِ

(2) يقول: له صبية، فهو يسعى جاهداً ليحصل على ما يقوتهم به من صيد. واللقوح بالفتح: الناقة الحلوب. يقول:
 ليس له لقوح فيستدرها. واختار الشتاء لما أنه وقت المجاهدة والعسر عندهم. وإنما يخصبون في الربيع. ط:
 «يستدرا» صوابه في ش، ه. الوفر، بالفتح: الغنى.

(3) أي في حجرها. والشمطاء: التي يخالط سواد شعرها بياض. وهو يصور بذلك كثرة عيال الصائد.

(4) لم تعب طيباً: لم تهيبه ولم تخلطه. يقال عبأ الطيب يعبؤه، من باب منع: صنعه وخلطه. فأصله الهمز كما رأيت، فلما سهلها بالألف، عامله كالمعتل. والهندي: أراد به العود الهندي الذي يتبخر به. والتقتير: تهيبج القطار، وهو بالضم: ريح البخور.

(5) العرقوب: بالضم: عصب غليظ فوق عقب الرجل. ثلم نابها: كسر حرفه. والتعرق: أكل ما على العظم من اللحم. والأودار: القطع الصغيرة من اللحم. وفي الأصل: «الأوزار» صوابه بالذال كما أثبت. والفقر، كعنب: جمع فقرة، بالكسر، وهي الواحدة من عظام الصلب. ه: «نقر» محرفة. والحر، أصله الحرير بضميتين: جمع حمار. عنى ما يصطاده زوجها من حمر الوحش. وسكن الميم لضرورة الشعر.

(6) مسفعة: مسودة. ه: «مسقعة» محرفة. والدرع، بالكسر: القميص. والتقدر، مثل معناه الطبخ في القدر، ولم يذكره صاحب اللسان والقاموس. وفي اللسان: «قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً. واقتدر أيضاً بمعنى قدر». ط، ش: «تقدرها»، وأثبت ما في ه.

كغول الفلاة لم تخضّب بنائها ولم تدّر ما زِي الخرائد بالمضّر⁽¹⁾
فأرسل سهماً أرهف القَيْن حده فأنفذ حُضْنِيهِ فخرّ على النحر⁽²⁾

(مُسَاءَلَةُ الْمَنَانِيَّةِ)

كان أبو إسحاق يسأل المَنَانِيَّةَ⁽³⁾، عن مسألةٍ قريبة المآخذٍ قاطعة، وكان يزعمُ أنها ليست له. وذلك أنَّ المَنَانِيَّةَ تزعمُ أنَّ العالمَ بما فيه، من عشرة أجناس: خمسة منها خيرٌ ونورٌ، وخمسة منها شرٌّ وظلمة. وكلُّها حاسةٌ وحارة. وأنَّ الإنسانَ مركَّبٌ من جميعها على قدر ما يكونُ في كلِّ إنسانٍ من رُجْحَانِ أجناسِ الخيرِ على أجناسِ الشرِّ، [ورُجْحَانِ⁽⁴⁾] أجناسِ⁽⁵⁾ الشرِّ على أجناسِ الخير. وأنَّ الإنسانَ وإن كان ذا حواسٍّ خمسة⁽⁶⁾، فإنَّ في كلِّ حاسةٍ متونا⁽⁷⁾ من ضده من الأجناسِ الخمسة. فمتى نظَرَ الإنسانُ نظرةً رحمة فتلك النظرة من النور، ومن الخير. ومتى نظَرَ نظرةً وعيدٍ، فتلك النظرة من الظلمة. وكذلك جميع الحواسِّ. وأنَّ حاسةَ السَّمْعِ جنسٌ على حدة، وأنَّ الذي في حاسةِ البصرِ من الخير والنور، لا يعين الذي في حاسةِ السَّمْعِ من الخير ولكنه لا يضاده⁽⁸⁾، ولا يُفاسدُهُ، ولا يمنعُه. فهو لا يعينه⁽⁹⁾ لمكان الخلاف والجنس، ولا يعين عليه؛ لأنَّه ليس ضدّاً. وأنَّ أجناسَ الشرِّ خلافٌ لأجناسِ الشرِّ، ضدٌّ لأجناسِ الخير. وأجناسُ الخير يخالفُ بعضها بعضاً ولا يضادُّ. وأنَّ التَّعاونَ والتَّادي⁽¹⁰⁾ لا يقعُ بين

(1) الزي، بالكسر: الهيئة. والخرائد: جمع خريدة، وهي البكر لم تمسس، أو الخفرة الطويلة السكوت، الخافضة الصوت، المستترة.

(2) القين، بالفتح: الحداد. أنفذ حُضْنِيهِ: خرق جنبه. والحُضْنُ: بالكسر: الجنب. والنحر، بالفتح: أعلى الصدر.

(3) المَنَانِيَّة: أتباع ماني. انظر ما سبق ص 47، وقد أسهب القول ابن النديم في تفصيل مذهبه. الفهرست 327 - 337 ليسك 456 - 472 مصر.

(4) ليست بالأصل. وبها يصلح الكلام.

(5) في الأصل: «فاحتاج». ووجه ما أثبت.

(6) كذا. وهي صحيحة؛ فإنَّ المعدود إذا وصف بالعدد جاز في العدد المطابقة وعدمها الصبان 61:4.

(7) كذا في الأصل.

(8) ط، هـ: «يضاره» بالراء. وأثبت ما في ش.

(9) ش: «يعنيه» ومع إسقاط «لا». هـ: «لا يعينه». وصوابهما ما أثبت من ط.

(10) التَّادي: التعاون. وفي الأصل: «التَّادي» ولا يستقيم به المعنى.

مختلفها، ولا بين متضادها⁽¹⁾، وإنما يقع بين متفقها.

قال: فيقال للمنانى: ما تقول في رجل قال لرجل: يا فلان، هل رأيت فلاناً؟ فقال المسئول: نعم قد رأيته. أليس السامع قد أدى إلى الناظر، والناظر قد أدى إلى الذائق؟! وإلا فلم قال اللسان نعم! إلا وقد سمع الصوت صاحب اللسان؟! وهذه المسألة قصيرة كما ترى، ولا حيلة له بأن يدفع قوله.

(مسألة زنديق)

ومسألة أخرى، سأل عنها أمير المؤمنين⁽²⁾ الزنديق الذي كان يكنى بأبي علي، وذلك عندما رأى من تطويل محمد بن الجهم⁽³⁾ وعجز العتبي⁽⁴⁾ وسوء فهم⁽⁵⁾ القاسم بن سيار⁽⁶⁾، فقال له المأمون: أسألك عن حرفين فقط. خبرني: هل ندم مسيء قط على إساءته، أو نكون نحن لم نندم على شيء كان مناقضاً؟! قال: بل ندم كثير من المسيئين على إساءتهم. قال: فخبرني عن الندم على الإساءة، إساءة أو إحسان؟ قال: إحسان. قال: فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره؟ قال: الذي ندم هو الذي أساء. قال: فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر، وقد بطل قولكم: إن الذي ينظر نظراً الوعيد غير الذي ينظر نظراً الرحمة. قال: فإني أزعم أن الذي أساء غير الذي ندم. قال: فندم على شيء كان منه أو على شيء كان من غيره؟ فقطعه⁽⁷⁾ بمسألته، ولم يتب ولم يرجع؛ حتى مات، وأصله الله نار جهنم.

(1) ش، ه: «مضادها».

(2) يعني الخليفة «المأمون» كما سيأتي في الكلام.

(3) هو محمد بن الجهم البرمكي، الذي أسلفت ترجمته في (2: 128).

(4) هو محمد بن عبد الله العتبي. وقد تقدمت ترجمته في (1: 66).

(5) في الأصل: «وسوقهم»، وهو تحريف.

(6) القاسم بن سيار، ذكره الجاحظ في الرسائل 24 ساسي، فيمن كانوا يغشون دار الخلافة. وأجرى له ذكراً في 26،

27 من الرسائل.

(7) قطعه: أي غلبه بالحجة وأسكته.

(شعر في هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمادٌ عجردٌ ناساً في هجائه لعمارة⁽¹⁾، فقال:

لو كنتُ زنديقاً، عمارٌ، حبوتني أو كنتُ أعبدُ غيرَ ربِّ محمدٍ⁽²⁾
أو كنتُ عندك أو تراك عرفتني كالنَّضر أو ألفتُ كابن المُقعد⁽³⁾
أو كابن حمادٍ ربيئة دينكم جبل وما جبل الغوى بمرشدٍ⁽⁴⁾
لكنني وحدث ربِّي مخلصاً فجفوتني بغضاً لكلِّ موحد
وحبوت من زعم السماء تكونت والأرض خالقها لها لم يمهد⁽⁵⁾
والنَّسم مثل الزرع أن حصاده منه الحصيد ومنه مالم يُحصد⁽⁶⁾

وحمادٌ هذا أشهر بالزندقة من عمارة بن حربية⁽⁷⁾، الذي هجاه بهذه الأبيات. وأما قوله:

وحبوت من زعم السماء تكونت (البيت)
فليس يقول أحد: إنَّ الفلك بما فيه من التدبير تكوّن بنفسه ومن نفسه! فجعل⁽⁸⁾ حمادٌ

(1) في الأصل: «لبشار»، ونص الشعر والتعقيب عليه، يوجب ما أثبت.

(2) عمار، أي يا عمارة، وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأولى.

(3) ه: «أو نراك عرفتني».

(4) الربيئة: الطليعة، وعين القوم. والغوي: الضال. ط، ه: «القوى» ووجهه ما أثبت من ش.

(5) الأرض عطف على السماء.

(6) أي: وحبوت من زعم النسم. إلخ، والنسم: بالتحريك: جمع نسمة، بالتحريك، والنسمة: الإنسان. وقد أسكن السين لضرورة الشعر. وفي الأصل: «النعم» تحريف ما أثبت. وجاء في الأغاني (71:11) في أثناء الحديث عن عمارة بن حمزة، الذي هو هنا: عمارة بن حربية: «وكان له نديم يعرف بمطيع بن إياس، وكان زنديقاً مأبوناً. وكان له نديم آخر يعرف بالبقلي. وإنما سمي بذلك؛ لأنه كان يقول: الإنسان كالبقلة، فإذا مات لم يرجع». فهذا النص يفسر ما جاء في البيت، ويدل على التصحيح الذي أثبت.

(7) كذا ورد هذا الاسم في الأصل، بجاء مهملة بعدها راء وباء موحدة تحتية تتلوها ياء مثناة تحتية. وفي الأغاني (71:11): «عمارة بن حمزة». وأما المرتضى (90:1) نقلاً عن الجاحظ «عمارة بن حمرة».

(8) في الأصل: «فجعل».

بهذا المقدار من مقالة القوم⁽¹⁾، كَأَنَّهُ عِنْدِي مِمَّا يَعْرِفُهُ مِنْ بَرَأَتِهِ السَّاحَةِ⁽²⁾. فَإِنْ كَانَ قَدْ أَجَابَهُمْ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ مَقْلَدِيهِمْ.

وهجا حمادُ بن الزَّيرِ قان⁽³⁾، حماداً⁽⁴⁾ الراوية فقال:

نَعَمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ
هَدَلْتُ مَشَافِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ يَسُنُّهَا الْحَدَّادُ⁽⁵⁾
وَأَبْيَضُ مِنْ شَرِبِ الْمُدَامَةِ وَجْهَهُ فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحَسَابِ سَوَادُ
فقد كان⁽⁶⁾ كما ترى:

هَدَلْتُ مَشَافِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ (البيت)

فقد رأيتُ جماعةً مَمَّنْ يُعَاقِرُونَ الشَّرَابَ، قد عظمت آنفُهُمْ⁽⁷⁾ وصارت لهم خراطيمٌ، منهم رَوْحُ الصَّائِغِ⁽⁸⁾، وعبد الواحد صاحب اللؤلؤي⁽⁹⁾ وجماعة من نُدَمَانِ⁽¹⁰⁾

(1) يعني بالقوم ههنا الزنادقة.

(2) كذا في ط. وفي ش: «من براءة الساحة»، وفي ه: «مما نعرفه من برأته الساحة»، وكل محرف.

(3) نسبه صاحب الأغاني (6: 162) إلى أبي الغول، وكان حماد قد عاب شعراً له. وانظر الخزانة (4: 132 بولاق) والمخصص (6: 17) والعقد (4: 321) وأمالى المرتضى (1: 91) وديوان المعاني (1: 314) والشعراء 754.

(4) في الأصل: «حماد».

(5) الدنان: جمع دن، بالفتح، وهو من الأوعية التي يحفظ فيها الخمر، وهو خزفي مستطيل مقير لا يقعد إلا أن يحفر له. والقُدوم، بالفتح: قدوم النجار، مؤنثة. في المخصص: «نفخت مشافره الشمول»، والمرتضى: «بسطت مشافره الشمول»، والعسكري: «هدلت مشافره المدام وأنفه». والمدام والشمول: الخمر.

(6) لعلها: «قال».

(7) آنف: جمع أنف. ش، ه: «أنفهم» بالافراد، وهو جائز والعرب يقيمون الواحد مقام الجمع. وفي الكتاب: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر: 67]، أي أطفالاً. و: «لا نفرق بين أحد منهم»، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين، فالمعنى لا نفرق بينهم. و: «وإن كنتم جنبا» انظر سر العربية 339 الحلبي، وحواشي الحيوان (2: 403).

(8) لعله: «أبو روح الصائغ». انظر (3: 232).

(9) كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين في الأصل، وفي سائر المراجع القديمة. واللؤلؤي، هو الحسن بن زياد، الذي تقدمت ترجمته في (1: 65).

(10) الندمان، بالفتح: النديم على الشراب، والمراد هنا جماعة الندامى. وفي اللسان: «وقد يكون الندمان واحداً وجمعاً». ومثله في القاموس.

حمّاد بن الصّباح، وعبد الله أخو نهر⁽¹⁾ ابن عسكر وناس كثير⁽²⁾. ويدلّ على ذلك من المنافرة قول جرير للأخطل:

وَشَرِبْتَ بَعْدَ أَبِي ظَهِيرٍ وَابْنِهِ سَكَرَ الدَّنَانِ كَأَنَّ أَنْفَكَ دُمْلُ⁽³⁾

وكان منهم يونس بن فروة⁽⁴⁾، وفي يونس يقول حمّاد عجرد:

أَمَّا ابْنُ فَرُوءَةَ يُونُسُ فَكَأَنَّهُ مِنْ كِبَرِهِ أَيْرُ الْحِمَارِ الْقَائِمُ⁽⁵⁾

مَا النَّاسُ عِنْدَكَ غَيْرُ نَفْسِكَ وَخُذَهَا وَالْخَلْقُ عِنْدَكَ مَا خَلَكَ بِهِائِمُ⁽⁶⁾

إِنَّ الَّذِي أَصْبَحْتَ مَفْتُونًا بِهِ سَيَزُولُ عَنْكَ وَأَنْفُ جَارِكَ رَاغِمُ

فَتَعْضُ مِنْ نَدَمٍ يَدِيكَ عَلَى الَّذِي فَرَطْتَ فِيهِ، كَمَا يَعْضُ التَّادِمُ

فَلَقَدْ رَضِيتَ بِعُضْبَةِ آخِيَتِهِمْ وَإِخَاهُمْ لَكَ بِالْمَعْرَِّةِ لَازِمُ⁽⁷⁾

فَعَلِمْتَ حِينَ جَعَلْتَهُمْ لَكَ دَخْلَةً⁽⁸⁾ أَنِّي لِعَرَضِكَ فِي إِخَائِكَ ظَالِمُ

(1) هـ فقط: «هن». وكلمة: «أخو» هي في الأصل: «أخا».

(2) في الأصل: «وناساً كثيراً»، صوابه ما أثبت.

(3) السكر، بالتحريك: الخمر، أو نبيذ يتخذ من التمر، أو كل مسكر.

(4) يونس بن فروة، ويقال ابن أبي فروة. وجاء بالأخيرة في لسان الميزان (2: 353، 6: 334،

335). وكذا أمالي المرتضى (1: 90). نقلاً عن الجاحظ. ومافي الشعر يرجع التسمية الأولى.

وجاءت التسمية الأولى أيضاً في جمع الجواهر 209 في أثناء رسالة للخوارزمي، والعمدة

(2: 185) والطبري (10: 50).

(5) في الأصل: «من كفره» وهو تحريف، صوابه في عيون الأخبار (1: 272) والعمدة، وجمع

الجواهر، وفي جمع الجواهر أيضاً: «ذاك الحمار».

(6) في عيون الأخبار والعمدة: «والناس» موضع: «والخلق»، والبيت ساقط من ش.

(7) وإخاهم، أراد: وإخاؤهم، أي صحبتهم. قصر الكلمة للشعر. ط: «أوخاهم» تصحيحه من

ش، هـ.

(8) دخلة الرجل، بتثنية الدال: بطانته.

(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمّادُ عجرد⁽¹⁾، وحمّادُ الراوية⁽²⁾، وحمّادُ بنُ الزُّبرقان⁽³⁾، ويونسُ بن هارون⁽⁴⁾، وعلي بن الخليل⁽⁵⁾، ويزيد بن الفيض⁽⁶⁾، وعُبادة وجميل بن محفوظ⁽⁷⁾، وقاسم⁽⁸⁾، ومطيع⁽⁹⁾، ووالبة بن الحباب، وأبانُ بن عبد الحميد⁽¹⁰⁾، وعمارة بن حربية⁽¹¹⁾، يتواصلون، وكأنهم نفس واحدة وكان بشّارٌ ينكر عليهم. ويونسُ الذي زعم حمّادُ عجردُ أنَّه قد غرَّ نفسه بهؤلاء، كان أشهرَ بهذا الرأي منهم، وقد كان كتبَ كتاباً لملك الروم في مثالب العرب، وعيوب الإسلام، بزعمه⁽¹²⁾.

- (1) حماد عجرد، بالإضافة، هو حماد بن عمر بن يونس، شاعر مشهور، وهو من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، ولم يشتهر إلا في العباسية. وكان بينه وبين بشار أهاج فاحشة. توفي سنة 161 وقيل 168 أو قتل سنة 155.
- (2) حماد الراوية، هو حماد بن أبي ليلى، عرف بكثرة روايته للشعر والخبر، وكان يصنع فيهما. ولد سنة 95 وتوفي سنة 155.
- (3) حماد بن الزبرقان، ذكره ابن حجر في لسان الميزان (2: 347) وهو ممن اتهم بالزندقة.
- (4) كذا في الأصل، وهو كذلك في الأوراق للصولي 10 قسم أخبار الشعراء. وقد نقل عن الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك. وقد يكون: «يونس بن فروة» الذي تقدمت ترجمته قريباً.
- (5) هو رجل من أهل الكوفة، مولى لمعن بن زائدة، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس، لا يكاد يفارقه، فاتهم بالزندقة. وله أخبار مع المهدي والرشيدي. انظر الأغاني (13: 13 - 18).
- (6) ذكره صاحب لسان الميزان.
- (7) كذا في الأصل وأمالى المرتضى والأغاني (143: 16) نقلاً عن الجاحظ والأوراق 10 قسم أخبار الشعراء. وعند ابن حجر في لسان الميزان: «حميد بن محفوظ». في رسم خاص ولعله تصحف عليه.
- (8) في أمالي المرتضى: «قاسم بن زنقطة».
- (9) هو مطيع بن إياس الكناني، من مخضرمي الدولتين، كان ظريفاً خليعاً. ولد ونشأ بالكوفة. وأخباره مسهبة في الأغاني (12: 75 - 103).
- (10) أبان بن عبد الحميد اللاهقي، شاعر من ظراف الشعراء. نقل للبرامكة كتاب كليله ودمنة فجعله شعراً؛ ليسهل حفظه عليهم، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار، والفضل خمسة آلاف دينار؛ ولم يعطه جعفر وقال: ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويك؟!.
- (11) في الأغاني ولسان الميزان: «عمارة بن حمزة»، وما في أوراق الصولي يوافق ما أثبت من الأصل.
- (12) زاد في أمالي المرتضى: «فأخذ منه مالا».

(هجائية في أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواس أبان بن عبد الحميد اللّاحقي، وبعض هؤلاء، ذكر إنسان يرى لهم قدراً وخطراً، في هجائية لأبان⁽¹⁾، وهو قوله:

جالست يوماً أباناً	لا در درُ أبــــــــــــــــان
ونحن حُضر رواق الـ	أمير بالـنـهـر وآن ⁽²⁾
حتّى إذا ما صلاة الـ	أولى أتت لأوان ⁽³⁾
فقام ثمّ بهادُ	فصاحة وبيان ⁽⁴⁾
فكل ما قال قلنا	إلى انقضاء الأذان ⁽⁵⁾
فقال: كيف شهدتم	بذا، بغير عيان؟ ⁽⁶⁾
لا أشهد الدّهر حتّى	تُعين العيان!
فقلت: سبحان ربّي!	فقال: سبحان ماني! ⁽⁷⁾

(1) ذكر سبب هذا الهجاء، أبو الفرج في الأغاني (20: 73) قال: «كان يحيى بن خالد البرمكي قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز، إلى أبان بن عبد الحميد، فلم يرض أبو نواس المرتبة التي جعله فيها أبان، فقال يهجوه بذلك».

(2) حضر، هنا بمعنى قربه وبمحضر منه. وانتصب على الظرفية. وأصله بتحريك الحاء والضاد. وسكن الضاد للشعر. ويقال أيضاً حضرة، بالفتح، قال:

فشلت يده يوم يحمل راية إلى نهشل والقوم حضرة نهشل

والرواق، بالكسر: مقدم البيت، أو سقف في مقدمه. ط، ش: «ونحن وحضروا»، وتصحيحه من الديوان 180 وأوراق الصولي (قسم أخبار الشعراء 11).

(3) صلاة الأولى، عنى بها الصبح. لأوان: أي لأوانها ووقتها. ش، ط: «الأذان»، وأثبت ما في الديوان، والأوراق، والأغاني. وفي هـ والخزانة (3: 458 بولاق). نقلاً عن الأغاني: «الأذان»، وإخالها تحريفاً.

(4) أي قام بصلاة الصبح مؤذناً لها، رجل ذو فصاحة وبيان. فالمراد الأذان لا الصلاة.

(5) أي كلما قال المؤذن قولاً رددوه بعده.

(6) بذا: أي بقول المؤذن: «أشهد ألا إله إلا الله». «أشهد أن محمداً رسول الله». بغير عيان: بغير معاينة ومشاهدة.

(7) ماني: صاحب دين المانوية الزنادقة. انظر ما كتبت عنهم في ص 47.

فقلت: عيسى رسول	فقال: مِنْ شَيْطَانٍ! (1)
فقلت: موسى كليم الـ	مهيم من المنان (2)
فقال: ربك ذو مُقـ	للة إذا ولسان!
فنفسه خلقته	أَمْ مَنْ؟! فَمُتْ مَكَانِي
عن كافر يتمري	بالكفر بالرحمن (3)
يريد أن يتسوى	بالمُضْبة المُجَان
بعَجَرْدٍ وعُبادٍ	والوالي الهجَان (4)
وقاسم ومطيع	ريحانة النَّدْمَان (5)

وتعجبي من أبي نواس، وقد كان (6) جالس المتكلمين أشد من تعجبي من حماد، حين يحكي عن قوم من هؤلاء قولاً لا يقوله أحد (7). وهذه قُرّة (8) عين المهجو. والذي يقول: سبحان ماني، يعظم أمر عيسى تعظيماً شديداً (9) فكيف يقول: إنّه من قبل شيطان؟!

- (1) في الأصل «من شيطاني»، صوابه من الديوان والأوراق. وقد أراد أنه قال: رسول من شيطان! .
 (2) المنان: اسم من أسماء الله تعالى، أي المعطي ابتداء. وفي الأصل: «المناني»، تصحيحه من الديوان والأوراق.
 (3) يتمري: يتزين. يقول: هو يتخذ الكفر زينة له. وبس الزينة! ط، والأوراق: «يتماري» بمعنى يشك، وليس له وجه صالح. وأثبت ما في ش والديوان. وفي هـ: «متمري» تحريف ما في ش. وبين هذا البيت وسابقه بيتان في الديوان، هما:

وَقُلْتُ رَبِّي ذُو رَحْمَةٍ وَذُو غُفْرَانٍ
 وَقُمْتُ أَسْحَبُ ذَيْلِي عَنْ هَازِي بِالْقُرَانِ

- (4) في الصفحة 270، من اسمه: «عبادة»، فلعله هو بعد تغيير يسير، لما يقتضي الشعر. أما الوالي فهو والبة بن الحباب. شاعر من شعراء الدولة العباسية، هاجى بشاراً وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً، وفضحاه. وهو أستاذ أبي نواس الأغاني (16: 142).

- (5) سبق تفسير هذه الكلمة في ص 268.

- (6) ش: «وهو كان».

- (7) إشارة إلى ما سبق في ص 267.

- (8) هـ: «قوة» تحريف.

- (9) هذا ما فهمه الجاحظ. ويؤيده ما ورد في فهرست ابن النديم 328 ليسك 458 مصر: «وزعم ماني أنه الفارقليط المبشر به عيسى عليه السلام، واستخرج ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية». لكن جاء في الفهرست أيضاً ما يؤيد ما فهمه. أبو نواس. ففيه: «وماني ينتقص سائر الأنبياء في كتبه، ويزري عليهم، ويرميهم بالكذب، ويزعم أن الشياطين استحذت عليهم، وتكلمت على ألسنتهم بل يقول في مواضع من كتبه: إنهم شياطين! فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى، فيزعم أنه شيطان». الفهرست 468 مصر. فالظاهر أن مرد ذلك الخلاف إلى ما في أقوال ماني من التناقض والتنافر.

وأما قوله: «فنفسه خلقته أم من» فإنَّ هذه مسألةٌ نجدها ظاهرةً على ألسنِ العوامِّ. والمتكلمون لا يحكّون هذا عن أحد. (

وفي قوله: «والواليّ الهجان» دليلٌ على أنّه من شكلهم.

والعجب أنّه يقول في أبان: إنّهُ ممّن يتشبه بعَجْرَد ومُطيع، ووالبة بن الحباب. وعليّ بن الخليل. وأصْبَغ⁽¹⁾ - وأبان فوق ملء الأرض مِنْ هؤلاء. ولقد كان أبان، وهو سكران، أصحَّ عقلاً من هؤلاء وهم صحاة⁽²⁾. فأما اعتقاده فلا أدري ما أقول لك فيه؛ لأنَّ النَّاسَ لم يؤثّروا في اعتقادهم الخطأ المكشوف، من جهة النظر⁽³⁾. ولكنَّ للنَّاسَ تأسَّ وعاداتٌ، وتقليدٌ للأباء والكُبراء، ويعملون على الهوى، وعلى ما يسبق إلى القلوب، ويستثقلون التَّحصيل، ويُهملون النَّظَر، حتى يصيروا في حالٍ متى عاودوه وأرادوه، نظروا بأبصارٍ كليلّة⁽⁴⁾، وأذهان مدخولة، [و] مع سوء عادة. والنَّفْس لا⁽⁵⁾ تجيبُ وهي مُسْتَكْرَهة. وكان يقال: «العقل⁽⁶⁾ إذا أكره⁽⁷⁾ عَمِي». ومتى عَمِيَ الطَّبَاعُ⁽⁸⁾ [و] جَسَا وغلظ وأهمل، حتّى يألَفَ الجَهِل، لم يكْد⁽⁹⁾ يفهم ما عليه وله. فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف، والسَّابِق إلى القلب.

(شعر لحماذ عَجْرَد)

وقال حمّادُ عَجْرَد:

اعْلَمُوا أَنَّ لَوُدِي ثَمَنًا عِنْدِي ثَمِينًا

(1) لم يذكر هؤلاء جميعاً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المتقدمة، فلعله سقط منها شيء. وانظر الديوان والأوراق حيث تجد زيادة في الشعر.

(2) الصحاة: جمع صاح، من صحا يصحو. ش: «أصحاء»، صوابه في ط، هـ والأوراق 12 قسم أخبار الشعراء.

(3) ط، هـ: «النظير»، صوابه في ش.

(4) كليلّة: ضعيفة. ش: «قليلة» تحريف. وفي الأصل: «ونظروا».

(5) ش: «لما».

(6) ط، هـ: «الطفل»، صوابه في ش.

(7) في الأصل: «كره».

(8) الطباع، بالكسر: الطبع والسجية.

(9) ط، هـ: «ولم يكْد» بإثبات الواو قبلها، صوابه في ش.

لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ حُكْمٍ قَدْ أَرَاكُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطِيٍّ نَ وَأَنْتُمْ تَأْخُذُونَا⁽¹⁾
ابْنِ لُقَمَانَ بْنِ عَادٍ فِي اسْتِ هَذَا الدِّينِ دِينَا⁽²⁾

وما رأيت أحداً وضع لقمان بن عاد في هذا الموضع . غيره ! وقال حمادُ عجرد في بشار :

يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ إِنَّ أُمَّ كَ لَمْ تَكُنْ ذَاتَ اكْتِتَامٍ⁽³⁾
وَتَبَدَّلْتَ ثُوبَانَ ذَا الْ أَئِيرَ الْمَضْبَرِّ وَالْعُرَامِ⁽⁴⁾
ثُوبَانَ دَقَّاقَ الْأَزْزِ بِأُرَوَاتِ حَسَامٍ⁽⁵⁾
عَرَدَ كَقَائِمَةِ السَّرِّ يَرِيْبِيلَهَا عِنْدَ الرِّطَامِ⁽⁶⁾
وَأَتَتْ سُمَيْعَةَ بَعْدَهَا بِالمَصْمِئَلَاتِ الْعِظَامِ⁽⁷⁾
أَخْتِ لَهُمْ كَانَتْ تَكَا بِرُأْنِ تُسَافِحَ مِنْ قِيَامٍ⁽⁸⁾

وقال حماد يذكر بشاراً :

غَزَالَةُ الرَّجْسَةِ أَوْ بَنْتِهَا سُمَيْعَةُ النَّاعِيَةِ الْفَهْرَا⁽⁹⁾
وقال وذكر أمّه⁽¹⁰⁾ :

- (1) ط : « تأخذون » ، صوابه في ش ، هـ .
(2) ابن : أمر من بنى يبني . ط ، ش : « أين » وصوابه في هـ . ولقمان : أي يا لقمان ، حذف حرف النداء .
(3) أي كانت تجاهر بفسقها .
(4) ثوبان : رجل اتهمت أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الحيوان 1 : 175) :
يَا بِنَ الْتِي نَشَرْتَ عَنْ شَيْخٍ صَبِيَّتَهَا لِأَيْرِ ثُوبَانَ ذِي الْهَامَاتِ وَالْعَجَزِ
يقول : تبدلت ثوبان بزوجه . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه في ش ، هـ .
(5) ط : « دقاق » صوابه في ش ، هـ . ط : « الأزار » وأثبت ما في ش ، هـ ، وهما محرفان . ش :
« يدقها أرزب خام » وأثبت ما في ط ، هـ . على تحريفهما .
(6) العرد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة السير » صوابه في ش ، هـ . يبيلاها : يجعلها تبول . ط ، ش : « يسليها »
ووجه ما أثبت من ش . والرطام : أن يخالطها مستوعباً . هـ : « الركام » صوابه في ط ، ش .
(7) ضبطت « سماعة » بهيئة التصغير في ش . والمصمئلات : الدواهي .
(8) تكابر ، هي في ط : « لكابر » محرفة .
(9) كذا جاء البيت .
(10) أي أم بشار . ط ، ش : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لا جرم .

أُبْنِي غَزَالَةَ يَا بَنِي جُشْمِ اسْتَهَا لِيَحْقُكُمُ أَنْ تَفْرَحُوا لَا تَجْزَعُوا⁽¹⁾

(حماد عجرد وبشار)

وما [كان] ينبغي لبشار أن يناظر حماداً من جهة الشعر وما يتعلّق بالشعر؛ لأنّ حماداً في الحضيض، وبشاراً مع العيوق⁽²⁾، وليس في الأرض مولدٌ قرويٌّ يُعدُّ شعره في المحدث إلاّ وبشارٌ أشعر منه.

(شعر في هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق في جميل بن محفوظ⁽³⁾:

وهذا جميلٌ على بغله وقد كان يعدو على رجله
يروح ويغدو كأيّير الحمار ويرجع صَفْراً إلى أهله⁽⁴⁾
وقد زعموا أنّه كافرٌ وأنّ التّزنّدق من شكّله
كأنّي به قد دعاه الإمام وأذن ربك في قتله

(غلو أبي نواس في شعره)

وأما أبو نواس فقد كان يتعرّضُ لِلْقَتْلِ بجَهْدِهِ. وقد كانوا يعجبون من قوله:

كيف لا يُدْنيك من أملٍ من رسول الله من نفْره⁽⁵⁾

(1) أبني، أي يا بني. والجشم، كصرد: الجوف. ط، هـ: «ياجشم» وإكماله من ش.

(2) العيوق، بفتح العين، وتشديد الياء المضمومة: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها. يضرب به المثل في الغلو.

(3) سبقت ترجمته في 270.

(4) ط: «يروح ويغدو» صواب في ش، هـ. صفراً: خالي اليدين.

(5) من نفْره: من قومه وأنصاره: هـ: «نقله» تحريف. والبيت من قصيدة رائية مشهورة مطلعها:

أيها المنتاب من عفره لست من ليلي ولا سمره =

فلما قال :

فَاخْبِبْ قُرَيْشًا لِحَبِّ أَحْمَدِهَا وَاشْكُرْ لَهَا الْجَزْلَ مِنْ مَوَاهِبِهَا⁽¹⁾

جاء بشيء غطى على الأول. وأنكروا عليه قوله :

لَوْ أَكْثَرَ التَّسْبِيحِ مَا نَجَّاهُ

فلما قال :

يَا أَحْمَدَ الْمُزْتَجَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ قُمْ سَيِّدِي نَعْصِ جَبَّارَ السَّمَوَاتِ⁽²⁾

= يمدح بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور. الديوان 66، وقد أثار هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدياء، فأخذوا عليه قوله: «من رسول الله ﷺ من نفره»، انظر الكامل 234 – 235 ليسك والعقد (3: 436 – 437) حيث تجد النقد والاعتذار له. وفي الموشح 279 أن أبا علي الضرير، أحد رواة أبي نواس قال: «أنشدني أبو نواس في العباس بن عبيد الله؛ مديحه الذي يقول فيه:

كَيْفَ لَا يَدْنِيكَ مِنْ أَمْلَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ

فعلمت أنه كلام رديء مستهجن موضوع في غير موضعه، وأنه مما يعاب به؛ لأن من حق الرسول ﷺ أن يضاف إليه، وألا يضاف إلى أحد. فرأى ذلك في وجهي، فقال لي: ويلك! إنما أردت أن رسول الله ﷺ من القبيل الذي هو منه، كما قال حسان:

وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَائِمُ عِزٍّ لَا تَرَامُ وَمُفَخَّرٍ

بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلَى وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخِيرِ

فقال: منهم، كما قلت من نفره. أي من النفر الذي العباس منهم، فما تعيب من هذا؟! قال أبو علي: «فعلمت أن هذا ضرب من الاحتيال». وقد روى هذا الخبر في أخبار أبي نواس 161 – 162 وزاد في آخره: «ولكنه قد أحسن المخرج منه». وفي الصناعتين 113 نظائر لهذا الخطأ.

(1) رواية الديوان 157: «أحب» بقطع الهمزة وإسقاط الفاء: أمر من أحب يحب. ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة. وفي اللسان عن الفراء، أن حبيته لغة. وفيه أيضاً: «وكره بعضهم: حبيته، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح». وفيه: «وحكى سيبويه: حبيته وأحبيته بمعنى». وفي الصناعتين 113: «وأحب». والبيت من قصيدة جيدة لأبي نواس يفتخر فيها بقحطان ويهجو عدنان، وقد أبدع في صنعتها إبداعاً، وأتى بطريف حقاً. ولكن هذه القصيدة جلبت إليه شؤماً بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه. ومطلعها:

لَيْسَتْ بَدَارٌ عَفَتْ وَغَيْرُهَا ضَرْبَانِ مِنْ قَطْرُهَا وَحَاصِبُهَا

وفيهما يقول:

فَاهِجْ نِزَاراً وَافِرْ جِلْدَتَهَا وَاهْتِكِ السِّتْرَ عَنْ مِثَالِهَا

(2) أحمد هذا، هو أحمد بن أبي صالح، كان أبو نواس يتعشقه. أخبار أبي نواس 145، وأبيات القصيدة فيها، وفي ديوانه 249 – 250، وقبله:

فَقُلْتُ وَاللَّيْلِ يَجْلُوهُ الصَّبَاحُ كَمَا يَجْلُو التَّبَسُّمُ عَنْ غِرِّ الثَّنِيَاتِ

غَطَى هذا على الأول^(١). وهذا البيت مع كفره مَقِيَّتٌ جداً. وكان يُكثَرُ في هذا الباب^(٢).

(خطأ أبي نواس في شعره)

وأما سوى هذا الفن فلم يعرفوا له من الخطأ إلا قوله:

أَمَسْتَخْبِرَ الدَّارِ هَلْ تَنْطِقُ أَنَا مَكَانَ الدَّارِ لَا أَنْطِقُ^(٣)

كَأَنَّهَا إِذْ خَرَسَتْ جَارِمٌ بَيْنَ ذَوِي تَفْنِيدِهِ مُطَرِّقُ^(٤)

فعابوه بذلك، وقالوا: لا يقول أحد: لقد سكت الحجر كأنه إنسان ساكت، وإنما يُوصَفُ خَرَسُ الإنسانِ بِخَرَسِ الدَّارِ، ويشبَّهُ صَمَمُ الصَّخْرِ. وعابوه بقوله، حين وصف عَيْنَ الأسد بالجحوظ، فقال:

كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا التَّهَبَّتْ بَارِزَةً الْجَفْنِ عَيْنٌ مَخْنُوقِ^(٥)

وَهُمْ يَصِفُونَ عَيْنَ الْأَسَدِ بِالْعَوُورِ، قال الرَّاجِز:

كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ جَوْفِ حَجَرٍ^(٦)

وقال أبو زبيد^(٧):

كَأَنَّ عَيْنِيهِ فِي وَقَبَيْنِ مِنْ حَجَرٍ قِيضًا اقْتِيَاظًا بِأَطْرَافِ الْمَنَاقِيرِ^(٨)

(١) في الأصل: «الأولى». وانظر مثل هذا التعقيب في الصفحة السابقة. و«غطى» رسمت بالألف

في هذا الموضع وسابقه في كل من ط، هـ وهو رسم قديم. وأثبت ما في ش.

(٢) أي كان أبو نواس يكثر من القول في مثل المعنى السابق. ومما قال في ذلك (الصناعتين 113):

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبَّةَ فَاشْتَبَّهَا خَلْقًا وَخُلُقًا كَمَا قَدْ الشُّرَا كَانَ

قال العسكري: «فزع أن ابن زبيدة مثل رسول الله ﷺ في خلقه وخلقه».

(٣) ط: «أمخبر الديار» ش: «أمستخير الديار» هـ: «يا مستخير الديار»، ولعل صوابه ما أثبت.

وعجز البيت هكذا ورد بالأصل.

(٤) الجارم: الجاني. والتفنيد، المراد به: اللوم والعدل. والتفنيد: التكذيب والتعجيز وتخطئ

الرأي وتضعيفه. والبيت عند العسكري في الصناعتين 68.

(٥) هـ: «والمخنوق» وأثبت ما في ط، ش والصناعتين 115.

(٦) في الصناعتين: «من خرق حجر».

(٧) هو أبو زبيد الطائي، الذي تقدمت ترجمته في (1: 243).

(٨) الوقب، بالفتح: النقرة في الصخر. قِيضٌ: شقاً وحفراً. اقْتِيَاظًا: استئصالاً في الأصل: «قيضاً

اقتناصاً» محرف، صوابه في الصناعتين 115، والمناكير: جمع منقار، وهو حديدة كالفأس ينقر

بها.

ومع هذا فإنَّنا لا نعرفَ بَعْدَ بَشَارِ أَشْعَرَ مِنْهُ ^(١) . وقال أبو زبيد:
وعَيْنَانِ كَالْوَقْبَيْنِ فِي مَلءِ صَخْرَةٍ تَرَى فِيهِمَا كَالْجُمُرَتَيْنِ تَسْعَرُ ^(٢)

(قصة راهبين من الرّنادقة)

وحدَّثني أبو شُعَيْبِ الْقَلَّالُ، وهو صُفْرِي ^(٣)، قال: رهبان الرّنادقة سَيَّاحُونَ ^(٤)؛
كَأَنَّهُمْ ^(٥) جَعَلُوا السَّيَّاحَةَ بَدَلًا تَعْلِقِ النَّسْطُورِي ^(٦) فِي الْمَطَامِيرِ، وَ[مُقَامٌ] ^(٧) الْمُلْكَانِي ^(٨)

- (١) منه: أي من أبي نواس. وحق هذا التعقيب أن يكون بعد البيت الآتي.
- (٢) في الصناعتين: «في قلب صخرة * يرى فيهما».
- (٣) الصفري، بالضم، ويكسر: واحد الصفرية. وهم فرقة من الخوارج، نسبوا إلى زياد بن الأصفر، أو عبد الله بن صفار، أو إلى صفرة ألوانهم، أو لخلوهم من الدين. انظر القاموس. وتفصيل مذهبهم في الفرق 70 – 71 والملل والنحل (1: 183 – 184). والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصفر، كما في الفرق والملل. ط: «صغرى» صوابه في ش، هـ.
- (٤) السباحة: الذهاب في الأرض للعبادة، وانظر ما سيأتي من قول الجاحظ.
- (٥) ط، هـ: «لأنهم» وأثبت ما في ش.
- (٦) في القاموس: «النسطورية، بالضم وتفتح: أمة من النصارى تخالف بقيتهم. وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون، وتصرف في الإنجيل بحكم رأيه، وقال: إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة. وفي الفصل: (1: 49): «وهذه الفرقة غالبية على الموصل والعراق وفارس وخراسان، وهم منسوبون إلى نسطور، وكان بطريكاً بالقسطنطينية». وقد أخطأ صاحب القاموس؛ فإن نسطور أو نسطورس كان قبل الهجرة لا في زمن المأمون كما زعم. وقد ذكر المسعودي في التنبيه والإشراف 127 أن السنيودس الثالث بمدينة أفسيس قرر لعن نسطورس والتبرؤ منه ونفيه، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخميم والبلينا ومات بقرية يقال لها سيفلح». وقد كان اجتماع ذلك السنيودس في سنة 431 الميلادية، كما جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية، تأليف لجنة التاريخ القبطي (الحلقة الثانية 116)، وكما جاء في معجم القرن العشرين: Nestorian. وصاحب القاموس المحيط المتوفى سنة 817هـ قد تابع في خطئه هذا، ما ذكره الشهرستاني صاحب الملل والنحل المتوفى سنة 548، حيث قال في (2: 64): «النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون». وانظر رد ابن الأثير عليه في الكامل (1: 191). وقد تولى نسطورس بطريكاً سنة 428م، فبينه وبين ظهور الإسلام نحو 183 سنة.
- (7) ليست بالأصل. وبها يلتزم الكلام.
- (8) الملكاني: واحد الملكانية، ويقال ملكائي وملكائية، كما في مفاتيح العلوم 23 وملكي وملكية كما في التنبيه والإشراف 123، 124، 130، 132، 136، وفي مفاتيح العلوم: «وهم منسوبون إلى ملكاء. وهم أقدمهم». يعني أقدم النصارى. وفي الملل والنحل (2: 62): «الملكائية أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها». والحق أن الملكانيين منسوبون إلى «ملكاء» ومعناه الملك بالسريانية. والمراد بهم: أتباع مذهب قياصرة الروم، الذي يسمى أيضاً المذهب الخلقيدوني، الذي أقره المجمع الميعود في خلقيدونية سنة 451م. انظر تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية ص 91 – 93).

في الصّوامع . ومُقامُ التَّسطوريّ في المطامير^(١) .

قال: ولا يسيحون إلاّ أزواجاً . ومتى رأيت منهم واحداً فالتفت رأيت صاحبه^(٢) » والسيّاحة عندهم ألاّ يبيت أحدهم في منزلٍ ليلتين . قال: ويسيحون على أربع خصال: على القدس، والطّهر، والصّدق، والمسكنة . فأما المسكنة، فإنّ يأكل من المسألة^(٣)، ومما طابت به أنفُسُ النَّاسِ له حتّى لا يأكل إلاّ من كسبٍ غيره الذي عليه غُرْمُهُ ومأثمه . وأما الطّهر فترك الجِماع . وأما الصّدق فعلى ألاّ يكذب . وأما القدس فعلى أن يكتُم ذنبه، وإن سئل عنه .

قال: فدخل الأهواز منهم رجلاً، فمضى أحدهما نحو المقابر للغائط وجلس الآخر بقرب حانوت صائغ، وخرجت امرأة من بعض تلك القُصور ومعها حقٌّ^(٤) فيه أحجار نفيسة، فلما صعدت من الطّريق إلى دكان الصّائغ زلقت فسقط الحق من يدها، وظلّم لبعض أهل تلك الدّور يتردّد فلما سقط الحق وبأينته الطّبق^(٥)، تبدّد ما فيه من الأحجار، فالتّم ذلك الظّليم أعظم حجر فيه وأنفسه، وذلك بعين السّائح^(٦)؛ ووثب الصّائغ وغلّمانه فجمّعوا تلك الأحجار، ونحووا النَّاس^(٧) وصاحوا بهم فلم يدن منهم أحد، وفقدوا ذلك الحجر، فصرخت المرأة، فكشف القوم وتناحوا^(٨)، فلم يصيبوا الحجر، فقال بعضهم: واللّه ما كان بقربنا إلاّ هذا الرّاهب الجالس، وما ينبغي أن يكون إلاّ معه! فسألوه عن الحجر فكره أن يخبرهم أنه في جوف الظّليم فيذبّح الظّليم، فيكون قد شارك في دم بعض

(١) المراد بالمطامير: أماكن تهيأ تحت الأرض . وهي في أصلها اللغوي: حفر أو أماكن تحت الأرض، يطمر فيها الطعام والمال، أي يخبأ . والمطمورة أيضاً السّجن تحت الأرض . انظر اللسان .

(٢) ش: « ترى صاحبه » .

(٣) أي سؤال الناس الطعام . ش: « فأنه » مكان: « فأن » .

(٤) الحق، بالضم: وعاء من الخشب، ومثله الحقّة، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً لحقّة، كما في اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطّبق، بالتحريك: غطاء كل شيء . وفي الحديث: حجاب النور، لو كشف طبقه لأحرقت سيّحات وجهه كل شيء أدركه . سمي طبقاً لأنه يطابق ويساوي ما هو غطاء له .

(٦) العين، بالفتح: المعاينة . ومنه قولهم في المثل: « تطلب أثراً بعد عين » . انظر أمثال الميداني في هذا الرسم .

(٧) نحووا أبعادوا . ط: « نحو الناس » صوابه، في ش، هـ .

(٨) تناحوا: المراد بها تباعدوا . ط: « تناحوا » بالجيم، صوابها في ش، هـ .

الحيوان، فقال: ما أخذتُ شيئاً! وبحثوه وفتشوا كلَّ شيء معه وألحوا عليه بالضرب، وأقبل صاحبه وقال: اتَّقُوا اللَّهَ! فأخذوه وقالوا^(١) دفعته إلى هذا حتَّى غَيَّبَهُ! فقال: ما دفعتُ إليه شيئاً! فضربوهما ليقرَّ^(٢) فبينما هما كذلك إذ مرَّ رَجُلٌ يَعْقِلُ، ففهم عنهُم القِصَّةَ، ورأى ظليماً يتردَّدُ فقال لهم: أكان هذا الظليم يتردَّدُ في الطريق حينَ سَقَطَ الحجر؟ قالوا: نَعَمْ. قال: فهو صاحبكم. فعوضوا أصحاب الظليم، وذبحوه وشقُّوا عن قانصته، فوجدوا الحجر وقد نَقَصَ في ذلك المقدار من الزَّمانِ شبيهاً بِشَطْرِهِ^(٣)، إلاَّ أنها أعطته لَوْناً صارَ الذي استفادوه من جهة اللَوْنِ أربحَ لهم من وزنِ ذلك الشَّطرِ أنْ لَوْ كَانَ لم يَذْهَبْ. ونازُ القانصة غيرُ نارِ الحجر^(٤).

(القول في النيران وأقسامها)

ونحنُ ذاكرونُ جُملاً في القول في النيرانِ وأجناسها، ومَوَاضِعِها، وأيُّ شيءٍ منها يضافُ إلى العَجَمِ، وأيُّ شيءٍ منها يضافُ إلى العرب. ونُخَبِّرُ عن نيرانِ الديانات وغيرِ الديانات. وعمَّنَ عَظَمَها وعمَّنَ استهانَ بها. وعمَّنَ أفرطَ في تعظيمها حتَّى عبَّدها. ونُخَبِّرُ عن المَوَاضِعِ التي عَظُمَ فيها من شأنِ النار.

(نار القربان)

فمن مَوَاضِعِها التي عَظُمَتْ بها أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ جعلها لبني إسرائيلَ في موضعِ امتحانٍ إخلاصهم، وتعرُّفِ صدقِ نَبَاتِهِمْ؛ فكانوا يتقرَّبونَ بالقُربانِ. فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ^(٥) مُخْلِصاً نزلتْ نارٌ من قِبَلِ السَّمَاءِ حتَّى تُحِيطَ بِهِ^(٦) فتأْكَلُهُ، فإذا فَعَلَتْ ذلك كان صاحبُ القُربانِ مُخْلِصاً في تقَرُّبِهِ. وَمَتَى لَمْ يَرَوْهَا وَبَقِيَ القُربانُ على

(١) ط، ش: «وقال» صوابه من هـ.

(٢) في الأصل: «ليموتا». وفي الجماهر للبيروني 41: «فضربا ضرب التقرير».

(٣) أي قريباً من نصفه.

(٤) أي النار التي تقدح من الحجر.

(٥) «فمن كان منهم» ساقطة من هـ.

(٦) أي بالقربان. وفي الأصل: «بهم»، تحريف.

حَالَهُ . قَضَوْا بِأَنَّهُ كَانَ مَدْخُولَ الْقَلْبِ فَاسِدَ النَّيَّةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: 183] . والدليل على أَنَّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ مَعْلُومًا ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَتَرَ عَلَى عِبَادِهِ ، وَجَعَلَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ . وَكَانَ ذَلِكَ التَّدْبِيرُ مُصْلِحَةً ذَلِكَ الزَّمَانِ ⁽¹⁾ ، وَوَفَّقَ ⁽²⁾ طِبَائِعَهُمْ وَعِلَلَهُمْ . وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ مِنَ الْمَعَانِدَةِ وَالْعَبَاوَةِ عَلَى مِقْدَارٍ لَمْ يَكُنْ لِيَنْجِعَ ⁽³⁾ فِيهِمْ وَيَكْمُلَ لِمَصْلَحَتِهِمْ إِلَّا مَا كَانَ فِي هَذَا الْوِزْنِ . فَهَذَا بَابٌ مِنْ عَظَمِ شَأْنِ النَّارِ فِي صُدُورِ النَّاسِ .

وَمِمَّا زَادَ فِي تَعْظِيمِ شَأْنِ النَّارِ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⁽⁴⁾ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ⁽⁵⁾ أَوْ آجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَّى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَانْخَلْعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه: 9-12] ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ ⁽⁶⁾ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَانِيكُمْ مِنْهَا يَخَبِرُ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: 7-8] .

وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا زَادَ فِي قَدْرِ النَّارِ فِي صُدُورِ النَّاسِ . وَمِنْ ذَلِكَ نَارُ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ [الأنبياء: 60-61] . ثُمَّ قَالَ : ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: 68] ، فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69] ، كَانَ ذَلِكَ مِمَّا زَادَ فِي نِبَاهَةِ النَّارِ وَقَدْرِهَا فِي صُدُورِ النَّاسِ .

(1) فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ 455 نَقْلًا عَنْ الْجَاظِ : «وَكَانَ ذَلِكَ التَّدْبِيرُ مُصْلِحَةً فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ» .

(2) ط : «وَوَافَقَ» ، وَأُثْبِتَ مَا فِي هـ وَثَمَارِ الْقُلُوبِ .

(3) ط : «يَنْجِعُ» .

(4) الْكَلَامُ مِنْ قَوْلِهِ : «قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» إِلَى هُنَا ، سَاقِطٌ مِنْ ش .

(5) فِي الْأَصْلِ : «بَخِيرَ» وَهُوَ تَحْرِيفُ شَنِيعَ . وَالْآيَةُ هِيَ الْعَاشِرَةُ مِنْ سُورَةِ طه .

(6) ط، هـ : «فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا» ش : «وَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا» وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَبِيرٌ كَسَابِقُهُ . وَالْآيَةُ هِيَ

السَّابِعَةُ مِنْ سُورَةِ النَّملِ . وَقَدْ سَبَقَ مِثْلُ هَذَا التَّحْرِيفِ فِي الْقُرْآنِ ، فِي ص 4 ، 89 ، 181 ، وَانْظُرْ

تَحْقِيقَ النُّصُوصِ لِعَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ ص 45 .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْفِكُونَ﴾ [يس: 80]. والنَّارُ مِنْ أَكْبَرِ المَاعُونِ⁽¹⁾. وأعظم المرافق. ولو لم يكن فيها إلاَّ أَنَّ اللَّهَ عزَّ وَجَلَّ قد جَعَلَهَا الزاجرة عن المعاصي، لكان ذلك ممَّا يزيدُ في قَدْرِهَا، وفي نَبَاهَةِ ذِكْرِهَا.

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنْتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة: 71-72]، ثم قال: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَنَمَتًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الواقعة: 73]. فقف عند قوله: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَنَمَتًا﴾ فإن كنت بهذا القول مؤمناً فتذكر ما فيها من النعمة أولاً ثم آخرًا، ثم توهَّم مقادير النعم وتصاريفها. وقد علمنا أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ الْأُمَمَ بِالْغَرَقِ، وَالرَّيَّاحِ، وَبِالْحَاصِبِ⁽²⁾، وَالرُّجْمِ⁽³⁾، وَبِالصَّوَاعِقِ، وَبِالْخُسْفِ⁽⁴⁾، وَبِالْمَسْخِ، وَبِالْجُوعِ، وَبِالنَّقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَلَمْ يَبْعَثْ عَلَيْهِمْ نَارًا، كَمَا بَعَثَ [عليهم⁽⁵⁾] مَاءً وَرِيحًا وَحِجَارَةً. وجعلها من عقاب الآخرة، ونهى أَنْ يُحْرِقَ بِهَا شَيْءٌ مِنَ الْهُوَامِ وقال⁽⁶⁾: «لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ». فَقَدْ عَظَّمَهَا كَمَا تَرَى. فَتَفْهَمُ - رَحِمَكَ اللَّهُ - فقد أَرَادَ اللَّهُ إِفْهَامَكَ.

وقال اللَّهُ تعالى لِلثَّقَلَيْنِ⁽⁷⁾: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ فَيَأَيُّ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 35].

(1) الماعون: ما ينتفع به. في الأصل: «من أكثر الماعون».

(2) الحاصب: ريح شديدة تحمل التراب الحصباء. وقيل: هو ما تنثر من دفاق البرد والثلج، أو الريح التي تقلع الحصباء.

(3) الرجم، بضمم: النجوم التي يرمى بها.

(4) الخسف: تغييب الشيء في باطن الأرض، وفي الكتاب في شأن قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: 81].

(5) الزيادة من ش، هـ: وثمار القلوب 454.

(6) أي على لسان رسوله ﷺ. والحديث الآتي رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک. انظر الجامع الصغير 9830.

(7) الثقلان، بالتحريك: الجن والإنس.

فجعل الشُّواظ والنَّحَاس، وهما النَّارُ والدُّخَانُ، من الآية، ولذلك قال على نَسَقِ الكلام: ﴿فَيَأْتِيءُ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 36]، ولم يَعْنِ أَنَّ التَّعْذِيبَ بِالنَّارِ نِعْمَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ التَّحْذِيرَ بِالْخَوْفِ وَالْوَعِيدَ لَهَا⁽¹⁾، غَيْرَ إِدْخَالِ النَّاسِ⁽²⁾ فِيهَا، وَإِحْرَاقَهُمْ بِهَا.

(شعر في بعض النبات)

وقال المَرَّار بن منقذ⁽³⁾:

وَكَأَنَّ أَرْحُلَنَا بِجَوْ مُحَصَّبٍ بِلَوَى عُنِيزَةٍ مِنْ مَقِيلِ الثَّرْمُسِ⁽⁴⁾
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْخَزَامِي عَرْفَجًا يَأْتِيكَ قَابَسٌ أَهْلَهَا لَمْ يُقْبَسْ⁽⁵⁾

أَرَادَ خِصْبَ الْوَادِي وَرُطُوبَتَهُ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تَقْدَحْ عِيدَانُهُ، فَإِنْ دَخَلَهَا⁽⁶⁾ مُسْتَقْبَسٌ لَمْ يُورِ نَارًا. وَقَالَ كَثِيرٌ:

لَهُ حَسَبٌ فِي الْحَيِّ، وَارِزْنَادُهُ عَفَارٌ وَمَرْخٌ حَثَّةُ الْوَرِيِّ عَاجِلُ⁽⁷⁾

وَالْعَفَارُ وَالْمَرْخُ، مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْعِيدَانِ الَّتِي تُقْدَحُ، أَكْثَرُهَا فِي ذَلِكَ وَأَسْرَعُهَا.

(1) كَذَا فِي ش. وَفِي ط، هـ: «وَالْخَوْفُ وَالْمَوَاعِيدُ بِهَا».

(2) فِي الْأَصْلِ: «النَّارُ»، وَوَجْهُهُ مَا أَثَبْتُ.

(3) الْمَرَّارُ بْنُ مَنْقَذٍ، ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْمُؤْتَلَفِ 176، وَيَعْرِفُ أَيْضًا بِالْمَرَّارِ الْحَنْظَلِيِّ، وَهُوَ الَّذِي سَعَى بِجَرِيرٍ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَهَاجَ الْهَجَاءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَرِيرٍ. مَعْجَمُ الْمَرْزُبَانِيِّ 409، وَالْبَيْتَانِ الْآتِيَانِ سَبْقًا فِي (69:3).

(4) ط، هـ: «أَرْحُلُنَا» صَوَابُهُ فِي ش. ط: «مُحَصَّبٌ» وَأَثَبْتُ مَا فِي ش، هـ وَالْبَيَانُ (34:3). وَمَا فِي ط رَوَايَةُ الْمُخَصَّصِ (123:10) وَانْظُرْ مَا سَبَقَ مِنْ شَرْحِ الْبَيْتِ فِي (69:3).

(5) فِي الْأَصْلِ: «الْخَزَامَا» بِالْأَلْفِ. وَانْظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي (3:69).

(6) انْظُرْ مَا سَبَقَ مِنْ تَعْقِيبِ الْجَاخِظِ فِي (69:3). وَلَعَلَّ: «دَخْنَهَا»: «حَكَمَهَا» أَوْ «قَدَحَهَا».

(7) وَار: مُتَقَدِّدٌ. وَالزَّنَادُ: جَمْعُ زَنْدٍ، أَوْ الزَّنَادُ مَفْرَدٌ كَالزَّنَدِ، عَنْ كِرَاعٍ، وَهُوَ ذَاكَ الَّذِي يَقْتَدَحُ بِهِ. وَهِيَ كُنَايَةٌ عَنِ الْكُرْمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ. ط، ش: «وَارِي» صَوَابُهُ فِي هـ وَالْمُخَصَّصِ. حَثَّةٌ: أَرَادَ: عَجَلَ بِإِشْعَالِهِ. وَفِي الْأَصْلِ: «حَثَّةٌ» تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي الْمُخَصَّصِ (11:27). وَصَدْرُهُ فِي الْمُخَصَّصِ: «لَهُمْ حَسَبٌ» وَمِمَّا قِيلَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى، قَوْلُ الْأَعَشَى:

زَنَادُكَ خَيْرُ زَنَادِ الْمَلُوكِ خَالَطَ فِيهِنَّ مَرْخَ عَفَارَا
وَلَوْ بَتَ تَقْدَحُ فِي ظِلْمَةٍ حَصَاةٌ بَنَبَعَ لِأَوْرِيَّتِ نَارَا

قال: ومن أمثالهم: «في كُلِّ الشَّجَرِ نارٌ، واستمجد المرخُ والعفار⁽¹⁾».

(نار الاستمطار)

ونارٌ أخرى، وهي النار التي كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بها في الجاهليَّة الأولى؛ فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات⁽²⁾ ورَكَدَ عليهم البلاءُ، واشتدَّ الجَدْبُ، واحتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا وجمعوا ما قَدَرُوا عليه من البقر ثمَّ عقدوا في أذنانها وبين عراقيبها، السِّلَعِ والعُشْرِ⁽³⁾، ثمَّ صعدوا بها في جبلٍ وعِرٍ⁽⁴⁾، وأشعلوا فيها النيرانَ، وضجُّوا بالدُّعاء والتضرُّع. فكانوا يَرَوْنَ أنَّ ذلك من أسباب السُّقيا. ولذلك قال أُميَّة:

سَنَّةٌ أَزْمَةٌ تَخِيلُ بَالِنًا	سِ تَرَى لِلْعِضَاءِ فِيهَا صَبِيرًا
إِذْ يَسْفُونَ بِالْدَّقِيقِ وَكَانُوا	قَبْلُ لَا يَأْكُلُونَ شَيْئًا فَطِيرًا ⁽⁵⁾
وَيَسُوقُونَ بَاقِرًا يَطْرُدُ السَّهْـ	لَ مَهازِيلَ خَشِيَّةً أَنْ يَبُورًا ⁽⁶⁾
عَاقِدِينَ النَّيْرَانَ فِي شُكْرِ الْأَذِّ	نَابٍ عَمْدًا كَيْمَا تَهَيِّجَ الْبُحُورًا ⁽⁷⁾
فَاشْتَوَتْ كُلُّهَا فَهَاجَ عَلَيْهِم	ثُمَّ هَاجَتْ إِلَى صَبِيرٍ صَبِيرًا ⁽⁸⁾

(1) استمجد: أسرع الوري؛ فهو في منحه النار بسرعة، شبيه بمن يكثر من العطاء طلباً للمجد.

ط، ش: «استمجد» ه: «استمحر» صوابهما في اللسان وأمثال الميداني (18:2) والمخصص (27:11) والخزانة (159:1، 2: 86، 46:4 بولاق) ومحاضرات الراغب (2: 278).

(2) الأزمات، بالتحريك: جمع أزمة بالفتح، وهي الشدة. وفي الأصل: «الأزمان» محرفة. (3) السلع، بالتحريك، والعشر بضم ففتح: ضربان من الشجر، كان العرب يأخذون حطبهما للغرض الذي ذكره الجاحظ.

(4) وروى عكسه، أي أنهم كانوا يحدرونها من الجبال، انظر شرح شواهد المغني 347. (5) سففت السويق والدواء ونحوهما، بكسر الفاء الأولى، أسف، بفتح السين. والباء في: «بالدقيق» زائدة. أي يسفون الدقيق. انظر أدب الكاتب 397 والافتضاب 456، والفتير: ما عجل خبزه من ساعة، ولم يترك حتى يختمر.

(6) الباقر: البقر. ورواية اللسان (عيل): «ويسوقون باقر السهل للطود» وهي رواية الألوسي في بلوغ الأرب (2: 301) عن ابن الكلبي. مهازيل: نحاف، هزلتها الأزمة. يبور: يهلك، أي الباقر. ش: «تبوراً».

(7) الشكر: جمع شكير، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل. ط: «عمداً» مكان «عمداً»، ه: «عداء»، صوابهما ما أثبت من ش. وهاجت البحور: أثارتها. يقال: هاجه وأهاجه. وروى في اللسان (ثكن) وبلوغ الأرب: «في ثكن الأذنان».

(8) كلها: أي كل الأذنان، أو كل الباقر. والصبير: السحاب يثبت يوماً وليلة ولا يبرح، كأنه يصبر أي يحبس.

فَرَأَاهَا الْإِلَهَ تُرْشِمُ بِالْقَطْطِ رِ وَأَمْسَى جَنَابُهُمْ مَمْطُورًا⁽¹⁾
 فَسَاقَهَا نَشَاصُهُ وَاكْفَ الْغَيْدِ ثِ مِنْهُ إِذْ رَادَعُوهُ الْكَبِيرَا⁽²⁾
 سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عُشْرٌ مَا عَائِلٌ مَا وَعَالَتْ الْبِنَقُورَا⁽³⁾

هكذا كان الأصمعيّ ينشد هذه الكلمة، فقال له علماء بغداد: صحفت، إنما هي البيقور، مأخوذة من البقر. وأنشد⁽⁴⁾ القحذمي⁽⁵⁾ للورّل الطائي⁽⁶⁾:

لَا دَرَّ دُرٌّ رَجَالٍ خَابَ سَعِيُّهُمْ يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ⁽⁷⁾
 أَجَاعِلٌ أَنْتَ بَيْقُورًا مُسْلَعَةً ذَرِيعَةٌ لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ⁽⁸⁾

(1) ضمير رآها للأرض المفهومة من الكلام. وأرشمت الأرض: بدا نبتها. في الأصل والديوان: «ترسم» ولا وجه له، والقطر: بالفتح: المطر.

(2) النشاص، بالفتح: السحاب المرتفع. والغيث الواكف: المطر الهائل. وفي الأصل: «فساقها نشاطه واكف النبت» تحريف. منه: أي من النشاص. وفي الأصل: «منهم» صوابه من ديوان أمية 36، هـ: «إذ رأى دعوة» وفي الديوان: «إذا وادعوه». وأرى كل ذلك محرفاً. وشعر أمية مفعم بالتحريف والتصحيف.

(3) السلع والعشر مضى ضبطهما وتفسيرهما. والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من الجاحظ لتصحيف الأصمعي، كما سيأتي، والرواية: «البيقورا» بمعنى البقر، كما نبه وكما في اللسان (بقر، عيل) والديوان، ويقال عال الشيء فلاناً: ثقل عليه. القاموس. يقول: أثقلت بما حملته من السلع والعشر. انظر اللسان (عيل) وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة في (علي) بعد أن قال: «وعال عليّ: أي أحمل» فكانه جعل «عالت» مرة أخرى من المعالاة. والبيت استشهد به ابن هشام في المغني على زيادة «ما» ثلاث مرات. وقد نقل السيوطي في المزهرة (223:2) ما كتبه الجاحظ هنا عن تصحيف الأصمعي. وفيه: «النيقورا». وليس أحد التصحيفين بأولى في الإثبات من صاحبه. ونقل الآلوسي في بلوغ الأرب (2:301) أن تصحيف الأصمعي هو: «وغالت البيقورا» بالغين المعجمة.

(4) ط: «فأنشد» صوابه في ش، هـ.

(5) القحذمي هو الوليد بن هشام القحذمي، كما في البيان (1:61، 2:254). وفي لسان الميزان (6:228). «قال ابن حبان في الطبقة الثالثة من الثقات: الوليد بن هشام بن قحذم، أبو عبد الرحمن القحذمي، من أهل البصرة، يروى عن جرير بن عثمان. حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي. مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين». والقحذمي، بفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة وذال معجمة مفتوحة: نسبة إلى جده قحذم، كما رأيت، وفي الأصل: «القحذمي» بالدال، تصحيف، صوابه من المصدرين السابقين.

(6) كذا في الأصل واللسان (بقر) نقلاً عن الجوهري، حيث أنشد البيتين، وفي اللسان (سَلَع): «الورك».

(7) ش، هـ: «لدى الأزمان»، صوابه في ط واللسان (بقر، و سَلَع).

(8) مسلعة: وضع في أذناها وبين عراقيبها السلع والسلع، بالتحريك: نبت.

(استطراد لغوي)

قال: ويقال بَقَر، وَبَقِير. وَبَقُور، وَبَاقِر⁽¹⁾، ويقال للجماعة منها: قطع وإجل، وَكُور⁽²⁾، وأنشد⁽³⁾:

فَسَكَنْتَهُم بِالْقَوْلِ حَتَّى كَانَتْهُمْ بَوَاقِرُ جُلُحٍ أَسَكَنْتَهَا الْمَرَاعُ⁽⁴⁾
وَأَنشَدَ⁽⁵⁾:

وَلَا شُبُوبٌ مِنَ الثَّيْرَانِ أَفْرَدَهُ عَنْ كُورِهِ كَثْرَةُ الْإِغْرَاءِ وَالطَّرْدُ⁽⁶⁾

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى، هي التي توقد عند التحالف؛ فلا يعقدون حلفهم إلا عندها. فيذكرون عند ذلك⁽⁷⁾ منافعها، ويدعون إلى الله عز وجل، بالحرمان والمنع من منافعها، على الذي ينقض عهد الحلف، ويخيس بالعهد⁽⁸⁾.

- (1) زاد عليه في اللسان: باقور وباقورة. وكلها أسماء جمع.
(2) إجل، بالكسر، وكور، بالفتح. وفي الصحاح: «والكور أيضاً: الجماعة الكثيرة من الإبل.. وجعله أبو ذؤيب في البقر أيضاً».
(3) البيت الآتي لقيس بن عيزارة الهذلي، كما في اللسان (جلح). وله ترجمة في معجم المرزباني 326، والعيزارة أمه، وهو قيس بن خويلد.
(4) جلح: جمع أجلح وجلحاء، وهو الذي لا قرن له. أسكنتها: جعلتها تسكن. وفي اللسان (جلح): «سكنتها»، وروى في (بقر): «أسكنتها». وفي ش: «أمكنتها».
(5) البيت الآتي لأبي ذؤيب الهذلي، كما في ديوان الهذليين 1: 124 واللسان (كور). وقبله، وهو أول القصيدة:

تَالَلَّهْ يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّرَاةِ رَبَاعٌ سِئُهُ غَرْدٌ
يقول: تالله لا يبقى على الأيام مبتقل: أي الذي يرمى البقل. جون السراة: أسود الظهر. غرد: مصوت.

- (6) أي: ولا يبقى شبوب. والشبوب، كصبور: التام الشباب. ومثله الشبيب، بالتحريك. والمشب، بضم الميم وكسر الشين. ورواية الجوهرى: «ولا مشب» وهي كذلك رواية ابن سيده (8: 33). وفي (8: 42): «ولا شبوب». وقد ضبط في اللسان: «ولا شُبوب» بالبناء على الفتح «وهو خطأ، فإنه عطف على: «مبتقل» في البيت السابق في التنبيه السالف، أفردته عن كوره: جعله مفرداً عن جماعته وشرده. وروى في اللسان: «من كوره»: والإغراء: أي إغراء الكلاب الصائدات به. والطرْد، بالتحريك، مثل الطرد بالفتح: المطاردة ومزاولة الصيد. هـ: «من النيران» محرف. وفي الأصل: كثرة الأعداء، صوابه من اللسان والمخصص والصحاح.
(7) هـ: «عند ذكر».
(8) خاس بالعهد: أخلفه ونقضه.

ويقولون في الحلف: الدَّمُ الدَّمُ، والهدمُ الهدمُ^(١) (يحركون الدال في هذا الموضع) لا يزيده^(٢) طلوع الشمس إلا شَدًّا، وطول الليالي إلا مَدًّا، ما بل البحر صوفة^(٣)، وما أقام رضوى في مكانه^(٤) (إن كان جبلهم رَضَوَى). وكل قوم يذكرون جبلهم، والمشهور من جبالهم. وربما دَنُوا منها حتى تكاد تحرقهم^(٥). ويهولون على من يخاف عليه العَدْرُ. بحقوقها ومنافعها والتخويف من جرمان منفعتها. وقال الكميت:

كُهولة ما أوقد المحلفو نِ للحالفين وما هُولوا^(٦)

وأصل^(٧) الحلف والتحالف، إنما هي من الحلف والأيمان^(٨). ولقد تحالفت قبائل من قبائل مُرَّة بن عوف، فتحالفوا عند نارٍ فدَنُوا منها وعشوا بها^(٩). حتَّى مَحَشْتهم. فَسُمُوا: المحاش^(١٠) وكان سيدهم والمطاع فيهم، أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبي حارثة^(١١). ولذلك يقول النابغة:

(١) الهدم، بالسكون، وبالتحريك: إهدار دم القاتل. والمعنى: إن طلب دمكم فقد طلب دمننا، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمننا، وقيل: الهدم، بالتحريك، القبر. أي قبرنا قبركم. أي لا نزال معكم حتى نموت عندكم. وللعبارة تفاسير أخر مذكورة في اللسان، وكلها جيد.

(٢) أي لا يزيده الحلف.

(٣) في الأصل: «وما بل البحر صوفة» والواو مقحمة. والصوفة: واحدة الصوف. وصوف البحر: شيء على شكل هذا الصوف الحيواني. ويروى: «ما بل بحر صوفة». كما في اللسان (صوف).

(٤) رضوى، بالفتح: جبل بالمدينة.

(٥) ه: «تحرقهم» مصحفة.

(٦) الهولة، بالضم: ما يهول. ط، ش: «لهولة» صوابه في هـ واللسان (هول). وكانوا يطرحون في النار ملحاً يفتق يهولون بذلك. اللسان (نور). وانظر الخزانة (3: 214) حيث تجد تفصيلاً أوسع. وقبل البيت كما في الخزانة:

فَقَد صَرَتَ عَمَّا لَهَا بِالْمَشِيبِ زَوَالاً لَدَيْهَا هُوَ الْأَزْوُلُ

(٧) في الأصل: «وأهل»، ووجهه ما أثبت.

(٨) الأيمان: جمع يمين، وهي القسم. ط: «ولا يماو» تحريف ما أثبت من ش، هـ.

(٩) عشي بالنار، كرضى ودعاً: ساء بصره. ومصدره العشا، يكتب بالالف وبالياء.

(١٠) المحاش، بالكسر، ومحشته النار: أحرقتة. والمحاش: هم صرمة وسهم ومالك بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض، وضبة بن سعد. اللسان (محش). وفي شرح ديوان النابغة للبطلبيوسي 69 أنهم بنو خصيلة بن مرة، وبنو نشبة بن غيظ بن مرة، تحالفوا على بني يربوع بن غيظ بن مرة، رهط النابغة.

(١١) يزيد هذا، هو أخو هرم بن سنان بن أبي حارثة الذي مدحه زهير بن أبي سلمى. وأبوهما سنان، كان أيضاً ممن مدحه زهير.

جَمَعَ مُحَاشَكَ يَا يَزِيدُ فَإِنِّي جَمَعْتُ يَرْبُوعاً لَكُمْ وَتَمِيماً⁽¹⁾
وَلَحِقْتُ بِالنَّسَبِ الَّذِي عَيَّرْتَنِي وَتَرَكْتُ أَصْلاً يَا يَزِيدُ دَمِيماً⁽²⁾
وقوله: «تميم» يريد: تميمه⁽³⁾. فحذف الهاء.

(التحالف والتعاقد على الملح)

وربما تحالفوا وتعاقدوا على الملح. والملح شيان: أحدهما المرققة⁽⁴⁾،
والآخر اللبَن. وأنشدوا لشتيم بن خويلد الفزاري⁽⁵⁾:
لَا يَبْعَدُ اللَّهُ رَبَّ الْعِبَادِ وَالْمِلْحُ مَا وَلَدَتْ خَالِدَهُ⁽⁶⁾

(1) رواية اللسان والديوان: «أعددت يربوعاً».

(2) كان يزيد يفتخر بنسبته في قيس ويقول:

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ صِلْبِ قَيْسٍ مَاجِدٍ لَا مَدْعَ نَسَباً وَلَا مَسْتَنَكِرٍ

وكان يقول للنابعة: واللّه ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاة. فقال النابعة له: أنا لاحق بمن عيرتني ومتحقق بهم، ولست مثلك تنتفي عن أصلك. وقيس من العدنانية. وأما قضاة فكانت في العدنانية، ثم تحولت إلى القحطانية. انظر ما سبق من الكلام على هذا في ص 189 من هذا الجزء. وفي الديوان: «وتركت أصلك» و«ذميماً» حال من فاعل «تركت» أي فعلت ذلك وأنت مذموم.

(3) أي استعمل الترخيم فحذف الهاء. وتميمه هو ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان، كما في شرح ديوان النابعة 70، قال: «قوله وتميماً، لم يرد تميم بن مر. إنما أراد: تميمه بن ضبة بن عذرة». وقد عقب على ذلك بقوله: «فرخم في غير النداء». وكلمة: «مر» هي في أصل الشرح: «مرة». و«تميمه بن ضبة» هي في أصلها: «تميم بن ضبة». وقد أصلحت التحريفيين.

(4) كذا. وفي القاموس واللسان أن الملح «الحرمة». وفي اللسان عن ابن الأنباري والخزاعة (4: 164 بولاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح «البركة». ولم أجد من فسرها بأنها المرققة.

(5) شتيم، بهيئة التصغير، شاعر جاهلي كما في الخزاعة (4: 164 بولاق). وروى في الخزاعة أيضاً عن نوادر بن الأعرابي منسوباً إلى نهيك بن الحارث المازني من مازن فزارة. ورواه المبرد في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص 27 منسوباً إلى ابن الزبعرى. وفي مقطعات المراثي 106 نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزاري يرثي بني خالدة: كردما وإخوته. وانظر اللسان (لوم 38).

(6) الملح، روى بالرفع في الفاخر 9 والكامل 84 ليسك. عطف على لفظ الجلالة وروى بالجر عطفاً على «العباد» أو يجعل الواو واو القسم. انظر اللسان (3: 444 س4) حيث تجد العبارة مضطربة. وقد حررتها. وخالدة هي بنت أرقم، أم كردم وكريدم ابني شعبة الفزاريين.

وأنشدوا فيه ⁽¹⁾ قول أبي الطَّمَحان ⁽²⁾ :

وإني لأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ أَشَعَتْ أَغْبَرًا ⁽³⁾

وذلك أَنَّهُ كَانَ جاورهم، فكان يَسْقِيهم اللَّبن؛ فقال: أرجو أن تشكروا لي رَدَّ إِبِلِي ⁽⁴⁾، عَلَى ما شَرِبْتُمْ من أَلْبَانِها، وما بَسَطْتُ من جِلْدٍ أَشَعَتْ أَغْبَر. كَأَنَّهُ يقول: كنتم مهازيل - والمهزولُ يَتَقَشَّفُ جِلْدُهُ وينقبض - فَبَسَطْتُ ذلك من جُلُودِكُمْ.

(نار المسافر)

ونار أخرى ⁽⁵⁾، وهي النار التي كانوا ربَّما أو قدوها خَلْفَ المسافر، وخَلَفَ الزَّائِرِ الذي لا يَحْبُون رُجُوعَهُ، وكانوا يقولون في الدُّعاء: أبعد الله وأسحقه، وَأَوْقَدَ ناراً خلفه، وفي إثره! وهو معنى قولِ بشار - وضرَبَهُ مثلاً:

صَحَوْتُ وَأَوْقَدْتُ لِلْجَهْلِ نَارًا وَرَدَّ عَلَيْكَ الصِّبَا مَا اسْتَعَارَا ⁽⁶⁾

وأنشدوا:

وَجَمَّةٌ أَقْوَامٍ حَمَلَتْ وَلَمْ تَكُنْ لِتَوْقَدِ نَارًا إِثْرَهُمَ لِلتَّنْدُمِ ⁽⁷⁾

(1) أي في الملح. وفي الأصل: «في» محرفة.

(2) أبو الطمحن، بالتحريك، هو حنظلة بن الشرقي. كان نديماً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية، ثم أدرك الإسلام. وهو أحد المعمرين. الإصابة 2007 والأغاني (11: 125) والشعراء 348.

(3) كذا جاءت الرواية هنا وفي الكامل 284 لبيسك والاشتقاق 267 والغريب المصنف 494 والمخصص (1: 26) بالجر. والقصيدة مكسورة الروى. وأولها:

أَلَا حِنَّتِ الْمِرْقَالُ وَاشْتاقَ رَبُّهَا تَذَكُّرُ أَرْمَاماً وَأَذَكُّرُ مَعْشَرِي

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغاني (11: 128). والبيت يقوله لقوم نزلوا عليه فشريوا من ألبانها ثم أغاروا عليها فأخذوها.

(4) الرد بمعنى الفائدة والنفع. وانظر البيان (3: 50). ط، هـ: «ردائي» ش: «رزائي» بهذا الإهمال. وصوابهما ما أثبت.

(5) سماها العسكري في كتاب الأوائل: «نار الطرد» صبح الأعشى (1: 409) وتنزيل الآيات لمحِب الدين أفندي. وسماها الثعالبي في ثمار القلوب 459: «نار المسافر».

(6) ديوان بشار 4: 3 ومجالس ثعلب 611 والأزمنة والأمكنة (2: 357) واللسان (وقد).

(7) مثل هذه الرواية في ثمار القلوب 459 وتنزيل الآيات. وروى في اللسان (نور) ومحاضرات الراغب (2: 277): «أولم أكن لأوقد ناراً». والجمعة، بفتح الجيم وتضم.

والجَمَّة: الجَمَاعَة يمشون في الصلح. وقال الراجز في إبله:

تَقْسَمُ فِي الْحَقِّ وَتُعْطَى فِي الْجُمَمِ⁽¹⁾

يقول⁽²⁾ لا تندم على ما أعطيت في الحمالة⁽³⁾، عند كلام الجماعة فتوقد خلفهم ناراً كي لا يعودوا.

(نار الحرب)

ونار أخرى⁽⁴⁾ وهي النار التي كانوا إذا أرادوا حرباً، وتوقعوا جيشاً عظيماً، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم ناراً؛ ليبلع الخبر أصحابهم. وقد قال عمرو بن كلثوم:

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَارٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِيَّةِ⁽⁵⁾

وإذا جدوا في جمع عشائهم إليهم⁽⁶⁾ أوقدوا نارين، وهو قول الفرزدق⁽⁷⁾:

لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَاِئِلٍ سَدَّ الْعَدُوَّ عَلَيْكَ كُلِّ مَكَانٍ⁽⁸⁾

(1) في الحق: أي في حق الأضياف إذ ينحرفها لهم. هـ: «يقسم» ش، هـ: «بالحق» صوابهما في ط، ش: «بالجمم» صوابه في ط، هـ.

(2) أي الشاعر السابق، لا الراجز.

(3) الحمالة، كسحابة: الدية يحملها قوم عن قوم.

(4) سماها الثعالبي في ثمار القلوب 461: «نار الإنذار» والعسكري فيما نقل عنه محب الدين أفندي: «نار الأبهة للحرب»، وفيما نقل عن القلقشندي: «نار الحرب».

(5) خزار وخزاري، بالفتح: جبل. وروى البيت بالروايتين. ش، هـ: «خزاز» مصحفة. وانظر خبر يوم خزاز في معجم البلدان والميداني (353:2) والعقد (365:3) وكامل ابن الأثير (310:1) والعمدة (166:2) رفدنا: أعنا.

(6) في الأصل: «في جميع» محرفة. ط، ش: «ولما وجدوا» هـ: «ولما حدوا» وهما تصحيف ما أثبت. وجاء في تنزيل الآيات 92: «فإذا جد الأمر أوقدوا نارين»، وفي الخزانة (3: 14) بولاق) نقلاً عن ابن قتيبة: «فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين».

(7) من قصيدة يهجو بها جريراً، ويذكر فضل التغلبيين رهط الأخطل. الديوان 882 - 883.

(8) روى في الديوان وتنزيل الآيات: «نزل العدو عليك» هـ: «ترك» محرفة عن الرواية السابقة.

ضربُوا الصَّنَائِعَ والملوكَ وأوقدُوا نارَيْنِ أشرفَتَا على النَّيرانِ^(١)

(نار الحرّتين)

ونار أخرى، وهي «نار الحرّتين»^(٢)، وهي نار خالد بن سنان، أحد بني مخزوم من بني قطيعة بن عَبَس^(٣). ولم يكن في بني إسماعيل نبياً قبله، وهو الذي أطفأ الله به نار الحرّتين. وكانت ببلاد بني عبس^(٤)، فإذا كان الليلُ فهي نارٌ تسطعُ في السماء، وكانت طيِّءٌ تُنْفِشُ بها إبلها من مسيرة ثلاث^(٥). وربما ندرتُ منها العُنُقُ^(٦) فتأتي على كلِّ شيء فتحرقه. وإذا كان النهارُ وإنما هي دخانٌ يفور. فبعث الله خالد بن سنان فاحتقر لها بئراً، ثم أدخلها فيها، والنَّاسُ ينظرون؛ ثم

(١) الصنائع، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة، خمس كتائب: الرهائن، والصنائع، والوضائع، والأشاهب، ودوسر. فالرهائن: خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره، ثم يستبدل غيرهم بهم. و(الصنائع): بنو قيس وبنو تيم اللات ابني ثعلبة. وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه. والوضائع: ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملوك العرب، يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم. والأشاهب: إخوة ملك العرب وبنو عمه. وأما دوسر فكانت أخشن كتائبه وأشدّها بطشاً، وكانوا من كل قبائل العرب: وأكثرهم من ربيعة. انظر بلوغ الأرب (2: 176). وفي الأصل: «ضربوا المصانع والتلول» وليت شعري ماذا يجدي عليهم ضرب التلول؟! فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزانة ومحاضرات الراغب (2: 278)، وتنزيل الآيات. ورواية الديوان: «قتلوا الصنائع والملوك» وفيه أيضاً: «نارين قد علتنا». وأشرفنا وعلتنا بمعنى.

(٢) الحرة، بالفتح: أرض ذات حجارة نخرة سود. والحرّتان، هما حرة ليلى، لبني مرة، وحرة النار لغطفان، كما في المزهري (2: 119). أما حرة ليلى فهي من وراء وادي القرى من جهة المدينة. وحرة النار قريبة من حرة ليلى قرب المدينة. عن معجم البلدان.

(٣) قطيعة، كجهينة، بهيئة التصغير.

(٤) في الأصل: «وكانت حرة ببلاد بني عبس». وكلمة «حرة» تفسد الكلام. وضمير «كانت» راجع إلى: «نار الحرّتين» فالصواب حذفها، كما جاء في نقل الثعالبي عن الجاحظ في ثمار القلوب 456، وكما في صبح الأعشى (1: 409). وبلوغ الأرب.

(٥) أنفش الراعي إبله: جعلها ترعى ليلاً دون أن يراقبها. من مسيرة ثلاثة: أي ثلاث ليال، كما جاء في ثمار القلوب نقلاً عن الجاحظ، وكما في صبح الأعشى (1: 409) وبلوغ الأرب. ش: فقط: «ثلاثة»: أي ثلاثة أيام. في الأصل: «تتبن بها إبلها»، وفي ثمار القلوب: «تنعش بها إبلهم»، ومحاضرات الراغب (2: 278) وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح: «تنعش فيها الإبل» صواب هذا كله «تنفش» بالفاء، كما أثبت موافقاً لما في عجائب المخلوقات 88.

(٦) ندرت: ظهرت وبدت. والعنق: القطعة أو الطائفة.

اقتحم فيها حتى غيَّبها. وسمع بعض القوم وهو يقول [هَلَكَ الرَّجُلُ! فقال خالدُ بنُ سِنانٍ⁽¹⁾]: كذب ابنُ راعيةِ المعز، لأخرجنَّ منها وجيبي يندى⁽²⁾! فلَمَّا حضَرَتْهُ الوفاة، قال لقومه: إذا أنا متُّ ثمَّ دفنتُموني، فاحضُرُوني بعدَ ثلاثٍ؛ فإنَّكم تَرَوْنَ عَيْراً أَبْتَرُ يطوفُ بقبري، فإذا رأيتُم ذلك فانبشُوني؛ فإنِّي أخبرُكم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فاجتمعوا لذلك في اليوم الثالث⁽³⁾، فلما رأوا العَيْرَ⁽⁴⁾ وذهبوا ينبشونه، اختلفوا، فصاروا فرقتين، وابنه عبدُ اللَّهِ في الفرقة التي أَبَتْ أن تنبشه وهو يقول: [لا أفعل! إني⁽⁵⁾] إذا أدعى ابنُ المنبوش! فتركوه. وقد قدِمَتْ ابنتُهُ على النبي ﷺ، فبسَطَ لها رداءه وقال: هذه ابنةُ نبيِّ ضيَّعه قومه.

قال: وَسَمِعْتُ سورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] فقالت: قد كان أبي يتلو هذه السورة.

(نبوة خالد بن سنان)

والمتكلمون لا يؤمنون بهذا، ويزعمون أنَّ خالداً هذا كان أعرابياً وبرياً، من أهل شَرْج وناظرة⁽⁶⁾، ولم يبعث الله نبياً قطُّ من الأعراب ولا من الفدَّادين⁽⁷⁾ أهل الوبر، وإنما يبعثهم من أهل القرى، وسكَّان المدُن. وقال خُلَيْدٌ عَيْنِينَ⁽⁸⁾:

وَأَيُّ نَبِيٍّ كَانَ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ وَهَلْ كَانَ حُكْمُ اللَّهِ إِلَّا مَعَ النَّخْلِ⁽⁹⁾

وَأَنشَدُوا:

- (1) هذه التكملة من الإصابة 2351 في ترجمة خالد بن سنان. وبدونها لا يصح الكلام.
- (2) كذا على الصواب في محاضرات الراغب، والعبارة محرفة في الأصل. ففي ط: «وجبتي تندل» هـ: «وحيتني يندا» ش: «وجبيني تندي». ويندئ: أي عليه ندى العرق. كناية عن سلامته من أذى النار ولفحها.
- (3) كذا في ش، وثمار القلوب. وفي ط، هـ: «فاجتمعوا له في ذلك اليوم».
- (4) العير، بالفتح: الحمار الوحشي.
- (5) الزيادة من محاضرات الراغب، وانظر للخبر أيضاً مروج الذهب (1: 67 - 68).
- (6) شرح وناظرة: ماء أن لعبس. عن معجم البلدان (ناظرة). وشرح، بفتح الشين وسكون الراء بعدها جيم. وناظرة، بالطاء المعجمة. وفي ط، ش: «سرح وناصر» هـ: «سرح وناصر» محرفتان صوابهما ما أثبت.
- (7) الفدَّادون: أهل الوبر، أي الذين يعيشون في بيوت من وبر الإبل، وهم أهل البادية.
- (8) عينين: قرية بالبحرين نسب إليها خليلد. وقد ترجمته في (1: 192). وفي الأصل: «خليد عبس» محرف.
- (9) يقوله لجريير في قصيدة يهجو بها ويرد عليه. انظر (1: 192).

كَنَارِ الْحَرَّتَيْنِ لَهَا زَفِيرٌ يُصَمُّ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ^(١)

(عبادة النار وتعظيمها)

وما زال النَّاسُ كَافَّةً، وَالْأُمَمُ قَاطِبَةً - حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ - مُوَلِّعِينَ بِتَعْظِيمِ النَّارِ؛ حَتَّى ضَلَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لِإِفْرَاطِهِمْ فِيهَا، أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهَا^(٢). فَأَمَّا النَّارُ الْعُلَوِّيَّةُ؛ كَالشَّمْسِ وَالْكَوَاكِبِ، فَقَدْ عُبِدَتْ أَلْبَتَةً. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: 24] وَقَدْ يَجِيءُ فِي الْأَثَرِ وَفِي سُنَّةِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، تَعْظِيمُهَا عَلَى جِهَةِ التَّعَبُّدِ وَالْمَحَنَةِ، وَعَلَى إِجْبَابِ الشُّكْرِ عَلَى النُّعْمَةِ بِهَا وَفِيهَا. فَيَغْلُطُ لَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَجُوزُونَ الْحَدَّ.

وَيَزْعَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْصَاهُمْ بِهَا، وَقَالَ: «لَا تُطْفِئُوا النَّيرانَ مِنْ بُيُوتِي». فَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ الْكِنَائِسَ وَالْبَيْعَ^(٣)، وَبُيُوتَ الْعِبَادَاتِ، إِلَّا وَهِيَ لَا تَخْلُو مِنْ نَارٍ أَبَدًا. لِيَلَّا وَلَا نَهَارًا؛ حَتَّى اتَّخَذَتْ لِلنَّيِّرَانِ الْبُيُوتَ وَالسَّدَنَةَ. وَوَقَّفُوا عَلَيْهَا الْغَلَّاتِ الْكَثِيرَةَ.

(إطفاء نيران المجوس)

أَبُو الْحَسَنِ عَنْ مُسْلِمَةَ^(٤) وَقَحْدَمَ^(٥)، أَنَّ زِيَادًا بَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ^(٦)، وَأَمَرَهُ أَنْ يُطْفِئَ النَّيِّرَانَ، فَأَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَبْدَأَ بِنَارِ جُورِ^(٧) فَيُطْفِئَهَا،

(١) زفير النار: صوت توقدها واضطرامها. ط، هـ: «تصم». ورواية البيت في ثمار القلوب:

ونار الحرتين لها زفير يصم لهوله الرجل السميع

(٢) في ثمار القلوب: «حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها».

(٣) البيع بكسر ففتح: جمع بيعة، بالكسر، وهي كنيسة النصارى، وقيل كنيسة اليهود.

(٤) هو مسلمة بن محارب، فيما أرجح، وله حديث عن زياد في البيان (2: 77).

(٥) كذا جاء بالذال المهملة. والمعروف في أسمائهم: «قحدم» بالذال، و: «قحزم» بالزاي.

(٦) عبد الله، أحد أولاد أبي بكر الأربعين، ذكره ابن قتيبة في المعارف 125، وأبو بكر اسم

نفيح بن الحارث، أسلم ومات في خلافة عمر رضي الله عنه، وكان تدلى إلى النبي ﷺ من

حصن الطائف ببكرة، فاشتهر بأبي بكر، الإصابة 8794.

(٧) ط، هـ: «حوم» ش: «حدر»، صوابهما ما أثبت. جاء في مروج الذهب (1: 383): «وفي مدينة

جور من أرض فارس وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد الجوري. وإليه يضاف بيت النار،

بناه أردشير بن بابك». ونحو هذا الكلام أيضاً في معجم البلدان (جور).

فَقِيلَ لَهُ: لَيْسَتْ لِلْمَجُوسِ نَارٌ أَكْثَمُ مِنْ نَارِ الْكَارِيانِ^(١) مِنْ دَارِ الْحَارِثِ^(٢). فَإِنْ أَطْفَأْتُهَا لَمْ يَمْتَنِعَ عَلَيْكَ أَحَدٌ، وَإِنْ أَطْفَأْتُ سَافَلْتُهَا اسْتَعْدُّوا لِلْحَرْبِ وَامْتَنِعُوا، فَاذْهَبْ بِهَا. فَخَرَجَ إِلَى الْكَارِيانِ فَتَحَصَّنَ أَهْلُهَا فِي الْقَلْعَةِ. وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْفَرَسِ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ مَعْرُوفٌ^(٣) بِالشَّدَّةِ، لَا يَقْدُرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَكَانَ يَمُرُّ كُلَّ عَشِيَّةٍ بِبَابِ مَنْزِلِهِ^(٤) اسْتِخْفَافًا وَإِذْلَالًا بِنَفْسِهِ، فَغَمَّ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ فَقَالَ: أَمَا لِهَذَا أَحَدٌ؟! وَكَانَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ^(٥) رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَطْشًا، وَكَانَ جَبَانًا، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا الْعَبْدِيُّ^(٦)، هُوَ شَدِيدُ جَبَانٍ، وَإِنْ أَمَرْتَهُ بِهِ خَافَ الْقِتَالَ فَلَمْ يَعْزِضْ لَهُ. فَاحْتَلَّ لَهُ حِيلَةٌ. فَقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ فِي مَجْلِسِهِ إِذْ مَرَّ الْفَارِسِيُّ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ خَلْقٍ هَذَا، وَمَا فِي الْأَرْضِ - كَمَا زَعَمُوا - أَشَدَّ مِنْهُ بَطْشًا! مَا يَقْوَى عَلَيْهِ أَحَدٌ! فَقَالَ الْعَبْدِيُّ^(٧): مَا تَجْعَلُونَ لِي إِنْ احْتَمَلْتَهُ حَتَّى أَدْخِلَهُ الدَّارَ وَأَكْتَفَهُ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: لَكَ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ. فَقَالَ: تَفُونُ لِي بِأَلْفٍ؟ قَالَ: نَعَمْ! فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ مَرَّ الْفَارِسِيُّ، فَقَامَ إِلَيْهِ الْعَبْدِيُّ فَاحْتَمَلَهُ فَمَا امْتَنَعَ وَلَا قَدَّرَ أَنْ يَتَحَرَّكَ، حَتَّى أَدْخَلَهُ الدَّارَ وَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ وَوَثَبَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَتَلُوهُ، وَغَشِيَ عَلَى الْعَبْدِيِّ^(٨) حِينَ قَتَلُوهُ. فَلَمَّا قُتِلَ أُعْطِيَ أَهْلُ الْقَلْعَةِ بِأَيْدِيهِمْ^(٩). فَقَتَلَ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ الْهَرَابِذَةَ^(١٠)، وَأَطْفَأَ النَّارَ، وَمَضَى يُطْفِئُ النَّيِّرَانَ حَتَّى بَلَغَ سِجِسْتَانَ.

-
- (١) الكاريان، بكسر الراء، قال ياقوت: «مدينة بفارس صغيرة، ورستاقها عامر، وبها بيت نار معظم عند المجوس، تحمل ناره إلى الآفاق».
- (٢) كذا بالأصل. ولعل وجهه: «ومن نار الحارث»، والحارث: جبل بأرمينية انظر معجم البلدان.
- (٣) كذا في ش، هـ، على الوصفية، وخبره: «لا يقدر»، ط: «معروفًا» على الخبرية.
- (٤) في الأصل: «يأتي منزله».
- (٥) ش: «وكان مع ابن أبي بكر».
- (٦) العبدي: نسبة إلى عبد القيس: قبيلة كانت تسكن البحرين. ش: «العبدي» ولعل صواب ما في ش: «العدولي»، نسبة إلى عدولي بفتحيتين فسكون ففتح، مقصور، وهي قرية بالبحرين بلاد عبد القيس.
- (٧) ش: «العبدي»، وانظر التنبيه السابق.
- (٨) ش: «العبدي»، محرف.
- (٩) أعطوا بأيديهم: استسلموا واستأسروا.
- (١٠) الهرايذة: جمع هربذ، بكسر الهاء والباء، كزبرج، وهو خادم نار المجوس. وفي معجم استينجاس أنه قيم معبد النار: أو الرئيس من رؤساء كهنة المجوس.

(تعظيم المجوس للنار)

والمجوسُ تقدّم النَّارَ في التَّعْظِيمِ على الماء، وتقدم الماء في التَّعْظِيمِ على الأرض، ولا تكاد تذكر الهواء⁽¹⁾.

(نار السعالي والجن والغيلان)

ونار أخرى، التي يحكونها من نيران السَّعالي⁽²⁾ والجنّ، وهي غَيْرُ نار الغيلان⁽³⁾، وأنشد أبو زيد لسهم بن الحارث⁽⁴⁾:

وَنَارٌ قَدْ حَضَّتْ بُعِيدَ هُدًى بَدَارٍ لَا أَرِيدُ بِهَا مَقَامًا⁽⁵⁾
سَوَى تَحْلِيلِ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَالُهَا مَخَافَةٌ أَنْ تَنَامًا⁽⁶⁾
أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتُمْ فَقَالُوا: الْجَنُّ! قُلْتُ: عُمُوا ظَلَامًا⁽⁷⁾
فَقُلْتُ: إِلَى الطَّعَامِ، فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ: نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامًا⁽⁸⁾

(1) في الأصل: «الهوى» محرف.

(2) السعالي: جمع سعاة، بالكسر، وهي أنثى الجن فيما يزعمون.

(3) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير للسعالي. انظر تفصيل ذلك في الحيوان (6: 100 - 101). ونحوه ما ورد في عجائب المخلوقات 309، وبعض اللغويين يجعلهما نوعاً واحداً.

(4) الذي في نوادر أبي زيد 123: «شمير بن الحارث الضبي» وضبط «شمير» بهيئة التصغير. وقال أبو الحسن في 124: «حفظي سمير» أي بالسين. وانظر الخزانة (3: 3 بولاق). وجاء في الحيوان (6: 125): «شمير بن الحارث الضبي» ومثله في اللسان (من). ونسبه في (غير) إلى تأبط شراً.

(5) حضأت: أشعلت. هـ: «حصأت» مصحفة. والهدء، بالضم والفتح: أن تهدأ الرجل والليل. ش: «هذا» محرفة.

(6) في شرح نوادر أبي زيد 126: «سوى تحليل راحلة، أراد سوى راحلة أقمت بها فيها بقدر تحلة اليمين». وتحلة اليمين: مثل في القليل المفرط القلة. وهو أن يباشر من الفعل الذي يقسم عليه المقدار الذي يبر به قسمه ويحلله. مثل أن يحلف على النزول بمكان، فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته، فتلك تحلة قسمه. انظر اللسان. وروى: «سوى ترحيل راحلة» أي إزالة الرجل عن ظهرها. وروى في المخصص (1: 94) الميداني (1: 320) مع نسبه في الأخير إلى تأبط شراً: «وعير» أكله مخافة أن يناما». وفي الخزانة عن المفضل «وعير أكلها مخافة أن تناما». والعير، بالفتح: إنسان العين، يذكر ويؤنث.

(7) منون أنتم: أي من أنتم. وانظر تفصيل القول في هذه اللغة في لسان العرب (من).

(8) إلى الطعام: أي هلموا إليه.

وهذا غلط وليس من هذا الباب. وسنضعه في موضعه إن شاء الله تعالى^(١). بل الذي يقع ههنا قول أبي المطراب عبيد بن أيوب^(٢):

فَلَلْ دُرُّ الْغُولِ أَيْ رَفِيقَةٍ لَصَاحِبِ قَفَرٍ خَائِفٍ مَتَقَفِّرٍ^(٣)
أَرْنَتْ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدَتْ حَوَالِي نِيرَانًا تَبُوخُ وَتَزْهَرُ^(٤)

(نار الاحتيال)

وما زالت السدنة تحتال للناس جهة النيران بأنواع الحيل، كاحتيال رهبان كنيسة القمامة^(٥) ببيت المقدس بمصاييحها. وأن زيت قناديلها يستوقد لهم^(٦) من غير نار، في بعض ليالي أعيادهم.

قال: وبمثل احتيال السادن^(٧) لخالد بن الوليد، حين رماه بالشرر؛ ليوهمه أن ذلك من الأوثان، أو عقوبة على ترك عبادتها وإنكارها، والتعرض لها، حتى قال:

- (١) برّ الجاحظ بوعده. وأعاد ذكر الأبيات في موضعها. انظر الحيوان (٦: 125).
- (٢) عبيد بن أيوب: شاعر من بني العنبر. كان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة، ويبايت الذئاب والأفاعي، ويؤاكل الطباء والوحش. الشعراء 758 - 761.
- (٣) المتقفر: الذي يتبع آثار الصيد ونحوه. في الأصل: «در القول» صوابه ما أثبت من الحيوان (٥: 123) والشعراء 758 والمسعودي (١: 328) وأصل إعجاز القرآن للباقلاني 43 وتنزيل الآيات 93، ط، ش: «أي رقيقة» صوابه: «رفيقة» أي صاحبه، كما في هـ والمراجع المتقدمة. وفي الشعراء «يتستر» بدل «متقفر».
- (٤) أرنت: من الإرنان، وهو التصويت. في الأصل: «أذنت» صوابه في المراجع. ط: «حوالي نيران» صوابه في ش، هـ: «والمصادر السابقة، قال المسعودي: «كانت العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخييل واختلال السابلة». وانظر الحيوان (٥: 83). تبوخ: تسكن وتفتقر. تزهر: تضيء، وبابه منع. والمعنى: أنها تخبو تارة وتشتعل أخرى. وهذه رواية الأصل والشعراء وإعجاز القرآن وتنزيل الآيات. وفي مروج الذهب والحيوان ج5: «تلوح وتزهر». وفي هذا البيت إقواء، فإنه مروي مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى. انظر الحيوان (٦: 104).
- (٥) هي كنيسة القيامة: أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس. ورجح ياقوت في معجم البلدان تسميتها: كنيسة القمامة، بالضم. في الأصل: «القمة» محرفة. صوابها من الحيوان (٦: 128) ومعجم البلدان. وجاء في التنبيه والإشراف 123: «وبنت هيلاني، بإيليا: الكنيسة المعروفة بالقيامة في هذا الوقت، التي يظهر منها النار في يوم السبت الكبير الذي صبحه الفصح».
- (٦) يقال اتقدت النار وتوقدت واستوقدت. القاموس. في الأصل: «تستوقد».
- (٧) يريد سادن العزى. وكانت العزى ثلاث شجرات من سمر، فأرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه ليعضدها، وذلك يوم فتح مكة. انظر بقية الخبر والزعم في الأصنام 25 وثمار القلوب 17، وخزانة البغدادي (3: 242 - 244 بولاق). والعزى، في لفظها: تأنيث الأعز.

يَا عَزْرُ كُفِّرَانِكَ لَا سَبْحَانَكَ إِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ⁽¹⁾

حَتَّى كَشَفَ اللَّهُ ذَلِكَ الْغِطَاءَ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى، وهي النَّارُ التي تَوْقَدُ للظباء وصيدها. لتعشى إذا أدامت النَّظْرَ. وتَجْعَلُ من ورائها. ويطلب بها بَيْضُ النَّعَامِ في أَفَاحِيصِهَا وَمَكْنَاتِهَا⁽²⁾. ولذلك قال طُفَيْلُ الْعَنَوِي:

عَوَازِبَ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارَاتِمَّ حَوْلِ مُجَرَّمٍ⁽³⁾

سَوَى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ بِقَفَرَةٍ أَغْنَى مِنَ الْخُنُسِ الْمَنَاخِرِ تَوَامٍ⁽⁴⁾

وقد يُوقِدُونَ النَّيِّرَانَ يَهْوِلُونَ بِهَا عَلَى الْأُسْدِ إِذَا خَافُوهَا. وَالْأُسْدُ إِذَا عَايَنَ النَّارَ حَدَقَ إِلَيْهَا وَتَأَمَّلَهَا، فَمَا أَكْثَرَ مَا تَشْغَلُهُ عَنِ السَّابِلَةِ⁽⁵⁾.

(قصة أبي ثعلب الأعرج)

وَمَرَّ أَبُو ثَعْلَبٍ⁽⁶⁾ الْأَعْرَجُ، عَلَى وَادِي السَّبَاعِ، فَعَرَضَ لَهُ سَبْعٌ، فَقَالَ لَهُ الْمُكَارِي: لَوْ أَمَرْتُ غِلْمَانَكَ فَأَوْقَدُوا نَارًا، وَضَرَبُوا عَلَى الطَّسَّاسِ⁽⁷⁾! ففعلوا فَأَحْجَمَ عَنْهَا⁽⁸⁾. فَأَنْشَدَنِي لَهُ ابْنُ أَبِي كَرِيمَةَ، فِي حَبِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لِلنَّارِ، وَمَدَحِهِ لَهَا

(1) روى في المخصص (15: 190):

كفيرانك اليوم ولا سبحانك الحمد لله الذي أهانك

(2) مكناتها، بفتح الميم وضم الكاف وكسرهما، أو بضمهما، والمكنات: الأمكنة ومنه الحديث:

«أقروا الطير على مكناتها». انظر التفصيل في لسان العرب (مكن). قال الزمخشري:

«ويروى: مكناتها، جمع مكن، ومكن: جمع مكان كصُعْدَاتٍ فِي صُعْدٍ، وَخُمُرَاتٍ فِي خُمُرٍ».

(3) ش، هـ: «بنوح مقامة» محرف. وانظر تحقيق البيت وشرحه في ص 204 .

(4) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه في ص 204 .

(5) سبق مثل هذا الكلام في ص 205، وقد سمي الثعلبي هذه النار: «نار التهويل». ثمار القلوب

. 490

(6) في الأصل: «ابن ثعلب» وفي ثمار القلوب 461: «أبو تغلب». وجاء في الحيوان (6: 315):

«وكان من العرجان الشعراء أبو ثعلب، وهو كليب بن الغول» وانظر ما كتب في هامش أصل

معجم المرزباني 354 - 355 وكذا ما جاء في نهاية مادة (أ ي ر) من لسان العرب.

(7) الطسّاس: جمع طس، بالفتح، وهو الطست.

(8) في ثمار القلوب: «وأحجم عنهم الأسد».

وللصوت الشديد، بَعَدَ بُغْضُهُ لَهُمَا⁽¹⁾ وهو قوله:

فَأَحْبَبْتُهَا⁽²⁾ حُبًّا هَوِيَتْ خِلَاطُهَا ولو في صَمِيمِ النَّارِ نَارِ جَهَنَّمَ
وَصِرْتُ أَلَدُ الصَّوْتِ لو كَانَ صَاعِقًا وَأَطْرَبُ مِنْ صَوْتِ الْحِمَارِ الْمَرْقَمِ⁽³⁾

وروى أَنَّ أعرابياً اشتدَّ عليه البردُ، فأصاب ناراً، فدنا منها ليصطلي بها⁽⁴⁾، وهو يقول: اللَّهُم لا تَحْرِمْنِيهَا في الدُّنْيَا ولا في الآخرة!

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

ومما إذا أَبْصَرَ النَّارَ اعْتَرَتْهُ الحيرةُ، الضَّفدَعُ؛ فإنه لا يزالُ يَنِيقُ فإذا أَبْصَرَ النَّارَ سَكَتَ.

(نار الحباحب)

ومن النيران «نار الحباحب»⁽⁵⁾ وهي أيضاً «نار أبي الحباحب». وقال أبو حية:

تَعَسَّرَ في تَغْرِيبِهِ فإذا انْحَنَى عليهنَّ في قَفٍّ أَرْنَتْ جَنَادِلُهُ⁽⁶⁾
وَأَوْقَدَ نيرانَ الحباحبِ والتقى غَضَى تَتَرَاقَى بَيْنَهُنَّ وَلَوْلُهُ⁽⁷⁾

وقال القطاميُّ في نارِ أبي الحباحب:

(1) في الأصل: «لها»، والصواب ما أثبت موافقاً ما في ثمار القلوب.

(2) ط: «فأجبتها»، صوابه في ش، هـ وثمار القلوب.

(3) ينعت الحمار الوحشي بالمرقم، لأنه مخطط القوائم.

(4) ش: «فدنا ليصطلي منها».

(5) الحباحب، بضم الحاء الأولى، سيفسرها الجاحظ.

(6) في الشطر الأول تحريف. والف، بالضم: الأرض ذات حجارة عظام. أرنّت: صوتت. ط، هـ: «أرنت» ش: «أرنتا» محرفتان. والجنادل: الحجارة الكبيرة. جعلها تصوت مما يضرب بعضها في بعض.

(7) الغضى: نبت شديد النار تبقى ناره طويلاً. وفي الأصل: «عصا» صوابه في تنزيل الآيات 93، تتراقى: تتصاعد. والولاول: الأصوات، جمع ولولة.

تُخَوِّدُ تَخْوِيدَ النَّعَامَةِ بَعْدَمَا تَصَوَّبَتِ الْجُوزَاءُ قَصْدَ الْمَغَارِبِ⁽¹⁾
أَلَا إِنَّمَا نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا اشْتَوَتْ لَطَارِقٍ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحَبَابِ⁽²⁾

ويصفون ناراً أخرى، وهي قريبة من نار أبي الحباب، وكل نار تراها العين لا حقيقة لها عند التماسها، فهي نار أبي الحباب. ولم أسمع في أبي حباب نفسه شيئاً⁽³⁾.

(نار البرق)

وقال الأعرابي، وذكر البرق:

نَارٌ تَعُودُ بِهِ لِلْعُودِ جِدَّتْهُ وَالنَّارُ تُشْعِلُ نِيرَانًا فَتَحْتَرِقُ

يقول: كل نار في الدنيا فهي تحرق العيدان وتبطلها وتهلكها، إلا نار البرق؛ فإنها تجيء بالغيث. وإذا غيشت⁽⁴⁾ الأرض ومطرت أحدث الله للعيدان جدةً، وللأشجار أغصاناً لم تكن.

(1) خود البعير والظليم: أسرع واهتز في مشيه. وفي الأصل، وهو هنا ط، ه؛ لأن البيت ساقط من ش: «تجرد تجريد» وتصحيحه من الديوان 53 وأمالى ابن الشجري (2: 60 حيدر أباد). والجوزاء: نجم. تصوبت قصد المغارب: انحدرت ومالت إلى المغرب. يقول: تلك الناقة قد سارت ليلتها وهي بعد ذلك تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يعتري الكلال كل شيء، فهي محتفظة أبداً بنشاطها. وإنما تتصوب الجوزاء وقت الغداة. ط: «تصوت» صوابه في ه والمرجعين السابقين. وفي الأصل: «قصر» صوابه في الديوان والأمالى.

(2) في الأصل: «ألا إنها نيران قيس إذا استوت» وتصحيح الكلمة الثانية من الديوان وأمالى ابن الشجري وثمار القلوب 463 المخصص (11: 28) واللسان (حب) والخزانة (3: 190 بولاق) وأمثال الميداني (2: 86). وأما «استوت» فهي محرفة عما أثبت. واشتوت: صنعت شواء. ومثل هذه الرواية رواية الخزانة (3: 213 بولاق): «إذا اشتوا». وقيس تؤثت باعتبار القبيلة. والرواية الجيدة: «إذا شتوا» أي أقاموا شتاء، وهي رواية جميع المصادر السالفة وكذلك العقد (4: 224) وفيه: «ألا إنها» تحريف. وهو قد هجا قيس عيلان؛ لأنه مر في بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس فاستقرها - أي طلب منها القرى - فقالت: أنا من قوم يشتون القد من الجوع. قال: ومن هؤلاء ويحك؟ قالت: محارب. ولم تقره! فبات عندها بأشر ليلة، وصنع فيها القصيدة. أمالي ابن الشجري (2: 58) والخزانة (3: 189 - 190 بولاق). وقد نسب البيت في اللسان (حب) إلى النابغة وهو خطأ.

(3) هكذا تكون أمانة العلم. ومثله ما قال أبو حنيفة: «لا يعرف حباب ولا أبو حباب». ولم نسمع فيه عن العرب شيئاً. لكن جاء في المخصص (11: 28) نقلاً عن صاحب العين: «كان أبو حباب رجلاً من محارب خصفه. وكان بخيلاً لا يوقد ناره إلا بحطب شخت». ومثله في اللسان. وزاد: «ثلاً ترى». وفي اللسان: «وقيل اسمه حباب فضر بباره المثل؛ لأنه كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان». وفي المخصص: «وزعم قوم أن أبا حباب وحباباً اليراع، وهو فراشة إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها أنها شريرة طارت من نار».

(4) غيشت الأرض: أصابها الغيث. والغيث، بالفتح: المطر. ط، ه: «غيث» صوابه في ش.

(نار اليراعة)

ونَارٌ أخرى، وهي شبيهة بنار البرق، ونار أبي حباب، وهي «نار اليراعة»، واليراعة: طائر صغير، إن طار بالنهار كان كبعض الطير، وإن طار بالليل كان كأنه شهابٌ قذِفَ^(١) أو مصباحٌ يطير.

(الدفء برؤية النار)

وفي الأحاديث السائرة المذكورة في الكتب، أَنَّ رَجُلًا ألقى في ماءٍ راكِدٍ^(٢) في شتاءٍ بارد، في ليلةٍ من الحنَادِسِ^(٣)، لا قمر ولا ساهور^(٤) - وإنما ذكر ذلك؛ لأنَّ ليلة العَشرِ^(٥) والبدر والطوق الذي يستدير حول القمر، يكون كاسراً^(٦) من بَرَدِ تلك الليلة - قالوا: فما زال الرجل حياً وهو في ذلك تَارِزٌ^(٧) جامد، ما دام ينظر إلى نارٍ، كانت تُجَاهَ وجهه في القرية، أو مصباح، فلما طَفِئَتْ انْتَفَضَ^(٨).

(نار الخلعاء والهَرَابِ)

وقال الشاعر:

ونارِ قُبَيْلِ الصُّبْحِ بادَرْتُ قَدَحَهَا حَيَا النَّارِ قَدْ أَوْقَدْتُهَا لِلْمُسَافِرِ^(٩)

يقول: بادرت الليل، لأنَّ النَّارَ لا تُرَى بالنهار، كأنه كان خليعاً أو مطلوباً^(١٠). وقال آخر:

(١) أي الكوكب الذي ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به. وفي الكتاب: ﴿إِلَّا مَنْ خَظِفَ لَلْظُلْمَةِ فَأَنَعَمُ شِهَابٌ نَاقِبٌ﴾ [الصفات: 10].

(٢) راكد: ساكن لا يتحرك. ش: «بارد».

(٣) الحنَادِس: ثلاث ليال من الشهر مظلمات.

(٤) الساهور: التسع البواقي من الشهر.

(٥) أي العشر الليالي. ش، هـ: «العسر»، صوابهما في ط.

(٦) كاسراً: أي مضعفاً ومخففاً. ط، هـ: «كاسداً» بالدال، صوابه في ش.

(٧) التارز: الصلب الشديد. وفي الأصل: «بارد»، وإذا يفسد المعنى، ووجهه ما أثبت.

(٨) طَفِئَتْ النار، كسمع، طفوءاً: ذهب لهبها، كانطفأت، وانتفض: ارتعد، أي من البرد. وفي الأصل: «انطفأ» وهو تحريف.

(٩) أنشد هذا البيت صاحب اللسان في (18: 233) وقال في تفسيره: «قوله: حيا النار: أراد حياة النار، فحذف الهاء». ط، هـ: «خبا»، صوابه من ش، واللسان.

(١٠) الخليع: الرجل قد خلعه أهله، فإن جنى لم يطالبوا بجنايته. والمطلوب: من يطلبه السلطان ليأخذه بجنايته.

وَدَوِيَّةٌ لَا يَثْقُبُ النَّارَ سَفْرُهَا وَتُضْجِي بِهَا الْوَجْنَاءُ وَهِيَ لَهِيدٌ⁽¹⁾

كَأَنَّهُمْ كَانُوا هُرَابًا، فَمِنْ⁽²⁾ حَتِّهِمُ السَّيْرِ لَا يُوقِدُونَ لُبْرَمَةً وَلَا مَلَّةً؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْانْزُولِ وَالتَّمَكُّثِ، وَإِنَّمَا يَجْتَازُونَ بِالْبَسِيسَةِ⁽³⁾، أَوْ بِأَدْنَى عِلْقَةٍ⁽⁴⁾، وَقَالَ بَعْضُ اللَّصُوصِ⁽⁵⁾:

مَلْسًا بِذُودِ الْحَدْسِيِّ مَلْسًا⁽⁶⁾ نَبَّهْتُ عَنْهُنَّ غَلَامًا غَسًّا⁽⁷⁾

لَمَّا تَغَشَّى فَرْوَةً وَحَلَسًا⁽⁸⁾ مِنْ غَدَوَةٍ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَ

بِالْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ تُكْسَى وَرْسًا⁽¹⁰⁾ لَا تَخْبِزُا خَبْزًا وَبَسًا بَسًا⁽¹¹⁾

(1) أَثْقَبُ النَّارِ: أَشْعَلُهَا. ش: «تثقب». والسفر: المسافرون. والوجناء: الناقة الشديدة. واللهيد: المجاهدة المتعبة. في الأصل: «لهيد» بالنون، ولا وجه له، والصواب ما أثبت. واللهيد، وصف يستوي فيه المذكور والمؤنث؛ لأنه فعل بمعنى مفعول. وانظر المزهري (2: 135) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء.

(2) ط: «من» وأثبت ما في ش، هـ.

(3) البسيسية: بالفتح، سيفسرها الجاحظ. يقال بس البسيسية: صنعها. ط، ش: «بالبسيسية». هـ: «بالبسية» صوابهما ما أثبت. وانظر اللسان (بس).

(4) العلقه، بالضم: كل شيء يتبلغ به.

(5) هو الهفوان العقيلي، أحد بني المنتفق، وأحد لصوص العرب.

(6) ملس بالإبل ملساً: ساقها في خفية. والذوذ، بالفتح: جماعة الإبل. والحدسي يعني الرجل الحدسي الذي سرقوا إبله. والحدسي، بالتحريك: نسبة إلى بني حدس، حي من اليمن. والبيت محرف في الأصل. ط، هـ: «ملساً برود الحي مني» ش: «برود الحي مني» صوابهما في اللسان (حدس) ومعجم المرزباني 492 والمخصص (7: 127) وفي اللسان (ملس): «بذود الحلسي» محرف.

(7) عنهن: أي عن الإبل. والغس، بضم الغين: الضعيف اللثيم. وفي الأصل: «قلساً» صوابه من نواذر أبي زيد 12، 70، وفي معجم المرزباني: «جساً». والجيس، بالكسر: النؤوم الكسلان.

(8) تغشى الشيء: تغطى به. والحلس، بالكسر والتحريك، مثل شبه وشبه ومثل ومثل. وهو ما يبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه، أو الكساء الذي على ظهر البعير تحت القتب.

(9) مثله في المخصص (7: 127)، وفي معجم المرزباني: «من بكرة».

(10) في الأصل: «بالأفق الشرقي» صوابه من المخصص (7: 127). وفي معجم المرزباني وتهذيب الألفاظ 626: «بالأفق الغوري» محرف. وجعل الشمس كأنها مكسوة بالورس. والورس، بالفتح: نبت له نور لونه يشبه الزعفران. ط: «تكاساً» ش، هـ: «تكساً» صوابه في معجم المرزباني ونواذر أبي زيد 11، ورواية المخصص ونواذر أبي زيد: «تظلى ورساً»، ومثله في المعنى قول أسقف نجران في الشمس - وقد سبق في (3: 50):

وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس

(11) رواه المرزباني: «لا توقدا ناراً». وفسره بقوله: «لا توقدا ناراً لتختبزا فتبطئا ويعرف موضعكما» - في الأصل: موضعهما - واقتصر على الإيساس وهو الحلب وروى في فقه اللغة 51 طبعة الحلبي: «لا تَخْبِزَا خَبْزًا وَنَسًا نَسًا» وهي إحدى روايتي ابن سيده في المخصص (7: 115) ورواية اللسان (مادة خبز). وفسر الخبز بأنه السوق الشديد. وأما النس، بالنون، فهو السوق الرفيق. ويروى: «لا تخبزا خبزاً وبسا بسا، بالباء وبالمعنى الأخير. وقيل إنها خطأ، كما جاء في المخصص.

وَلَا تُطِيلَا بِمَآخِ حَبَسَا وَجَنَّبَاهَا أَسَدًا وَعَبَسًا^(١)

قال: والبَسِيسَة^(٢) أن يبلّ الدَّقِيق بشيء حتى يجتمع ويؤكل.

(نار الوسم)

ونار أخرى، وهي «نار الوسم»^(٣) والمِيسَم يقال للرجل: ما نار إيليك؟ فيقول علاط^(٤)، أو خباط^(٥) أو حَلَقَة^(٦) أو كذا وكذا.

(رجز لبعض اللصوص)

وقرّب بعض اللصوص إبلاً من الهواشة^(٧)، وقد أغار عليها من كلّ جانب، وجمّعها من قبائل شتى، فقرّبها إلى بعض الأسواق، فقال له بعض التجّار: ما نارك؟ وإنما يسأله عن ذلك؛ لأنهم يعرفون بميسم كلّ قوم كرم إبلهم من لومها، فقال:

تَسْأَلُنِي الْبَاعَةَ مَا نَجَارُهَا إِذْ زَعَزَعُوهَا فَسَمَتُ أَبْصَارُهَا^(٨)
فَكُلُّ دَارٍ لَأَنَاسٍ دَارُهَا وَكُلُّ نَارٍ الْعَالَمِينَ نَارُهَا
وقال الكردوس المرادي^(٩):

تَسْأَلُنِي عَنْ نَارِهَا وَنَتَاجِهَا وَذَلِكَ عِلْمٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الطَّمْشُ^(١٠)

(١) أسد وعبس: قبيلتان.

(٢) البسيسة، بالفتح. والمراد عمل البسيسة. وفي الأصل: «البسيسة» تحريف.

(٣) الوسم: التعليم على الإبل بالميسم، وهو المكواة.

(٤) العلاط، بالكسر: سمة في عرض عنق البعير. والسطاع بالطول. وربما كان العلاط خطأ، وربما كان خطين أو خطوطاً في كل جانب.

(٥) الخباط، بكسر الخاء المعجمة: سمة تكون في الفخذ طويلة عرضاً. وهي لبني سعد، وقيل هي التي تكون على الوجه. حكاه سيبويه. ط، هـ: «وخباط» صوابه «أبو». ش: «أو حباط» و«حباط» محرفة عما أثبت من ط، هـ.

(٦) الحلقة، بالفتح: سمة على شكل الحلقة، في الفخذ أو أصل الأذن. ط، ش «جلفة» صوابه في هـ. وانظر باباً مفصلاً في سمات الإبل.، في المخصص (٧: 154 - 156).

(٧) هاشت الإبل هوشاً: نفرت في الغارة فتبددت وتفرقت. وإبل هواشة: أخذت من هنا وهنا. لسان العرب. وفيه: «والهواشات، بالضم: الجماعات من الناس ومن الإبل، إذا جمعوها فاختلط بعضها ببعض. وفي الأصل: «النواسة» محرف.

(٨) زعزعوها: ساقوها سوقاً شديداً. وفي الخزانة (٣: 213 بولاق): «إذا زعزعتها» أي زعزعتها الباعة. وانظر رواية الرجز في الخزانة، وأمثال الميداني (٢: 74) ومحاضرات الراغب (٢: 290).

(٩) ش: «المراري».

(١٠) الطمش، بالفتح، سيفسر، وفي ط: «الطمس» بالسين، صوابه في ط، هـ.

والطَّمَشُ^(١) : الخَلْقُ . والوَرَى^(٢) : النَّاسُ خاصّة .

تَمَّ المصحفُ^(٣) الرابعُ من كتاب الحيوان ، (

ويليه إن شاء الله تعالى المصحفُ الخامسُ . وأوله نبدأ في [هذا] الجزء بتمام القول في نيران العجم والعرب ، ونيران الديانة ، ومبلغ أقدارها .

(١) ط : «الطمس» ، وانظر التنبيه السابق .

(٢) ط ، هـ : «الودي» ، صوابه بالراء كما في ش .

(٣) ط فقط : «تم هذا المصحف» .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
15	8	كلمة «الشُّبُور» مأخوذة من العبرية، ولعلَّ أوَّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير في مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللِّسان. وهي في العبريّة () : شُوفَار. ومعناه عندهم: البوق الذي يُستعمل في الأعياد الكبرى كُرأس السَّنة. والعيد الأكبر: (عيد الصَّيام).
15	9	«رأس الجالوت» المراد به: رئيس الجالوت. وجاء في مفاتيح العلوم ص 24 للخوارزمي المتوفى سنة 387: «والجالوت هم الجالية، أعني الذي جَلُّوا عن أوطانهم بيت المقدس. ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام. وترغم عاصمتهم أنَّه لا يَرأس حتَّى يكونَ طويلَ الباع تبلغ أناملُ يديه ركبتيه إذا مَدَّهما». قلت: وهو بالعبريّة: () : رُوش جالُوت.
51	12	في الأصل «بني النواحة، والصواب: «ابن النَّوَّاحَة» كما جاء في ص 224 س 2، وقد ذكره ابن حجر في الإصابة 6643 قال: «عبد الله بن النَّوَّاحَة، ذكره بعضُ من ألف في الصحابة، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعود فلم يُتَّب، فقتله على كُفْره ورِدَّتِه. والنَّوَّاحَة: الكثيرة النَّوح».
53	6	ما في ط إذا صح عن الجاحظ، كان حكاية منه لقول العوام، أو جرياً على مذهب ضعيف في النحو. وفي كتاب سيبويه (2: 296 س 11-12) «وحدثني الخليل أن ناساً يقولون: ضربتيه. فيلحقون الياء».
	9	«ريطة» هي زوج المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وهي بنت سعيد - بالتصغير - ابن سهم. ولدت من المغيرة عشرة رجال. الإصابة 8329، وفي الإصابة: «لم يَنْجُ من بني المغيرة في طاعون عمواس إلاَّ المهاجر، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. وفي ذلك يقول المهاجر بن عبد الله». وأنشد الأبيات، ما عدا البيت الأوَّل. وانظر الرواية عنده.
87	12	كتب إليَّ الأخ الشيخ علي الطالباي الكردي بتاريخ 22/12/1947 كتاباً جاء فيه: «أتشرف بأن أقول لك: إنني عثرت أثناء مطالعتي لشروحك القيمة على كتاب الحيوان لأبي عثمان الجاحظ في الجزء الرابع في صفحة مئة وخمس وخمسين في تعليقاتك المرقمة بثلاثة على قولك «الأجدهاني» إنك لم تهتد إلى ضبطها، وقلت: هكذا بالأصل.
		فإذا تنازلت فإنني أقول لكم إتماماً للفائدة: إن هذه الكلمة تكتب بالفارسية: أرْدها: (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال) وتنطق الراء الأولى - التي هي في أصل: أي فارسية - حسب لغة المصريين، بجيم شديدة التعطيش. وعلى هذا فيكون ضبطها في

- الأصل الفارسي هكذا: «أز دهار» بهمزة بدل النون والياء بينما إذا استبدلت الهمزة براء «أز دهار» فيكون معناها آفة مكلوبة.
- ومعنى «أزدهاء» أفعى كبيرة. وهي متعارفة عند خواص الفرس: حيوان خرافي لا وجود له. وإنني أرجو أن تتقبل مني هذه الإشارة التي يعد قبولك إياها مثلاً كريماً. .
- 13 97 روى في اللسان (عرر 236): «عرارة هبوة» وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً.
- 14 103 «وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً أو جعلوه رجلاً وقصييداً موزوناً». وقد يظن بعض الناس أن في العبارة تحريفاً. والحق أنها صواب، وإن كانت مخالفة للمذهب المشهور، وهو أن يكون في الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة «أم» لا «أو». فتقول: سواء أكان كذا أم كذا.
- وجاء في المغني (1: 42)، «وقد أولع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا، سواء كان كذا أو كذا. وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا. والصواب العطف في الأول بأم وفي الثاني بالواو. وفي الصحاح تقول سواء عليّ قمت أو قعدت. اهـ.
- ولم يذكر غير ذلك. وهو سهو. وفي كامل الهذلي أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفراني: سواء عليهم أنذرتهم أو لم تُنذِرهم. وهذا من الشذوذ بمكان». قلت: شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته. والجاحظ إمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة. وقد استعمل هذا المذهب هنا. وجرى عليه مرة أخرى في 237 س 6 وج 5 ص 9 س 2.
- «المحلاً باقره» أخذ هذا المعنى الحطية في قوله:
- فهل كنت إلا نائياً إذ دعوتني مُنادي عبيدان المحل باقره**
- الديوان ص 8، ولعل هذا الاشتباه هو الذي دعا إلى تحريف رواية بيت النابغة.
- 2 124 «عقرب». انظر الكلام بتفصيل، على منع صرف ما سمي من الذكور بأسماء الإناث، في جمع الهوامع (1: 34). لكن «عقرب» في أصله مذكر، وقد يؤنث. تقول: هذا عقرب، وهذه عقرب. فإذا روعي أصل التذكير صرف، وإذا روعي أصل التأنيث لم يصرف.
- 13 125 «ويقتلها الآخر». انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين المراد منه ص 110 من الجزء الخامس، وكذا نهاية الأرب (10: 1480).
- 13 126 ولادة الدّساس، ثبت علمياً أن الدّساس وأنواعاً أخرى من الحيات، يكون تناسلها بطريق الولادة، لا البيض، انظر كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية ص 114 طبع 1934.
- 14 129 «دون صفاتها» أي دون إرادة صفاتها وملاحظتها.
- 3 157 نباح الحية جاء في المخصص (8: 115) «الأفاعي تكشّ خلا الأسود، فإنه يصفر وينبح ويضبح». ونبح، يقال من بابي منع وضرب.
- 14 188 «وكنت كالهيق غدا يبتغي... إلخ». تعرض هذا البيت للتصحيح، فأنشده بعضهم:

«فرحت كالعير غدا يبتغي»

وقد أثبت هذا التصحيف صاحب المعاهد والتنقيص، في ترجمته لبشار (1: 102). بل بالغ في تأكيد هذا التصحيف، فعقب عليه بقوله: «قوله: فرحت كالعير، البيت، مثل قول بعضهم:

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنًا فأب وماله أذنان» اهـ
وليت شعري، إن كان الحمار فاقد الأذنين، فأى حيوان سواه ميزه الله بطول الأذنين؟! ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه، وجلاء بطلانه، بين بعض الشعراء، فقال آخر:

كمثل حمار كان للقرن طالبًا فأب بلا أذن وليس له قرن
فالظاهر أن «الهيئ» تصحيف عليهم بـ«العير» ثم ترجموا العير بـ«الحمار» فذاع الخطأ. ومن الشعر الذي يستشهد به على أن طالب القرن النعامة، ما أنشده الميداني - عند قولهم: «كطالب القرن جدعت أذنه» -:

مثل النعامة كانت وهي سائمة أذنًا حتى زهاها الحين والجئن
جاءت لتشري قرنًا أو تعوضه والدهر فيه رباح البيع والغبن
فقل أذاك ظلم ثم اصطلمت إلى الصمّاخ، فلا قرن ولا أذن
والجئن، بضمين: الجنون، كما في اللسان (جنن 249). عند إنشاد البيت.

207 24 «جعلها كالفسي في نحولها». ومما يشهد به على تشبيه الإبل المهزولة بالفسي، قول البحري - (انظر معاهد التنقيص 1: 216) -:

كالفسي المعطفات بل الأسد هم مبرية بل الأوتار
وقول الشريف:

خوص كأمثال القسي نواحلًا وإذا سَمَا خطبٌ فهنَّ سَهَامٌ
1 229 البيت من قصيدة للمتنبي يمدح بها ابن العميد ويودعه ومطلعها:

نسيت وما أنسى عتابًا على الصد ولا خفرا زادت به حمرة الخد
ورواية البيت بتمامه عند العكبري (1: 277):

وتلقى نواصيها المنايا مشيحة ورود قطا صم تشايحن في ورد
وكلمة «تشايحن» تصحح ما نقلت عن الوساطة. ومعناها أسرعن. والبيت في صفة خيل.

243 3 «ما زالت تحت عين خرساء» تفسير الجاحظ للعبارة يشوبه بعض الغموض والتحريف. وفي اللسان (خرس): «أبو حنيفة: عين خرساء وسحابة خرساء: لا رعد فيها ولا برق ولا يسمع لها صوت رعد. قال: وأكثر ما يكون ذلك في الشتاء؛ لأن شدة البرد تخرس البرد وتطفئ البرق».

246 10 خُلق، أي طبيعة. ويصح أيضًا أن تقرأ: خَلَقَ. بمعنى خَلَقَ.

255 8 «أربعين عامًا». كذا جاء بالأصل. وهو خطأ. صوابه «أربعين يومًا». وقد جاء في

الأصحاح التاسع من سفر التثنية: «حينَ صعدتُ إلى الجبل لكي آخذَ لُوْحَيِ الْحَجَرِ، لُوْحَيِ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ، أَقَمْتُ فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا، وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَا أَكَلُ خُبْزًا وَلَا أَشْرَبُ مَاءً».

258 13 الفصح هذه الكلمة معربة عن العبريّة. وهي في أصلها: () وتنطق: بيسح. ومعناها اللغوي: القفز، أو العبور. والعلّة في تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية، ما جاء في سفر الخروج (12: 27): «إنكم تقولون: هي ذبيحة فصح للرب الذي عبّر عن بيوت بني إسرائيل في مصر، لما ضرب المصريين وخلّص بيوتنا».

ومعنى عبر عن بيوتهم، أن الله عاقب المصريين وخدّمهم بالضرب، متجاوزًا بيوت بني إسرائيل لم يمسه بسوء. والضربة التي تشير إليها التوراة، هي أن الله قد أمات كل بكر من أبكار المصريين، وكلّ بكر من حيوانهم كذلك. انظر (12: 29-30). وكلمة عبر هي في النص العبري للتوراة: () پاساخ. وهذا هو الفعل العبري الذي أخذ منه المصدر المتقدم.

فهذا أصل العيد وأصل تسميته عند العبرانيين. وعنهم أخذ المسيحيون. هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة، حسبوها عربية لملاءمة نسجها للنسج العربي، وهي ليست من ذلك.

261 5 نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة، كما في القاموس والتنبيه والإشراف 34، 82، ويقال: نمرود بذال معجمة في آخره كما في كامل ابن الأثير (1: 53-57) ورسائل الجاحظ 100 ساسي. وعلي هذه اللغة جاء قول ابن رشيّق:

يَا رَبَّ لَا أَقْوَى عَلَى دَفْعِ الْأَذَى وَبِكَ اسْتَعْنْتُ عَلَى الزَّمَانِ الْمَوْذِي
مَالِي بَعَثْتُ إِلَيَّ أَلْفَ بَعُوضَةٍ وَبَعَثْتُ وَاحِدَةً عَلَى نَمْرُودٍ
انظر شرح القاموس.

276 6 «يَا أَحْمَدَ الْمُرْتَجَى» ضبط هذا المنادي بالفتح جائز في مذهب الكوفيّين فقط، وأما البصريون فيوجبون ضمّه، إذ أن مذهب البصريين إجازة الضم والفتح في المنادى العلم الموصوف بآين متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر.

ويوافقهم الكوفيون في هذا ولكنهم يفارقونهم في إجازة الضم والفتح أيضًا في المنادى العلم الموصوف بأيّ صفة أخرى كانت غير كلمة ابن. انظر همع الهوامع (1: 176). البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سيده في المخصص (9: 102) وانظر الرواية فيه.

كتبه

عبد السلام هارون

مصر الجديدة في أول صفر سنة 1386

22 من مايو سنة 1966

أبواب الكتاب

3	القول في الذرّة والتّمل
31	باب جملة القول في القرد والخنزير
35	رجع القول إلى ذكر الخنزير
61	القول في الحيّات
62	ومن أعاجيب الحيّات
132	أصوات خشاش الأرض
33	باب من ضرب المثل للرجل الداهية وللحيّ الممتنع بالحية
170	ما جاء في الحديث من الحيات
180	جملة القول في الظّليم
186	باب آخر وهو أعجب من الأول
196	القول فيما اشتقّ له من البيض اسم
276	القول في النيران
277	باب آخر